

أودع على إجازة صاحب رسالة للتمتع
المطلوعة في الأمانة التوفيق

١٨٩٦
ل ح ف

الجمهورية العربية السورية

الجامعة السورية للدراسات
بالمدينة المنورة
مكتبة الدراسات والأبحاث والدراسات الإسلامية

الدراسات العليا
١٤١٢ هـ - ١٤١٣ هـ

د/ عبد العزيز القاري
١٤١٢ هـ
١٤
١٥
١٦
١٧

أخضر عندي بتاريخ
١٤١٢ هـ
١٤١٣ هـ

الدراسة في القرآن الكريم

بجالاتها • أسسها • أساليبها

بمحرّم رقم لنيل دكتوراه العالمية «الدكتوراه»

إشراف
الدكتور/ عبد العزيز محمد عثمان

إعداد
عبد الطام بن إبراهيم
عبد اللطيف



قال تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ①٥ يَهْدِي

بِهِ اللَّهُ مِنَ اتِّبَاعِ رِضْوَانِهِ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمُ

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ①٦

المائدة آية ١٥-١٦



الحمد لله الذي نزل علي عبده الكتاب تبيانا لكل شيء . وهدى
ورحمة للعالمين والصلاة والسلام علي أكرم رسول ، وخير مُرَبٍّ ومعلمٍ لهذه
الأمّة ، وهاديها إلي الصراط المستقيم ، ومرشدها إلي خَيْرِ الدنْيَا
والآخرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي رباهم علي نور الحق ونهج
القرآن وصحح المفاهيم الخاطئة التي توارثتها الأمم الأخرى، وتناقلتها
جيلاً عن جيل ، ومن ثم يقول المولى جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ، وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) وقال عز من
قائل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ
تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ،
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) ، صلى الله عليه وعلي آله
وصحابه الذين كانوا أئمة العلم ونور الهدى وخير هذه الأمة بعد رسولها
صلى الله عليه وسلم ، والذين صح فيهم قوله صلى الله عليه وسلم :-

((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام
تسبق شهادة أحدهم بيمينه ويمينه شهادته)) (٣)

ومعد ،

فإنه من المعلوم أن الله تعالى خلق الإنسان ليكون خليفته في الأرض،
قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

(١) آيه / ١٧٠ ، سورة النساء .

(٢) آيه ١٥ ، ١٦ ، سورة المائدة .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الشهادات - باب لا يشهد علي شهاد قجوز اذا

أشهد ١٥١ / ٣ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ط / استانبول .

(٤) آيه / ٣٠ ، سورة البقرة .

ولما كان كل إنسان متحملاً نتيجة عمله لأنه لا تنزر وأزره وزر أخسرى
كان لزاماً عليه أن يسلك المسلك القويم الذى ارتضاه له الله تعالى ، كى
يحقق المهمة التى من أجلها خلقه عز وجل ، يقول الله تعالى ﴿ وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) وعبادة الله لا تقتصر على الصلاة
فحسب ولكنها شاملة لكل ما أمر الله به ونهى عنه ، بل يدخل فى
مضمونها تعامل العباد بعضهم مع بعض مما هو فى نطاق شرع الله عز وجل .
فى الحقيقة أن الحياة التى نعيشها اليوم تتسم بكثرة الشواغل ، ومظاهر
المدنية فيها متعددة المناهج والأفكار وفيها من الخرافات ما لا يتسق مع
من عنده مسكة من عقل .

وهذه الخرافات إنما نتجت عن عدم معرفة الكثيرين من المسلمين بأمر
دينهم وبعدهم عن منهج الإسلام وتعاليمه القويمة ، وطريقه المستقيم ، وخير
طريق للقضاء على هذه الخرافات وفيها هو : الالتزام بأداب القسّرآن
الكريم والسنة النبوية ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ
يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٢) ، وذلك هو الطريق الناجح لتربية الأجيال تربية حسنة
فيها المعلمون الناجحون الذين يرشدون إلى الخير وإلى الطريق المستقيم .

أهمية إعداد المعلم المسلم :-

مما لا شك فيه أن إعداد المعلم المسلم الذى حمل هذه
الدعوة ليبلغها للناس جميعاً هو من الأهمية بمكان إذ أن عليه تبصير الناس
بتعاليم الدين ليكونوا على بينة مما يجب عليهم تجاه دينهم ، وعلى وعي تام
بما يجب الابتعاد عنه ، والقضاء عليه إذا كان مخالفاً لهذه التعاليم لكيلا
يخدعوا بما يزيفه الأعداء ويروجونه فيؤخذوا على فرة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على إدارك تام بشرف النبوة وصلاح
الإنسانية بجودة التربية ، ترى ذلك فى شدة حرصه على تربية المسلمين على

(١) آية / ٥٦ / ، الذاريات .

(٢) آية / ٩ / ، الاسراء .

على مائدة القرآن الكريم ، موجهاً إياهم الى ما فيه صلاح حالهم مهتماً
بأمر رعيته ، يعلمهم وينصح لهم ، مشجعاً إياهم على العلم حتى بلغ به
الأمر صلى الله عليه وسلم إلى الاستفادة من الأسرى الذين يجيدون -
القراءة والكتابة ، فجعل إطلاق سراح الأسير من أسرى بدر مقابلاً
تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة (١) .

بناء التعليم الإسلامي :-

لقد وضع القرآن الكريم القواعد والأسس التي تهذب خلق المسلم وتسهو
به إلى مرتبة الإحسان ، وقد أوضح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعض هذه القواعد والأسس ، وترك الأمر لمن يأتيون بعده في الإعداد للتعليم
وبناء هيكل متكامل له ، حتى إذا ما أتى القرن الثاني الهجري ، وجدنا
قواعد هذا البناء في تكامل بجميع مكوناته من معلم ومدرسة وكتاب .

وكان من الضروري لمن يرب في التعليم أن يكون كتاب الله أول ما تفتش
عليه عيناه ، لينشرح به صدره ، ويرتبط قلبه بخالقه وينير القرآن له طريقه
ويكون راشده في كل قول وعمل .

مصادر التربية الإسلامية :-

إن التربية الإسلامية ذات مصادر متعددة . . .

١- أول هذه المصادر : القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الخالد الذي أوحاه
الله عز وجل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين وفي هذا الكتاب منهج الأمة
الإسلامية بما فيه من تعاليم أخلاقية راقية ، قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا
مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ،
مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَهْدَاءً ، وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، مَا لَهُمْ بِهِ مِسْرٌ
عِلْمٌ وَلَا لِآبَاءِهِمْ كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (٢)

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفـس نفيس - تأليف الامام الشيخ الحسين بن محمد
الدياربيكري (٣٩٥ / ١) ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت .
(٢) آية / ١ - ٥ / ، الكهف .

٢- ثاني هذه المصادر : السنة النبوية وقد حفلت السنة النبوية بأسس التربية بأنواعها المتعددة ، فهي نبراس يضيء الطريق لكل مسلم .

٣- ويأتي العرف الاجتماعي في المرتبة الثالثة لأن المسلمين لا يتعارفون على شر ولا منكر من القول ظاهراً ، كما جاء في الحديث الشريف - لا تجتمع أمتي على ضلالة . . . (١)

القرآن الكريم مصدر التربية الإسلامية :-

أسلفت أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتربية الإسلامية إذ فيه الأمر والنهي والنصح والتوجيه ، والوعد والوعيد ، كما أن فيه بياناً للحدود التي تصون المجتمع من الخلل وغير ذلك ، والقرآن الكريم عامة تبيان لما يصلح المجتمع ، صالح لكل زمان ومكان لأن الذي أنزله هو الذي صنع الإنسان ، ويعلم كل صغيرة وكبيرة فيه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢) أما السنة النبوية ، فقد أوضحت ما أجمله القرآن الكريم ، لذا نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحدثنا عما يجب أن يفعله المسلم في حركاته وسكناته ، بل وفي كل لحظة من لحظات حياته حتى لا يزل الطريق ، ويفوز برضى الله في الدنيا والآخرة .

وإذا كانت التربية الإسلامية تهدف إلى إعداد الفرد الصالح فإن شريعة الله هي الطريق الوحيد لهذا الإعداد ، لأنه إعداد يتلاءم مع كل زمان ومكان وهو إعداد للإنسانية بمفهومها الشامل وهو ما يسمى " إعداد المسلم الصالح "

سبب اختيارى لهذا الموضوع :-

لقد تضافرت عدة عوامل كانت حافزاً لي علي أن أكتب في هذا الموضوع وكان من أهمها :-

أولاً : عملي الوظيفي الذي شرفت فيه بمهنة التدريس قد مكنتني من الاطلاع على العديد من كتب التربية ، ولما كانت كل الكتب التي صنفها الغربيون في أصول

(١) روى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة من طرق وألفاظ مختلفة ، قال البخاري في المعاصد الحسنة ٧١٧- وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ، ذواسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره .

(٢) آية / ١٤ / سورة الطلح .

التربية حرباً على الإسلام من حيث إنها تضع نظريات تخالف ما جاء به الإسلام ويحاول هؤلاء الضالون خداع المسلمين وإيهامهم يعطون لصالح الإنسانية وفي الحقيقة هي حرب ضارية ، ولكنها بطريق آخر ، كان ذلك حافزاً لي إلى إيمان بضرورة الأخذ بمنهج القرآن الكريم ، وتنحية المناهج الغربية في التربية - نظراً لأنها من مصادر غير إسلامية أولاً ، كما أنها وضعية من قبل البشر ثانياً - ونظريات البشر عادة وقوانينهم يحكمها عنصر الزمان والمكان . .

كما أن الباحث قد تروقه نظرية ما تتفق مع آرائه وميوله ، بينما يرفضها آخر ، وما ذلك إلا لأنها من وضع إنسان مفتقر إلى ما يصلحه فكيف يصلح غيره ؟
ثانياً : الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم واقع مؤلم أدّى بهم إلى أن تداعت عليهم الأمم كما تتداعي الأكلة علي قصعتها ، وما ذلك إلا لأنهم * اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا *^(١) فقد ابتعد بعضهم عن منهج الله والبعض الآخر يحارب ذلك المنهج .

لذا رأيت أن سبيل النجاح هو الرجوع إلى القرآن الكريم وتطبيق ما فيه من قواعد التربية ومناهجها وأساليبها .

ثالثاً : المقررات الدراسية في كليات التربية ، وفي بعض المدارس - وآسفاً - تعج بأقوال الغرب ونظرياته ، وهذا لا يتفق وخلق المسلم وفكره وواجبه نحو دينه ووطنه . فالغرب يذكر قواعد ، ومناهج إما من خلال تعاليم النصرانية أو العلمانية الوضعية ، وكل منهما أشد سوءاً من الآخر فالأخيرة لا تؤمن بالميعاد والأولى بها الشرك الجلي .

رابعاً : شمولية منهج القرآن في علاج قضايا التربية وعدم تقيده بعنصر الزمان والمكان ، ناهيك به أنه من عند الله .

هذه الشمولية تدرس التربية ليس في مجال التعليم بل وفي مجال الاقتصاد ومجال السياسة ، وفي مجال الحرب ، وتربية القرآن هي تربية النفس ، قال تعالى * قَدْ أَنْفَلِحَ مِنْ زَكَاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا *^(٢) لقد عالج القرآن الكريم مختلف نواحي الحياة الإنسانية ، والتربية من أهم الموضوعات التي عالجها ، وليس من المبالغة أن نقول : إن كل آية في كتاب الله هي لبنة في بناء صح التربية التي يحتاج إليها كل إنسان وهبه الله العقل فاستخدمه وانتفع به ، ولا غرابة في ذلك مادام القرآن كتاب هداية ، وما الهداية إلا نتيجة للتربية الصالحة وثمرتها الطاعة والامتثال .

(١) آية / ٣٠ / ، سورة الفرقان .

(٢) آية / ٩ ، ١٠ / الشمس .

إن هدف القرآن هداية بني الإنسان إلى أكرم حياة وأشرف طاية ، قال تعالى :

* **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ** * (١)

لهذه الأسباب - كان اختياري لهذا الموضوع الحيوى الضخم ، أمل أن أكون وضعت في بنائه أو في صرحه الشامخ لبنة من لبنات المنهج الإسلامى في مجال التربية . ، فإن أكن ونفت فمن الله ، وإلا فمن نفسى * **إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** * (٢)

موضوع البحث :-

" **هو العربية في القرآن الكريم - مجالاتها - أسسها - أساليبها** "

مجالاتها :-

أولا : التربية بالعبادة - ونعنى به ما يتقرب به المسلم من خالقه كالصلاة ،

والزكاة ، والصوم ، والحج ، وهي مبادئ الإسلام .

ثانيا : توجيه الفرائض الإنسانية - وأخطر هذه الفرائض الجنس الذى يُبَيِّد

الأمم ، وبيان نظرة القرآن في ترشيد هذه الفريضة إما بالصوم لغير

القادر على الزواج كما بينت السنة ، وكما قال تعالى * **وَلَيْسَتَسَعِفِ**

الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا * (٣) أو بالزواج وفيه تفرغ الطاقة ، والهدف

من تفرغ هذه الطاقة في الزواج هو استمرار التواجد الإنسانى على البسيطة

عن طريق التناسل ، قال تعالى : * **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ**

فِيهَا * (٤) ، وفريضة التملك من أهم سمات البشر لأن حب التملك فريضة

فطرية ، وحب السيطرة والاستعلاء وحب الذات وهي فرائض منتشرة .

ثالثا : بيان أسلوب القرآن في التربية للأسرة ، دور الدين في إعداد الولد

الصالح .

رابعا : للقرآن نظرية سياسية متكاملة تبدأ في إيجاد الفرد الصالح

ومعرفة مسئولياته نحو نفسه ، ونحو الجماعة ، وبيان مصداق

الحكم ، ثم كيف يستفيد الحاكم المسلم من نظام الشورى وما هو

دور العدل في إقامة الدولة الإسلامية .

(١) آية / ٩ / ، الاسراء .

(٢) آية / ٨٨ / ، هود .

(٣) آية / ٣٣ / ، النور

(٤) آية / ٦١ / ، هود

أسس العربية القرآنية :

القرآن الكريم كتاب الله الخالد فيه مقاصد الشريعة وغايتها وفيه الصلاح والفلاح ، لذا كانت تربية القرآن تربية إيمان وأخلاق وتهتم بالعلم والعمل .

فالقرآن الكريم بما اشتمل عليه من آيات دينية وآيات كونية ومبادئ خلقية ومبادئ اجتماعية وتعاليم فيها الأمر والنهي ، وقيم فيها بيان الفاسد والسقيم والصالح والنافع ، وآداب في السلوك ، وقصص تاريخية عن حياة الأمم السابقة وأمثال . وما عاناه الرسل الذين كانوا قبل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وما فيه من أصول عامة لفنون الحرب والقتال وما يحكمها من قواعد دينية . وما فيه من تشريعات لبيان الحلال والحرام والمكروه والمندوب ليعد مدرسة إلهية ، وأفضل مقرر علمي ومنهج تعليمي .

وأهم الأسس التي تعتمد عليها العربية القرآنية هي :

- أولا : ترسيخ عقيدة الإيمان بالله ربنا وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ثانيا : الاهتمام بمصالح الناس وضرورة أن يكون القرآن إمامهم .
- ثالثا : علاج أوجه القصور الإنساني من أمراض نفسية واجتماعية وانحرافات سلوكية .
- رابعا : الاهتمام بالكون ومظاهر الطبيعة وضرورة دراستها والاستفادة مما في الأرض من وسائل الإعاشة .
- خامسا : الإيمان بالبعث والنشور .
- سادسا : ضرورة الإيمان بالقضاء والقدر .

أساليب الترهيب :

القرآن الكريم فريد في نوعه حكيم في علاجه . فهو كتاب لا مثيل له ، حكيم في استخدام الوسائل المختلفة لصالح البشر فهو يستخدم القدوة الصالحة المتمثلة في الأنبياء والمرسلين ويبين أثر هذه القدوة - وتارة أخرى يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب ويبين أثره التربوي ويستخدم أسلوب ضرب الأمثال والثواب والعقاب . وهو ينوع هذه الأساليب لاختلاف ميول الناس ورغباتهم وتعدد وجهات نظرهم .

الغرض من البحث :

إذا كان القرآن الكريم وجهنا إلى طريق الاطلاع والقراءة والتعلم والملاحظة العلمية فقال تعالى ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، أَلَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) فإن من واجبي الديني هو تلاوة كتاب الله والعمل بما فيه ، ثم أبين ما أهدف إليه من هذه الدراسة وهي أمور :

أولاً : استخلاص منهاج التربية القرآنية من الآيات وصياغتها بحيث تكون أسلوباً عملياً يطبقه المسلم . وهذا الأسلوب أقدمه بوضوح تام مسترشداً بآيات الله وأقوال العلماء في تفسير هذه الآيات وتربية العزم في نفوس المسلمين إزاء المواقف التي تحتاج منهم إلى الحسزم .

ثانياً : محاولة الكشف عن أصول التربية المعاصرة من القرآن الكريم بما يحقق آمال المستقبل المشرق إن شاء الله لهذه الأمة المختارة وذلك على أساس دراسة شاملة متأنية لمنهج الحياة كاملاً في القرآن والتي تمثل الإطار العام للمجتمع الإسلامي .

(١) الآيات ١ / ٥ - ٥ / ٥ ، سورة العلق .

ثالثا : بيان إخفاق المناهج التربوية البشرية في تحقيق الهدف المنشود من التربية وأثر هذا الإخفاق على نفسية البشر وواقعهم وطموحاتهم وتمايز التربية القرآنية على التربية الوضعية من قبل البشر وقد رتتها على بيان ما في التربية الوضعية من نواحي القصور في المنهج والأسلوب .

رابعا : مع اعترافنا بالسبق لأهله ، والشكر لمن قام بدراسة نظرية أو ميدانية في هذا المجال القرآني النبيل .

أقصر : أن ما تم طبعه من الدراسات التربوية الإسلامية أقل مما ينبغي نحو كتاب الله دراسة وتدبرا وتمعنا وهداية .

(١)

ولم يعن البعض بالأصول التربوية في القرآن الكريم إبرازها . فكان من الأهمية بمكان ، بل من الضروري الاهتمام بدراسة جوانب التربية القرآنية ، وتأصيلها على ضوء فهم القرآن الكريم .

منهج البحث :

سَأَتَّخِذُ - إن شاء الله - المنهجَ التحليليَّ المقارنَ الذي يمكنني من الوقوف على المنهج التربوي للقرآن الكريم ، واستنباط المفاهيم ، والأهداف والطرق ، والأساليب من خلال دراسته دراسة تحليلية مع المقارنة بين ماضي المسلمين وحاضرهم مشيرا أحيانا إلى بعض التناقضات الفلسفية والتربوية لسدى الأمم التي لم تسعد بنور القرآن ، ولم تنهل من معين سيد ولد عدنان للوصول بحول الله إلى إثبات أصالة وبعد وعمق التربية القرآنية ، وأنها الحل الأمثل والوحيد للخروج من المأزق التربوي الذي تعيشه بلادنا الإسلامية .

(١) يعن : بهتم .

مضامير البحث :-

من أجل ذلك فقد جاء البحث مشتملا على تمهيد وأبواب

أولا : التمهيد ، وقد أوضحت فيه ثلاث قضايا :

- ١- مفهوم التربية لغة واصطلاحا .
- ٢- مفهوم التربية في القرآن الكريم .
- ٣- مفهوم التربية في الدراسات الحديثة .

((الباب الأول))

مجالات التربية في القرآن الكريم

وفيه أربعة فصول :-

الفصل الاول : في التربية بالعبادة
وفيه أربعة مباحث

- المبحث الاول : في دور الصلاة في التربية
 - المبحث الثاني : في دور الزكاة في التربية .
 - المبحث الثالث : في دور الصيام في التربية .
 - المبحث الرابع : في دور الحج في التربية .
- الفصل الثاني : في توجيه الفرائض الانسانية

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : غريزة الجنس ، ونظرة القرآن الي الزواج

- وتأسيس الأسرة .
- وفيه مطالب :-

- المطلب الأول : المرأة عند الأمم القديمة
- المطلب الثاني : دوافع الزنا ومعالجة الإسلام لها .
- المطلب الثالث : نظرة القرآن الي الزواج وتأسيس الاسرة .

- **المطلب الرابع :** الزواج رحمة ونعمة
- **المطلب الخامس :** الزواج ميثاق وعهد بين الزوجين
- **المطلب السادس :** الحقوق الزوجية
- **المبحث الثاني :** توجيه فريضة التنازل
- **المبحث الثالث :** توجيه فريضة التقليد
- **وليه مطالب :-**

- **المطلب الأول :** تعريف التقليد
- **المطلب الثاني :** أثر القدوة في كيان الأفراد والأمم
- **المطلب الثالث :** القدوة المشطي
- **المطلب الرابع :** المثل الجيد وأهميته
- **المطلب الخامس :** في مواصفات الطالب للعلم
- **والمعلم**
- **المطلب السادس :** في التقليد الأعمى ودحض دعوة
- **المقلدين في العقيدة**
- **المبحث الرابع :** توجيه فريضة حسب التملك
- **وليه مطالب :-**

- **المطلب الأول :** توجيه فريضة حسب التملك
- **المطلب الثاني :** التملك ومشروعيته وأسبابه
- **المطلب الثالث :** التملك غير المشروع
- **المطلب الرابع :** في المال مال الله وللبرحق الإنتفاع
- **المطلب الخامس :** في التفاوت في الأرزاق والحقوق
- **في المال**
- **المبحث الخامس :** توجيه حسب السيطرة وحب الذات
- **وما ينشأ عنهما من القتال والغضب**

وفيهِ مطالب :-

- المطلب الاول : توجيه حسب السيطرة وحب الذات
المطلب الثاني : بعض روافد حسب السيطرة وحب
الذات
المطلب الثالث : في الغضب .

الفصل الثالث : في تربية القرآن الكريم للأسرة

وفيهِ محثان :

المبحث الأول :- في أسلوب القرآن في تربية الأسرة

وفيهِ مطالب :

- المطلب الأول : في مفهوم الأسرة
المطلب الثاني : في عناية الإسلام بالأسرة .
المطلب الثالث : في أساليب تربية الأسرة في
القرآن الكريم .

المبحث الثاني :- دور الوالدين في إعداد الولد الصالح

وفيهِ مطالب :

- المطلب الأول : دور الوالدين في إعداد الولد الصالح .
المطلب الثاني : خصائص منهج التربية للنشئ في
الإسلام .
المطلب الثالث : اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية
بالطفل ودور الوالدين في التعامل
معهم بأدب القرآن .

الفصل الرابع : في التربية السياسية في القرآن الكريم

فيه مدخل ومبحثان :-

المدخل : اعتبار الفرد الصالح أساس المجتمع الصالح

المبحث الأول : مصدر الحكم ونوع الحكومة ونظام الشورى

وليسه مطالب :

- المطلب الأول : مصدر الحكم .
- المطلب الثاني : في نوع الحكومة .
- المطلب الثالث : في نظام الشورى .
- المبحث الثاني : في مكانة العدل في القرآن الكريم .

((الباب الثاني))

التربية العلمية في القرآن الكريم

فصل : أساس التربية القرآنية

الغاية : وتتمثل النتائج والتوصيات

* * * * *
والله ولي التوفيق



((شكر وتقدير))

أشكر الله العليّ القدير على ما أنعم به وأولى وقدر فيسـر، حيث منّ عليّ سبحانه وتعالى بكتابة هذا البحث وإتمامه فله الشكر أولاً وأخيراً ، ثم أتقدم بالشكر بعد ذلك إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والتي لازالت بحمد الله منهلاً عذباً ومشرباً رويها لطلاب العلم والمعرفة مشيداً بجهد رئيسها ومتابعاته الفذة كما أخص بالشكر الجزيل قسم الدراسات العليا الذي أتاح لي فرصة الدراسة والبحث ممثلاً برئيسه جزاه الله خيراً وكافة العاملين فيه. كما أشكر أيضاً كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية على العون والمساندة وتيسير سبل العلم الممكنة ، كما أشكر قسم التفسير في الكلية والذي كان لجهد أعضائه أعظم الأثر في إنجاز هذا البحث وإتمامه ، وبعد شكر الله تعالى ومن شكر النعمة أن أشكر من أجرى الله لي الخير على يديه. أشكر من قلب خالص ولسان صدق وحق فضيلة الأستاذ الدكتور / عبدالعزیز عثمان ، المشرف على الرسالة الذي بذل وقته وجهده وعلمه الصحيح مشيداً بدقة متابعته وجودة ملاحظته ، فلقد سار معي جزاه الله خيراً خطوة خطوة منذ البداية حتى أكمل الله على يديه هذا الجهد الذي أرجو أن يكون صائباً ومفيداً فما البحث إلا طالب ومشرف .

أسأل الله القدير أن يجزل العثوة ويتفضل بالعفو والمغفرة لكل من ساعدني ومد يد العون والمساندة لي حتى ظهر هذا البحث بالمظهر الذي هو عليه الآن ولا عجب في ذلك فالعلم رحم بين أهله . ولقد قال الهادي البشير صلى الله عليه وسلم : من صنع إليّ معروف فقال

(١)
لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء ، وقال - أيضا - عليه الصلاة
والسلام : من لا يشكر الناس لا يشكر الله .
(٢)

أسأل الله العلي القدير أن يكون هذا البحث خالما لوجهه
الكريم مقربا إليه في دار النعيم وهو حسبي ونعم الوكيل صلى الله على
عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) رواه الترمذى ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في الثناء بالمعروف
ج ٦ - ٤٠٢١ / ١٨٥ وقال حديث حسن قريب .

(٢) رواه الترمذى أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك
ج ٦ - ٢٠٢٠ / ٨٧ ، وقال حديث صحيح واللفظ له ، ورواه أبو داود
كتاب الأدب ، باب شكر المعروف ج ٥ - ٤٨١١ - ١٥٧ ، وانظر
الألبانى ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤١٦ - ٧٠٢ .



((تمهيد))

مفهوم العربية لغة واصطلاحاً

يرجع معظم المشتغلين بعلم التربية من الناطقين بالعربية كلمة التربية إلى مادتين لغويتين هما : (رب) و (ربو) ، وقد جاء في لسان العرب تحت مادة (ربه) ما يلي : الرب . . . هو الله عز وجل رب كل شيء . . . أى مالكه ، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له ، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك . ، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة . ورب كل شيء مالكه ومستحقه وقيل صاحبه . .

فهو رب الدابة ، ورب البيت ، وهنّ ربّات الحجال .

(١) وقال ابن الأنباري : الرب تنقسم على ثلاثة أقسام :

يكون الرب المالك ، ويكون الرب السيد المطاع . قال تعالى * (أَمَّا

أَحَدُكُمْ فَنَسَقِي رَبَّهُ خُمْرًا) (٢) أى سيده .

ويكون الرب المصلح ، ورب الشيء إذا أصلحه .

ورب ولده والصبي يؤدبه ربا وربيته تربيها ، وتربه بمعنى رباه . وتربته

وأربيه ، ورباه تربيمة . . وأحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية كان ابنه

أو لم يكن .

أما في مادة (ربو) (وربا) فقد جاء في اللسان : ربا الشيء يربو

وربا زاد ونما وأربته نميته . وفي التنزيل * (وَيُرَبِّي الصِّدْقَاتِ) (٣) .

(١) ابن الأنباري هو عبدالرحمن بن محمد مهيد الله بن مصعب بن أبي سعيد كمال الدين أبو البركات ابن الأنباري ، ولد في ربيع الآخر سنة ٥١٣ ، وتوفي ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة ٥٧٧ . له ترجمة في المراجع: انباء الرواة ١٧١/٢ ، هدية العارفين ٥١٩/٦ ، شذرات الذهب ٣٥٩/٤٠ .

(٢) آية /٤١/ ، يوسف .

(٣) آية /٢٧٦/ ، البقرة .

وأرسي : زاد فنقول : أرسي على الخمسين : زاد .
وفي حديث الأنصار^(١) يوم أحد : " لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لفرين
عليهم " أي لنزيدن ونضاعفن . وفي حديث الصدقة : " وتربوا في كسف
الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل " .^(٢)

وقوله عز وجل عن الأرض ﴿ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾^(٣) أي زادت .
وقوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُم أَخَذَةً رَابِيَةً ﴾^(٤) أي أخذة تزيد على
الأخذات .

وقد ربوت في حجره ربوا وربوا . . . الأخيرة عن اللحياني^(٥) .
. . . وللأصمعي^(٦) : ربوت في بني فلان . . . أربو : نشأت فيهم .
وربيت فلانا : أربيته تربية ، وتربيته وربيته وربيته بمعنى واحد ، انتهى
ما في اللسان .

وقال أبو البقاء^(٧) في كلياته :
الرب : المالك والمصلح والمعبود . فإن حمل على المالك عم الموجودات ،
وإن حمل على المصلح خرجت الأعراض ، لأنها لا تقبل الإصلاح ، بل يصلح بها ،

-
- (١) رواه الترمذي كتاب التفسير ٥٥٩/٥ ، ١٥٦/٨ .
(٢) رواه البخاري كتاب الزكاة ٥١١/١ ، ٣٤٤/٢ .
(٣) آية رقم / ٥ / ، الحج .
(٤) آية / ١٠ / ، الحاقة .
(٥) اللحياني غلام الكسائي واسمه علي بن المبارك ، وقيل ابن حازم ويكنى
أبا الحسن ، لقي العلماء والفصحاء من الأعراب وعنه أخذ أبو عبيد القاسم
ابن سلام ، وله من الكتب المصنفة كتاب النوادر . (الفهرست ص ٧١ ، ٧٢) .
(٦) الأصمعي : عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي ابن أصمعي مظهر
ابن عمرو بن عبد الله الباهلي ، توفي بالبصرة سنة ٢١٣ وعدد له ابن
النديم كثيراً من الكتب (الفهرست صفحة ٨٢) .
(٧) أبو البقاء : أيوب بن موسى الحسيني الكوفي . من قضاة الأحناف
توفي سنة ١٠٩٤ هـ - له تراجم في هداية العارفين / ٢٩٩ ، الأعلام ٣٨/٢ .

وإن حمل على السيد اختص بالعقلاء ، وإن حمل على المعبود اختص بالمكلفين وهذا أخص المحامل ، والأول أعَمُّها ، وقد وقع في بعض التفاسير أن الرب صفة من (ربه) بمعنى ربه تربية ثم سمي به الملك العربي وانسلخ عن الوصفية ، وصار كالاسم الشبيه بالصفة كالكتاب والإله ، والعالم والخاتم (١) .

ويقول الطبري في تفسيره (٢) :

" رب " فإن الرب في كلام العرب منصرف إلى معان :

فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا . . . والرجل الصالح يدعى ربا . . . والملك للشئ يدعى ربه ، فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سـو دده ، والمصلح أمر خلقه ، بما أسبغ عليهم من نعمه ، والملك الذي له الخلق والأمر (٣) .

وقال القرطبي في تفسيره (٤) :

" والرب : المصلح والمدبر والجابر والقائم . وقال بعض العلماء : إن هذا الرب هو اسم الله الأعظم لكثرة دعوة الرافضين به ، واختلف في اشتقاقه ، فقيل : أنه مشتق من التربية ، فالله سبحانه وتعالى مدبر لخلقهم ومربيهم " (٥) .

-
- (١) الكلمات لأبي البقاء ٣٦٩/١ ، ط. دمشق سنة ١٩٢٥ .
(٢) محمد بن جوير بن يزيد الطبري أبو جعفر ، توفي سنة ٣١٠ هـ . الأعلام ٦٩/٦ ، تذكرة الحفاظ ٣٥١/٢ ، الهداية والنهاية ١٤٥/١١ ، لسان الميزان ١٠٠/٥ ، تاريخ بغداد ١٦٢/٢ .
(٣) تفسير الطبري ١٤١/١ ، ١٤٢ ، ط. دار المعارف بـنصر ، ط. ثانية .
(٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي . توفي سنة ٦٧١ هـ ، من كبار المفسرين ، له ترجمة في الأعلام ٣٢٢/٥ .
(٥) تفسير القرطبي ١٣٧/١ ، ط. إحياء التراث العربي ببيروت .

(٣) الإنماء والإكثار .

كما يلاحظ بوضوح بعد الاطلاع على المعنى اللغوي لكلمة التربيــــــــــــة أن استعمالها الاصطلاحي وثيق الصلة بالمعنى اللغوي . وأن الذين استعملوها في البحوث التربوية أرادوها أن تحمل واحدا من المعاني أو كل المعاني التي ذكرت آنفا في الاتجاهات الثلاثة للعملية التربوية . وليس أدل على ذلك من تعريفات بعض العلماء والمفكرين للتربية التي ستأتي قريبا تحت عنوان المفهوم التربوي فسي الدراسات الحديثة إن شاء الله .

الباب الأول

بجالات التزينة في القرآن

وفيه أربعة فصول

- التزينة بالعبارة .
- توثيق الفرائض الإنسية .
- تزينة القرآن الكريم للأسرة .
- التزينة السياسية في القرآن الكريم .

((مفهوم التربية في القرآن الكريم))

لن يتردد منصف - فضلا عن المسلم - في القول أن القرآن الكريم، هو كلام الله المنزل على نبيه وحيا . وهو أصل وأسمى مرجع تربوي عرفته البشرية، وكل آية فيه وكل توجيه معلم وإن لم يحمل في تركيبه اللغوي لفظ التربية لأن مؤداه تربوي يؤكد هذه الحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رباه ربه فطرة على خلق القرآن . كان يتمثل القرآن ويتأوله في كل شأن قولاً وفعلاً ليمتجم وصف القرآن له بأنه الأسوة الحسنة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) .

(٢)

وحين سئلت السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت مستشرفة الفهم التربوي : " كان خلقه القرآن " (٣) .

والى جانب تلك الحقيقة فإن القرآن لا يخلو من نصوص احتوت ألفاظا تربوية في معناها ومبناها وهذا نموذج منها .

١ - إن معظم آيات كتاب الله التي تحتوي على كلمة " الرب " تتضمن المفهوم التربوي الذي ينسجم مع الاشتقاق اللغوي للكلمة ذلك الذي سبق سرده .

ولنأخذ مثالا ما جاء في فاتحة الكتاب قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

-
- (١) آية / ٢١ / ، الأحزاب .
(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان - أم المؤمنين ، توفيت سنة ٥٨ هـ ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ١٣ / ٣٨ رقم ٧٠١ .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٦٣ ، ٩١ / ٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٩٩ / ٢) ، ودلائل النبوة (٣١٠ / ١) .
(٤) آية / ٢ / ، الفاتحة .

(١)

ولقد ضمن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدى - رحمه الله - تفسيره لهذه الآية فهما تربويا رائعا حيث قال : " الرب هو المربي لجميع العالمين ، وهم من سوى الله بخلقهم وإعدادهم لهم الآلات ، وانعامه عليهم بالنعمة العظيمة التي لو فقدوها لم يكن لهم البقاء فما بهم من نعمة فمنه تعالى .

أقسام التربية :

وتربية الله لخلقه قسمان :

أ - تربية عامة :

وهي أن الله تعالى خلق الناس جميعا وتكفل برزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاءهم في الدنيا . وتتقضي هذه التربية من البشر إمتثال الأوامر والاجتناب عن النواهي ولذلك أنزل سبحانه وتعالى على رسله كتبه لهداية البشر العصاة ، ولتشبث قلوب المؤمنين .

ب - تربية خاصة :

وهي تربية من الله لمن اصطفاه من خلقه ، وهم أولياؤه يربيهم بعنايته ورعايته بصرف عنهم السوء ويكشف عنهم الكروب وينصرهم على أعدائهم . وحقيقة هذه التربية أنها تربية التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر .
وبعضهم قد تلقى رسالات الله عز وجل .

- (١) هو أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر السعدي من قبيلة تميم - ولد وتوفي بمدينة عنيزة بالقصيم (١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ) الأعمال الكاملة ج ١ / ٥ - ٩ طبعة مركز بن صالح الثقافي بعنيزة .
- (٢) تفسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدى ١ / ١٥ ، تفسير سورة الفاتحة .
- (٣) المصدر السابق .

قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (١) .

واختيار الله تعالى لعباده على علم منه سبحانه فهو يعلم حالهم ويعلمهم

ما سيؤول إليه حالهم فعلم أن حالهم على استعداد لتحمل أمانة نشر دعوة الله .

وهذه نماذج من الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله . فقال تعالى نسي

كيفية اختيار الله لنبيه إبراهيم ﴿ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِمَّنَ
الصَّالِحِينَ ﴾ (٢)

(٣)

قال الزمخشري : من جمع الكرامة عند الله في الدارين بأن كان صفوته وخيرته

في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن أحد أولى بالرفعة

في طريقته منه . (٤)

ولقد اصطفى الله تعالى سيدنا موسى فقال تعالى (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي

اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٥)

(٦)

وقال ابن كثير : يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على أهل زمانه ،

برسالاته تعالى ، وبكلامه ، ولا شك أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم من

الأولين والآخرين ، ولهذا اختصه الله تعالى بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي

تستمر شريعته إلى قيام الساعة ، وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم ، وبعده

في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام ثم موسى بن عمران كليم الرحمن عليه السلام

ولهذا قال تعالى ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ ﴾ أي الكلام والمناجاة ﴿ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ أي على

(١) آية / ٣٢ / ، سورة فاطر .

(٢) آية / ١٣٠ / ، سورة البقرة .

(٣) الزمخشري . أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري

توفي سنة ٥٣٨ هـ ، له ترجمة في الأعلام ١٢٨/٧ ، وفيات الأعيان ٨١/٢ ،

(٤) تفسير الكشاف لأبي القاسم محمود بن عمر

(٥) آية / ١٤٤ / ، سورة الأعراف .

(٦) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوين ، درع القرشي البصري ثم الدمشقي ، أبو

الفداء عماد الدين . حافظ مؤرخ فقيه مفسر ، توفي سنة ٧٧٤ هـ . له تراجم

في كتابه البداية والنهاية ١٤/١٨٤ ، والأعلام ١/٣٢٠ .

(١)

ذلك ولا تطلب ما لا طاقة لك به .

واصطفى الله من النساء مريم بنت عمران عليها وعلى نبينا السلام فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَيَّ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

إن القرآن الكريم حينما قال : " وَطَهَّرَكِ " فإنما أراد أن يدفع عنها شبهة اليهود بعد أن اتهموها بالزنا " هذه هي تربية القرآن الكريم تربية على الطهر والعفاف والاستقامة .

واصطفاه الله ليس من البشر فحسب بل من الملائكة . يقول تعالى ﴿ أَلَلَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (٣) .

قال الزمخشري : " هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبين أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر " (٤) .

وأهم ميزة للتربية الخاصة أن الشيطان لا يغوى هؤلاء الذين اصطفاهم الله من الناس فقال تعالى ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٥) ولذلك قال عز وجل للشيطان ﴿ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (٦) .

ولقد جاء في القرآن الكريم آيات فيها ألفاظ مشتقة من التربية في معرض

الحديث من سياق تربوي كقوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٧) .

-
- (١) ابن كثير ٢ / ٢٤٦ .
(٢) آية / ٤٣ ، سورة آل عمران .
(٣) الآية / ٧٥ ، سورة الحج .
(٤) تفسير الكشاف ٣ / ٢٣ .
(٥) آية / ٨٢ ، ٨٣ ، سورة ص .
(٦) آية / ٤٢ ، سورة الحجر .
(٧) آية / ٢٤ ، سورة الإسراء .

وقد قال القرطبي في تفسيرها : " . . . خص التربية بالذكر ليذكر العبد شفقة الأبوين وتعبيهما في التربية فيزيدهُ إشفاقاً لهما وحناناً " (١) .

ويخاطب فرعون موسى عليه السلام ماناً عليه أن رباه صغيراً ، ومعنى هذه التربية الرعاية والحفظ وتقديم ما تقوم به حياة الطفل . ﴿ أَلَمْ نَرْبِّكَ فِيْنَا وَلِيدًا . . ﴾ (٢)

ولا تقتصر الآيات التربوية في القرآن الكريم على تلك التي تحمل ألفاظاً تربوية من مشتقات " التربية " بل إن في القرآن الكريم آيات تحوي ألفاظاً ذات مضمون تربوي ، ولها هدف ومؤدى تربوي ، من هذه الألفاظ على سبيل المثال : " التزكية " وفيها من معنى التربية الشيء الكثير ، إذ هي الوصول بالنفس والروح والجسد إلى مستوى من الفضيلة والرفعة الخلقية . والملاحظ أن لكلمة التزكية بعداً زائداً عن معنى التربية وهو الوصول بالمربي إلى العزة والرفعة .

وكلمة " التعليم " كلمة كثيرة الورد فيما يقال ويكتب عن التربية حتى أنها عند بعض علماء التربية جانب مهم من جوانب العملية التربوية ، ونجد القرآن الكريم قد قرنها مع كلمة التزكية في آية واحدة ، بقول الله عز وجل ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

يقول الشيخ ابن سعدى في تفسير هذه الآية : " يزكِّيكُم " أي يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة وتنزيهاها عن الأخلاق الرذيلة . (٤)

-
- (١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٣٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(٢) آية / ١٨ / ، سورة الشعراء .
(٣) آية / ١٥١ / ، سورة البقرة .
(٤) ٣ / ١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الضان ج ١ ص ٨٣ .

وذلك كتركبتكم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الكذب إلى الصدق ومن الخيانة إلى الأمانة ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق ، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحاب والتواصل والتواد ، وغير ذلك من أنواع التزكية .

" ويعلمكم الكتاب " أى القرآن ألفاظه ومعانيه . " والحكمة " قيل هي السنة ، وقيل : الحكمة معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها ، وتنزيل الأمور منازلها فيكون تعليم السنة داخلا في تعليم الكتاب . أ.هـ

وعن تفسير كلمة " وَيُعَلِّمُكُمُ " بحسن بنا وقفه قصيرة للربط بين وجود هذه الكلمة في كتاب الله وبين مدلولها التربوي لتكون شاهدا على أن الكثير والكثير من آيات الكتاب تربوية في هدفها وصياغتها اللغوية .

إن نصوص الكتاب الحكيم التي عنيت بتعليم الناس أمور اعتقادهم ، وحسبود الحلال والحرام ، وأسس التعامل بينهم هي نصوص تربوية دون أدنى شك .

نخلص إلى القول أن المفهوم التربوي لكتاب الله عز وجل يتجلى في

صور ثلاث :

- (١) في كون القرآن الكريم كله كتابا تربويا يهدف إلى توجيه النفس البشرية إلى الخير حيث كان ، وإقامة الحق والعدل بين الناس في الأرض ، وإلى تغيير كل واقع سئ في حياة الناس سواء كان ذلك السوء والانحراف من موروث الآباء
- ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(١) أو كان من هوى النفس الأمارة وميلها عن الحق ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٢) .
- (٢) في آيات كريمة حملت ألفاظا ومعاني تربوية مثل : رباني .. ، نرّك .. ، الرب .
- (٣) في آيات تضمنت ألفاظا تعتبر مرادفات لكلمة التربية ومكملات لها مثل التزكية والعلم وغيرها .

(١) آية / ٢٣ / ، الزخرف .

(٢) آية / ٥٣ / ، يوسف .

العربية في القرآن الكريم

- (١) إن التربية القرآنية تشمل شتى مراحل حياة المسلم ، وكافة شمائل سلوكه فهي : " الإعداد الروحي والنفسي للفرد بحيث يكون مؤهلاً لتلقي التعليم والثقافة على نحو موجه فيما أخذ ما هو أساسي ، وبناءً ما هو بسبيل أن يمدّه بالقدرة على أداء رسالته في الحياة والمجتمع. هذه الرسالة الجامعة بين هدفي الدنيا والآخرة من حيث البناء والهدف والسعي إلى آفاق للتقدم دون أن يكون ذلك على حساب القيم الخلقية أو المسئولية الفردية بل لحسابها ودعمها لها " (١).
- (٢) إن من أهم خصائص التربية في القرآن الكريم أنها (تقوم على الفطرة ، وتنمي القدرة على التفرقة بين الخير والشر ، والحق والباطل بحيث يستطيع الإنسان أن يهتدي إلى ذلك دون توجيه خارجي) (٢).
- (٣) إن التربية الإسلامية تربية قرآنية محمدية تقوم على : تهذيب الشخصية وتزويدها بكل ما يمكن قواها الفكرية والبدنية من تحمل مسؤولية السعي والعمل والنضال ، وهي تعني بقوة البدن وقوة الروح معا متصلين لا منفصلين .
- (٤) تقوم تربية القرآن على غرس المبادئ والقيم النافعة في نفس الشخصية الإنسانية وتعمل على نزع الصفات والمبادئ السيئة منها . إنها تقوم السلوك وتصلح الفرد ، وبيان لما يفعله وما لا يفعله لا سيما في الأمور التي تحتاج إلى إرشاد وتوجيه .

(١) التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ١٥٣ - أنور الجندي ، ط دار

الكتاب اللبناني .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٥٣ .

- (٥) وتلحظ في تربية القرآن أنها تقوم على تعليم الفرد المسلم مبادئ دينه فهي تزكية للنفوس .
- (٦) وأهم سمة للتربية القرآنية أنها ليست عملية تلقين لمجموعة من المبادئ الأخلاقية أو التعاليم الدينية بقدر ما هي تعمل على تطبيق هذه المبادئ وتلك الفضائل فينسجم المسلم مع عقيدته قولا وعملا .
- إذن تقوم التربية في القرآن على إصلاح النفس ، وتوجيه الشخص، والإنسجام مع الحياة بكافة معطياتها ، وهنا يتكون ما يعرف بالالتزام الخلقى لدى المسلم الذى يتحصن به ضد الروافد والتيارات الفكرية المشبوهة الوافدة على المجتمع المسلم من الشرق والغرب .
- (٧) تصدر تعاليم القرآن من الإله الخالق المصور للكون ، وهو سبحانه وتعالى علم بما كان وما يكون وما سيكون من هنا وضع المعايير الأخلاقية التى تصلح الشخص ، وتقوم على بناء نفسه قلبا وقالبا أي : شكلا وموضوعا .

الخلاصة :

- تقرر عدة بنود هي أبرز معالم تربية القرآن :
- (١) إعداد المسلم إعداداً صالحاً بحيث يحقق طموحاته في الحياة ولا يفضىب خالقه سبحانه وتعالى .
- (٢) تهتم تربية القرآن بإصلاح الفرد المسلم وإمداده بالغذاء الروحي والعقلي والعاطفي على الأسس والمبادئ التى بينها الله عز وجل والواضحة من خلال نصوص القرآن الكريم .
- (٣) يهتم القرآن بالجانب العملي بالإضافة إلى الجانب النظرى .

ويرى الباحث أن :

(١) تربية القرآن لا تتوقف على خطب المساجد أيام الجمع أو في المناسبات، وإحياً ليمالي هذه المناسبات بل على العكس فتربية القرآن تربية تشدد المسلم في كل لحظة من لحظات حياته .

إن التربية القرآنية هي : طالب مجتهد ، وعالم مبتكر أو مخترع، وطبيب ماهر ومهندس باع ، ومفكر فذ ، وأديب مهذب . . . هي الشخص النافع لنفسه ولأمته .

ولقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : " كان خلقه القرآن ^(١) .

والإسلام حينما يطبق يكون هو مجموع الأفراد الناجحين في المجتمع المسلم ، الموفقين في أعمالهم خارج البيت ، والموفقين في حياتهم الزوجية داخل البيت .

وهي بذلك تكون تربية مستمرة غير مؤقتة بزمان أو محددة بمكان .

(٢) لم يشغل فكر الباحثين من علماء الإسلام وضع المصطلحات والتعريفات بقدر ما كان كل اهتمامهم تطبيق نصوص القرآن وتنفيذ تعاليم كتاب الله - ومن هنا سادت الأمة الإسلامية وبسطت نفوذها على الشرق والغرب .

(٣) تربية القرآن تربية شاملة تقوم على المرونة وعلى الإقناع . فهي تربية واضحة تعطي كل سن ما يناسبه وكل جنس ما يلائمه فكل مسلم يأخذ مقدار ما وسعه الله عليه من علم أو فقه في فهم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أخرجه أحمد (١٦٣، ٩١/٦) ، والبيهقي (٤٩٩/٢) ، ودلائل النبوة (٣١٠/١) .

(٤) تقوم تربية القرآن على التدرج فهي تعطي الجرعات التعليمية والأدبية، لكل عمر بما يناسبه وكل سن ما يتلائم معه . وقد قيل : إن من حكمة الله عز وجل بالأطفال أن أنزل لهم سورا قصارا يحفظونها ويتعلمون من خلالها تعاليم دينهم ومبادئ عقيدتهم وأركان هذا الدين القويم .

..

..

..

((مفهوم التربية في الدراسات الحديثة))

يختلف مفهوم التربية في الدراسات الحديثة من بيئة إلى أخرى ومن أمة إلى أخرى . وذلك لأن التربية من الوجهتين النظرية والتطبيقية ترتبط ارتباطاً عضوياً بثوابت معترف بها في كل مجتمع ، وقد تكون هذه الثوابت مأخوذة من الدين أو من نظام أخلاقي توجهه عادات وتقاليد الأمة .

وقد تحكم مجتمعا من المجتمعات مذاهب اقتصادية ذات نظريات علمية فتوجه التربية في ذلك المجتمع تلك الوجهة كما حدث وحدث في الدول الشيوعية والاشتراكية .

كما أن العصر الحديث يشهد اتجاهها بوجه التربية وجهة ثقافية عقلية فتقطع كل صلة بينها وبين الدين أو أي نظام أخلاقي مثلث نجده في فلسفة سارتر^(١) وغيره .

وقد ساهرت التربية حوادث التاريخ وكانت ملائمة لها فترى أن التربية اتجهت اتجاهها وطنياً وقومياً حينما سادت الروح والنزعة القومية والوطنية ببعض المجتمعات في بداية القرن العشرين ، ونهايات القرن التاسع عشر .

✦ وتأكيدياً لما سبق عرضه نورد بعض الأقوال لبعض المفكرين عن التربية ومفهومها وتعريفها لتحديد لنا هذه الأقوال المسارات التي اتخذها المفهوم التربوي في العصر الحديث .

طلاقة التربية بالدين :

أما عن ارتباط التربية بالدين فإن لهذا الاتجاه جذوره القديمة جداً عند مفكرى اليونان مثل أفلاطون الذي يقول : " التربية إعطاء الروح والجسم كل ما يمكن

(١) جان بول سارتر^{SARTRE} فيلسوف وكاتب وناقد ، ولد في باريس سنة ١٩٠٥ ،

وتوفي في سنة ١٩٨٠ ، رائد من رواد الوجودية . قال : إن الوجود متقدم

عن الذات وإن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار . المنجد في الأعلام ص ٢٨٥

(٢) أفلاطون : ٤٢٧ - ٣٤٧ ق م ، من فلاسفة اليونان ، تلميذ سقراط

وأستاذ أرسطو ، من مؤلفاته : الجمهورية والمحاورات . له ترجمة في المنجد

الأعلام ص ٥٨ .

(١) من الجمال والكمال .

(٢) ويؤكد " سيشرون " أحد خطباء الرومان هذا الاتجاه فيقول : غاية التربية تقوية الذاكرة ، وإتاحة الفرصة لينشأ الطفل عزيز النفس كريم الأخلاق نامسي المدارك ، والدين أساس الأخلاق .^(٣)

وقد تابع الرومان في ربطهم التربية بالدين عدد من مفكري العصر الحديث مثل : " بستالوتزس " (١٧٤٦ / ١٨٢٧ م)^(٤)

(٥) وقد جعل التعليم الديني والخلقي في صدر قائمة الأهداف التربوية .

(٦) وللمفكر " فرويل " (١٧٨٢ / ١٨٥٢) الموقف نفسه من الدين وعلاقته بالتربية " فإنه اعتبر هدف التربية مساعدة الطفل للكشف عن قواه الداخلية ليتمكن من الاتحاد الروحي مع الله لتحقيق إرادة الله في الطبيعة الإنسانية ."^(٧)

(٨) ويقول " يوحنا هيربرت " الألماني (١٧٧٦ / ١٨٣٤) : الغاية من التربية هي الأخلاق ، والوصول إلى الفضيلة ، أما الطريق إليها فيكون بالتعليم والتوجيه والنظام ."^(٩)

-
- (١) في أصول التربية وتاريخها . د / أحمد عبدالرحمن عيسى ص ١٦ .
- (٢) سيشرون : روماني ، رأيه في التربية أنها تقوية للذاكرة وإتاحة الفرصة ، لنشأ الطفل عزيز النفس . أصول التربية د . أحمد عيسى ص ١٦ ، ط . ٧٧ دار اللؤلؤ - الرياض .
- (٣) في أصول التربية وتاريخها . نفس المصدر .
- (٤) بستالوتزس : ويتمثل رأيه في جعل التعليم الديني والخلقي في صدر قائمة الأهداف التربوية . توفي سنة ١٨٢٧ ، المدخل في التربية ، د . نازلي صالح ، د . سعد يس ، ص ٥ ط ٨٢ مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .
- (٥) نحو نظرية للتربية الإسلامية د . علي جريشة ص ١٩ .
- (٦) فرويل فردريش : عالم تربية ألماني ، اهتم بالتربية السابقة لعمر الدراسة ، أسس أول ووضحة للأطفال سنة ١٨٣٧ ، توفي سنة ١٨٥٢ . المنجد ص ٤١٣ .
- (٧) نحو نظرية للتربية الإسلامية ، د . علي جريشة ص ١٩ .
- (٨) يوحنا هيربرت الألماني : تمثل رأيه في أن التربية هي (الأخلاق والوصول إلى الفضيلة ، أما الطريق للوصول إليها فيكون بالتعليم والتوجيه والنظام . نحو نظرية للتربية الإسلامية . د . علي جريشة ص ١٧ ، مكتبة وهبة - القاهرة .
- (٩) في أصول التربية وتاريخها ، المصدر السابق ص ١٧ .

(١)

ومثل نظرية " دارون " في النشوء والارتقاء التي اعتبرت نسفاً لكل

المعتقدات الدينية .

ساد في بعض تلك المجتمعات فلسفات ووجهت التربية وجهة ثقافية علمية

قطعت كل صلة بينها وبين الدين والأخلاق ونهجت منهاجاً وجودياً إيجابياً - مثل

فلسفة جان بول سارتر التي تنادي بإطلاق طاقات الشباب بغير ضوابط ، وتفرض

على المجتمع كثيراً من الأوضاع غير الأخلاقية .

وقد أسهم في انتشار تلك الدعوات النظرية أن اتبعها كثير من أنظمة

الحكم في فصل الدين عن الدولة . يضاف إلى ذلك ضعف سيطرة الدين على

المجتمعات .

وأما تأثير الاتجاه التربوي بنمو الروح القومية والوطنية في بعض المجتمعات

فإنه يرى واضحاً في ألمانيا إبان الحكم النازي " حينما رفعت شعار " ألمانيا فوق

الجميع " وكذلك فعلت الفاشية في إيطاليا وسار على نهجهم من قالوا : " مصر

فوق الجميع " أو مصر للمصريين " ، ومثل إثارة القوميات الطورانية والعربية

وتسخير التربية لصالح تلك النعرات . وفي خضم هذا الصراع الفكري والاجتماعي

الذي حاول ويحاول أن يطبع التربية بلون من الألوان المنسجمة مع وجهته وضح

ما ذكرناه .

مهمة التربية :

إن مجموعة كبيرة من علماء التربية ومنظريها حددوا للتربية مهمات

الأساسية وأدوارها الرئيسية لتصل بالمجتمعات إلى الغاية المنشودة فأعطوها

(١) دارون : عالم حيوان إنجليزي ، اشتهر بمذهب التطور ولد في إنجلترا ،

وتوفي فيها سنة ١٨٨٢ م ، له ترجمة موسوعة الفلسفة ج ١ / ٤٧٣ د . عبدالرحمن

بدوي .

(٢) نحو نظرية للتربية الإسلامية د . علي جريشة ص ١٩ .

بذلك من الثبات والوضوح ما ينأى بها عن الميل يمنية وبسرة مع كل فكرة طارئة —
أو فلسفة جانحة .

(١)
يقول الدكتور / عبدالغني عبود :

" وظيفة التربية هي تنمية الشخصية الإنسانية في اتجاه يتحقق به خير
الإنسان وخير المجتمع الذي يعيش فيه وخير الإنسانية جمعاء " .

(٢)
ويرى لتسوى :

" أن التربية هي العمل الذي تقوم به تنشئة طفل أو شاب ، وأنها مجموعة
من العادات الفكرية أو الهدوية التي تكتب، ومجموعة من الصفات الخلقية التي تنمو " .

إذن هو يقسمها إلى قسمين تنشئة للأطفال والشباب ومجموعة عادات وتنقسم
هي الأخرى إلى قسمين عادات فكرية أو هدوية وهذه عادات مكتسبة ثم عادات وصفات
خلقية وهي تورث أو تتعلم . وهذان القسمان في حالة نمو وهذا يضمن للتربية
عنصر الاستمرارية وبقائها .

(٣)
ويرى الأستاذ فرنسيس عبد النور هذا المفهوم إذ يقول : إن التربية وسيلة
لتطويع الأطفال والشباب لإنماء المجتمع ، ولم يحدث لها هي
مستمرة أم لا والتطويع وفق رغبات الوالدين . إن الوقوف على تحديد مصطلح للتربية
يجعلنا ندرك مدى دور المربي ، وأهمية علمه التام بالأهداف التي يسعى إلى
تحقيقها إذا أراد أن تكون تربية ناجحة . أهـ

-
- (١) التربية ومشكلات المجتمع ص ٢٥ . د . عبدالغني عبود . ط . ١٩٨٠ دار الفكر العربي
(٢) منهج القرآن في تربية الرجال ص ٤ ، د / عبدالرحمن عميرة ط . عكاظ للنشر
والتوزيع السعودية .
(٣) التربية والمناهج ص ٩ ط دار نهضة مصر .

ويرى الأستاذ / يعقوب فام^(١) أن التربية : هي عملية تجعل عيون الفرد تتفتح ، وشخصيته تنمو ، والناحية الاجتماعية من حياته تقوى حتى يصير عاملا فعلا في حياة الجماعة التي ينتمي إليها سواء أكانت هذه الجماعة كبيرة أم صغيرة . أهـ

وهذا التعريف يبين أهمية التربية باعتبار أن لها أثرا فعلا في الشخص ، وهو لبنة المجتمع ودور هذه الجماعة إذا صلح هذا الفرد .

ويرى الدكتور عبد الغني عبود أن :

" التربية فنى أوسع مفهوماتها قد يعنى كل عمليات النمو التي يمر خلالها الإنسان من طفولته إلى نضجه ، تدرجيا ليتكيف مع بيئة العضوية والاجتماعية ، ولكن المعنى أن المفهوم الأكثر تحديدا الذي يستعمل فيه عادة ، ينحصر في تلك التأثيرات التي تتم عن قصد ، على صفار المجتمع والذي يقوم بها الكبار ، ليشكلوا هؤلاء الصفار على نحو معين " .^(٢)

وإذا حددت التربية مبدأ الثواب والعقاب فربما يظن بعض الناس أنها متوقفة على الصفار وعلى العكس فإن الثواب والعقاب قائم على كل فرد . ولذا نجد أسلوبا قرآنيا آخر من أساليبه وهو أسلوب النصيحة ذات أثر بالغ في التربية حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة^(٣)) وهي نصيحة لمن يستحقها وهي لله ورسوله ولأئمة المسلمين .

إن النصيحة تكون بالقول وبالعمل وهي مستمرة مع المسلم طول حياته يقدمها من قدر عليها . وغالبا يكون الشخص الفطن وهو يقدمها لمن يستحقها وهو بذلك يخدم دينه .

(١) التربية والأخلاق ص ٦١ (بحث علمي) . الأستاذ يعقوب فام .

(٢) التربية ومشكلات المجتمع د. عبد الغني عبود مرجع سابق ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) أخرجه البخارى ١ / ٣٠ ، كتاب الإيمان - باب قوله صلى الله عليه وسلم

المفهوم الشامل للتربية :

يسوق الدكتور محمد الهادي عفيفي تحت عنوان " المفهوم الحضاري الشامل للتربية " جملة من الأقوال والتعريفات لمصطلح أو موضوع التربية وانتهى به البحث إلى أن وضع عنواناً أسماه : " خصائص المفهوم الشامل للتربية " قال فيه : التربية عملية اجتماعية خلقية يضطلع بها المجتمع من أجل بناء شخصيات أفرادها ، على نحو يمكنهم من مواصلة حياة الجماعة وتحريرها وتطويرها من ناحية ، وتنمية شخصياتهم المنفردة ، للقيام فيها بأدوار اجتماعية متكاملة الوظائف والمسئوليات من ناحية أخرى ذلك أن التربية هي العملية الواعية الموجهة توجيهاً قائماً بهيمنة ، من أجل إحداث تغييرات مرغوب فيها في سلوك الفرد ، وبالتالي في سلوك الجماعة التي ينتمي إليها ، فمجال فعلها من ناحية هو محتوى الثقافة بقيمها وناصرها واتجاهاتها وأبعادها الماضية والحاضرة والمستقبلية مترابطة متشابكة ، ومن ناحية أخرى هو كيان الأفراد وشخصياتهم باعتبارهم القوى المستوعبة لهذه الثقافة والتي يتوقف استمرارها وتجديدها على فعلهم فيها (١) .

والى نحو هذا ذهب مؤلفو كتاب " أصول التربية وعلم النفس " ذهبوا إلى القول بأن للتربية ناحيتين : ناحية فردية وأخرى اجتماعية .

الفردية : تعني بإكساب جهود الصبغة الاجتماعية حتى يستهدف صالح المجتمع في أعماله ، ويستطيع التعامل والتعاون في داخل المجتمع (٢) .

-
- = الدين النصيحة : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . وعند مسلم (١) كتاب الإيمان رقم ٥٥ .
- (١) في أصول التربية الأصول الثقافية للتربية ص ٤١ ، ٤٢ ، د / محمد الهادي عفيفي ، عميد كلية التربية جامعة عين شمس - نشر مكتبة الأنجلو المصرية .
- (٢) أصول التربية وعلم النفس لحسن مقداد بالجن ص ٧ ط دار الفكر العربي ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ومن هنا يتضح لنا أن التربية بمفهومها في القرآن وفي الدراسات الحديثة تتعلق بالإنسان سواء كان فرداً أو مجتمعاً . إلا أن بعض علماء التربية يجعلها قاصرة على مرحلة الطفولة أو على أنها تهتم بالنمو فقط . إنما التربية في القرآن الكريم تعنى بالإنسان في كل أفعاله وكل أقواله . هي معه منصهر فيها ومتأسس بقيمتها في كل لحظة من لحظات حياته .

ويمكن أن نستخلص :

" مفهوم التربية في الدراسات الإسلامية المعاصرة "

أغلب المفاهيم تتخلص في النقاط التالية :

- (١) أنه منهج مقررات المواد الإسلامية في المدارس .
- (٢) أنه تاريخ التعليم أو تاريخ المؤسسات التعليمية ، أو تاريخ أعلام الفكر التربوي والتعليمي في العالم الإسلامي .
- (٣) أنه تعليم العلوم الإسلامية .
- (٤) أنه نظام تربوي مستقل ومنبثق من التوجيهات والتعاليم الإسلامية الأصلية ويختلف من النظم التربوية الأخرى شرقية كانت أم غربية .^(١)

تعريفات أخرى للتربية :

يرى بعض المفكرين أهداف العملية التربوية أنها تشكيل للسلوك الإنساني والفكر لدى الفرد والمجتمع كي يصل إلى صيغة يواجه بها الحياة .

(١) أهداف التربية الإسلامية وغايتها ص ١٧ - د / مقداد يالجن ط أولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ط مطابع القصيم السعودية .

وعند ما شغل الناس وملاً أسماهم وأفكارهم نظريات حديثة أحدثت دويسا
كبيرا في العالم في وقتها لخروجها على مألوف الناس الديني والأخلاقي مثل نظريات
" فرويد " ^(١) حول النفس البشرية واتجاهه إلى تفسير تصرفات الإنسان نفسه—
حيوانيا فريزيا .

(٢)
يقول كارل رانهايم : التربية هي إحدى وسائل تشكيل السلوك الإنساني
كما يتلاءم مع الأنماط السائدة للتنظيم الاجتماعي . ^(٣)

(٤)
وتعرف " مارجريت ريد " التربية بأنها " عملية الارتباط بالثقافة والتسلاوم
معها " ^(٥) .

وبعنى ذلك أنه من خلال التربية تتم عملية التشكيل الأيديولوجي للأفراد
والجماعات على السواء . وليس المقصود هنا بالتربية المدرسية وحدها وإنما المقصود
بها التربية بمعناها الواسع في المدرسة والأسرة وفي الشارع ، وفي النادي ، وفي
المسجد والمصنع . . . وفي كل مكان يتم فيه احتكاك بين الفرد وغيره من الناس .

-
- (١) سيجموند فرويد : طبيب نمساوي مؤسس علم التحليل النفسي ، درس أهمية
الدوافع اللاشعورية . توفي سنة ١٩٣٩ . المنجد في اللغة والأعلام
ص ٤١٣ .
- (٢) كارل رانهايم : أحد المفكرين التربويين الاجتماعيين متأثر بأفكار دوكايم .
- (٣) معجم العلوم الاجتماعية ص ١٢٠ - ط . الهيئة المصرية للكتاب .
- (٤) مارجريت ريد : أحد علماء التربية التي درست عقدة أديب وخرجت بأن ما
قال عنه فرويد إنما هو مفهوم ثقافي أكثر من نفسي .
- (٥) دراسة مقارنة لتاريخ التربية ص ٥١ . د / عبدالغنى عبود ، ط / دار الفكر
العربي .

ولا ينسى بعض المفكرين الغربيين وهم يعرفون أو يحددون مفهوم التربية أن يؤكدوا على الجانب الخلقى بل يراه بعضهم هو المحور لكل عملية تربوية ويراه آخرون أنه الغاية والمطلب .

يقول "رينيه أوبير" ^(١) : " أن هدف التربية بلوغ السلوك الخلقى بواسطة ذلك الطريق الثلاثي طريق إمتلاك الصحة البدنية ونمو التفكير وتنظيم جملة من العادات الصالحة " ^(٢) .

ورونيه يجعل بذلك التربية الجسمية في خدمة التربية الفكرية ثم يجعل الأخيرة في خدمة التربية الأخلاقية .

ولم يفت " أميل دروكايم " وهو يحدد مفهوم التربية أن يحدث ذكرا للموسمين .
فيفهم من قوله أن عملية التربية لا تقوم بدون العرى إذ يقول : " التربية هي العمل الذى تطارسه أجيال الراشدين على أجيال لم يتم نضجها بعد للحياة الاجتماعية " ^(٤)

وتختم سلسلة التعريفات لمفهوم التربية بأوجز تعريفين وأوسعهما دلالة ذلك هما تعريفا : (١) هربرت سبنسر حيث يقول ^(٥) :-

-
- (١) رينيه أوبير : أحد المهتمين بالتربية وطرقه في التربية : ١- الصحة الجسدية ٢- نمو التفكير ٣- تنظيم حملة عن العادات الصالحة . التربية العامة أوبير ص ١٣ ، ترجمة عبدالله الدايم ، دار الفكر العربي ١٩٨٠ م .
 - (٢) التربية العامة ص ٥٠١ لرينيه أوبير . ترجمة فرنسي أحد علماء التربية في أوائل القرن التاسع عشر .
 - (٣) أميل دروكهيم : فيلسوف اجتماعي من مؤسسي علم الاجتماع في فرنسا ، توفي سنة ١٩١٧ م وهو من أسرة يهودية ، عارض فكرة التربية المثالية ويعتبر التربية هي إعداد النشى للحياة . موسوعة الفلسفة - عبدالرحمن بدوي ج ١ ص ٤٨٠
 - (٤) تطور الأفكار والنظريات التربوية ص ٢٩٨ عمر محمد شيباني .
 - (٥) سبنسر (هربرت) : فيلسوف وعالم اجتماع إنجليزي ، صاحب مذهب قائم على التطور الطبيعي ، ورأيه في التربية التشويق واللذة ميزانا للأفضلية . في حالة تعدد طرق التربية . توفي سنة ١٩٠٣ . المنجد الأعلام ص ٢٩٥

(١) " التربية هي الإعداد للحياة الكاملة " .

(٢)

(٢) لكن " جون ديوي " وهو من أشهر المشتغلين في علم التربية في العصر الحديث لم ير في تعريف هيربرت سبنسر السابق ما يوفي التربية حقها من الأهمية وما يبرز دورها الرئيسي في الحياة فاستدرك على تعريف سبنسر وصاغه من جديد في قوله : " ليست التربية إعدادا للحياة ، بل إن التربية هي الحياة نفسها " .^(٣)

ومن خلال ما ذكرناه من تعريفات للمفهوم اللغوي والاصطلاحي للتربية ثم بيان المفهوم القرآني لها وأخيرا مفهومها في الدراسات الحديثة نخلص إلى بيان حقيقة جلية مؤداها أن أوجه التلاقي والانسجام بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي أوثق وأعمق من أوجه الاختلاف والتباين .

أما علماء الغرب فكل حاول أن يمكس بطرف الحقيقة فبعضهم تناول التربية على أنها الأخلاق ، والبعض الآخر على أنها ما يؤديه الوالدان من واجبات توجيهية نحو الأبناء بل بالغ البعض إلى القول أن التربية هي الحياة نفسها .

والقرآن حينما ينمي مفهوما للتربية فإنه يراعي كافة جوانب التربية الأخلاقية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية يراعي ظروف الفرد ومعالجاته في المجتمع .

هذه المفاهيم تكون منسجمة مع التعريفات اللغوية للكلمة ومشتقاتها بحيث

لا يوجد أدنى بعد عن دلالة الألفاظ ومعزى معانيها .

-
- (١) تطور الأفكار والنظريات التربوية ص ٢٩٨ عمر محمد شيباني .
(٢) جون ديوي : فيلسوف أمريكي برجماتي . طالم تروبي وناقد اجتماعي ، توفي سنة ١٩٥٢ م . أفكاره في التربية : التربية ليست إعدادا للحياة بل هي الحياة نفسها وشعاره تعلم بأن تعمل . موسوعة الفلسفة . عبدالرحمن بدوي ج ١ ص ٥٠٢ .
(٣) نحو نظرية للتربية الإسلامية ص ٢٢ للدكتور علي جريشة .

الفصل الأول

في

التربيتة بالعبادة

وفيه أربعة مباهات

وذا الصلاة في التربيتة

و الزكاة في التربيتة

و الصيام في التربيتة

و الحج في التربيتة

((الفصل الأول))

في العزيمة بالعبادة

العبادة هي كل الطاعة والانقياد لأوامر الله والانتهاج عن نواهيه والوقوف عند حدوده وقبول جميع ما ورد عنه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، دون رد شيء من ذلك أو إلحاد فيه وأخذ القرآن كاملاً بقوة .

ولب العبودية الحب في الله والبغض في الله مع التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والأخذ بالأسباب التي أمر الله بها من النشاط في العمل ، والسعي وراء الرزق منع السم — وبالذات العلمية بالامتثال لأوامره والبعد عن نواهيه والعمل على إقامة مجتمع نموذجي يسوده التكافل الاجتماعي وفق المنهج الذي رسمه جل ذكره في سورة الحجرات والعمل المتواصل على تحقيق الوحدة الإنسانية في إطار الدين وفق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (١) .

وبالعبادة الحققة يحقق العابد شخصيته المتكاملة ويجد ذاته ويـدرك شخصيته الأصيلة ويتعد عن جميع المؤثرات الدخيلة والهزيلة ، إنه يحفظ كرامته وأدميته . إنه متميز بين أقرانه بالاستقامة في سيرته وسلامة فكره ورجاحة عقله ونضج تفكيره ونفاذ بصيرته . ويتعد عن المؤثرات التي تظهره بمظهر عدم التوازن والتناسق أو بمظهر الازدواجية كما أنها توجب على المسلمين ألا يفرطوا في نصيبهم من الحياة الدنيا؛ ليتمكن من أداء رسالته في الحياة . ومع ذلك فلا يسلك في جمع المال طرقاً غير مشروعة أو ممنوعة كما أنها تحقق التكافل الاجتماعي الصحيح ويرتفع صاحبها عن الضعف النفسي المؤدي إلى سقوط الضمائر، كما أنها توجب

(١) آية / ٩٢ / ، سورة الأنبياء .

رعاية الأمانة وحفظها مع اجتناب كبائر الإثم والفواحش كما أنها تحقق لأصحابها الأمن في الحياة وبعد الممات " (١)

حقيقة العبادة :

العبادة توجه كامل وشامل وحركة دائمة ومتجددة بلا توقف تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وحركة أو بناء ونماء في انضباط واهتمام . إنها عبادة تستغرق نشاط المسلم في خواطر نفسه وخلجات قلبه وأشواق روحه وميول فطرته وحركات جسمه .

وبهذا الاستغراق والاشراق يتحقق معنى الخلافة في الأرض . قال تعالى :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٢)

فالخلافة في الأرض هي عمل هذا الكائن الإنساني وهي تستلزم ألوانا من النشاط الحيوي المنظم لعمارة الأرض والسعي في منابها والتعرف على مكوناتها ومخزونها وتحقيق منهج الله في الاستفادة منها لتنهض الحياة على منوالها وبسببها كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج السليم القويم الذي يتماشى ويتناسق مع الناموس الكوني العام ، وبهذا يتجلى بوضوح تام أن معنى العبادة أشمل وأكمل وأوسع من مجرد الشعائر التعبدية الظاهرة التي كلف بها البشر وأن وظيفة الخلافة الحققة داخلية تماما في مدلول العبادة الكاملة .

(١) تفسير الشيخ عبدالرحمن الدوسري ٤٥ / ١ الى (١٨٨) ط ١٤٠١ هـ ،

مكتبة دار الأرقم بالكوييت .

(٢) آية / ٦١ / ، سورة هود .

والعبادة لغة من الذل ، يقال طريق معبد أى مذلل .
وفي الشرع : " العبادة هي كل ما يجمع كمال المحبة والذل والخوف " (١)
كما أن العبادة في عرف الإسلام تؤكد إقرار العبد بإقرارا كاملا وشاملا
بقلبه وجوارحه وخضوعه خضوعا مطلقا لله يطغى ويسيطر على كل خضوع . خضوع
للخالق وراء كل وجود زائل " (٢)

ولأن أصل العبادة هو الانقياد والامتثال لكل أوامر الله بكل ما تحمله
كلمة امتثال من معنى، وكذلك فإن أداء الفرد وقيامه الفعلي بتنفيذ هذا الانقياد
والامتثال يعرف بأنه حقيقة العبادة نجد أن بين الحقيقة والأصل تكون مهمة
الإنسان التي يقول عنها الحق سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَرِيمُ
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٣) ففي الآية الكريمة تتحد بوضوح تام الغاية الكريمة من
خلق الإنسان وغيره ألا وهي العبادة بكل معانيها العامة والخاصة العبادة النقية
الخالصة لله عز وجل وعبادتهم هي امتثال " بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال
والأعمال الظاهرة والباطنة " (٤)

فنخلص إلى القول بأن حقيقة العبادة تتمثل في أمرين هامين :

أولهما : هو استقرار معنى العبودية لله في النفس أى استقرار الشعور
أن هناك عبدا وربا . عبدا يعبد وربا يعبد .

-
- (١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤ .
(٢) معالم الثقافة الإسلامية ص ١٤٧ ، د . عبد الكريم عثمان . ط الثالثة
مؤسسة الأنوار .
(٣) الآيات / ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ / من سورة الذاريات .
(٤) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨ .

ثانئها : التوجه الصادق الجازم العازم إلى الله وحده بكل حركة فسي

الضمير وكل حركة في الجوارح .

أقسام العبادة والأثر التربوي لكل قسم :

العبادات الواجبة التي يؤديها المؤمن في يومه أو عامه أو عمره عند

المحققين تنقسم إلى نوعين هما : عامة ، وخاصة .

فالعبودية العامة :

عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله ، برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم

فهذه عبودية القهر والملك . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ

جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ بِتَفْطَرِنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ

دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ^(١) .

(٢)

(٣)

قال ابن القيم : فهذا تدخل فيه مؤمنهم وكافرهم .

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ

عِبَادِي هَؤُلَاءِ ﴾ فسماهم عباده مع ضلالهم . وقال تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ ^(٤) ﴾ .

(١) الآيات / ٨٨ - ٩٣ ، سورة مريم .

(٢) ابن القيم الجوزية هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي

أبو عبدالله شمس الدين ، توفي بدمشق سنة ٧٥١ هـ ، تلميذ ابن تيمية

له تراجم/البداية والنهاية ١٤ / ٢٣٤٠ ، الأعلام ٦ / ٥٦ .

(٣) مدارج السالكين ١ / ١٠٥ .

(٤) آية / ١٧ ، سورة الفرقان .

(٥) آية / ٤٦ ، سورة الزمر .

الأثر التربوي لهذه العبودية : هو ضرورة عودة الإنسان إلى فطرته
والانقياد للقوة العليا التي تهيم على هذا العالم . وإذا لم يدرك الإنسان
العاقل هذه الحقيقة في الدنيا حتى يمثل للأوامر الإلهية فإنه سيؤخذ على غرة
في لحظة أجله المحددة أزلا ويتوفاه ملك الموت الذي وكل به ويأتي يوم القيامة
محشورا جاثيا . قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ
جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۗ ۝ (١) ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا
جِثِيًّا ۗ ۝ (٢) ﴾ .

إن الأثر التربوي للعبادة العامة : هو البحث في هذا العالم عن أسرار
هذا الكون والاستفادة من مكنونه في مجال البحث العلمي وإذا استفاد الإنسان
من هذا البحث فالنتيجة الفطرية والتجريبية تؤدي إلى وجود صانع لهذا
الكون . إذ هي تربية تدعو إلى الإيمان .

النوع الثاني : العبودية الخاصة :

وهي عبودية الطاعة والمحبة ، واتباع الأوامر .

قال تعالى : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۗ (٣) ﴾

وقال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ (٤) ﴾

والأمثلة كثيرة في القرآن فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايتته :
هم عبيد إلهيته . (٥)

-
- (١) آية / ٦٨ / ، سورة مريم .
 - (٢) آية / ٧٢ / ، سورة مريم .
 - (٣) آية / ٦٨ / ، سورة الزخرف .
 - (٤) آية / ١٨ / ، سورة الزمر .
 - (٥) مدارج السالكين ١ / ١٠٥ .

إن عباد الله هم الذين اصطفاهم واختارهم ولذلك يرحمهم . قال تعالى :
﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا، وَالَّذِينَ يُبَيِّتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ
جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا، وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا، وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١﴾
ثم يقول : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وَالَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُومًا وَمُمِينًا، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٢﴾ وشوابهم هو : ﴿ أَوْلِيَّكَ
يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٣﴾ .

وتحمل الآيات في طبيعتها سمات عباد الرحمن وهي سمات عقائدية وسمات
خلقية قولية وفعلية وتتمثل في النقاط الآتية :

- ١ - أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ليس فيها تكلف ولا تصنع ،
ولا خيلاء ولا تصعير خد أو ترهل ، فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية
وعما يستكن فيها من المشاعر وهذا حال نهارهم .

(١) آية ٦٣/٦٨ ، سورة الفرقان
(٢) آية ٧٢/٧٤ ، سورة الفرقان
(٣) آية ٧٥/٧٦ ، سورة الفرقان

- ٢ - وهم يبيتون لربهم تائبين منيبين ساجدين وقائمين يدهونه ، ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم إن عذابها كان مهلكا . وهذا حالهم في جنح الليل
والناس نيام فهؤلاء يبيتون لربهم سجدا وقياما ، ويتوجهون لربهم وحده ،
ويقومون له وحده ، ويسجدون له وحده . فهم قوم مشغولون عن النوم
المربح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع .^(١)
- ٣ - وفي حال الانفاق لا يسرفون ولا يقترنون بل معتقدون ، كتوجيه النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله " ما عال من اقتصد " .^(٢)
- ٤ - وفي العقيدة لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
إلا بالحق ولا يزنون لأن الزنى كان فاحشة وساء سبيلا .
- ٥ - وهم لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما . لا يشغلون أنفسهم
ولا يلوثونها بسماعه إنما يكرمونها عن ملاسته ورؤيته بل المشاركة فيسه
فالمؤمن في شغل عن اللغو والهذر والبطالة بالعمل الصالح النافع بما
يربأ به عن اللغو الفارغ ونحوه^(٣) .
- ٦ - وهم عند تذكيرهم بآيات الله عز وجل لا ينقادون مقلدين يحفظونها صنفا
ويقلدونها عميانا ، بل إن القرآن يعرض بالمشركين في تقليد هم لآبائهم
وصممهم لتعاليم آبائهم التي فيها من الضلال الكثير بغير أن يعطوا
عقولهم - أما المؤمنون فمع اجتهادهم وتفكيرهم وتأملهم يدعون الله
عز وجل بأن يرزقهم الذرية التي تسير على دربهم .

(١) في ظلال القرآن بتصرف ٢٥٨٠/٥ .

(٢) رواه الطبراني ١٣٣/١٠ رقم ١٠١١٨ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد
٢٥٢/١٠ ، رواه أحمد ٤٢٦٩ ، والطبراني في الأوسط ٤٩٦ . وفي
أسانيدهم إبراهيم الهجري وهو ضعيف .

وانظر : الكامل لابن عدي ١٣٠١/٣ .

(٣) في ظلال القرآن . بتصرف ٢٥٨١/٥ .

إن معنى العبادة الخاص المعروف هو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا ، وهذه أنواع هامة وكبيرة من أنواع التربية بالعبادة الكاملة الحقّة^(١) .

نتائج العبادة :

يمثل الجانب التربوي في العبادة أكبر نصيب فهو يحل الأدب والخلق والطاعة في قلب كل مسلم .

إن فرائض الإسلام بكل ما تشتمل عليه من تعاليم تفي بكل الحاجات وتلبي كل الرغبات وتشفي الكثير من العلل النفسية والجسمية والاجتماعية والأسرية والبهئية والفردية ، وتصحح كل المسارات والاتجاهات وبعد ذلك تدعو ضمن ما تدعو إلى الوحدة والنجدة والجماعة والائتلاف ، وتحذر من الفرقة والاختلاف وهي أساس هام لوحدة المشاعر والاتجاهات والمفاهيم والنظم ، ووحدة القيم ، وتؤصل قواعد الأخلاق والسلوك ، ومما سبق ندرك أن العبادة في الإسلام بوجه عام تؤدي مباشرة إلى نتيجتين حميدتين هامتين في بحثنا :

أولهما : أن الاتجاه إلى تربية الوجدان الديني الذي يجعل المسلم متعاوناً مؤتلفاً مع غيره ليمتكون من هذا الاتجاه والائتلاف والتجمع الخيري الرشيد ، مجتمع إنساني متواد ومتحاب متعاون تظله راية الإسلام وتجمع أفراد روحه السمحة ومعطياته الخيرية — وتوجيهاته السديدة الرشيدة المفعمة بالخير والنماء .

ثانيهما : أن غاية العبادات في الإسلام ليست مجرد مظاهر شكلية ، نعرف ذلك من القرآن ، ومن نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام حيث

(١) مبادئ الإسلام ص ٩٤ ، أبو الأعلى المودودي .

العبادات الكاملة تتجه أساسا إلى النفع الإنساني العام الشامل كما تسعى إلى إيجاد مجتمع فاضل كحال سلف هذه الأمة خريجي المدرسة الأولى المحمدية، مجتمع غير متباغض ولا متنازع . ملاقة الإخلاص لله فيها أن تكون مطهره للقلب قاضية على الاستعلاء والتكبر^(١) .

مظاهر العبادة وأهمية الربط بينهما :

تتميز العبادة في الإسلام أنها تمتزج بين الدنيا والآخرة ، وتصل بسين الأرض والسما في تناسق تام بحيث يصبح الشيء الواحد عملا وعبادة في آن واحد .

إن القاعدة الكبرى التي يبنى عليها الإسلام بناءه كله هي أن تعبد الله كأنك تراه . وهذا من حرص الإسلام التام على ألا يقف المسلمون عند أول مراتب الإسلام ، ولا أول مراتب الإيمان إنما يحاولون بلوغ الإحسان ، ويحاولون ذلك على الدوام .

والعبادة في فلسفة التربية الإسلامية لها مظاهر ثلاثة : مظهر ديني . . . ومظهر اجتماعي ، ومظهر كوني .

المظهر الديني : موضوعه علاقة المسلم بخالقه .

المظهر الاجتماعي : موضوعه علاقة الفرد المسلم بالأفراد والجماعات من حوله

المظهر الكوني : فموضوعه علاقة المسلم بالكون المحيط . . . وتتطلب

التربية الإسلامية الحققة وجوب تكامل المظاهر الثلاثة للعبادة ووحدتها ، لأن الفصل بينها يؤدي إلى تعطيل فاعلية كل منها ، ويؤدي إلى خراب المجتمع لأسباب :

(١) المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام ص ٩٦ .

أولها :

حصر مفهوم العبادة في المظهر الديني يقود إلى الغفلة عن المظهر الاجتماعي ، وعن المظهر الكوني ، فيتعطل البحث فيهما فتتحسر العلوم الاجتماعية والكونية أو تنحرف عن غايتها وسارها الصحيح .

السبب الثاني :

حصر مفهوم العبادة في المظهر الديني يؤدي إلى فريق يتصف بالكسل والتواكل ، وهذا ما حصل في بعض العصور الإسلامية حيث تفتتت مظاهر العبادة فضاعت المعرفة وشاع أحيانا الكسل إزاء الكوارث من الداخل والتحديات من الخارج .

كما هو عليه حال المسلمين في معظم دول العالم الإسلامي اليوم .

السبب الثالث :

حصرها في المظهر الديني يحرم المشتغلين في بعض الميادين الأخرى من التوجيه والإرشاد فيشيع في حياتهم التمرد على القيم والأخلاق والتصارع على الدنيا .

وهذا ما حدث أحيانا في بعض العصور الإسلامية ، وحينما أحست بعض المجتمعات الإسلامية بهذا لم تلجأ إلى التصحيح وإنما لجأت إلى التقليد
تقليد مصور الانشاق بين الدين والعلم فتعزز هذا الحصر والتضييق ، والتطبيق الضيق لمفهوم العبادة ونشأت ثنائية سيئة في التعليم فنتج عنها أيضا تناقص وتباعد وضعفت الشخصية الإسلامية .

" كما حدث في مصر في الأربعينات من هذا القرن أيام محمد فريد أبى حديد (١) وازد واجبة التعليم في مصر (٢) .

السبب الرابع :

أن حصر مفهوم العبادة في المظهر الديني يعطل رسالة الدين فسي الإصلاح الاجتماعي .

ولهذه الأسباب مجتمعة توجه علماء التربية من المسلمين إلى وجوب تكامل المظاهر الأربعة للعبادة في ميادين العمل والتطبيق * ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣) *

الأثر العربي للعبادة الحقة :

العبودية مقسمة على القلب واللسان والجوارح ، وعلى كل منها عبودية تخصه (٤) .

فما يجب على القلب هو الإخلاص والتوكل والمحبة والصبر والإنابة والخوف والرجاء والتصديق الجازم والنية في العبادة .

- (١) محمد فريد أبو حديد : من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة بمصر (١٣١٠ هـ - ١٣٨٧ هـ) الاعلام ٦ / ٣٢٩ .
- (٢) قضايا التعليم في عهد الاحتلال : سعيد إسحاق علي ، عالم الكتب - القاهرة ، ط ١٩٧٣ بتصرف .
- (٣) آية / ١٧٧ / ، سورة البقرة .
- (٤) مدارج السالكين ١ / ١٤٤ وما بعدها .

وهوديات اللسان :

فواجبها النطق بالشهادتين ، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن . ومن واجبه رد السلام . ومن واجب اللسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وإرشاد الضال ، وأداء الشهادة المتعينة وصدق الحديث ، ويستحب للسان تلاوة كتاب الله ، ودوام ذكر الله ، والمذاكرة في العلم النافع .

ويحرم على اللسان : النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله كالقذف وسبب المسلم ويحرم على المسلم الغيبة والنميمة .

وعلى السمع وجوب الإنصات والاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليه واستماع الإسلام والإيمان وفروضهما وكذلك الاستماع للقراءة في الصلاة عند جهر الإمام بها . ويحرم استماع الكفر والبهدع .

إن عبادة كل عضو في جسم الإنسان مفصلة في كتب الأخلاق والعلم الإسلامي ، ويمكن لنا أن نذكر الحقائق التالية في بيان الأثر التربوي للعبادة الحقة .

١ - العبادات في الإسلام في مجموعها صامات أمان ووعي دائم وفكر مستمر صلة عميقة الجذور وبنیان إيمان قوي الأركان والجدران ، فما من عبادة يقبلها الله إلا إذا اتصفت بشرطين :

أولهما : أن يكون العمل خالصا لله .
ثانيهما : أن يكون صوابا .

فالخالص لله والصواب ما كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاستمرار حتى نهاية العبادة . وبذا يصبح المسلم بعبادته الحقة منطوقيا مثاليا داعيا مدركا .

- ٢ - إن العبادة الحقة تربي في المسلم ما يسمى روح الجماعة أو الروح الجماعية حيث يرتبط ارتباطا وثيقا بجماعة المسلمين . وهذا جزء هام من عقيدته وعبادته . وهذا الانتماء للجماعة المسلمة يبني على عاطفة صادقة مميزة مع ثقة في الله لا تدانيتها ثقة كما أن المسلم بهذا القصد وهذا التوجه يثق تماما بنفسه الموصولة بالله وحده .
- ٣ - إن العبادات والشعائر الإسلامية تربي في نفس المسلم الاعتزاز بالله وحده . استمرارية العبادة مع جماعة المسلمين يناجون ويعبدون ربا واحدا ، وإذا فرغوا من عبادتهم تعارفوا وتحابوا وتقاربت قلوبهم بعد أن تقاربت أبدانهم فمتناصحون ويتشاورون ويتزاورون ومن ثم فإن هذه الأشياء تربي فيهم روح الجماعة العامة بالألفة والمحبة والإيثار .
- ٤ - والعبادات الإسلامية تربي في نفس المسلم قدرا كبيرا وهائلا من الفضائل والثوابت الإيمانية لا تقف عند حدود الأرض أو القوم أو المصلحة أو الحزب ولكنها تعم التعامل البشري جميعا . فالمسلم هو المسلم بأخلاقه وإنسانيته أنى سار وحيثما حل (١) .
- وهذا هو الفارق الكبير بين عبادات الإسلام طبق منهج القرآن وبين النظم والقواعد والأعراف الأرضية، بينما نجد عند المسلم سلوكا محددنا بشرع الله في البر والبحر وفي أى مكان أو زمان . في حين نرى النقيض من ذلك . أمما ترعى قوانين بلادها بحكم التعلم أو الوراثة أو العادة فإذا خرجوا من بلادهم تنكروا لذلك كله وتحولوا وحوشا ضارية وأسودا مفترسة ، انهبنا الوثنية الأرضية ، والنظرة الضيقة الهزيلة .

(١) التربية الإسلامية ص ٣٩ ، ٤٠ (محمد قطب) .

- ٥ - التربية القرآنية تجعل العابد لله مزودا دائما بشحنات قوية وجرعات إيمانية واقية، مصلها متجدد لأن معينه لا ينضب ، إن هذه الشحنات وتلك الجرعات تدفعه دائما إلى الأمام، والإسلام ومنهج القرآن بحكم شموله وخلوده اعتبر العمل عبادة ما دام قلب المسلم متجها إلى الله وحده . على حد قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ (١) .
- ٦ - إن تربية المسلم بالعبادة تجعله دائما وثيق الصلة بالله دائم الخوف منه ، تنشط مزيته بالعبادة وبرجوعه إلى الله . إن عبادته تقوم على خوف الله وتذكر رقايته وهيئته ، ودعوة القرآن صريحة في التوبة حين قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

(١) آية / ١٧٧ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ٣١ / ، سورة النور .

((المبحث الأول))

دور الصلاة في العربية

(١) المعنى اللغوي للصلاة : قال ابن منظور في لسان العرب : (٢)

الصلاة : الركوع والسجود . . والصلاة : الدعاء والاستغفار ، والصلاة من الله تعالى رحمة فصلاة الله على رسوله رحمة له وحسن ثنائه عليه . . ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣)

فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار ، ومن الله رحمة ، وه سميت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار .

(٤) وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : (٥)

والصلاة في اللغة : الدعاء وهو قول جمهور العلماء من أهل اللغة والفقهاء وغيرهم .

قال العلماء : الصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن البشر تضرع ودعاء ، ومن ذكر هذا التقسيم الإمام الأزهري وآخرون ، وتطلق الصلاة باطلاقات على الهيئة ذات الركوع والسجود ، والجمع صلوات وتطلق على الدعاء والاستغفار . يقول الأعشى (٦) :

وصهبها طاف يهودي بها . . وأبرزها وعليها خستم
وقابلها الريح في دنها . . وصلى على دنها وارتمم
أى دعا لها ألا تحمض ولا تفسد .

-
- (١) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويضي الإفريقي . مؤلف لسان العرب . ت سنة ٧١١ هـ . له ترجمة في حسن المحاضرة ١/ ٥٣٤ ، الأعلام ٧/ ١٠٨ .
- (٢) لسان العرب ٤/ ٢٤٩٠ ط . دار المعارف بمصر .
- (٣) آية / ١٥٦ / ، سورة الأحزاب .
- (٤) النووي : يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين ، توفي ٦٧٦ هـ . علامة بالفقهاء والحديث له مؤلفات كثيرة . النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨ ، الأعلام ٨/ ١٤٩ ، ١٥٠ .
- (٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧٩) .
- (٦) حسين بن إبراهيم بن حسين بن عابد المالكي ويعرف في مصر بالأزهري ، كان مفتي المالكية بمكة المكرمة . توفي ١٢٩٢ هـ . الأعلام ٢/ ٢٣٠ .
- (٧) ديوان الأعشى ص ١٩٦ ، والأعشى هو ميمون بن قيس من شعراء الجاهلية

وتطلق على الرحمة أيضا :

(١)

ومنه قول عدي :

صلى الإله على امرئ ودعته . . . وأتم نعمته عليه وزاده ها

قال الزجاج^(٢) : الأصل في الصلاة اللزوم ، يقال : صلى واصطلى إذا لزم .

وقال أهل اللغة في الصلاة إنها من الصلويين عرقان وهما مكتنفا الذنب من

الناقة وغيرها ، وأوله موصل الفخذين من الإنسان وأخذت من ذلك لتحركها في الهيئة ذات الركوع والسجود التي هي المقصود الأول لتلك المعاني .

وفي اسم الصلاة ما يدل على أنها ثانية الإيظان فالمصلي في اللغة هو

التالي للسابق في الخيل ، والصلاة في اللغة تعني الدعاء ، قال ابن فارس^(٣) :

" . . . فأما الصلاة فإنها من صليت العود إذا لينته لأن المصلي يلين ويخشع

والصلاة بيت يصلى فيه . والصلاة : الدعاء والرحمة " (٤)

قال بعض العلماء : إننا سميت صلاة لأنها ثانية لشهادة التوحيد كالمصلي

من السابق من الخيل . . . وقيل : سميت صلاة لما يعود على صاحبها من البركة .

وتسمى البركة صلاة في اللغة . وقيل لأنها تفضي إلى المغفرة التي هي

مقصودة بالصلاة . . . وسميت صلاة لأن المصلي يتبع من تقدمه فجبريل أول من تقدم

بفعلها والنبي صلى الله عليه وسلم تبع له وصل ثم المصلون بعده ، وقيل : سميت

صلاة لأن رأس المأموم عند صلوى إمامه ، والصلوان عظامان عن يمين الذنب ويساره في

موضع الردف " (٥)

= وأحد أصحاب المعلقات السبع وأدرك الإسلام ولم يسلم . مات سنة ٧ هـ .

الأظني (١٠٨ / ٩) .

(١) عدي : جاهلي (غير منسوب) . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

(٢) الزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ ،

من علماء النحو . أنباء الرواة ص ١ - ١٥٩ ، تاريخ بغداد ص ٦ - ٨٩ .

(٣) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسن . إمام من أئمة اللغة

والأدب . توفي سنة ٣٩٥ هـ . الأعلام ١ / ١٩٣ .

(٤) المجلد ١ / ٥٣٨ ط . مؤسسة الرسالة .

(٥) الإنصاف ١ / ٣٨٨ ط . أولى ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ، ط . السنة المحمدية ،

القاهرة .

(١) قال ابن الأثير : " الصلاة هي العبادة المخصوصة ، وأصلها في اللغة الدعا ، فسميت ببعض أجزائها . وقيل : أن أصلها في اللغة التعظيم . وسميت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى " (٢)

وقال الإمام النووي : " الصلاة في اللغة الدعاء ، وسميت الصلاة الشرعية صلاة لاشتمالها عليه ، هذا هو الصحيح وبه قال الجمهور من أهل اللغة وغيرهم من أهل التحقيق ، وقيل : في معناها أقوال كثيرة، أكثرها فاسد لا سيما قول من قال : هي مشتقة من صليت العود على النار إذا قومتها ، والصلاة تقيم العبد على الطاعة ، وبطلان هذا الخطأ أظهر من أن نذكره لأن لام الكلمة في الصلاة واو وفي صليت يا ، فكيف يصح الاشتقاق مع اختلاف الحروف الأصلية " (٣)

(٤) قال ابن تيمية في الاختبارات : " قد تنازع الناس في اسم الصلاة ، هل هو من الأسماء المنقولة عن مسماها في اللغة أو أنها باقية على ما كانت عليه في اللغة أو أنها تصرف فيها الشارع تصرف أهل العرف فهي بالنسبة إلى عرف اللغة مجاز وبالنسبة إلى عرف الشرع حقيقة على ثلاثة أقوال : والتحقيق أن الشارع لم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما يستعمل نظائرها كقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٥) فذكر بيتا خاصا فلم يكن لفظة الحج متناولا لكل قصد بل لقصد مخصوص دل عليه اللفظ نفسه ومن كان قبلنا لهم صلاة ليست معادلة لصلاتنا لا في الأوقات ولا في الهيئات " (٦)

-
- (١) المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو السعادات محمد الدين . محدث ولغوي ، توفي سنة ٦٠٦ هـ . طبقات الشافعية ١٥٣/٥ ، الكامل ١١٣/١٢ .
- (٢) النهاية ٥٠/٣ ط . عيسى الحلبي .
- (٣) المجموع في فقه الشافعية للنووي ٢/٣ ، ط . دار الفكر .
- (٤) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي تقي الدين شيخ الإسلام . توفي سنة ٧٢٨ هـ . له تراجم في البداية والنهاية ١٣٥/١٤ ، والنجوم الزاهرة ٢٧١/٩ .
- (٥) آية ٩٢/ ، سورة آل عمران .
- (٦) الاختيارات الفقهية لابن تيمية ص ٣٠ .

المعنى الاصطلاحي :

قيل أنها أقوال وأفعال تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم .^(١)
قال ابن مفلح^(٢) : " في الشرع عبارة عن أقوال وأفعال مخصوصة مفتوحة
بالتكبير ، مختتمة بالتسليم " .^(٣)

وقيل : هي " عبارة عن الأفعال فإذا ورد في الشرع أمر بصلاة أو حكم معلق
عليها انصرف بظاهره إلى الصلاة الشرعية " .^(٤)

وقيل : هي عبارة عن الأفعال المعلومة من القيام والركوع والقعود
والسجود ، وما يتعلق به من القراءة والذكر مفتوحة بالتكبير مختتمة بالتسليم .

وقال الزركشي^(٥) : هي عبارة عن هيئة مخصوصة مشتملة على ركوع وسجود .^(٦)

وقال في المبدع قريبا من ذلك .^(٧)

وقيل أنها عبارة عن أركان مخصوصة ، كان فيها الدعاء أو لم يكن فالاسم
شرعي ليس فيه معنى اللفظة .^(٨)

وقال في غاية المنتهى مثل هذا .^(٩)

-
- (١) كشف المخدرات (٥٢ / ١) ، زين الدين عبدالرحمن بن عبدالله أحمد البعلبي .
 - (٢) ابراهيم بن محمد بن مفلح ، الراميني الأصل . أبو اسحاق برهان الديلمي .
شيخ الحنابلة في عصره ، توفي سنة ٨٣٠ . الاعلام ٦٤ / ١
 - (٣) المبدع في شرح المقنع (٩٨ / ١) ، لابن مفلح ، طه . المكتب الإسلامي .
 - (٤) المغني لابن قدامة (٣٦٩ / ١) .
 - (٥) الزركشي محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله بدر الدين
المصري المولد والوفاء ، توفي سنة ٧٩٤ هـ ، من علماء الفقه . الدرر الكامنة
٣ / ٣٩٢ ، الشذرات ٦ / ٣٣٥ .
 - (٦) الإنصاف (٣٨٨ / ١) للمرداوي .
 - (٧) المقنع (٢٩٨ / ١) لابن قدامة المقدسي .
 - (٨) المبسوط للسرخسي (٤٠ / ١) .
 - (٩) غاية المنتهى ١ / ٩٠ .

العلاقة بين معنى الصلاة في اللغة وأثرها التربوي :

ثمة صلة قوية بين المعنى اللغوي للصلاة والأثر التربوي ، هذا الأثر يقصد به تبيان كيان إنساني قوي، وهذه الصلاة تهدف إلى إيجاد عبد طائع لله عز وجل وهذه هي بعض الآثار من خلال التعريفات اللغوية :

- ١ - الصلاة في اللغة تعني الدعاء والأثر التربوي توجه الإنسان بالدعاء إلى الله عز وجل ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(١) إذن التربية تطلب من الإنسان ألا يتذلل إلا للقوي العزيز الحكيم . وهذا أول ما يكون حينما يكون واقفا في الصلاة .
- ٢ - إذا كانت اللغة تقول: إن صلاة الله على عباده هي رحمتهم فإن التربية تدعو إلى الرحمة لأن المجتمع لا يعيش إلا بالأخلاق الحميدة والصفات النبيلة . إن على العباد أن يرحم بعضهم بعضا لأن رحمة الله وسعت كل شيء .
- ٣ - إذا كانت الصلاة تطلق على الهيئات من الركوع والسجود وامثال أوامر الله فإن التربية القرآنية تدعو إلى التواصي بالبر . قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾^(٢)
- ٤ - ولذا أورد ابن الأثير في نهايته : " أن الصلاة تعني التعظيم وسميت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى " ^(٣) فإن الجوانب

(١) آية / ١١٠ / ، سورة الإسراء .

(٢) الآية / ٢ / ، سورة المائدة .

(٣) النهاية ٥٠ / ٣ لابن الأثير .

التربية القرآنية تعنى بالاحترام والإجلال بتكبير الله عز وجل واحترام الخلق وإجلال علمائهم . قال عليه الصلاة والسلام: "أقربكم مني مجلسا يوم القيامة الموطئون أكنافا" (١) الحديث .

ومجمل القول : في الكلام على مادة صلى في المعجم اللغوي هو ما قاله النووي في معناها " أقوال كثيرة أغلبها فاسد " (٢) .

أصل وجوبها :

هي واجبة بالكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٣)

(٤) وقال شهيد الإسلام سيد قطب : " هذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق عبادة الله ، وإخلاص الدين له ، والميل عن الشرك وأهله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ عقيدة خالصة في الضمير ، وعبادة الله تترجم من هذه العقيدة ، وانفاق للمال في سبيل الله وهو الزكاة . . . فمن حقق هذه القواعد ، فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب ، وكما هو فـي دين الله على الإطلاق . دين واحد ، وعقيدة واحدة " (٥) .

وأما السنة فلحديث " بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا " (٦) متفق عليه .

(١) أخرجه الهندي في كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال برقم ٥١٦٦ للأول وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس ، وقال عنـه الألباني في صحيح الجامع " صحيح " كنز العمال للهندي ج ٣ ، ١٠ ، ١٢ ، ط . مؤسسة الرسالة ١٣٩٠ هـ .

(٢) المجموع ٢ / ٣ .

(٣) آية رقم ٥ / ٥ ، سورة البينة .

(٤) سيد بن قطب بن إبراهيم مفكر إسلامي ، ولد في أسيوط بمصر ، توفي سنة ١٣٨٢ هـ ، له تفسير في ظلال القرآن وهو مشهور .

(٥) في ظلال القرآن ٦ / ٣٩٥٢ .

(٦) البخاري (٩ / ١) ط . الشعب ، ومسلم كتاب الإيمان ٢٠ ، ٢١ ، والترمذي

(١) ووجوب الصلاة بالسنة المطهرة منها أيضا حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال : " جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أهل نجد ثائر الرأس فسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خمس صلوات في اليوم والليلة . . . " قال : هل علي غيرهن ؟ قال : " لا إلا أن تتطوع " . متفق عليه

(٢) ولحديث ابن عمر : بني الإسلام على خمس . . . الحديث (٣)
وقد اجتمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة . (٤) قال ابن رشد في بداية المجتهد : أما وجوبها فبين من الكتاب والسنة ، شهرة ذلك تغني عن تكلف القول فيه . (٥)

(٦) وقال السرخسي : فالدلائل من الكتاب والسنة على فرضيتها مشهورة بكثرة تعدادها . (٧)

فهذه جملة من النقول تدل على تضافر الأدلة من الكتاب والسنة والاجتماع المنعقد على وجوبها .

-
- (١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني . أبو محمد . صحابي من العشرة المبشرين بالجنة ، توفي سنة ٣٦ هـ . المجيز ص ١٥٠ ، ٣٥٦ ، الإصابة ٢ / ٢٣٠ / ٤٢٦٦ .
- (٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب ، صحابي من أهل العلم والورع ، مات سنة ٧٣ هـ . هو ابن الفاروق عمر ، كانت أول مشاهدته الخندق . له ترجمة في المراجع الآتية : تهذيب التهذيب ١ / ٤٣٤ ، ٥ / ٣٢٦ - ٣٢٨ ، تهذيب الكمال ٢ / ٧١٣ ، الكامل ٤ / ١٤٥٩ ، التاريخ الكبير ٥ / ١٥٥ ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٣٩ ، شذرات الذهب ١ / ٢٧٩ ، تاريخ بغداد ١ / ١٩ - ٤ ، لسان الميزان ٧ / ٣١٦ ، وفيات الأعيان ٣ / ٢٨ .
- (٣) أخرجه مسلم ١ / ٤٥ كتاب الإيمان (٢) باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام .
- (٤) المغني لابن قدامة ١ / ٣٦٩ .
- (٥) بداية المجتهد لابن رشد ١ / ٨٨ .
- (٦) السرخسي هو محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر شمس الأئمة من كبار الأحناف وتوفي سنة ٤٨٣ هـ . الجواهر المضيئة ٢ / ٢٨ ، الاعلام ٥ / ٣١٥ للزركلي .
- (٧) المجموع شرح المذهب ٣ / ٣ ، والمبسوط ١ / ٤ .

والآن نقف مع الآثار التي يعرّتب عليها أداء الصلاة
وهي تتمثل في :-

- الأول : العنصر الحسي .
- ثانيا : العنصر المعنوي .

أولا : العنصر الحسي :

ونعني به ما يستشعره الفرد المسلم بدنيًا ، وكذا
الآثار المترتبة على سلوك الجوانب الحسية .

١- النظافة :-

حث الإسلام كل مسلم على النظافة سواء أكانت ظاهرية
بدنية أو باطنية نفسية ، فالظاهرية : معروفة والباطنية
هي ما تضره النفس من غل وحقد وحسد الخ ،
وعند ما يشرع المسلم في أداء الصلاة يلزمه الافتساح
وفق ما بينه القرآن الكريم في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ

وَأَمِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ
تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١) .

ولأهمية الصلاة وتأكيد أمرها فرض الله تعالى الطهارة كشرط للدخول في الصلاة كما بين سبحانه أن الصلاة لا تقبل إلا بالطهارة كما مر في الآية الكريمة (٢) . إن غسل البدن كله أو أطرافه مما يبعث النشاط والهمة فيقف العبد بين يدي ربه نشيطا حاضر القلب صافي الروح ، وعند حصول سبب من أسباب الغسل كالجنابة بإرتيان الرجل أهله مثلا ، وهو ما يسمى بالحدث الأكبر ، يعترى الجسم استرخاء وفتور يزولان بالغسل ، على أن النظافة من الإيمان وهي أمر لازم للمسلم من حيث كونه مسلما . ما يريد الله لجعل عليكم من حرج حيث أوجب الغسل والوضوء للصلاة ، وعند فقد الماء التيمم . ولكن يريد ليطهركم ما ديا من الدنس والرجس ، ومعنويا من الكسل والفتور ويبعث النفس صافية مشرقة لتناجي ربها ، وليتم نعمته برسمة طريق العبادة لكم ، بهذا تقومون بالشكر الواجب عليكم (٣) .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول عن هذا : " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء " قالوا لا يبقى من درنه شيء . قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا " (٤) .

- (١) آية ٦ / ٦ ، سورة المائدة .
(٢) تفسير ابن كثير (٢١ / ٢ - ٣٠) .
(٣) التفسير الواضح ج ٦ / ٣٥ ط العاشرة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، نشر دار التفسير بالزقازيق .
(٤) أخرجه البخاري (١١ / ٢) ط المعرفة ٩ - كتاب المواقيت ٦ - باب الصلوات الخمس كفارة رقم ٥٢٨ عن أبي هريرة . وأخرجه مسلم كتاب المساجد ٢٨٣ ، الترمذي ٢٨٦٨ ، شرح السنة (٢٧٢ / ٢) .

(١) قال الطيبي : في هذا الحديث مبالغة في نفي الذنوب .
وقال ابن العربي^(٢) : وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وشبابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى ذنبا إلا أسقطته . انتهى . وظاهره أن المراد بالخطايا فسي الحديث ما هو أعم من الصغيرة والكبيرة ، لكن قال ابن بطال^(٣) : يؤخذ من الحديث أن المراد الصغائر خاصة ، لأنه شبه الخطايا بالدرن ، والدرن صغير بالنسبة إلى ما هو أكبر منه القروح والخراجات . انتهى^(٤)

وللطهر والتنظيف آثار إيجابية وفوائد صحية عظيمة للنفس والجسم كما أنه يعمر القلب والروح وينشطهما ، ويورث الاهتمام ويوقظ ويحرك النفس ويهيئها للدين والدنيا واستقبال الصلاح والفلاح .

٢ - روح الجماعة :

إذا أردنا أن نعرف أثر الصلاة الحسي في روح الجماعة فيكون ذلك في دور المسجد في فجر الدعوة الإسلامية وفي ضحى الإسلام من الإعداد للجيش ومن استنفار الناس للجهاد وأيضاً ما يحدث في المسجد من بيعة للخليفة ، وكل هذه الأمور تتم جماعية وليست فردية ، والقرآن الكريم يصور هذه الجماعة في قوله تعالى :
﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾^(٥)

- (١) الحسين بن محمد بن عبدالله شرف الدين الطيبي ، من علماء الحديث والتفسير . توفي سنة ٧٤٣ هـ . له ترجمة في الدرر الكامنة ٦٥ / ٢ ، شذرات الذهب ١٣٧ / ٦ .
- (٢) محمد بن عبدالله بن محمد الأشبيلي المالكي أبو بكر بن العربي ، من الحفاظ والقضاة . توفي سنة ٥٤٣ هـ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٦٢٠ .
- (٣) علي بن خلف بن عبد الملك بطال أبو الحسن عالم بالحديث له شرح البخاري روى عن أبي المطرف ويونس بن عبدالله القاضي توفي سنة ٤٤٩ هـ ، شذرات الذهب ٢٨٣ / ٣ .
- (٤) فتح الباري (١٢ ، ١١ / ٢) ط . دار المعرفة .
- (٥) آية / ١٠٨ / ، سورة التوبة .

فسمه هذه الروح الجماعية هي تقوى الله والقيام بالصلاة في المساجد والتطهر لهذه الصلاة والتعاون على البر والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان . قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١) .
ومن ثم فهذا التعاون يحقق لهم :

أ - الالتزام :

وهو أن يأخذ الإنسان نفسه بالعادة . فإذا اعتاد المسلم أن يكون على صلة بالله عز وجل فإن هذه الصلة تجعل خلقه قويمًا ، وتصلح حياته اليومية :
وتحس روح الالتزام عند الأمر بالمداومة ، والمحافظة على الصلاة ، فهذه المحافظة تولد في النفس روح الالتزام . قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢)

" حافظوا على الصلاة مطلقا تحفظكم من كل هم وغم وتحفظكم من الفحشاء والمنكر وخاصة الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر " (٣) .

ومدح الله الذين يحافظون على الصلاة ووسمهم بتاج الدين في الآخرة ، قال تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٤) .

وهؤلاء الذين يحافظون على الصلاة هم المؤمنون حقا، فهم في صلاتهم خاشعون ، وهم من اللغو معرضون، وهم للزكاة مؤدون ، وهم لفروجهم حافظون إلا على ما أبيع لهم من أزواجهم وإمائهم ، وشباب هؤلاء أنهم يرثون الفردوس هم فيها خالدون .

-
- (١) آية ٢ / سورة المائدة .
(٢) آية ٢٣٨ / سورة البقرة .
(٣) التفسير الواضح (١ ، ٢ / ٤٨) .
(٤) آية ٩٢ / سورة الأنعام .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمِنَ ابْتِغَايَ
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ
هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
(١)
خَالِدُونَ ﴾ .

وباكتمال المحافظة على الصلاة يكون اكتمال الإيمان، نفهم ذلك جيدا من
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا رأيت الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالإيمان" (٢) . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ
بِاللَّهِ ﴾ الآية (٣) .

إن الالتزام للإنسان الهلوع والجزوع والمنوع عسير على نفسه غير أن الصلاة
تزيل كل هذا . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُمْ
مِنَ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ
إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمِنَ ابْتِغَايَ وَّرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مَّكْرُمِينَ ﴾ (٤)

-
- (١) آية ١ / ١١ - ، سورة المؤمنون .
(٢) أخرجه ابن ماجة ٢٦٣ / ١ (رقم ٨٠٢) وفي المسند ٦٨ / ٣ ، والبيهقي
٦٦ / ٣ ، والحاكم ٢١٢ / ١ ، وابن حبان رقم (٣١٠) موارد .
(٣) آية ١٨ / ، سورة التوبة .
(٤) الآيات ١٩ / ٣٥ - ، سورة المعارج .

ما أسعد هؤلاء المصلين في التزامهم فسماتهم المواظبة على أداء الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخر وهم يدعون الله تعالى أن يجنبهم العذاب لأن العذاب غير مأمون . . . إلخ .

ب - الإحساس بالمساواة :

ويتولد عن الدخول في نطاق الجماعة من خلال الصلاة في المسجد مبدأ الإحساس بالمساواة ذلك أن المسلمين يتوجهون إلى قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة ولبلد واحد هو مكة المكرمة ، وفي آن واحد هو وقت الصلاة ملين نداءً واحداً هو حي على الصلاة حي على الفلاح ، ذلك النداء الذي يجمع بين الغني والفقير، يدعوهم إلى القدوم للمسجد فيقف الغني بجوار الفقير في صفوف كأنها بنيان مرصوص . كل مسلم يدخل المسجد حريص على أن يطبق قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١) .

والمساواة تزيل الفوارق الاجتماعية سواء أكانت وظيفية أو مالية أو غيرها . إن الصلاة تهدف إلى ترابط وتضامن المجتمع وتقوية علاقة الحب والحنان بين أفرادها، والمسلمون يقفون في صفوف متوادين متحابين متضامنين ذابت بينهم الفوارق ، ونسى كل مكانته ومركزه الدنيوي وحظه الاجتماعي لأنهم جميعاً في الحضرة القدسية العالمة ، وحرصاً على هذا المظهر الجماعي التوحد الذي يتم عند إقامة الصلاة تلقائياً دعا الإسلام إلى تسوية الصفوف لتوحيد القلوب وتحقيق المساواة .

كان صلى الله عليه وسلم يمسح مناكب أصحابه عند الصلاة ويقول " استوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم " (٢) .

(١) الآية / ١٨ / ، سورة الجن .

(٢) رواه البخاري ٢ / ٢٠٥ ، ومسلم بشرح النووي ٥ / ٤٩ .

وقد توعد صلى الله عليه وسلم أولئك الذين لا يلتزمون بالنظام في الصلاة بقوله : " لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم " (١) .
المساواة تدفع المؤمنين إلى التعاون على البر والتقوى وكل ما فيه صلاح ونجاح للعقيدة الإسلامية . وما في التواد والتواصل والتعارف والتآخي عن طريق المسجد يعرف الكبير فيوقر ويعرف العالم فيبجل والعابد والناسك فيتأسى به ، ويعرف الفقير فيواسى ، ويعرف المهموم والمكروب فيجد من يفرج كربه وينفت هممه ، ويعرف المشكول فيعزى ويوصل ، ويعرف الجاهل فيعلم ، ويسلك به السبيل القويم ، ويعرف المتناقل الذي قال في حقه مولانا : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٢) .

٣ - العربية البدنية :

لا يقف دور الصلاة على أنها تعبد لله عز وجل فحسب فلها فوائد رياضية إذ إن العلي حينما يقف للصلاة فإنما يؤدي هذه العبادة في حركات تدل على التذلل والتضرع والخضوع والتسليم للذات العلية - حركات تعبر عن الامتثال لتعاليم الدين . هذه الحركات رفع اليدين للتكبير وانحناء في الركوع وانثناء في السجود والجلوس على القدم اليسرى عند التشهد . كل هذه الحركات الرياضية تدفع السدم في جميع أجزاء الجسم فتتنشط عضلات القلب وتذيب الشحوم المتراكمة في بعض أجزاء الجسم كالأرداف . هذا النشاط يعطي الجسم حيوية وقدرة على العمل والسعي في الأرض .
قال الموفق البغدادي : " إن الصلاة رياضة فاضلة للنفس لأنها تشتمل على انتصاب وركوع وسجود ، وتورك ، وغير ذلك من الأوضاع التي تتحرك معها أكثر

(١) أخرجه البخاري ١/١٧٥ ، وسلم بشرح النووي ٤/١٥٦ .

(٢) آية ٤/٥ ، سورة الطاعون .

(٣) الموفق البغدادي : أبو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي ، يعرف بابن اللباد وبابن نقطة . طبيب وفيلسوف الإسلام ، توفي سنة ٦٢٩ هـ . له ترجمة في الشذرات ٥/١٣٢ ، الأعلام ٤/٦١ .

المفاصل ، وتنغمر فيها أكثر الأجزاء ، لا سيما المعدة ، والأمعاء ، ويسائر آلات التنفيس ، الغذاء عند السجود وما أنفع السجود الطويل لصاحب النزلة ، والزكام ، وما أنفع السجود لانصباب النزلة إلى الحلق ، وقصبة الرئة برجوعها إلى مجاري الأنف وما أشد عن السجود الطويل على فتح سدود المنخرين في عللة الزكام وانصاح مادته ، وما أقوى معونة السجود على صدور الطعام عن المعدة والامعاء وتحريك الفضول المختلفة فيها ونقلها وإخراجها ، إذ عنده تنحصر الآلات بازديادها ، وتتساقط بعضها على بعض ، وكثيرا ما تسر الصلاة النفس ، وتمحو الهم ، والحزن ، وتذيب الآمال الخائبة ، وتكشف الأوهام الكاذبة ويصفو فيها الذهن ، وتطفى نار الغضب .^(١)

والقرآن يدعو إلى إقامة الصلاة مع ملاحظة أن الإقامة تعنى الآداء نلاحظ ذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْتَدُونَ وَالنَّيْمِ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(٢)

دعا لهم سيدنا إبراهيم بسعة الرزق من الخيرات لأنهم حال كونهم يقيمون الصلاة ويسعون من كل حذب نحو البيت المعمور إنما هم في حقيقة الأمر يلبسون نداء الفطرة السليمة ويحققو الغرض من خلقهم وليس الأمر في آداء الصلاة قاصرا على الرجال ، فلقد قال عز وجل للبتول السيدة مريم عليها السلام : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾^(٣)

ويمدح الله سيدنا إسماعيل فيقول : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾^(٤)

(١) الأرض الطيبة للموفق البغدادي ١ / ١٢٨ ، وهو النسخة المنفردة ص ٤٣ ، ٤٥ ط المغرب نقلا عن كتاب المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي للسيوطي ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ط مكتبة الجيل الجديد صنعاء .

(٢) الآية / ٣٧ ، سورة إبراهيم
(٣) الآية / ٤٣ ، سورة آل عمران .
(٤) الآية / ٥٥ ، سورة مريم .

إن فوائد الصلاة كثيرة فهي تقوم بإزالة روح الكآبة والكسل والملل والسأم الذي يعترى الإنسان في لحظات من حياته لا سيما في وقت العصر وحث القرآن على ترك هذا التراخي والتباطؤ في أداء العمل فقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (١) .

(٢)
قال النسفي : " أقسم بصلاة العصر لفضلها . . . ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجارتهم وكسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعاشهم ."
(٣)

ثانيا : الأثر المعنوي :

يتكون الإنسان من بدن وروح . البدن هو مجموع مكونات الجسم ، والروح هنا سر الله في خلقه وهي قدرته على انطاق الإنسان ومنحه الحواس . . . إلخ لأن الروح هي سر الله " حقيقتها عند جمهور المسلمين جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهي جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد والنار في الفحم " (٤) .

وتبدأ التأثيرات المعنوية للصلاة منذ اللحظة الأولى وهي إعلان

الأذان .

-
- (١) الآية / ١-٣ ، صورة العصر .
(٢) عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي أو البركات ، فقيه ومفسر له ترجمة في الدرر الكامنة ٢٤٧/٢ .
(٣) الأساس في التفسير (١١ / ٦٦٦٩) ط . دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٥ / ١٩٨٥ هـ .
(٤) سر الروح ص ٤ ، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، تحقيق محمود محمد طبعة مكتبة التراث الإسلامي ، انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية تأليف علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق محمد شاكر مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .

١ - الأثر النفسي للأذان :-

إنه إعلان لحلول الوقت واللحظات التي يقف فيها المسلم مع الله فيسـه تتجلى عظمة هذا الدين ، ووحدة المسلمين وشعار المتقين وعلامة الموحدين المطيعين ، وتظهر فيه روح هذا الدين ومقاصده الكبيرة وبوضوح وبلاغة ، وإيجاز وإعجاز ، ليس له مثيل في أى ملة أو دين ، فيه جمال وجلال ونعمة أخاذة موحية معبرة تروق لغير المسلمين .

إنه دعوة مفتوحة ومركزة لهذا الدين القويم ، يعرف بمقاصده ، ويدعو إليه خمس مرات في اليوم والليـلة ، وجاء فيه ببساطة ويسر لباب الدين وجوهره ومعناه ومغزاه إنه يُظهر بجلاء عظمة الله ووحدانـيته ، ولأنه أكبر من كل كبير ويضم الشهادتين ثم الدعوة إلى الصلاة وحضورها في جماعة المسلمين في المسجد ولأنها وسيلة للصالح والفلاح والنجاح والأذان يربى المسلم على :-

أولاً : الإيمان بالله تعالى ربا وضرورة ترك الدنيا والاشتغال بذكر الله وإقامة فرائضه في الصلاة .

ثانياً : الإقرار بالوحدانية والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وخاتم المرسلين وضرورة طاعتهما .

ثالثاً : يوقظ الأذان الوسنان إلى لقاء الله عز وجل ، ويهـدِي الأعباب - ويذكر الغافلين عن ذكر الله .

رابعاً : دعوة إلى الوحدة والقوة لا سيما أنه يتمثل في تجمع المسلمين في وقت واحد تحت راية واحدة هي : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " والمحافظة على أن تكون هذه الراية خفاقة عالية على ربوع الديار الإسلامية ومحاولـة نشرها إلى غيرهم من الأمم .

٢ - الخشوع وأثره النفسي :

الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها وهو حالة نفسية تتجلى من خلاله عبقرية الصلة بين العبد وخالقه ، وإذا خشع المسلم لله خضع وانقادت جوارحه طاعة لله .
(١)

قال سفيان الثوري : سألت الأعمش عن الخشوع فقال : يا ثوري أنت تريد أن تكون إما ما للناس ولا تعرف الخشوع ؟ ليس الخشوع بأكل الخشن وتطأ طؤ الرأس . لكن الخشوع بأن ترى الشريف والذني في الحق سواء وتخضع لله في كل فرض افترض عليك . انتهى

وما أحسن ما قاله بعض المحققين في بيان ماهيته : ، إنه هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع .
(٢)

ولذلك مدح الله المؤمنين لأن أول صفة فيهم الخشوع في الصلاة فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾
(٣)

قال ابن عباس : مخبتون أذلاء خاضعون لله ، وقيل : خاشعون ، وقيل : متواضعون ، وقيل : الخشوع من أعمال القلب ، كالخوف والرغبة ، وقيل : هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر ، وقيل لا بد من الجمع بين أعمال القلب والجوارح وهو الأولى ، فالخاشع في صلاته لا بد وأن يتحصل له الخشوع في جميع الجوارح ، فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخشوع والتذلل للمعبود ، ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم ، وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنا مطرقا ناظرا إلى موضع سجوده ، وقيل :

-
- (١) أبو محمد الأعمش الأسدي بالولاء سليمان بن مهران ، تابعي من بلاد الري ولد وتوفي بالكوفة . روى أكثر من ألف حديث ، روى عن عبدالله بن أبي ، توفي سنة ١٤٨ هـ . له تراجم في ابن سعد ٣٤٢/٦ ، تاريخ بغداد ٣/٩ .
- (٢) تفسير فتح القدير للشوكاني (٧٩/١) طبعة مصطفى الباهي الحلبي .
- (٣) الآيات ١/٢ ، سورة المؤمنون .
- (٤) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي أبو العباس ، صحابي جليل ، لازم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه . توفي سنة ٦٨ هـ . له تراجم في طبقات ابن سعد ٣٣/٥/٤ ، الأعلام ٩٥/٤ .

الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ومن على شماله .^(١)

إن الخشوع وسيلة هامة لتنمية ملكة التفكير لأنه محور الإنسان في الحياة -
وبالتفكير يكون أسلوب التدبر وحل المشكلات في الحياة ، إنه أسلوب الحياة ،
وهذا مشاهد وبيّن فكل عابد لربه مقبل على طاعته أصفى فكرا وأجمع أمرا من غيره
حيث يعمل العقل والجسم معا في فهم الحياة والتعامل معها .

والقرآن يبين عظم قدر الصلاة على من خشعت قلوبهم واستسلمت نفوسهم ،
وانقادت جوارحهم لأمر الله تعالى فقال عز وجل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ، أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ^(٢) ﴾

استثنى الله الخاشعين مع كونهم باعتبار استعمال جوارحهم في الصلاة ،
وملازمتهم لوظائف الخشوع الذي هو روح الصلاة ، وإتعايبهم لأنفسهم إتعايبا
عظيما في الأسباب الموجبة للحضور والخضوع لأنهم لما يعملونه من تضاعف الأجر
وتوفر الجزاء والظفر بما وعده الله به من عظيم الثواب تسهل عليهم تلك المتاعب
ويتذلل لهم ما يركبونه من المصاعب ، بل يصير ذلك لهم لذة خالصة وراحة
عندهم محضة^(٣) .

هؤلاء الخاشعون من صفاتهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا
رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ^(٤) ﴾ .

-
- (١) تفسير الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٠ / ٥) ط . ثمانية
١٣٧٥ هـ / ١٩٥٢ م ط مصطفى الباهي .
(٢) الآية / ٤٣ - ٤٥ ، سورة البقرة .
(٣) تفسير فتح القدير للشوكاني (١ / ٧٥) .
(٤) الآية / ٩٠ ، سورة الأنبياء .

وأبضا قال فيهم مولا نسا :

* (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا
وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا (١) .

وكان من دعا النبي صلى الله عليه وسلم في سجوده : " اللهم لك سجدت ،
وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وأنت ربي ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه
وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين " .

وإذا ركع قال : " اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكلت ،
أنت ربي ، خشع سمعي وبصري ودمي ومخي وعظمي وعصبي لله رب العالمين ، ثم
يرفع رأسه من الركوع فيقول : " سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، ملئ السموات
وملئ الأرض وملئ ما شئت من شيء بعد " (٢) .

خشوع الجوارح :

أ - خشوع اللسان :

وهو أن ينطق بالحق ولا يقول إلا صدقا ، بعيدا عن الكذب والبهتان
يسبح الله ويهلل بحمد الله أثناء الصلاة ، وبعد فراغه منها ، حيث سيعتاد على الذكر
ويتقوم لسانه به * (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ،
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (٣) .

-
- (١) آية / ١٠٧ - ١٠٩ / ، سورة الإسراء .
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩ / ٢٣٢ رقم ٥٦ ، وفيه إسحق متروك .
(٣) آية / ١٠٧ - ١٠٩ / ، سورة الإسراء .

إن التهجد في الصلاة والدعاء فيها وطلب الرجا والعفو والصفح من الله من وسائل خشوع اللسان وإذا فلا ينطق إلا ذكرا * (ألا يَذْكُرُ اللّٰهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ) (١) *

قال تعالى * (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (٢) *

وإذا خشع القلب فلا يشغله إلا فكر في حكمة الله في خلقه، وإدراك الحق في كل قول وفعل ، والتربئة أول ما تعنى بالإنسان ، تهتم به وهو في حالة التواضع حتى تبعث فيه التعاليم الأخلاقية وتهذب به تهذيباً يسمو بنفسه ويرتقى بمشاعره .

ب - خشوع القلب :

" القلب هو النابض بحركة الحياة في جسم الإنسان ولذلك فهو ملك الجوارح والأعضاء . كلها تبع له ولخشوعه " (٣)

ولمكانة القلب من جسم الإنسان وجه القرآن الكريم القول إليه مباشرة . وليست وظيفته متوقفة على النبض وضخ الدم فحسب ، بل تتجاوز ذلك بمراحل وهي أنه يضبط الانفعال ويتأثر به وأنه مركز التحكم في كل صغيرة وكبيرة بالجسم ، أليس هو النابض بالدم . والدم هو نهر المياه التي تسير من خلاله .

إن القلب هو محطة استقبال الأحكام والتكاليف الإلهية ، فإذا قسى فالويل له، وإذا خشع واقشعر هو وصاحبه خوفاً من الله أنزل الله سكينة فيه . قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِمَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، اللَّهُ نَزَّلَ

(١) آية / ٢٨ / ، سورة الرعد .

(٢) آية / ١٥٢ / ، سورة البقرة .

(٣) الخشوع في الصلاة لابن رجب ص ١٢ ، توزيع المكتبة القيمة ، حدائق القبة ، القاهرة .

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مَتَشَابَهًا مَثَانِي تَقْتَضِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ
تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ (١) .

(٢) وفي الحديث المروي عن قتادة " أول ما يرفع من الناس الخشوع " (٣)

درجات الخشوع :

كلما اقترب العبد من خالقه ازداد منزلة وارتفع مكانة ، وإذا كان اللسان يشكر الله ، والعين تدمع لله ، والقلب يسجد لله ، فإن هذه الجوارح تشهد لصاحبها بصدق ما يقول وينظر ويتهجس .

جاء في كتاب حياة القلوب لمؤلفه عماد الدين الأموي :

" الخشوع على درجات "

الدرجة الأولى : التذلل للأمر ، والاستلزام للحكم ، والاتضاع لنظر الحق .

الدرجة الثانية : ترقب آفات النفس والعمل ، ورؤية فضل كل ذي فضل وتنسم نسيم الفناء .

الدرجة الثالثة : حفظ الحرمة عن المكاشفة ، وتصفية الوقت من مراعاة الخلق وتحديد رؤية الفضل .

(٤)

قال الغزالي : الخشوع قوة الإيمان ، ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ، ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعاً في الصلاة ، وفي غير الصلاة ، فإن

-
- (١) آية / ٢٢ / ٢٣ ، سورة الزمر .
(٢) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري الأوسي ، صحابي شهد بدرًا له حوالي سبعة أحاديث . توفي سنة ٢٣ هـ . له ترجمة في صفة الصفة ١ / ١٨٣ ، الأعلام ٥ / ١٨٩ .
(٣) أخرجه الطبراني ٧ / ٢٩٥ رقم الحديث (٧١٨٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ١٣٦) وفيه عمران بن داود القطان وضعفه ابن معين والنسائي ووثقه أحمد وابن حبان ، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصفهان ٢ / ٣٣٤ .
(٤) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام مسن المتصوفة ، غزير الانتاج ، له حوالي مئتي كتاب . توفي سنة ٥٠٥ هـ . له ترجمة في شذرات الذهب ٤ / ١٠ ، وفيات الأعيان ١ / ٤٦٣ ، الأعلام ٧ / ٢٣ .

موجب الخشوع معرفة اطلاق الله تعالى على العبد ، ومعرفة جلاله ، ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع .^(١)

ويذهب ابن تيمية إلى أن الخشوع يتضمن معنيين :

أحدهما : التواضع والذل .

الثاني : السكون والطمأنينة ، وذلك يستلزم لين القلب المنافي للقسوة فخشوع القلب يتضمن عبودية لله ، وطمأنينة أيضا ، ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا . وهذا هو التواضع والسكون^(٢) .

وبتواضع المسلم مع ربه سرعان ما تتحول هذه العادة عنده إلى سلوك في سائر حياته فتشمل جميع معاملاته مع الناس ، وهو حين يتواضع يكون لين الجانب سهل الشكيمة .

ويقسم الهروي مؤلف " منازل السائرين " الخشوع ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : التذلل للأمر .

الدرجة الثانية : الاستسلام للحكم .

الدرجة الثالثة : الاتضاع لنظر الحق^(٣) .

والاستسلام لا يعني أن يسلم نفسه لأحد غير خالقها وإنما الاستسلام للحكم القدري وهو عدم تلقيه بالسخط والكراهة والاعتراض . . ومن هنا يكون

(١) حياة القلوب لعماد الدين الأموي ٢٠ / ٣٠ بهامش قوت القلوب ، ط . دار صادر - بيروت .

(٢) الإيمان لابن تيمية ص ١٧ تحقيق ومراجعة هاشم محمد الشاذلي ط . دار الحديث . الأزهر - القاهرة .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ١ / ٥٦٠ .

الخشوع هو الاستسلام للحكمين وهو الانقياد بالمسكنة والذل لأمر الله وقضائه ^(١) .

والارتفاع لنظر الحق الذي بينه رب العباد لا الذي بينه الذين في قلوبهم زيغ ، وقيل : " إنه العبد بين يدي ربه عند لقائه ونستشف هذا المعنى من الآيات الآتية ^(٢) .

قوله تعالى : * (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ^(٣)) *

وقوله تعالى : * (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ^(٤)) *

" وهو مقام الرب على عبده بالاطلاع والقدرة والربوبية ^(٥) "

ولأن الخشوع والعقل روح الصلاة ومقصودها ولبها فكيف يعتد بصلاة فقدت روحها ولبها وبقيت صورتها وظاهرها ^(٦) .

وتتجلى فضيلة الخشوع في الصلاة في تلك الصورة التي عبر عنها حاتم الأصم رضي الله عنه عندما سئل عن صلاته فقال :

" إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء ، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه ، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي . ثم أقوم إلى صلاتي ، وأجعل الكعبة بين حاجبي ، والصراط تحت قدمي ، والجنة عن يميني ، والنار عن شمالي ، وملك الموت ورائي ، أظنها آخر صلاتي ، ثم أقدم بين الرجا والخوف ، وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعا بتواضع ، وأسجد سجودا بتخشع ، وأقعد على الورك الأيسر ، وأفرش ظهر قدمي ، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص . ثم لا أدري أقبلت مني أم لا ^(٧) ؟

(١) (٥١٢، ١) مدارج السالكين لابن القيم (١/٥٦٠) ط . دار الحديث بالأزهر .

(٢) آية /٤٦/ ، سورة الرحمن .

(٣) آية /٤٠/ ، سورة النازعات .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ١/٥٦٤ .

(٥) إحياء علوم الدين (١/١٥١) طبعة عيسى البابي الحلبي .

(١)

وهذا الذي وضعه حاتم الأصم - رضي الله عنه - وصف دقيق للهيئة لحظة الاستعداد للصلاة لحظة أدائها يكون استشفافا لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال داود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَاجَاتِهِ : إِلَهِي مَنْ يَسْكُنُ بَيْتِي وَمَنْ تَتَقَلُّ الصَّلَاةُ ، فَأَوْصِي اللهُ إِلَيَّ : يَا دَاوُدُ إِنَّمَا يَسْكُنُ بَيْتِي ، وَأَقْبِلُ الصَّلَاةَ مِنْهُ مَنْ تَوَاضَعُ لِعَظْمَتِي ، وَقَطَعَ نَهَارَهُ بِذِكْرِي ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ مِنْ أَجْلِ يَاطِمِ السَّمَاوَاتِ كَالشَّمْسِ إِنْ دَعَانِي لِتَبَيْتِهِ وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطِيْتَهُ ، أَجْعَلْ لِي فِي الْجَهْلِ حِلْمًا ، وَفِي الْغَفْلَةِ ذِكْرًا ، وَفِي الظُّلْمَةِ نُورًا ، وَإِنَّمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ كَالْفَرْدُوسِ فِي أَعْلَى الْجَنَاتِ الْحَدِيثُ .^(٢)

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر :

إن دور التربية ليس الإعداد للأجيال القادمة ومراعاة الأجيال الآتية فحسب، بل إن دور الصلاة التربوي يدخل فيه النهي عن الفحشاء والمنكر . قال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾^(٣) .

قال الرازي في تفسيره : الصلاة تنهى من وجوه :

الأول : أن من كان يخدم ملكا عظيم الشأن ، كثير الإحسان ويكون عنده بمنزلة ، ويرى عبدا من عباده قد يطرده طردا . لا يتصور قبوله وفاته الخير لا يرجى حصوله يستحيل من ذلك المقرب عرفا أن يترك خدمة الملك ، ويدخل في طاعة ذلك المطرود ، فكذلك العبد ، إذا صَلَّى اللهُ لَهُ صَارَ عَبْدًا لَهُ ، وحصل له منزلة

(١) حاتم بن عنوان أبو عبد الرحمن المعروف بالأصم من أهل بلخ ، زاهد ورع ، شهد بعض معارك الفتح ، توفي سنة ٢٣٧ هـ ، له ترجمة في تاريخ بغداد ٢٤٧/٨ .

(٢) إحياء علوم الدين (١٥١/١) طبعة عيسى الحلبي .

(٣) آية / ٤٥ / ، سورة العنكبوت .

(٤) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين القيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي ، إمام ومفسر . توفي سنة ٦٠٦ هـ . له تراجم في البداية والنهاية ٥٥/١٣ ، لسان الميزان ٤٢٦/٤ ، الأعلام ٣١٣/٦ .

المصلي يناجي ربه ، فيستحيل منه أن يترك عبادة الله ويدخل تحت طاعة الشيطان المطرود ، لكن مرتكب الفحشاء والمنكر تحت طاعة الشيطان . فالصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر .

الثاني : — هو أن من يباشر القاذورات كالزبال والكناس يكون له لباس نظيف اذا لبسه لا يباشر معه القاذورات وكلما كان ثوبه أرفع يكون امتناعه وهو لا يسه عن القاذورات أكثر فاذا لبس واحد منهم ثوب ديباج مذهب يستحيل منه مباشرة تلك الاشياء عرفا ، فكذلك العبد اذا صلى لبس لباس التقوى لانه واقف بين يدي الله واضع يمينه على شماله ، على هيئة من يقف بمرأى ملك ذي هيبة ، ولباس التقوى خير لباس من يكون نسبه الي القلب أعلي من نسبة الديباج المذهب الي الجسم ، فاذا لبس هذا اللباس يستحيل منه مباشرة قاذورات الفحشاء والمنكر ، ثم أن الصلوات المتكررة واحده بعد واحدة فيدوم هذا اللبس فيدوم الامتناع .

الثالث : — من يكون امير نفسه يجلس حيث يريد فاذا دخل في خدمة ملك وأعطاه منصبا له مقام خاص ولا يجلس صاحب ذلك المنصب الا في ذلك الموضع فلواراد ان يجلس في صف النعال لا يترك ، فكذلك العبد اذا صلى دخل في طاعة الله ولم يبق بحكم نفسه وصار له مقام معين ، اذا صار من اصحاب اليمين ، فلواراد ان يقف في غير موضعه وهو موقف اصحاب الشمال لا يستترك لكن مرتكب الفحشاء والمنكر من اصحاب الشمال وهذا الوجه إشارة الي عصمة الله يعني من صلى عصمه الله عن الفحشاء والمنكر .

الرابع : — وهو موافق لما وردت به الاخبار وهو ان من يكون بعيدا عن الملك كالسوقي والمنادي والمتعيش لا يبالي بما فعل من الافعال يأكل في دكان الهراس والرواس ويجلس مع احباش الناس ، فاذا صارت له قرية يسيرة من المملك كما اذا صار واحدا من الجندارية والقواد والسواس عند الملك لا تمنعه تلك القرية من تعاطي ما كان يفعله ، فاذا زادت قربته وارتفعت منزلته حتى صار أميرا

حينئذ تمنعه هذه المنزلة من الأكل في ذلك المكان والجلوس مع أولئك الخلان ،
كذلك العبد إذا صلى وسجد صار له قربة ما لقوله تعالى : ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾^(١)
فإذا كان ذلك القدر من القربة يمنعه من المعاصي والمناهي فبتكرار الصلاة والسجود
تزداد مكانته حتى يرى على نفسه آثار الكرامة مما يستقدر معه نفسه الصغائر فضلا
عن الكبائر .^(٢)

وكلام الرازي يشير الى حقيقة هامة وهي أنه كلما اقترب العبد من خالقه
كلما علت منزلته وارتفعت آدابه ، والمؤمن في حضوره مع الله يزداد شرفا ومنزلة .

يقول الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم :

" وقوله صلى الله عليه وسلم : " والصلاة نور " فمعناه أنها تمنع من
المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدى إلى الصواب كما أن النور يستضيء
به ، وقيل معناه : أن يكون أجرها نور لصاحبها يوم القيامة . وقيل : لأنها
سبب لإشراق أنوار المعارف ، وانسراح القلب ، ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب
فيها ، وإقباله على الله تعالى بظاهره وباطنه ، وقد قال الله تعالى :
﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾^(٣) وقيل : معناه أنها تكون نوراً ظاهراً على
وجهه يوم القيامة ويكون في الدنيا أيضاً على وجهه البهاً بخلاف من لم يصل . والله
أعلم .^(٤)

(١) آية / ١٩ / ، سورة العلق .

(٢) التفسير الكبير الفخر الرازي (٧٣ ، ٧٢ / ٢٥) ط . دار إحياء التراث

العربي ببيروت .

(٣) آية / ٤٥ / ، سورة البقرة .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، الحديث رقم (٢٣٠١) .

وتجد في قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (١) .

قال أبو جعفر : معنى بقوله جل ثناؤه ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ استعينوا على الوفاء بعهدي الذي ما هدتهموني في كتابكم من طاعتي واتباع أمري ، وترك ما تهووناه من الرياسة وحب الدنيا ، إلى ما تكرهونه من التسليم لأمرى ، واتباع رسولي محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر عليه والصلاة . . . فإن قال لنا قائل : ما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه والتعري عن الرياسة ، وترك الدنيا ؟

قيل : أن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله ، والداعية آياته إلى رفض الدنيا ، وهجر نعيمها السلية للنفوس عن زينتها وغرورها المذكرة الآخرة ، وما أعد فيها لأهلها ، ففي الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجد فيها كما روى : " أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة " (٢) (٣) .

(١) آية / ٤٥ / ، سورة البقرة .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود وأحمد وابن جرير (٢٦٠ / ١) عن حذيفة . الدر المنثور (٦٢ / ١) .

(٣) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير (٢٦٠ / ١) ط . دار الفكر .

((المحور الثالث))

تنوع الصلاة وتنوع منافع المسلم منها

بعد أن عرضت في المحور الأول الآراء الفقهية من أهمية الصلاة وعقوبتها
تاركها ودليل وجوبها ومكانتها وأقوال العلماء ، وفي المحور الثاني وضحت الآثار
التربوية للصلاة وتتلخص في أمرين :

أولاً : الأثر الحسي ويتمثل في النظافة وروح الجماعة وقيمة الالتزام بين أفراد
هذه الجماعة وأثر الإحساس بالمساواة . ثم دور الصلاة في التربية البدنية .

ثانياً : الجانب المعنوي : ويتمثل في أثر الأذان المعنوي على نفسية المسلم ،
ومدى تأثيره في الإقبال على الصلاة ، وقيمة ألفاظ هذا النداء الإسلامي ، ثم
بهنت دور الخشوع الذي يغمر المسلم وذكرت أنه خشوع باللسان والعينين
وخشوع القلب ولأهميته في التربية ذكرت أقوال العلماء في تعريفه ودرجاته
وأثره في الصلاة ، ثم ختمت هذا الجانب بالحديث عن أثر الصلاة في أنها
تنهى عن الفحشاء والمنكر .

أما المحور الثالث فيشتمل على النقاط الآتية :

- ١ - قيام الليل ودوره في التربية تربية المراقبة .
- ٢ - صلاة الجمعة وأثرها كنوع من أنواع صلاة الجماعة .
- ٣ - صلاة العمد ودور الإرشاد في توجيه المصلين ونشر الدعوة الإسلامية
وأثره التربوي .

قيام الليل ودوره في التربية "المراقبة" :

يهدى المنافقون أن المسلمين يصلون رياءً أو أمام الناس إلا أن الصلاة عندهم ليست مقصورة على فريضة معينة ، تؤدي في وقت معين ، ولكنها جنة المسلم ونعيمه وإشراقه وروحه وسلاحه والمفتاح السليم القويم الذي يفتح به كل باب مغلق فيها جلاءً هم ، وتفريج كرب ، وسعة أفق ، فللخوف مثلاً صلاة ، وللاستسقاء صلاة ، وللخوف صلاة ، وللإستسقاء صلاة ، وللحاجة صلاة ، وللأهتداء صلاة ، ولللقاء الله والشهادة في سبيله صلاة . والمسلم يألف ويأانس بهذه الصلاة ، ويرى فيها الأنيس والجليس والرفيق والصديق والمغيث .

حكى عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه إذا أشكلت عليه آية والتوى عليه علم عمد إلى بعض المساجد المهجورة فيقوم ليصلي ويعفر وجهه بالتراب ، ويقول في السجود : يا معلم إبراهيم طمئي . . . وكان شديد الإبهال العظيم التذلل لله تعالى يفتخر بأنه سائل مستجدٍ مريق في الشحاذة، ورثها أبا عن جد، وقد سمع في بعض مناجاته ودعواته يقول :

أنا المكدي وابن المكدي . . . وهكذا كان أبي وجدي^(١)

دهوة القرآن لقيام الليل :

لقيام الليل أثر تربوي هام جداً في تربية المراقبة والإحساس باطلاع الله على القلوب . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾^(٢) .

(١) مدارج السالكين (١ / ٢٩٦) طبعها المنار .

(٢) آية / ٧٩ / ، سورة الإسراء .

والحاصل : أن الخطاب في هذه الآية إذا كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله أقم الصلاة، فالأمر له أمر لأمرته ، فهو شرع عام ، ومن ذلك الترفيب " في صلاة الليل ، فإنه يعم جميع الأمة ، والتصريح بكونه نافلة يدل على عدم الوجوب ، فالتهدد من الليل مندوب إليه ومشروع لكل مكلف " (١) .

قال العلامة ابن القيم الجوزية :

لم يكن صلى الله عليه وسلم يدع قيام الليل حضرا ولا سفرا ، وكان إذا غلبه النوم أوجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة . (٢)

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ قِمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَّصَفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ، إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ، رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ . (٣)

قال ابن كثير : بأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزميل وهو التغطى في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٤) وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ممثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل ، وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ فَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٥) وما هنا بين مقدار ما يقوم به فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ قِمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦) قال ابن عباس والضحاك (٦) والسدي (٧) : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴾

(١) فتح القدير ٢٥١/٣ للشوكاني ، ط. ثانية ، مصطفى الباهي الحلبي

١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

(٢) زاد المعاد (١/٨٤) .

(٣) آية ١ / ٩ - ، سورة المزمل .

(٤) آية ١٦ / ، سورة السجدة .

(٥) آية ٧٩ / ، سورة الإسراء .

(٦) الضحاك بن مزاحم البلخي أبو القاسم . المحبر ص ١٠٥

(٧) السدي : إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ، توفي سنة ٢٨ هـ - النجوم

الزاهرة ص ٣٠٨١

يعنى يا أيها النائم ، وقال قتادة : المزمّل في شبابه ، وقال إبراهيم النخعي :
نزلت وهو مزمّل بقطيفة . وقال . . . إن قيام الليل هو أشد مواطاة بين القلب
واللسان وأجمع على التلاوة .^(٢)

لذا قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقبل له : قد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : " أفلا أكون عبدا شكورا .؟ " .^(٣)

وقال تعالى في شأن المتجهدين : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَامًا ﴾^(٤)

ينتصبون على أقدامهم ويفترشون وجوههم سجدا لربهم تجري دموعهم على
خدودهم خوفا من ربهم . لذلك قال الحسن : لأمر ما سهروا ليلهم ولأمر
ما خفوا نهارهم ، وكان الليل شعار القادة من المسلمين والدعاة والمصلحين ورجال
التربية والتعليم ، وكانوا يتخذونه لسلاحهم وكفاحهم وجهادهم قوة وطاقة متجددة
ضد خصوم الإسلام .

صلى تقي الدين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية صلاة الفجر ثم جلس يذكر
الله تعالى إلى قرب انتصاف النهار ثم التفت إلى تلميذه ابن القيم رحمهما الله
تعالى وقال : هذه غدوتي ولولم أتغد الغداة سقطت قوتي^(٥) . وهذا نموذج من

(١) إبراهيم النخعي : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي
من التابعين (٤٦ - ٩٦ هـ) طبقات ابن سعد ١٨٨/٦ ، حلية الأولياء
٢١٩/٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٣٦ ط دار البيان العربي .

(٣) أخرجه البخاري (٢/٦٣ ، ٦/١٦٩ ، ٨/٢٤) ط دار الشعب ، والترمذي
٤١٢ ، والنسائي ٣/٢١٦ ، وابن ماجه ١٤١٩/١٤٢٠ .

(٤) آية ٦٤ / سورة الفرقان .

(٥) الوابل الصيب لابن القيم ص ٧١٩ ، ٧٢٠ .

أئمة المسلمين وقادتهم وزعماء الإصلاح ورجال التعليم كلهم كانوا أصحاب عبادة وسهر ومناجاة . . . أصحاب صلة روحية، فلا تنشأ يقظة من غفلة، ولا نهضة من جمود وركود، ولا حياة من موت . قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ^(١) ﴾ .

إن أهل الصلاة على اختلاف بيئاتهم هم أقرب الناس إلى التربية الإسلامية الحقة ، هم أقرب الناس إلى الصدق وفعل الخير والتأدب بآداب القرآن، ومن واجب هذه الأمة الكريمة، خير أمة أخرجت للناس ألا ينقطع هذا الإرث العظيم، وهذا السبق الكبير ، وأن يستمر هذا النور وهذا المد الإسلامي المبارك، مهما كانت الأحوال والظروف، ومهما تغيرت وفزت المادة في عصر المادة النفوس والقلوب، وسيطرت على المشاعر والعواطف فإن التفريط في مكاسب ومعطيات الصلاة خسارة تربوية واجتماعية لا تعوض، ولا أمل في أي إصلاح أو صلاح مهما كان، إلا إذا أشعلت جذوة الإيمان في نفوس المسلمين وعادت إلى أمة الإسلام عن طريق دعوتها وتربيتها .

هذا السلف الصالح وهذه الصفة المختارة عرفت كيف تقف أمام ربها قبل أن تقف أمام أعدائها تتوجه إلى ربها بصدق وحق وتذلل عند الأزمات، والمشكلات والنكبات، والعلما، فتخرج بحول الله ظافرة منتصرة . وصدق الله العظيم إذ يقول :
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ^(٢) ﴾ .
^(٣)

(١) آية / ٦٢ / ، سورة الأحزاب .

(٢) قيام الليل محمد بن نصر المروزي ١٣٢٠ ، طبعة صبيح .

(٣) آية / ١ - ٢ / ، سورة المؤمنون .

صلاة الجمعة وأثرها التربوي :

الصلاة فريضة الإسلام المتجددة وهي الدائمة . والجماعة في صلاة الجمعة متحققة لقوله صلى الله عليه وسلم: «أضل الله عن الجمعة من كانوا قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد/ فجاه الله عز وجل بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الله الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، ونحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، والمقضي لهم قبل الخلائق» (١).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ» (٢) قال : لا شك أن الله شرع في كل ملة يوماً من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة ، فشرع الله تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة، لأنه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليفة، واجتمعت فيه النعمة على عباده . (٣)

والجمعة هي العيد الأسبوعي للمسلمين، حيث يجتمع عدد كبير من المسلمين في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويستمعون للخطبة، ويتعلمون منها ما يذكرهم بأمر دينهم ودنياهم، ويربط أولاهم بأخراهم، وهو مظهر وشعار إسلامي فريد في غاية الجمال والكمال والجلال قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (٤).

-
- (١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة والإيمان وأخرجه النسائي ٣/ ٨٧، وأخرجه ابن ماجه ١٠٨٣ .
(٢) آية / ١٢٤ / ، سورة النحل .
(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٣١ .
(٤) آية / ٩ / ، سورة الجمعة .

قال الشيخ الشهيد سيد قطب في تعليقه على هذه الآية : صلاة الجمعة هي الصلاة الجامعة ، التي لا تصح إلا جماعة ، وهي صلاة أسبوعية يتحتم أن يتجمع فيها المسلمون ويلتقوا ويستمعوا إلى خطبة تذكروهم بالله وهي عبادة تنظيمية على طريقة الإسلام في الإعداد للدنيا والآخرة في التنظيم الواحد وفي العبادة الواحدة ، وكلاهما عبادة . وهي ذات دلالة خاصة على طبيعة العقيدة الإسلامية^(١) .

ويذكر تعليقه العام على سورة الجمعة فيقول :

إنها تعالج أن تقر في أخلاق الجماعة المسلمة في المدينة أنها هي المختارة أخيرا لحمل أمانة العقيدة الإيمانية ، وأن هذا فضل من الله عليها ، وأن بعثة الرسول الأخير في الأميين — وهم العرب — مئة كبرى تستحق الالتفات والشكر ، وتتقضي كذلك تكاليف تنهض بها المجموعة التي استجابت للرسول ، واحتملت الأمانة ، وأنها موصولة على الزمان غير مقطوعة ولا منبثة ، فقد قدر الله تعالى أن تنمو هذه البذرة وتمتد . بعدما نكل بنو إسرائيل من حمل الأمانة وانقطعت صلتهم بأمانة السماء ، وأصبحوا يحملون التوراة كالحمير يحمل أسفارها ولا وظيفة له في إدارتها ولا مشاركة له في أمرها .

تلك هي الحقيقة الرئيسية التي تعالج السورة إقرارها في قلوب المسلمين ، من كان منهم في المدينة يومذاك على وجه الخصوص ، وهم الذين ناط الله بهم تحقيق الضهج الإسلامي في صورة واقعة . ومن يأتي بعدهم ، ممن أشارت إليهم السورة . وضممتهم السلسلة الممتدة على الزمان . وفي الوقت ذاته تعالج السورة بعض الحالات

(١) في ظلال القرآن ٣٥٦٩/٦ طبعة دار الشروق .

الواقعة في تلك الجماعة الأولى . في أثناء عملية البناء النفسي العسيرة المتطاولة الدقيقة وتخلصها من الجوانب المعوقة من الحرص والرغبة العاجلة في الربح ، وموروثات البيئة والعرف . وبخاصة حب المال وأسبابه الملهية عن الأمانة الكبرى . والاستعداد النفسي لها . وتشير إلى حادث معين . حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبهم في المسجد للجمعة، حين حضرت قافلة من قوافلهم التجارية ، فطأ أن أعلن نبأ قدومها حتى انفض المستمعون منصرفين إلى التجارة واللهو، الذي كانت القافلة تحاط به على عادة الجاهلية من ضرب بالدنفوف وحدا^(١)، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، فيما عدا اثني عشر من الراسخين، فيهم أبو بكر وعمر^(٢) بقوا يستمعون كما تذكر الروايات ، التي قد لا تكون دقيقة من حيث العدد ، ولكنها ثابتة من حيث وقوع هذه الحركة من عدد من الحاضرين، اقتضى التنبيه إليها في القرآن الكريم .

وهي حادثة تكشف بذاتها عن مدى الجهد الذي بذل في تربية تلك الجماعة الأولى، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه ، وحتى صارت ذلك النموذج الفريد في تاريخ الإسلام، وفي تاريخ البشرية جميعا ، وتلهمنا الصبر على مشقة بناء النفوس في أي جيل من الأجيال ، لتكوين الجماعة المسلمة التي تنهض بحمل أمانة هذه العقيدة وتحاول تحقيقها في عالم الواقع كما حققتها الجماعة الأولى أ.هـ^(٣)

وإذا التزم المسلم واحتشم وأغتنم الفرصة ولزم آداب الجمعة وفقها فإنسه

يحصل على مكاسب إيمانية وأخلاقية واجتماعية عالية :-

- (١) عبد الله بن عثمان أبو قحافة بن عامر . أول الخلفاء الراشدين ، توفي سنة ١٣ هـ . الطبري ج٣ / ٤٢٤ ، الإصابة ص ٤٨٠٨ .
- (٢) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين ، مات سنة ٢٣ هـ ، حلية الأولياء ٣٨ / ١ ، الطبري ٤ / ١٩٥ .
- (٣) في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٦٢) .

قال صلى الله عليه وسلم : من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من
طهر ، ثم أدهن أو مسح من طيب ، ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى
ما كتب له ، ثم إذا خرج الإمام أنصت ، ففر له ما بينه وبين الجمعة
الأخرى .^(١)

خصائص الجمعة ونوائدها التبريرية :

(٢) إن لصلاة الجمعة فوائد جمة لخصها الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي
في مؤلف سماه " اللمعة في خصائص الجمعة " وهي باختصار :

(١) أنه عيد هذه الأمة :
أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة^(٥) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في جمعة من الجمع : " معاشر المسلمين ، إن هذا يوم جعله الله لكم
عيدا فاغتسلوا ، وعليكم بالسواك " .^(٦)
فالعيد يكون مكافأة على ما قدم المرء طوال العام من سعي على الرزق وجهاد
في سبيل الحصول على طاعة الله عز وجل .

(٢) أنه يكره صومه منفردا :
لحديث الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : " لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده " .^(٧)

-
- (١) أخرجه البخاري ٣٩٢/٢ ، وسلم بشرح النووي ١٤٦/٦ ، والحاكم
٢٨٢/١ ، والبيهقي ٢٩٩/١ ، وابن حبان ٢٦٣/٢ .
(٢) جلال الدين السيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين
الخصيري السيوطي ، من الحفاظ ، توفي سنة ٩١١ هـ . ترجمته : شذرات
الذهب ٥١/٨ ، الكواكب السائرة ١١٦/١ .
(٣) مجموعة رسائل السيوطي ص (١٥٨/٨٥) ط . مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة .
(٤) الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي . من
المحدثين . توفي سنة ٣٦٠ هـ ، له تراجم : النجوم الزاهرة ٥٩/٤ .
(٥) أبو هريرة : عبدالرحمن بن صخر الدوسي الطقب بأبي هريرة ، صحابي ، توفي
سنة ٥٩ هـ . له تراجم في : حلية الأولياء ٣٧٦/١ ، الأعلام ٣٠٨/٣ .
(٦) انظر : ابن ماجة (١٠٩٨) والطبراني في الصغير ٦٩/١ .
(٧) أخرجه البخاري (٢٣٢/٤ فتح) وسلم (الصيام ١٤٧) وأبو داود (٤٢٠)
والترمذي ٧٤٣ ، وابن ماجة ١٧٢٣

واهتمام المسلم بهذا اليوم الكبير لذا لا يفرد بصيام منفردا .
وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه :
" لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تختصوا يوم الجمعة
بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم " (١) .

قال النووي : في هذه الأحاديث الدلالة الظاهرة لقول جمهور أصحاب
الشافعي وموافقهم أنه يكره إفراد يوم الجمعة بالصوم إلا أن يوافق عادة له ،
وأن وصله بيوم قبله أو بعده ، أو وافق عادة له بأن نذر أن يصوم يوم شفا ،
مريضه أبدا ، فوافق يوم الجمعة ، لم يكره لهذه الأحاديث .

... قال العلماء : والحكمة في النهي عنه أن يوم الجمعة يوم دعا وذكر
ومباداة من الغسل والتبكير إلى الصلاة ، وانتظارها واستماع الخطبة وإكثار
الذكر بعدها لقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وفير ذلك من العبادات في يومها فاستحب الفطر فيه فيكون أعون له
على هذه الوظائف وأدائها بنشاط وانشراح لها والتلذذ بها من غير ملل
ولا سامة ، وهو نظير الحاج يوم عرفة بعرفة ، فإن السنة له الفطر
لهذه الحكمة ، فإن قيل : لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم
قبله أو بعده لبقا المعنى ، فالجواب أنه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله
أو بعده ، ما يجبر ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة ،
بسبب صومه ، فهذا هو المعتمد في الحكمة في النهي من إفراد صوم الجمعة ،
وقيل سبب النهي لثلا يعتقد وجوبه ، وهذا ضعيف فتتقض بيوم الإثنين ، فإنه
يصومه ولا يلتفت إلى هذا الاحتمال البعيد ، وبيوم عرفة ويوم عاشوراء وغير
ذلك فالصواب ما قدمنا . والله أعلم . (٣)

(١) صحيح مسلم (كتاب الصيام ١٤٨) .

(٢) آية / ١٠ ، سورة الجمعة .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٩ / ٨) ط المطبعة المصرية .

(٣) ومن خصائصها الطبع على قلب من تركها :

أخرج مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين " (١).

(٤) مشروعية الكفارة لمن تركها :

أخرج أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن ماجه عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من ترك الجمعة من غير عذر، فليصدق بدينار ، فإن لم يجد فبنصف دينار " (٧).

وأخراج الصدقة للإحسان بالذنب والشعور بالتقصير هي من أساليب التربية التي حثَّ عليها الإسلام في التكفير عن الذنوب .

(٥) وجوب الإنصات :

روى الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة : أنصت، والإمام يخطب فقد لغوت " (٨).

قال النووي : " . . . ففي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه لأنه إذا قال : أنصت، وهو في الأصل أمر

(١) أخرجه مسلم ، باب ١٢ رقم (٤٠) ، وأحمد ١/٢٣٩ ، ٢٥٤ ، ٣٣٥ ، ٢٠٨٤ ، والحاكم ١/٢٩٢ ، البيهقي (٣/١٧١) ، وابن ماجه ٧٩٤ ، وابن حبان . ٥٥٠ موارد ، النسائي ٣/١٨٨ .

(٢) أبو داود سليمان الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني ، توفي سنة ٢٧٥ هـ ، تذكرة الحفاظ ص ٢ - ١٥٢ ، طبقات الحنابلة ص ١٨٨ ، تاريخ بغداد ٩ - ٥٥ ، الأعلام ٣/١٢٢ .

(٣) أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن صاحب السنن ، توفي سنة ٣٠٣ هـ ، له تراجم في البداية والنهاية ١١ / ١٢٣ ، شذرات الذهب ٢/٢٣٩ ، الأعلام ١/١٧١ .

(٤) الحاكم : محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري من حفاظ الحديث ، توفي سنة ٤٠٥ هـ ، له تراجم في لسان الميزان ٥/٢٣٢ ، تاريخ بغداد ص ٥ - ٤٧٣ .

(٥) ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله بن ماجه من أصحاب السنن توفي سنة ٢٧٣ هـ ، له تراجم في وفيات الأعيان ١/٢٨٢ .

(٦) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، صحابي من أشجع القادة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، له رسالة إلى أبنائه وولي شرطة زياد ابن أبيه توفي سنة ٦٠ هـ . الإصابة ٢/٧٨ ، المحبر ص ٢٩٥ .

(٧) المسند للإمام أحمد (٥/٨ - ١٤) ، وأبو داود (١٠٥٣) ، والنسائي (٣/٨٩) ، وابن ماجه (١١٢٨) ، وأبو نعيم في الحلية ٧/٢٦٩ .

(٨) أخرجه البخاري (٢/٤٠٩ فتح) ومسلم (الجمعة ١١ ، ١٢) ، وأبو داود ١١١٢ ، والترمذي . ٤٩٨

بمعروف وسماه لغوا فيسيره من الكلام أولى، وإنما طريقه إذا أراد نهي غيره من الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه فإن تعذر فهمه فلينبهه بكلام مختصر ولا يزيد على أقل ممكن . واختلف العلماء في الكلام هل هو حرام أو مكروه كراهة تنزيه، وهما قولان للشافعي . قال القاضي: قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وعامة العلماء، يجب الإنصات للخطبة . وحكى عن النخعي والشعبي وبعض السلف أنه لا يجب إلا إذا تلي فيها القرآن، قال : واختلفوا إذا لم يسمع الإمام هل يلزمه الإنصات كما لو سمعه، فقال الجمهور : يلزمه . قوله صلى الله عليه وسلم : " والإمام يخطب " دليل على أن وجوب الإنصات بخروج الإمام ^(١) .

(٦) استحباب الغسل لها :

روى الشيخان عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من جاء منكم الجمعة فليغتسل " ^(٢) .

الطهارة أمر واجب على كل مسلم يوم الجمعة، وهذه من التعاليم التربوية التي حث عليها الإسلام، وهي تعكس نظافة أهل الإسلام، ومدى حرصهم على مظهرهم، وليس الأمر في الجمعة مقتصرًا على ذلك، بل من السنة أن يمس المرء المسلم الطيب .

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن ، وأن يمس طيبًا إن وجد " ^(٤) .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٣٨، ١٣٩) ط. المطبعة المصرية ومكتبتها .

(٢) أخرجه البخاري (٢/٣٨٢ فتح) ومسلم الجمعة (٢)، والنسائي ٣/١٠٦، وأحمد ٢/١٢ .

(٣) راجع شرح النووي على هذا الحديث (٦/١٣٣) في وجوب غسل يوم الجمعة

(٤) أخرجه البخاري (٢/٣٦٤ فتح) ومسلم (الجمعة ٧) والنسائي ٣/٩٢ ، وأبو داود (٣٤٤) ، والبيهقي ٣/٢٤٢ ، وأحمد ٣/٣٠ .

والحديث يبين ضرورة التجميل عند الذهاب إلى المساجد وهي دعوة إلى المحافظة على النظافة طوال الأسبوع . وفي الحديث احترام المرء المسلم لجسده بالاهتمام بتنظيفه وتطهيره بالطيب .

وشواب الامثال لهذه الطاعات من العبادات هو مغفرة الله للعبد المسلم، الممثل لهذه التعاليم .

(١)

أخرج البخاري عن سلمان، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويبتدئ من مسن دهنه، ويمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينها وبين الجمعة الأخرى " . (٢)

قال ابن حجر العسقلاني : " ويؤخذ من اقتصاره على المس الأخذ بالتخفيف في ذلك .

قال الزين بن المنير : فيه تنبيه على الرفق، وعلى تيسير الأمر في التطيب، بأن يكون بأقل ما يمكن، حتى أنه يجزى منه من غير تناول قدر ينقصه تحريضا على امتثال الأمر فيه . (٣)

(٧) يوم الجمعة سيد الأيام :

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة " ، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة ، وفيه

(١) سلمان الفارسي صحابي ، يقال له سلمان الخير وسلمان الإسلام ، اختلف عليه

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠ / ٢ ، ٣٩٢ فتح) وأحمد (٤٣٨ / ٥ ، ٤٤٠) والبيهقي (٢٤٢ / ٣) وابن حبان (الإحسان ٢١٩٤ / ٤) ، وشرح السنة (٢٢٦ / ٤) .

(٣) فتح الباري ٣٦٤ / ٢ ط . دار المعرفة ببيروت ، وانظر: تعليق العيني في عمدة القارئ (١٦٥ / ٦) ، ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت .

أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة " (١)

ولما لهذا اليوم من قدر جليل لزم على المسلم أن يهتم به لا سيما من حيث المظهر والعبادة. وهو يوم مراجعة ومحاسبة لما جرى في أيام الأسبوع ، محاسبة للنفس، ووقفه مع الضمير، ومراقبة الله عز وجل، والله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢)

(٨) إنه المدخر لهذه الأمة :

روى الشيخان عن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول :
" نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم. فهذا يومهم الذي فرض عليهم ، فاختلفوا فيه . فهدانا الله له، فهم لنا تبع، فاليهود غدا، والنصارى بعد غد " (٣)

قال الحافظ السيوطي في شرح هذا الحديث : أي نحن الآخرون زماناء الأولين منزلة ، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة؛ بأنهم أول من يحشر ، وأول من يحاسب ، وأول من يقضى بهنهم ، وأول من يدخل الجنة . وفي حديث حذيفة رضي الله عنه، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة ، المقضي لهم قبل الخلائق ، " وقيل المراد به السبق إلى القبول والطاعة التي حرمها أهل الكتاب، فقالوا : " سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا " (٤)

(١) صحيح مسلم، الجمعة باب (٥) رقم ١٨٠١٧، وأبو داود ١٠٤٦، والترمذي

٠٤٩١ آية / ٦ ، سورة التحريم .

(٢) أخرجه البخاري (٢١١/١) و ٢١٦ في كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة

(٣) وأخرجه مسلم (٥٨٦/٢) كتاب الجمعة ، ٦- باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

(٤) حذيفة بن جبل بن جابر العبيسي أبو عبد الله صحابي ، كاتم سر النبي صلى

الله عليه وسلم ، توفي سنة ٣٦ هـ ، له تراجم . الإصابة ٣١٧/١ .

(٥) آية / ٩٣ ، سورة البقرة ، وآية / ٤٦ ، سورة النساء .

وقيل المراد بالسبق : إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة . والأول أقوى ^(١) .

وقال البغوي ^(٢) : يريد أن المفروض على اليهود والنصارى تعظيم يوم الجمعة، فاختلفوا ، فقالت اليهود : هو يوم السبت ، لأنه كان فيه الفراغ من خلق الخلق ، فنحن نستريح فيه من العمل ، ونشتغل بالشكر ، وقالت النصارى : هو يوم الأحد ، لأن الله سبحانه وتعالى بدأ فيه بخلق الخليقة، فهو أولى بالتعظيم، فهدى الله تعالى المسلمين إليه ، فهو سابق على السبت والأحد ^(٣) .

والمسلم إذا عرف هذا عن دينه فما عليه إلا التمسك به والامتنال لما فيه من آداب سامية وأخلاق فاضلة حتى يتحقق فيه قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٤) .

وهذه الخصائص الهامة ليوم الجمعة ما يستحب للمسلم أن يفعله من آداب في يوم الجمعة . وهذه الآداب تدفعه إلى العمل بها طوال أيام الأسبوع، لأن صلة المسلم بربه دائمة طالما أن به نفس يتنفس .

(١) شرح سنن النسائي (١ / ٨٥ ، ٨٦) : زهر الربي على المجتبي .

(٢) البغوي : حسين بن مسعود بن محمد الفراء أبو محمد فقيه ، مفسر محدث توفي سنة ٥١٠ هـ ، دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٢٧ ، الأعلام ٢ / ٢٥٩ .

(٣) شرح السنة (٤ / ٢٠٢) للبغوي .

(٤) آية / ١١٠ ، سورة آل عمران .

الخطبة وأثرها التربوي :

تعتبر خطبة الجمعة محورا هاما من محاور صلاة الجمعة ، بل وتجمع المسلمين في هذا اليوم وهذه الساعة . وعن أهمية صلاة الجمعة يقول الصحابي الجليل أبو أمامة^(١) : إذا كان يوم الجمعة قامت الملائكة بأبواب المسجد فيكتبون الناس على منازلهم، الأول فالأول، فإن تأخر رجل منهم عن منزلة دعت له الملائكة يقولون : اللهم إن كان مريضا فاشفه ، اللهم إن كانت له حاجة فاقض له حاجته، فلا يزال كذلك حتى إذا خرج الإمام طويت الصحف، ثم ختمت فمن جاء بعد نزول الإمام فقد أدرك الصلاة، ولم يدرك الجمعة^(٢) .

اتفق الفقهاء على أن صلاة الجمعة لا تصح بدون خطبة لقوله تعالى :
* فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ^(٣) * والذكر هو الخطبة، ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يصل الجمعة بدون الخطبة ، وقد قال : " صلوا كما رأيتموني أصلي " .^(٤)

فوائد الخطبة التربوية :

١ - إن الخطبة استعراض أسبوعي لما يدور في دنيا المسلمين في الحي وفي البلدة، وكذلك في المنطقة ككل، بل وفي سائر أنحاء الدولة التي نحيا فيها،

- (١) أبو أمامة : صدى بن عجلان بن وهب ، الباهلي أبو أمامة ، صحابي . الإصابة ص ٤٠٥٤ .
- (٢) اللعة في تحقيق الركعة لإدراك الجمعة للحافظ جلال الدين السيوطي ص ٥٢ ضمن مجموعة رسائل السيوطي ، مكتبة التراث الإسلامي .
- (٣) آية ٩ / ، سورة الجمعة .
- (٤) أخرجه البخاري ١ / ٣٥٣ ط . دار ابن كثير ، كتاب الكسوف . باب الصلاة في كسوف الشمس (٩٤٤) ، وأخرجه مسلم في كتاب الكسوف ، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف . الصلاة جامعة رقم ٩١١ .

كذلك سائر شعوب ودول العالم الإسلامي من أحداث ومواقف وذلك للتأمل فيه، ودراسته أسبابه، والبحث عن أسلوب تربوي جميل لعلاجه بما يتناسب وشرع الله وهدى الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

٢ — كذلك فإن الخطبة تذكير بنعم الله على عباده، وإيقاظ للغافلين منهم، وتدبير لآيات القرآن الكريم، وتذكير للمسلمين بالصلاة على المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم .

٣ — كذلك في الخطبة إيقاظ للمشاعر وبث روح الجهاد في سبيل الله، ليتم دحر أعداء الإسلام، وترتفع راية الحق خفاقة .

صلاة العيدين وأثرها التربوي :

مثلاً توجد مواسم للطاعات والعبادات توجد أيضاً مواسم للمكافآت والتبريكات، جعل الله هذه المواسم للتبريكات والتهاني لعباد الله على ما قدموا من عمل صالح . وفي العيدين اجتماع كبير، وجمع لشتات المسلمين، وإظهار لقوتهم ووحدتهم، وفي هذين العيدين اجتماع كبير، وتدارس أيضاً للمواقف، ففي الاجتماع ألفة ومحبة، وزيارة ومودة، يزور بعضنا بعضاً، نشعر فيها بتقارب وتواد، كما أنهما مواسم طاعة وقرب، امتن الله على المسلمين بهما .

الآداب التهذيبية لصلاة العيدين :

من الآداب التهذيبية لصلاة العيدين ما يندب فيه عدا التكبير ما يأتي :

١ — إحياء ليلة العيد بطاعة الله من ذكره عز وجل، وتلاوة القرآن وتكبير وتسبيح، واستغفار، وليلة العيد من الليلي المباركة التي يستجيب الله فيها الدعاء، ما لم ندعوا بشر .

- ٢ — ضرورة الاغتسال ومس الطيب لأن هذا الأمر يفعل يوم الجمعة وهذا يوم فرح المسلمين المؤمنين ويوم الجائزة .
- ٣ — التوسعة على الأهل والعيال وكثرة الصدقة النافلة كل بحسب ما أقدره الله تعالى عليه .
- ٤ — تقديم صدقة الفطر قبل الصلاة في عيد الفطر ، والذبح بعد الصلاة في عيد الأضحى .

أثر الصلاة في تخفيف أعباء ومصائب الدنيا :

قال تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (١)

قال أبو جعفر الطبري : يعني بقوله جل ثناؤه ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ استعينوا على الوفاء بعهدي الذي ما هدت تموني في كتابكم من طاعتي، واتباع أميري، وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا، إلى ما تكرهونه من التسليم لأمري واتباع رسولي محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر عليه والصلاة .

وقد قيل : أن معنى الصبر في هذا الموضع : الصوم ، والصوم ببعض معاني الصبر عندنا ، بل تأويل ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمرهم بالصبر على ما كرهته نفوسهم من طاعة الله ، وترك معاصيه ، وأصل الصبر : منع النفس محابها وكفها عن هواها ، ولذلك قيل للصابر على المصيبة : صابر لكفه نفسه عن الجزع " ثم يذكر سؤالاً يقول فيه :

(١) آية / ٤٥ ، سورة البقرة .

فإن قال لنا قائل : قد علمنا معنى الأمر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد والمحافظة على الطاعة . فما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله ، وترك معاصيه ، والتعري عن الرياسة ، وترك الدنيا ؟

قيل : أن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله ، والداعية آياته إلى رفض الدنيا ، وهجر نعيمها ، المسلية للنفوس من زينتها وغرورها ، المذكرة الآخرة ، وما أعد الله فيها لأهلها ، ففي الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجد فيها كما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ^(١) ^(٢) .

والآية تحت المؤمنين بالله رباً وبالإسلام ديناً وبرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعانة بالصبر والصلاة ، لأن الإحساس بأدائها فرض عليهم، فهم ملزمون أنفسهم بأدائها . والتفريط فيها تقصير كبير وخطير يخشون أن يقعوا فيه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ^(٣)

هذا هو تأثير الصلاة الفعلي الذي يحرك في الإنسان الإحساس بضرورة الانضباط والالتزام . وبصور الأستاذ عباس محمود العقاد التأثير التربوي للصلاة فيقول : " إن من طبيعة الإنسان أن يطلب الغوث عند الحاجة إليه ، وأن طلبه من غير الله عبث مع الإيمان بوجود الإله القادر على كل شيء ، فإذا اندفعت طبيعة الإنسان إلى طلب الغوث من الله . فمن أين له إذا قمع هذه الطبيعة ، إنسه

-
- (١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٢/١) ط . دار المعرفة ببيروت لأحمد وأبي داود .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٦٠/١) للطبري ، ط . دار الفكر
(٣) آية / ٤٥ ، سورة العنكبوت .
(٤) عباس محمود بن إبراهيم مصطفى العقاد ، ولد بأسوان وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٨٣ هـ ، أديب وكاتب مجيد ٢٦٦/٣ .

لا يخالف إرادة الله ، ومن أين له أن الاستجابة هي كل ما يرجو من الدعاء؟
من أين له أن الدعاء نفسه ليس هو سبيل الاتصال بالله من جانب الإنسان؟ ، لأنه
في ذاته عمل من أعمال النفس التي تدل على سجية من سجاياها ^(١) ، والصلاة
التي تربط الإنسان بخالقه فإذا هو كائن عجيب لا يشبهه شيء من خلق الله كله ،
كائن يقف بجسمه على الأرض وروحه تسبح في السماء ، كائن قادر في عجزه ،
وطاقته المحدودة الفانية أن يقوم بالمعجزة . . . أن يقبس من الروح أن تنفسح
روحه فتشمل الحياة أن ينفسح كيانه فيتذوق الخلد " حقيقة الوجود " ^(٢) .

تنمي الصلاة في المسلم الذوق الرفيع فترفع من مكارم أخلاقه وتُعَلِّي مَنْ
شأنه ، إنها رحلة روحية تتصل فيها الأرض بالسماء يتصل فيها العبد بخالقه
فينتقل من كثافة المادة إلى شفافية الروح .

إذن الصلاة تربي في المسلم قيما نبيلة ، وتعاليم سامية تجعل منه
إنسانا نموذجا وصورة فريدة في نوعها ومثالية في أفعالها وأقوالها .

(١) المجموعة الكاملة لأعمال العقاد (٥٥٢/٦) ط . دار الكتاب اللبناني ببيروت

(٢) منهج التربية الإسلامية (٧٦/١) ط . دار الشروق للأستاذ محمد قطب .

((المبحث الثاني))

دور الزكاة في التربيــــــــــــــــة

تعريف الزكاة في اللغة :

" أصل الزكاة في اللغة : الطهارة والنماء والبركة والمدح وكل هــذا
استعمل في القرآن والحديث " (١)

" . . . يقال زكى ماله تركية أدى عنه زكاته ، وزكى نفسه أيضا مدحها ،
وقوله تعالى ﴿ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ قالوا تطهرهم بها ، وَزَكَّاهُ ، أيضا أخذ زكاته
وتزكى تصدق ، وزكا الزرع يزكو زكا بالفتح والمد أي نما ، فلام زكى أي زاك ، وقد
زكا من باب سما " (٢)

وقال الراغب : أصل النمو الحاصل من بركة الله تعالى . (٣)

وقال ابن الأثير في النهاية : وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء
والبركة والمدح ، فالزكاة طهرة للأموال ، وزكاة الفطر طهرة للأبدان (٤) . قال
عزم قائل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٥) أي طهر نفسه ونقاها من الذنوب والمعاصي (٦) .

وتستعمل الزكاة في المدح قال جل ذكره : ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (٧) أي لا

تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب والاعتزاز ، وتستعمل الزكاة بمعنى الصلاح

-
- (١) لسان العرب لابن منظور مادة زكا ص ١٨٤٩ ط . دار المعارف .
(٢) الراغب : الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني من العلماء
الحكماء ، توفي سنة ٥٠٢ هـ - كشف الظنون ٣٦/١ .
(٣) مختار الصحاح للرازي ص ٢٧٣ .
(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٢١٣ .
(٥) آية ٩ / ، سورة الشمس .
(٦) النهاية في غريب الحديث ٣٠٧/١ .
(٧) آية ٣٢ / ، سورة النجم .

قال تعالى: ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمَةً ﴾ (١) أي صلاحاً ونقياً .

وقال أبو منصور الأزهري في التهذيب : قال الليث :

الزكاة : زكاة المال وهو تطهيره ، والفعل منه زكى يزكي تزكية ، والزكاة : الصلاح ، يقال : رجل تقي زكي ورجال أتقيا " أركيا " والزرع يزكو زكاً ، ممدود وكل شيء يزاد ويسمن فهو يزكو زكاً . وتقول : هذا الأمر لا يزكو بفـلان أي لا يليق به . . . قال ابن الأنباري قوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ﴾ (٢) معناه : وفعلنا ذلك رحمة لأبويه وتزكية له . قال الأزهري : أقام الاسم مقام المصدر الحقيقي .

وقال جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (٣) قال بعضهم . الذين هم للزكاة أي : للعمل الصالح فاعلون ، ومنه قوله عز وجل ﴿ خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً ﴾ (١) قال الفراء : زكاة إصلاحاً . وكذلك قوله ﴿ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ﴾ (٢) قال : صلاحاً . . . وابن اليزيدي قال عن أبي زيد النحوي في قوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (٦) قرأ الجمهور " ما زكى " بالتخفيف وقرأ الأعشي وابن محيصن وأبو جعفر بالتشديد أي ما طهره الله ، وقال مقاتل ماصح ، قال الشوكاني : والأولى تفسير " زكى " بالتطهير والتطهير وهو السذي ذكره ابن قتيبة .

(١) آية / ٨١ / سورة الكهف .

(٢) آية / ١٣ / سورة مريم .

(٣) آية / ٤ / سورة المؤمنون .

(٤) إبراهيم بن يحيى بن المبارك أبو إسحاق اليزيدي العدوي ، أديب وشاعر

توفي سنة ٢٢٥ هـ — أنباء الرواة ١ / ١٨٩ ، الأعلام ١ / ٧٩ .

(٥) أبو زيد النحوي : سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري إمام في الأدب واللغة

في عصره توفي سنة ٢١٥ هـ تاريخ الرواة ٢ / ٣٠-٣٥ سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٩٤ .

(٦) آية ٢١ ، سورة

(٧) انظر فتح القدير للشوكاني ج ٢ / ٤١٤ م . توزيع مكتب المعارف بالرياض .

والبحر المحيط لابي حيان ٦ / ٤٣٩ وما بعدها ، تهذيب اللغة ١٠ / ٣١٩ .

ومن هذا التعريف اللغوي يدرك المسلم أن زكاته تطهر ماله من المال الحرام وتظنهر نفسه من الشح والبخل وترقق قلبه فيعطف على الفقراء والمحتاجين وتنمي ماله فيحدث فيه البركة والزيادة وكل ذلك بفضل الله عز وجل .

تعريف الزكاة في الشرع :

(١)
قال الجرجاني : " في الشرع عبارة عن إيجاد طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص " (٢)

(٣)
وقال صاحب الحاوي — الطوردي — وآخرون : هو اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة . (٤)
والمال المخصوص هو الذي بلغ النصاب الذي يوجب على صاحبه أن يدفع زكاته . أما الطائفة المخصوصة فهي التي قال الله عز وجل عنها : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥)

قال الطوردي وغيره : هو تمام الحول في العاشية والأثمان وعروض التجارة، وعند اشتداد الحب، وعند بدو صلاح الثمرة، وعند حصول ما تجب فيه من العسل، واستخراج ما تجب فيه من المعادن، وعند غروب الشمس لوجوب زكاة الفطر. والمال اسم لجميع ما يملكه الإنسان . وحكي عن " ثعلب " أقل المال تجب فيه الزكاة، والطائفة المخصوصة هم الأصناف الثمانية - ومناسبة الشرعي للغوي من جهة نمو الجزء المخصوص عن الله تعالى (٧)

- (١) الجرجاني : علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، من كبار علماء العربية ، توفي سنة ٨١٦ ، له تراجم في دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٣/٦ ، والضوء اللامع ٣٢٨/٥ .
- (٢) التعريفات للجرجاني ص ١٥٢ ط عالم الكتب - لبنان .
- (٣) الطوردي : علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الطوردي ، توفي سنة ٤٥٠ هـ ، له تراجم في الشذرات ٢٨٥/٣ ، الأعلام ٣٢٧/٤ .
- (٤) المجموع للنووي (٣٢٥/٥) ط . دار الفكر .
- (٥) آية / ٦٠ ، سورة التوبة .
- (٦) ثعلب : أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء أبو العباس المعروف بثعلب . كان حجة في النحو، ومحدثا مشهورا . توفي سنة ٢٩١ هـ ، تاريخ بغداد ٢٠٤/٥ .
- (٧) شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل ج ١ ص ٣٢٢

ركائز البحث الفقهي في عبادة الزكاة :

إن ركائز البحث في المجال الفقهي لهذه العبادة تتلخص في :

- ١ — معرفة من تجب عليهم .
- ٢ — معرفة ما تجب فيه من الأموال .
- ٣ — معرفة كم تجب ومن كم تجب .
- ٤ — معرفة متى تجب ومتى لا تجب .
- ٥ — معرفة لمن تجب وكم يجب له (١) .

ولما كانت جميع الفرائض والشرائع الإسلامية فضلا عن منزلتها الأخروية تعالج الضعف البشري وتدعو إلى التسامي الخلقي، وتهذيب المسلم، وترقق طبعه، وتصدر عاطفته، وتوجه مساره، وترسم له الطريق السليم والنهج القويم، وإن التربية بالعبادة لظاهرة تماما في جميع شرائع الإسلام ومثله وخاصة الصلاة والزكاة والصوم والحج .

أما الشهادتان فإن التربية فيهما بيّنة فتعظيم الخالق وإفراده بالعبادة توجه القلب والقالب إلى معبود واحد، مخلصين له الدين وبهما انطلاق من رق الشرك والوثنية والتصرف في أحوال الأوهام والخرافات والمعبودات، والمشاهد التي ما أنزل الله بها من سلطان .

والزكاة بحدودها وقيودها تحرر من عبودية المال والشهوات والأهواء والمطامع، وتطهر، وتنظف منابع الإثم، ومسالك الشيطان .

ولأهمية الزكاة وعظم فائدتها تعرض القرآن الكريم لذكرها أكثر من خمسين

مرة ، وكثيرا ما يأتي بها مقرونا بالصلاة :

(١) بداية المجتهد ١/ ٢٤٤ . لابن رشد القرطبي ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ .

ولأهمية هذا الركن من العبادات أمر الله تعالى به أهل الشرائع السابقة .
جاء في وصية الله تعالى لعيسى عليه السلام * . . . وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (١)

وقال عن إسماعيل : " وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ
مَرْضِيًّا . * (٢)

وأخذ الله تعالى العهد والميثاق على بني إسرائيل بإقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة . قال تعالى : * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ * (٣)

والزكاة برهان ودليل على صدق إيمان المزكي . قال تعالى :
* لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثَدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * (٤)

(١) الآية / ٣١ / ، سورة مريم .

(٢) الآية / ٥٥ / ، سورة مريم .

(٣) الآية / ٨٣ / ، سورة البقرة .

(٤) الآية / ١٧٧ / ، سورة البقرة .

وهي سبب لدخول الجنة والأمان من عقاب الآخرة قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

وهي من علامات فلاح ونجاح المؤمن وتوفيقه وتأيمده في دنياه وأخراه . قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى حكاية عن المزكين الذين لم يسيطر عليهم حب المال ولم تتملكهم صفة البخل الذميمة : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٣)

كما توعد الحق جل ذكره مانعي الزكاة بالعذاب الأليم وسوء العاقبة والمصير الخاسر . قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٤)

أما الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد اهتم بالزكاة وأكدها ووضحها قولاً وفعلاً ، وقد مر أنها من أركان الإسلام الخمسة ، وحسب منطوق حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجاء في وصيته لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - " إنك تقدم على قوم أهمل كتاب فليكن أول ما تدعوهم عبادة الله فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم

(١) آية / ٢٧٧ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ١ - ٤ / ، سورة المؤمنون .

(٣) آية / ٢٤ ، ٢٥ / ، سورة المعارج .

(٤) آية / ١٨٠ / ، سورة آل عمران .

زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس^(١) الحديث .

وفي رواية البخاري أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم .
وهي مبيّنة للمراد من الصدقة المفروضة ، وقد أفاد الحديث وغيره وجوب الزكاة وأهميتها وفرضيتها، وأنها ركن هام من أركان الإسلام ، وإنما خص الفقراء بالذكر في حديث ابن عباس من بقية الأصناف الثمانية لمقابلة الفقراء بالأغنياء ، ولأن الفقراء هم الأغلب ومشكلتهم أكبر وأوضح وحقهم في الزكاة أكد^(٢) .

وقد أجمع المسلمون سلفاً وخلفاً على وجوبها، وأنها أحد أركان الإسلام الخمسة، واتفق الصحابة الكرام في عهد أبي بكر الصديق على قتال مانعيها^(٣) .

حكم مانع الزكاة :

الزكاة فريضة على الأغنياء، وهي حق واجب للفقراء في أموالهم؛ لأن الأموال إنما هي لله قال الله تعالى مخاطباً الأغنياء أن يساعدوا المكاتبين من عبدهم ليمتدحروا : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾^(٤) .

(١) أخرجه البخاري ٢/١٣٠ ، ٢/١٤٠ ، ٩/١٤٠ ، وسلم بشرح النووي

١٩٠/١ .

(٢) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٩/٤) وشرح أصول الأحكام

لابن قاسم ٥/٢ .

(٣) انظر : المغني لابن قدامة ١/٤٣٤ ، الإفصاح لابن هبيرة ١/١٤٠ ،

المجموع شرح المهبذب ٥/٢٣١

(٤) آية ٢٣/٣٣ ، سورة النور .

وهم مستخلفون ومختبرون في هذا المال * (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)^(١) . لذا فمن أنكر وجوبها جهلاً ، وكان فعلاً يجهل ذلك لحدائثة عهده بالدين أو لنشوءه في بادية ونحوه عرف حكمتها ، ولا يحكم بكفره لجهله ذلك الحكم . أما إن نشأ في ديار الإسلام فهو مرتد تجري عليه أحكام المرتدين بأن يستتاب ثلاثاً فإن تاب وأناب وإلا قتل ، لما ورد في الكتاب والسنة ، وأجمعت عليه الأمة ، لأنه بذلك مكذب لله ولرسوله ، أما إن منعها بخلا مع اعترافه بوجوبها لم يحكم بكفره ، وتؤخذ منه قهراً ، ويعزر لحديث " في كل إبل سائمة ، في كل أربعين أبنة لبون ، لا تفرق إبل من حسابها من أعطاه مؤجراً فله أجرها ، ومن منعها فأنا آخذها وشطر إبله عزمة من عزمات ربنا تبارك وتعالى ، لا يحل لآل محمد منها شيء " . رواه أحمد والنسائي وأبو داود وقال : وشطر ماله ، قال في المنتقى وهو حجة في أخذها من الممتنع ووقعها^(٢) . موقعها .

وإذا كان مانع الزكاة خارجاً عن طاعة الإمام قاتله لفعل أبي بكر وإقرار الصحابة له في ذلك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا فقد عصموا مني دماً ومالاً إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله " . متفق عليه .^(٣)

وقد ورد الوعيد الشديد والأكيد لمانع الزكاة . . قال تعالى : * (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٤) .

-
- (١) آية / ٧ / ، سورة الحديد .
 (٢) انظر : المهدب (١ / ١٤٠) والمعنى مع الشرح ٢ / ٤٣٥ ، وانظر : نيسل الأوطار ٤ / ١٣٨ .
 (٣) أخرجه البخاري ١ / ١١ ، ومسلم ١ / ٥١ (١) كتاب الإيمان باب (٨) ح رقم (٢٠) .
 (٤) آية / ١٨٠ / ، سورة آل عمران .

قال الرازي في تفسيره الكبير :

المسألة الثالثة : اعلم أن الآية دالة على ذم البخل بشي^١ من الخيرات

والمنافع ، وذلك الخير يحتمل أن يكون مالا ، وأن يكون علما .

القول الأول : أن هذا الوعيد ورد على البخل بالمال ، والمعنى :

لا يتوهم هؤلاء البخلاء أن بخلهم هو خير لهم ، بل هو شر لهم ، وذلك لأنه يبقى عقاب بخلهم عليهم ، وهو المراد من قول الله : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ مع أنه لا تبقى هذه الأموال لهم ، وهذا هو المراد بقوله ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

والقول الثاني : أن المراد من هذا البخل بالعلم ، وذلك لأن اليهود

كانوا يكتمنون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ، فكان ذلك الكتمان بخلا . . . ثم قال : واعلم أن القول الأول أولى وساق الأدلة عليه .^(١)

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : " من آتاه الله مالا لم يؤد

زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان ، يطرقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .^(٢)

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ . . . ﴾ الآية .^(٣)

والكنز كل مال لم تؤد زكاته .^(٤)

(١) التفسير الكبير للرازي (١١٣/٩) .

(٢) صحيح البخاري (١٣٢) ، ٤٩/٦ ط . الشعب ، والنسائي ٣٩/٥ .

(٣) آية / ٣٤ ، سورة التوبة .

(٤) انظر : الطبري ٢١٧/٢ ، ٢٢٣ .

وخص جل ذكره الجباه والجنوب والظهر بالكَيِّ لأن الغني البخيل
إذا رأى الفقير عبس وجهه، وزوى حاجبي عينيه، وأعرض بجنبه، فإذا قرب منه ولى بظهره
فَعَوَّبَ بِكَيِّ هذه الأعضاء؛ ليكون الجزاء من جنس العمل^(١) .

ومن هنا يعم الوعيد الأكيد لمانع الزكاة وعذاب صاحب المال غير العزكسي
في الآخرة، وأن ذلك لكبيرة من كبائر الذنوب تجب التوبة والإقلاع عنها .

(١) الكبائر للذهبي ص ٣٤ .

حكمة مشروعية الزكاة :

كانت الصلاة بمثابة رباط متين وصلة قوية وثابتة بين الخالق والمخلوق وترويض للنفس وأخذها على الطاعة والانتظام والاهتمام والدقة في المواعيد وضبط الوقت وتدريب النفس والقلب على الخشوع والخضوع من غير إذلال ولا إهانة، وإنما هو تعلق سماوي وإشراق روحي وتألف نفسي وإن قرينتها الزكاة يدفعها الفسني لأخيه الفقير ليحيى بها نفوسا، ويشبع بها بطونا جائعة ، ويجبر بها قلوبا كسيرة ونفوسا أسيرة .

ومنهج القرآن الكريم في بناء وتربية المجتمع منهج فريد وسديد، فهو لا يترك المال دولة بين الأثنياء . فقد وزع الثروة بالميراث، وقرب الفرق بين الغني والفقير بالزكاة والصدقات والهبات والعطايا .

وفريضة الزكاة ليست لحل مشكلة الفقر، ولكنها بنيان ومنهاج تربوي كامل شامل وعلاج ناجع وأصيل إزاء الضعف النفسي وغلبة حب المال والأثرة والأنانية وحب الذات وقد قفى بالزكاة على العداوة والحسد والإحساس بالذل والهوان والحرمان، فالعال بطبيعة الحال زينة محببة للنفس، ويؤدي جمعه بطرق غير مشروعة إلى التعرض للشبهات والذل وبعض المخالفات وإهدار الكرامات . . . كما يؤدي الحرص عليه إلى الأثرة والأنانية وعبادة المجتمع وسخطه ، والقرآن لا يقضي على هذه الصفات وتلك الطباع بتشريع الزكاة فقط ، ولكنه يتخذ مع ذلك خطوات تربوية هامة، حتى ينتهي بالنفس البشرية إلى البذل والأريحية حبا وتطهرا، فالله خالق الكون ومدبره والمال ماله والخلق عبده، والمال عندهم وديعة . . . ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١) .

(١) آية / ٧ / ، سورة الحديد .

قال ابن كثير : حث سبحانه وتعالى على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أي ما هو معكم على سبيل العارية فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه ، وقوله تعالى : ﴿ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ إشارة إلى أنه سيكون مخلفا عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصي الله فيه فتكون قد سعيته في معاونته على الإثم والعدوان^(١) . إن المال له أيضا وظيفة اجتماعية وابتلاء واختبار لصاحبه وهذا هو الإيمان الصحيح يختبر الإنسان بماله أغلى شيء لديه أنفس شيء في نظره هذا المال الذي سعى حثيثا في تحصيله يسعى بإيمانه حثيثا في توصيله للفقير والمحتاج .

إنها تربية إسلامية ما جادة وإرادة قوية متحررة واعية، كما أنها تربية على الصلة بالله والتعامل المباشر المتواصل معه وتقوية للنفس مع حبها للمال . وفي هذه الصفات وتلك اللمسات دليل على التسامي والتكامل والسماحة والسخاء والبذل والعطاء، وانتصار على النفس الأمارة بالسوء وقهر لضعفها وثقلها وأنانيتها وتححرر من عبودية المال، وانعتاق من رقة الشهوة وإحساس تام برضى الله وعفوه وغفرانه وشعور تام بالقيام بواجب محبوب ومرغوب ومساهمة كبيرة في تقديم الخير للغير وفي تطور المجتمع ولقد اعتبر القرآن ذلك تطهيرا وتزكية . قال تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(٢) .

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٠٦ ، ط. دار البيان العربي بالقاهرة .

(٢) آية / ١٠٣ ، سورة التوبة .

وقد روعي في هذا التنظيم الدقيق للزكاة أن تَمَّتْ معظمها إلى الإنسانية بصفة عامة فالإسلام دين إنساني شامل كامل . وقد تولى الله تعالى قسطها بنفسه وحصرها في أصحابها بأداة الحصر . فقال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ^(١) ﴾ .

وشعيرة الزكاة بمثابة رابطة متينة بين الإنسان وربه وبينه وبين أخيه الإنسان ، وهي توحى بالشكر والذكر لهذا الغني على ما أعطي من نعم حتى يعطي زكاة ماله ، وإلى أنه عضو فاعل في مجتمع أراد الله أن يكون متعاوننا متلاحما متساعدا كالجسد الواحد .

والإسلام بهذا وغيره من تشريعاته السديدة الفريدة يدعو إلى الوحدة والقيام من الوحدة، ويعتبر المسلمين جميعا وحدة واحدة، وبناء واحدًا متكافأ دماؤهم، ويقوم بذمتهم أديانهم .

وهم يد واحدة متينة وشديدة على من سواها . قال تعالى ﴿ إِنَّا هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ^(٢) ﴾ .

والإسلام فرض زكاة معينة يبذلها الغني طائعا مختارا، ويستفيد منها المجتمع والدولة كلها، حتى لا يعيش مسلم معدما مخروما، ولا يهتق غني جشعا غالبا مستغذلا للعباد .

(١) آية / ٦ / ، سورة التوبة .

(٢) آية / ٩٢ / ، سورة الأنبياء .

وهذا هو الضمان الاجتماعي الصحيح وهذه هي التربية القرآنية الحقة

ذات الجذور والبذور الزكية . ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (١) ،
وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٢) .

والزكاة بالنسبة للمجتمع ليس موردا ههنا أو ضئيلا، إنها العشر أو نصفه من الحاصلات الزراعية من الحبوب والثمار والفاكه والخضروات على خلاف في ذلك والزكاة في النقود ، ربع العشر ٢٥ ٪ من نقود أو عروض تجارة . فأى مسلم ملك نصابا شرعيا إذا كان خاليا من الدين وفاضلا عن حوائجه الأصلية وجبت فيه الزكاة كما قرر قريب من هذا بالنسبة للثروة الحيوانية التي تعد للدر والنسل كالإبل والبقر والغنم إذا بلغت نصابا وأن ترمى معظم السنة من كلاً مباح . كما أوجب الشرع الزكاة في الكنوز التي يعثر عليها وتسمى " الركاظ " وفيه الخمس قليلا كان أم كثيرا . وهذه زكاة الأموال . وهناك زكاة أخرى فيها مساواة وجبر وإغناء . وإن كان مؤقتا، وهي زكاة الفطر تضاف في خيرها وبرها ونفعها إلى الزكاة بوجه عام، شرعها الله طهرة للصائم من اللغو والرفث، وبمناسبة كمال الشهر وإقبال العيد، ولها حكمتان والله أعلم .

الأولى : جبر ما عسى أن يكون شاب فريضة الصيام من لغو ورفث وعوامل الضعف البشري الأخرى .

الثانية : إكرام الفقير ومواساته وإغناؤه في يوم أراد الله أن يكون كريما، وهو يوم العيد وإشراكهم في مسرة المسلمين وفرحهم .

(١) آية / ١٠٣ / ، سورة التوبة .

(٢) الآيات / ٢٤ ، ٢٥ / ، سورة المعارج .

خصائص زكاة الفطر:

هذه الشعيرة لها خصائص تميزها . منها :

- ١ - أنها فريضة على الأفراد والأشخاص لا على الأموال التي يمتلكونها .
 - ٢ - أنها ليست فريضة على الأغنياء وخدم كزكاة المال. بل فرضت على كل مسلم حرا أو عبدا ذكرا أو أنثى غنيا أو فقيرا ما دام يملك مقدارا فاضلا عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته .
- وهدف الإسلام ومقصده بين وهو تدريبه وتعويده على البذل والعطاء والسخاء ولين الجانب ، ولتكون يده هي العليا دائما، حتى ولو كان محتاجا أحيانا، وذلك ظاهر في صدقة الفطر، وهي ليست واجبة على المسلم وحده ، بل واجبة عليه وعلى ولده، وكل من يعوله، وقد قلل الإسلام مقدارها، وجعل فيها خيارا تعطى من أصناف عدة من البر والشعير والتمر والأقط وغالب قوت البلد كالأرز مثلا .

وقد ناقش العلماء رحمهم الله تفصيلات الزكاة وجزئياتها في كتبهم المتخصصة ابتداءً بوجودها . ومن تجب عليه . والأموال التي تجب فيها، ومقادير الواجب في كل منها، وتحصيل الزكاة وإخراجها، ومن المستول عنها ومصارفها وأصحابها وأهدافها ومقاصدها، وآثارها كما قارنوا بين الزكاة والضريبة وبين النظم الأرضية الأخرى .

مكانة الزكاة في الإسلام :

الإسلام دين الله الخالد ونهجه القويم وصراطه المستقيم، ومن ثم فقد اهتم بمشكلة الفقر وعالج موضوعا من أهم الموضوعات الاجتماعية علاجا حاسما ودقيقا وثابتا، لا فلاجا سطحيا مؤقتا . وبلغ من أهمية ذلك أن كانت الزكاة الثالثة الأركان، لأنها تطهر المسلم بصفة البذل والتضحية والإيثار وتزيل الأنانية والأثرة وحسب

الذات وضيق الصدر وعبودية المال ورق الشهوة وضعف النفس .

والإسلام فرضها، حيث أنها تروض المسلم وتطبعه بطابع اللين والكرم وتربي في نفسه حب إخوانه وحب الخير لهم . أنها تربية قرآنية عالية المستوى جيدة المحتوى نظيفة الأهداف شريفة المقاصد إن نظرة المسلم إلى إخوانه بمنظار الشفقة والرحمة والعاطفة والأخوة لهو مما حرص الإسلام عليه ، وحرص على غرسه في نفوس أبنائه لينشئوا متحابين متعاطفين متراحمين .

إن التكبر والاستعلاء على المسلمين وعدم مدّ يد العون لهم لهو مما يأباه وينكره الشرع المطهر أيما إنكار . فكل غني لا يعترف بحقوق إخوانه في ثروته فهو ظالم لنفسه، ظالم لهم مضيع لحقوقهم ، وأي ظلم أقبح وأشنع وأفظح من أن يكون لديك من المال وأسباب الترف والمخيلة وتبعثر ما من الله به عليك يمينا ويسارا وحولك آلاف الجائعين والمحرومين، لا يجدون كسرة الخبز ولا المأوى، فليس هذا شأن المسلمون بل شأن المخالفين .

ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثدييهما وتراقبيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسخت عنه حتى تغشى أنامله وتقفو أثره ، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها . . . قال أبو هريرة : فأنا رأيت رسول الله يقول بأصبعه هكذا في جيبه فلو رأيت يوسعها ولا تتسع^(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/٣٠٦ ، ٣٠٨ ، وانظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج ١ ص ٢١١ ، ٢١٢ .

وفي الزكاة تطهير وتعمير للمزكي والمجتمع بأسره، وفيها إنباء لشخصيا للفقير والمستفيد، حيث يجد المساواة ويحس بالقرب من إخوانه المسلمين، فهو ليس ضائعا ولا متروكا، ولا مهلا لضعفه وعوزه وحاجته، فمجتمعه المسلم يسعى لرفعه ونفعه بكل ما يملك . ولذا فقد استحباب الدماء عند دفع الزكاة، وهو نهج تربوي إسلامي . فيقول دافعها : اللهم اجعلها مغنما، ولا تجعلها مغرما . ويحمد ربه على التوفيق والتسديد لأدائها . قال ابن القيم ^(١) رحمه الله : وكان هدي صلي الله عليه وسلم في الزكاة أكمل هدى في وقتها وقدرها ونصابها، ومن تجب عليه ومصرفها، وقد راعى فيها مصلحة أرباب الأموال، ومصلحة المساكين، وجعلها لله سبحانه وتعالى طهرة للمال ولصاحبه، وقيد النعمة بها على الأغنياء فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته، وفيه نفع للأخذين والمعطين، فمثل هذا النهج الفريد السديد، لم تفكر فيه بعض الدول الغربية إلا حديثا ، ومع ذلك جاء ناقصا لم يقرب من مستوى التشريع السماوي ذي الشمول والكفاية لكل محتاج، ولم تقصد من ورائه وجه الله أو ذات الفقير، ولكنها فرضته عليها الحروب والثورات، وما إليها، وكان أول مظهر لهذا النهج الغربي رسميا في سنة ١٩٤١م حينما اتفقت بريطانيا وأمريكا في ميثاق الأطلنطي على وجوب تحقيق الضمان الاجتماعي للأفراد ^(٢) .

ولقد أخطأ الكثير من الكتاب، خاصة ممن تأثروا بالثقافة الغربية وأضاليلها، فنسبوا هذا النهج على حد زعمهم إلى أوروبا النصرانية جاهلين أو متجاهلين سبق الإسلام في هذا . وهذا أيضا من الجهل بتعاليم الإسلام وتاريخه المشرف، وهذه الزكاة تتميز تميزا بئنا عن الضريبة بثباتها وخلودها، ودقة تفاصيلها ومقاديرها، وأيضا .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٣٠٦، ٣٠٨ .

(٢) الضمان الاجتماعي ص ١٢٦ ، د / صادق مهدي .

تتميز بأن المسلم يخرجها طيبة بها نفسه لا حسيب ولا رقيب ولدفع المضار
(١)
والأخطار .

مسئولية الدولة من الزكاة :

الزكاة حق ثابت ومقرر نفعه متعدد فريضة من الله ولكنها ليست متروكة
لإحسان المحسنين، واجتهادات المزمكين بصفة مطلقة يدعها من ضعف وقل إيمانه،
وشحت نفسه، وليست إحسانا فرديا إنما هي تنظيم اجتماعي فريد، ونهج تربوي
سديد، تشرف عليه الدولة جباية ممن تجب عليهم الزكاة، وأداء لمن تجب لهم وفق
تنظيم دقيق . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ (٢) الآية
وقال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (٣) .

(٤)

قال ابن حجر في تعليقه على حديث معاذ وبعثه لليمن وقد استدل به :
على أن الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها، إما بنفسه وإما بنائبه فمن امتنع
منهم أخذت منه قهراً (٥) .

° وذلك ليضمن مستوى معيناً من المعيشة يليق بالمسلم بوصفه إنساناً مكرماً
من قبل الله سبحانه . استخلفه الله في أرضه يدين بدين العدل والرحمة

-
- (١) راجع كتاب الرياض الناضرة للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص ١٧، ١٩) .
(٢) آية / ٦٠ / ، سورة التوبة .
(٣) آية / ١٠٣ / ، سورة التوبة .
(٤) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن ،
صحابي جليل ، توفي سنة ١٨ هـ . الإصابة ص ٣٩ ، ٨٠ ، الأعلام ٢٥٨ / ٧ .
(٥) فتح الباري لابن حجر (٢٣١ / ٣) كتاب الزكاة ، وانظر : نيل الأوطار
١٢٤ / ٤ ، وانظر : المجموع (١٦٨ / ٦) .

والإحسان، وينتمي إلى خير أمة أخرجت للناس، وأدنى ذلك أن يتبها له ولعائلته طعام وشراب ملائم وكسوة للشتاء والصيف ومسكن يليق بحاله * (١) بغير إسراف ولا تقتير للشخص ولعن يمون * (٢).

هداية التوريع من أساليب التربيئة :

الإسلام نهج رائع ومتقدم حقا لا يرقى أي تنظيم بشري إليه، فهي تؤخذ تطهيرا وتزكية لأصحاب الأموال، ونفعا ورفعا للفئات المحتاجة، حتى يسود التكافل والتعاون بين جميع المسلمين، والزكاة بضوابطها أول ضمان اجتماعي منظم في العالم، لا يعتمد على الصدقات الفردية والهبات المتقطعة التطوعية، بل يقوم على مساعدات دورية منظمة فيها عفة، وفيها سمو، كما أن فيها كرامة ، بل ورفعة.

وقد بينت الآية الستون من سورة التوبة الذين يستحقون الزكاة، وهم الأصناف الثمانية المذكورة بالترتيب . وهذا يعني أن على المسلم أن يتصرف في أمور حياته كلها بتقدير وتنظيم .

(٣)
ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام : إن كل قوم أولى بمدقاتهم حتى يستغنوا منها ، ونرى استحقاقهم دون غيرهم ، وإنما جاءت السنة لحرمة الجوار وقرب دارهم من دار الأغنيا * وعند قراءة الآية ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥) .

- (١) مطالب أولى النهي (١٣٦/٢) .
- (٢) انظر: المجموع (١٨٩/٦ ، ٢٠٣/٦) ، الإنصاف (٢٣٣/٣) .
- (٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخراساني بالولاء الخراساني البغدادي أبو عبيد من علماء الحديث والفقه ، توفي سنة ٢٢٤ هـ . تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ ، تهذيب التهذيب ٣١٥/٧ .
- (٤) الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٥٩٦ ، توفي سنة ٢٢٤ هـ طبعة أولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- (٥) آية / ٦١ / ، سورة التوبة .

ولذا يتبين أن الذين يستحقون الزكاة هم :

(١) ، (٢) الفقراء والمساكين :

قال ابن جزى^(١) عنهم :

وأما الفقراء فهم : الذين لا يملكون ما يكفيهم .

وأما المساكين : من هم أشد حاجة من الفقراء .

وفقا لأبي حنيفة ، وقيل : بالعكس وفقا للشافعي ، وقيل : هما بمعنى واحد ، وقيل : الفقير الذي يعلم به فيتصدق عليه ، والمسكين الذي لا يعلم به^(٢) .

(٣) العاملون عليها :

وهم كل من يعمل في الزكاة . جمعا وتوزيعا وسعيا لذلك .
يقول الإمام النووي :

" ينبغي للإمام والسامعي وكل من يفوض إليه أمر تفريق الصدقات أن يعتني بإعطاء المستحقين ، ومعرفة أعدادهم ومقدار حاجتهم ، بحيث يقع الفراغ من جميع الصدقات بعد معرفتهم أو معها ليتعجل حقوقهم وليأمن هلاك المال عنده"^(٣) .

(٤) المؤلفة قلوبهم :

وهم الذين يراد استمالتهم إلى الإسلام بتأليف قلوبهم وإعطائهم من أموال الزكاة لتحبيبهم بالإسلام ، وتشبيبتهم على عقيدته وشريعته .

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبي أبو القاسم فقيه من علماء اللغة والأصول . له ترجمة في الدرر الكامنة ٣٥٦/٣ .

(٢) قوانين الأحكام الشرعية وسائل الفروع الفقهية لابن جزى ت سنة ٧٤١ هـ ، ط .

دار العلم للملايين ط . ثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

(٣) روضة الطالبين للإمام النووي . ج ٢ / ٣٣٧ - المكتب الإسلامي ببيروت .

(٥) وفي الرقاب :

الرقاب جمع رقبة وهو العبد أو الأمة . وإن إعادة الكرامة للإنسان من أعز ما يرغب فيه ، وتحرير الرقبة بدفع ثمن التحرير إلى المالك من مال الزكاة ، فهي إذن تنقذهم من ذل العبودية وهي تقيهم من ويلات هذا الداء العضال ، وولي الأمر غالباً ما يقوم بهذه المهمة " كتب عمر بن عبدالعزيز قال : سهم الرقاب نصفان : نصف للمكاتبين من المسلمين ، ونصف يشتري به رقاب من صلوا وصاموا ، وقدم إسلامهم فيعتقون من الزكاة " (١) .

تأمل كيف يخلص الإسلام الإنسان من العبودية فيربيه على الحرية وطلبي استرداد كرامته وإعادة الحياة إليه بعد ما سلبت بالعبودية .

(٦) والغارمون :

والغارم هو الذي عليه دين .

وقد اشترط الشافعية في الغارم الذي عليه دين المستحق الزكاة شروطاً منها :

١ - أن يكون الغارم في حاجة إلى ما يقضي به الدين، فلو كان غنيا قادراً على السداد لم يعط من الزكاة .

٢ - أن يكون قد استدان في طاعة أو في أمر مباح ، فلو استدان في معصية كقمار وخمر وزنا فلا وفير ذلك ، وكذلك المسرف في الانفاق . (٢)

(١) فقه الزكاة (٢/٦١٨) ، د . يوسف القرضاوي ، مرجع سابق .

(٢) المجموع شرح المذهب للنووي (٦/٦١٩ - ٦٢٠) ، تحقيق محمد عبيد المطيعي ، مطبعة الإمام - مصر ، القاهرة ، الناشر زكريا يوسف .

وبذلك يربى الإسلام في المسلم الإحساس بما يعانيه المديون من إحباط وضيق نفس فيدفع الموسر من مال زكاته ما يرفع من كاهل المعسر .

(٧) وفي سبيل الله :

قال ابن العربي المالكي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . قال مالك : سبيل الله كثيرة ، ولكني لا أعلم خلافاً أن المراد بسبيل الله هاهنا . الغزو . من جملة سبيل ، وعن عبد الله بن عبد الحكم قال : يعطى من الصدقة في الكراع والسلاح وما يحتاج له من آلات الحرب ، وكف العدو عن الحوزة ، لأنه كله في سبيل الغزو ومنفعته ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقة مائة ناقصة في نازلة سهل بن حنمة إطفاءً للثائرة^(٢) .^(٣)

(٨) ابن السبيل :

وهو الذي فقد ماله الذي يوصله إلى قايته فانقطعت به الأسباب فلا يستطيع العودة إلى بلده^(٤) .

ولقد اهتم القرآن الكريم بابن السبيل، فجعل له حظاً في أبواب كثيرة من موارد بيت المال، كالغنيمة والفيء . كما جعل له حقا في أموال المسلمين كوسيلة من وسائل البر والإحسان ، ثم جعل له سهماً من الزكاة، كما تقرره آية مصارف الزكاة . لسنا نعرف في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات القديمة اهتمامها بأمر السفر أو المسافرين ، ورعاية هؤلاء الغرباء عن

(١) عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع أبو محمد - من العلماء، فقيه مصري ، توفي سنة ٢١٤ هـ . الأعلام ٤ / ١٥٠ .

(٢) سهل بن أبي حنيفة بن ساعدة بن عامر بن عدي - صحابي شهد بيعة الشجرة ، ولد ٣ ق . هـ . الإصابة ج ٢ ٢٣٣ / ٨٦ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ٩٦٩) ط . عيسى الحلبي ، تحقيق علي محمد الجاوي .

(٤) المرجع السابق (٢ / ٩٧٠) .

ديارهم ومقصد إعطاء ابن السبيل من مال الزكاة تربية المسلم أن الإنسان عرضة لأن يفقد ماله . فواجب عليه أن يساعد هذا الذي فقد ماله . ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام : " وسهم ابن السبيل يقسم لكل طريق على قدر من يسلكها . ويمر بها من الناس لكل رجل راحل من ابن السبيل من ليس له مأوى ، ولا أهل يأوي إليهم ، فيطعم حتى يجد منزلاً أو يقضي حاجته ، فيجعل في منازل معلومة على أيدي أمناء لا يمر بهم ابن السبيل له حاجة إلا آووه وأطعموه ، وعلفوا دابته حتى ينفذ ما بأيديهم إن شاء الله " (١) .

وليس الأمر عندنا في ابن السبيل الغزاة فحسب ، بل نميل إلى ما روي عن الشافعي - رحمه الله - إذ يرى أنه هو " المستحق للصدقة وهو الذي يريد السفر في غير معصية فيعجز من بلوغ سفره إلا بمعونة " (٢) .

(١) الأموال ص ٢٦٥ " مرجع سابق " .

(٢) التفسير الكبير للرازي (١١٣/١٦) .

((مظاهر العربية في الزكاة))

للزكاة مظاهر تربوية متعددة منها :

- (١) أن الإنسان يبذل قصارى جهده في سبيل الحصول على المال الحلال ، والرزق الحلال ومن واجب الدولة أن تهيب للذين لم يأخذوا حظهم في الحياة من الأعمال ما يعينهم على حمايتهم . وأن توفر لهم مصدر عمل شريف فإذا عجز الإنسان عن كسب رزقه فقد حدد الشارع من ينفق عليه ، والدولة هي المسئولة عن سد رمق هؤلاء البائسين .
- (٢) وتتوفر أموال الزكاة أدي ذلك إلى رعاية الشيخ الكبير ، الطفل الرضيع والأرملة ، وذوي الحاجات من العاجزين من كسب الرزق ومن واجب الدولة السهر على رعاياها وأولى الناس الذين يستحقون العناية والرعاية هم هذه الفئة الضعيفة العاجزة . . . ولهذا فإنه لا توجد في الإسلام بطالة مقنعة ، ولا بطالة أصلا ، ولا ذوو حاجات من السائرين في الطرقات والشوارع فهي تؤخذ أي الزكاة من أغنيائهم فتد على فقرائهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تحل الصدقة لغني ولا ذي مـسرة سوي " (١) .
- (٣) ليست الزكاة إحسانا أو تفضلا أو منة إنما هي فريضة من اللهم سبحانه وتعالى . ومن هنا كان من الواجب إعطاء الفقير حقه من الزرع حين حصاده ، وحينما يحول الحول على ملكية المال البالغ للنصاب الشرعي . قال تعالى :

(١) أخرجه أبو داود ١٦٣٤ ، والترمذي ٦٥٢ ، مجمع الزوائد (٣/٩١، ٩٢) والدارقطني (٢/١١٨) ، الطبراني (٤/١٧) .

(١) ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ .

إن رفع مستوى المعيشة عند الفقراء أمر يتكفل به الأغنياء حتى يعيشوا في مستوى حياة كريمة تليق بهم .

(٤) كان الإسلام سباقا إلى درء المخاطر عن الناس في السفر والحضر من قبل أن يعرف العالم التأمين على الممتلكات غير أن الإسلام يأخذ من الفسني ويعطى الفقير ، أما التأمينات فهي أموال يدفعها الغني وقت يسره لحين عسرة فهي لا تحقق التكافل الاجتماعي .

حرص الإسلام على تقدير جزء من أموال الزكاة لابن السبيل كنصيب له ولذلك فهو يحتاط للمخاطر والأضرار التي تتسبب بدون دافع ذاتي من الإنسان بل قضاء وقدرا كفقدان نقوده أو حلول مصيبة .

(٥) إن المسلمين وحدة متماسكة ولذلك كان من مظاهر التربية الإسلامية أنها أجازت للمسلمين نقل أموال الزكاة الفائضة من قطر إلى قطر آخر يحتاج إليها إذا دعت إلى ذلك مصلحة أو ضرورة .

(٦) تفترق الزكاة عن الضرائب من حيث :
مصدر الزكاة : هو الشرع الحنيف ، ومصدر الضرائب : الدولة إذن
الزكاة حق الله ، والضرائب حق الدولة ، وتصرف أموال الزكاة على الفقراء وغيرهم من الأصناف الثمانية المذكورين في الآية السابقة ، وتنفق الضرائب على إصلاح الطرق والمواصلات . . . الخ

(١) آية / ١٤١ / ، سورة الأنعام .

ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء بالضرائب عن الزكاة فالزكاة تقوى العلاقات الاجتماعية وتربط الفقير بالغني وتقضي على الفقر المدقع .

(٧) على ولي الأمر أن يعاقب المانع لدفع الزكاة ويتخذ كافة الاحتياطات والتدابير الأمنية الكفيلة بجمع مال الزكاة ، ومن سلطته سن التشريعات التي تحول دون التهرب من تحصيل أموال الزكاة ، وله أن يربيه بالزجر أو السجن أو الجلد . . . أو ما إلى ذلك من الوسائل العقابية الرادعة التي يكون فيها جزاء أو في ضد من تسول له نفسه الخروج من تأديسة حق الله .

(٨) إن الزكاة نظام مالي متجدد ينشط العلاقات الأسرية والاجتماعية فيقومها ويعمل على إزاحة الفقر ومحاربة الجشع والاستغلال .

الآثار العرفية للزكاة في المجتمع المسلم :

الزكاة فريضة اجتماعية واجبة على الأغنياً نحو الفقراء وهي فريضة من عند الله . ولعلم الله سبحانه أن من عباده من سيكونون فقراء تكفل لهم سبحانه بالرزق ، وحث الأغنياً على الجود بما عندهم نحو إخوانهم الفقراء . وتقوم الزكاة بالتأشير على المسلم في منح هي :

أ - التأثير النفسي للزكاة :

إن الزكاة تطهير من شح النفس وإطلاق لها من الأثرة البغيضة التي تجعلها تحس بوجودها وحدها . إنها إحساس بالأخوة النبيلة التي تجمع الأسرة البشرية الواحدة ، فإذا كلها قريب إلى جانب قريب ، وكلها فرد فيها ذو رحم مع الآخرين . هي الأخوة التي تخرج الإنسان من الشعور بالتملك لما يمتلك ، فليس

هناك ملك خاص في الأسرة الواحدة إنما الناس شركاء في الخير أصلا في رزق الله العميم ^(١) " نزع حب الدنيا من قلوب أوليائه فرغبوا في طاعته ورضوانه . فهم الذين قال عنهم سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ ^(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه " ^(٣) .

ب - الأثر الاجتماعي للزكاة :

عندما يحس الغني بأن ماله الذي يدفعه زيادة له في الرضا والمنزلة عند الله يدفع الزكاة في رضا ولا يتأني بل يتعجل بدفعها ، لأنه يقدمها قربة لله عز وجل . قال عليه الصلاة والسلام : " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو — — — — — إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله تعالى " ^(٤) .

ومن هنا حذر الإسلام من كثر المال فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(٥) وقال عليه الصلاة والسلام : " تعس عبد الدينار ، وتعس عبد الدرهم . . . " ^(٦) .

-
- (١) منهج التربية الإسلامية (١٧٦/١) محمد قطب ط دار الشروق .
 - (٢) آية / ٢٥ ، سورة المعارج .
 - (٣) رواه البزار والطبراني وأبو نعيم من أنس : كشف الخفاء ومزيل الألتباس ، (٣٨٦/١) ، ط . مكتبة التراث الإسلامي - حلب - سوريا .
 - (٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٠١/٤) ، وأحمد في المسند (٢٣٥/٢) .
 - (٥) آية / ٣٤ ، سورة التوبة .
 - (٦) أخرجه ابن ماجة (٤١٣٥ ، ٤١٣٦) وأما علي بن الشجري ١٥٤/٢ ، تاريخ بغداد ٥٣/٨ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح .
أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا " (١) .

ودفع الزكاة يربي في النفس الطهر والتزكية " إن الزكاة تخلق في الغني
روح الخير والسخاء لأفراد مجتمعه ويعيش الكل غنياً كان أو فقيراً في دائرة هذا
الحب وما يثمر من تعاون بناء قائم على العدل " (٢) .

وقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (٣)

ج - الأثر الاقتصادي للزكاة :

حث الإسلام على تحريك المال بين الناس بعضهم البعض دون أن يكون
حكراً على أحد . قال تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (٤) .

إن الإسلام اختار الوسطية في الأمور كلها، ومن هنا فقد ذم القرآن الشح،
وكذلك الإسراف، كما حث الإسلام على دفع الزكاة تطهيراً للمال، وهو بذلك يحرك الفقير
الجامد على حاله من حيث الفقر المدقع كي يصعد ولو درجة عن درجة .

" وعلى هذا فقد وقف الإسلام من الزكاة عند الحد الوسط الذي يقيهم
شر الطغيان المالي المفسد، الذي تتكسر به الأموال في يد بضعة أفراد من الأمة
مع حرمان كثرتها الغالبة ، ويقيهم شر الفوضى الماكرة المخربة التي تضيع بها
جهود الأفراد، وتكسد الأموال في اليد الحاكمة باسم المجتمع، فهو تشريع يحفظ

(١) أخرجه أبو داود ٣٩٤/١ ط مصطفى الحلبي ١٣٧١ هـ ، ١٩٥٢ م ، والمسند

(٢) (١٩١/٢) .

(٣) العبادات : أحكامها وبيان آثارها في بناء المجتمع الإسلامي ، القسم
الأول ص ٢٢١ ، د . رفعت فوزي عبد المطلب .

(٤) آية / ١٠٣ / ، سورة التوبة .

(٤) آية / ٧ / ، سورة الحشر .

للفرد استقلاله وحرية في العمل والكسب ، ويحفظ للمجتمع حقه على الفرد في المعونة والتضامن، وبذلك يبرز المبدأ الإسلامي العام وهو تحميل الفرد من حقوق الجماعة وتحميل الجماعة من حقوق الفرد " (١).

أهداف الزكاة في الإسلام :

أولاً : الزكاة تصون مال الغني من الكوارث والحرائق والسرقات وسائر الجوائح .
لقوله صلى الله عليه وسلم : " حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء بالدعاء " (٢).

ثانياً : إن الزكاة عون للفقراء والمحتاجين ترفع من أرواحهم المعنوية المنكسرة ، وترفع بمستوى معيشتهم لذلك روى ابن عباس قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهيرة للصائم من اللغو والرفث . وطعمة للمساكين . فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " (٣).

ثالثاً : مراعاة النعمة واجبة بقول الشاعر :

إذا كنت في نعمة فارعها

فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله

فإن الإله سريع النقم

فمن حق الغني أن يشكر نعم الله عليه ، ومن وسائل الشكر إعطاء الفقراء

حقوقهم التي قضى الله بها لهم فهي تطهير للمال وتنقية .

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٩٢ ، الشيخ محمود شلتوت ط. دار الشروق

١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م .

(٢) حلية الأولياء ١٠٤ / ٢ ، ٢٣٧ / ٤ ، تاريخ بغداد (١ / ٣٣٤) ، (١٣ / ٢١) .

(٣) سنن ابن ماجه (١ / ٥٨٥) ٨ - كتاب الزكاة ٢١ - باب صدقة الفطر رقم

الحديث ١٨٢٧ .

الصدقات التطوعية الاختيارية :

ليست الزكاة هي الباب الأول والأخير في علاج الفقر في الأمم الإسلامية . بل حرص الإسلام كل الحرص على جمع الشمل وتوحيد القلوب والأبدان وعلى تكوين النفس الخيرة المعطاءة، فهو يعطي ولا يأخذ ينفق ماله في السراء والضراء . يعد ويطلب المال وهو في نظره وسيلة لا غاية . قلبه عامر ويده مبسوطة فسي البذل والعطاء .

والإسلام يعني كثيرا بهذا الجانب الخلقي الرفيع، حيث هو غاية من غاياته في تربية المسلم الصالح تربية قرآنية، إنها تربية بالعبادة ذات الشمول والعموم . قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (١) . وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٢) . وغير ذلك من الآيات . . . والمسلم يتميز في هذا عن الكثير من أصحاب الديانات الأخرى وأصحاب النظم الأرضية، فالهبات والأعطيات والصدقات غير المحدودة بحد ذات نفع كبير . وهي سمة وميزة لهذا الدين، وللمسلمين بوجه عام وبهذا نستطيع القول أن الإسلام عالـج مشكلة الفقر بعلاج حاسم دقيق، فيه حيطة وشمول ورفعة وكمال، فهو بهذا يختلف تماما عن أي تنظيم أرضي .

" ولقد جعل الإسلام كفارات الذنوب تعاوناً اجتماعياً، فمن أفطر في رمضان منتهكاً لحرمه الشهر فعليه عتق رقبة أو صيام ستين يوماً أو إطعام ستين مسكيناً، ومن حلف وحنث في يمينه كان عليه عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم . وهكذا

(١) آية / ٢٤٥ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ٣٩ / سورة سبأ .

نجد كفارة الذنوب تكافلا اجتماعيا . وكان الذنب الذي يرتكب أو التقصير في العباداة اعتداء على المجتمع، فلا يكفر الاعتداء الاجتماعي إلا بالتعاون الاجتماعي الذي يسد النقص ويمزيل الخلل . وقد اعتبر الشارع كل إعطاء أو نفع يزيل السيئات ويرفع الدرجات إذ إن كل معصية كبيرة كانت أو صغيرة ظاهرة أو خفية اعتداء اجتماعي، لا يجبر إلا بأثر حميد، يعوض فيه المجتمع الذي أراد الله أن يكون سد يسدا ورشيدا متكاملا متعاوننا " (١)

(١) في المجتمع الإسلامي ص ١٤، ١٥، للشيخ محمد أبو زهرة .

((المبحث الثالث))

دور الصيام في العبادة

تعريف الصوم في اللغة :

قال الخليل^(١) : الصوم قيام بلا عمل ، والصوم أيضا الإمساك عن الطعام وقد صام الرجل من باب قال : وصياما أيضا ، وقوم صُومَ بالتشديد ، وصيم أيضا ورجل صومان . أى صائم ، وصام الفرس قام على غير اعتلاف ، وصام النهار قام قائم الظهيرة واعتدل ، والصوم أيضا ركوع الرياح .

وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا الصَّوْمَ كَمَا صَامَ اللَّهُ لِأَنَّهُ كَانَ سَاحِطًا عَلَيْهِ لَفِئَةً رِجَالًا مَن لَّمْ يَصُومْ فَاثِمًا ﴾^(٢)

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : اصمتا ، وقال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم .^(٤)

ويقول أبو البقاء في الكليات :

" الصوم هو في الأصل الإمساك عن الفعل مطعما كان أو كلاما أو مشيا ."^(٥)

وشهر رمضان جمعه : رضانات . وأرضاء بوزن أصفياء . . . قيل أنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها ، فوافق هذا الشهر أيام رض الحر فسمي بذلك .^(٦)

-
- (١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي أبو عبد الرحمن واضع علم العروض وأستاذ سيبويه النحوي ، توفي سنة ١٧٠ هـ . أثناء الرواة ٣٧٦/١ ، شذرات الذهب ٢٧٥/١ .
- (٢) آية ٢٦ / ، سورة مريم .
- (٣) معمر بن العثنى التيمي بالولاء البصري أبو عبيدة النحوي من أئمة الكلام ، كان شعوبيا إباضيا ، توفي سنة ٢٠٩ ، تاريخ بغداد ٢٥٢/٣ .
- (٤) مختار الصحاح ص ٣٧٤ .
- (٥) الكليات لأبي البقاء ١٢١/٣ .
- (٦) مختار الصحاح ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

ومن هنا يتضح أن الصوم بما يحمله من معان، له تأثير في النفس وهو أن المرء يلزم نفسه حالة الصوم الإمساك إما عن الطعام والمنكح أو المشرب وهو الإمساك مكلف إذا كان الغرض منه تأدية الفريضة .

تعريف الصوم شرعياً :

(١) قال ابن قدامة : " عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة في وقت مخصوص " وقال أبو البقاء في الكليات : إمساك المكلف بالنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطيبين والاستمناء والاستقاء " (٢) .

وقال الجرجاني في التعريفات : الصوم في الشرع عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية .

(٤)

قال ذوالرملة :

فأصبح أجلى الطرف لا يستزيد . . . يرى الشهر قبل الناس وهو نحيل

(٥) ورمضان مأخوذ من رمض المائم إذا حرجوفه من العطش ، والرمضاء : الحر .

والرمض بفتححتين : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، والأرض رمضاء بوزن

حمراء ، وقد رمض يوماً : أي اشتد حره وبابه طرب ، وأرض رمضاء الحجارة ورمضت قدمه أيضاً من الرمضاء ، أي احترقت ، وأرضته الرمضان أي أحرقته .

(١) المغنى لابن قدامة ٨٥/٣ .

(٢) الكليات ١٢١/٣ لأبو البقاء .

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٧٧ ط . عالم الكتب .

(٤) غيلان بن عقبة بن نهيش بن مسعود العدوي أبو الحارث شاعر من فحول

الطبقة الثانية ، توفي سنة ١١٧ هـ . خزانة الأدب للبغدادي ١/٥١/١

٥٣ .

(٥) مختار الصحاح ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

وقال ابن مفلح في "الصدع في شرح المقنع" : "الصوم إمساك جميع النهار عن المفطرات من إنسان مخصوص مع النية" (١).

وقيل : "إمساك عن شهوتي البطن والفرج وما يقوم مقامها من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية قبل الفجر أو معه من غير أيام الحيض والنفاس وأيام العيد" (٢).

وقيل : "إمساك عن المفطرات على وجه مخصوص" (٣).

من هذه التعريفات يتضح الآتي :

أولا : أن الصوم تربية للنفس على الامتناع عن غرائزها من مأكّل ومشرب ومنكح فني وقت تكون في أشد الحاجة إلى هذه الطذات أو الأفضية .

ثانيا : أن الصوم في وقت معلوم من حيث الزمان ، هذا الوقت هو فترة تحسّرك المسلم وسعيه على رزقه طوال النهار . وبذلك يعود ويدرب الإسلام المسلم على كبح غرائزه وإلجامها في عقال الصبر والامتناع لأوامر الله عز وجل .

الصيام ركن من أركان الإسلام :

الأصل في وجوبه الكتاب والسنة والاجماع لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٤) . وأما السنة فنقول النبي صلى الله عليه وسلم : " بني الإسلام على خمس " وذكر منها صوم رمضان . (٥)

(٦)

ولحديث أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم نائرا الرأس فقال :

يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصيام ؟ قال " شهر رمضان " . قال :

-
- (١) الصدع في شرح المقنع (٣/٣) لابن مقنع ط. المكتب الإسلامي .
 - (٢) الفواكه الدواني ٣٥١/١ .
 - (٣) مغني المحتاج ٤٤٠/١ .
 - (٤) الآيتان /١٨٣، ١٨٢ / ، سورة البقرة .
 - (٥) حديث متفق عليه سبق تخريججه .
 - (٦) قيل هو ضمام بن ثعلبة . فتح الباري ج ١ ص ١٠٦ ، كتاب الإيظان ٣٤-باب الزكاة في الإسلام .

هل عليّ غيره ؟ قال : " لا إلا أن تطوع شيئاً " . قال : فأخبرني ماذا فرض الله عليّ من الزكاة ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم -بشرايع الإسلام ، قال : والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئاً . فقال صلى الله عليه وسلم : " أفلح إن صدق " أو " دخل الجنة إن صدق " متفق^(١) عليه .

وأجمع المسلمون على وجوب شهر رمضان وأنه أحد أركان الإسلام التي علمت من الدين بالضرورة ، وأن منكروه كافر مرتد عن الإسلام ، وكانت فرضيته لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

ولقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات إجماعاً حكاه غير واحد من أهل السير والأخبار لفرضه في السنة الثانية في شعبان ، وأكثر صيامه تسعاً وشرين يوماً . والشهر ينقص أحياناً ويكمل وثوابهما واحد في الفضل المرتب على رمضان لا المرتب على كل يوم فيفوق الكامل^(٢) .

آداب الصوم :

ما كان الجانب السلبي يوماً من الأيام عبادة مطلوبة تقي المؤمن وتعفيه من المسئولية . بل الصيام الحقيقي إمساك تام وكامل وشامل عن كل ما ينافي الدين والخلق والفضيلة، ويتفق تماماً مع فضيلة التقوى، ولهذا بدأ المولى عز وجل الحديث بها أيها الذين آمنوا " وختمه بهذا التعبير الذي يهز النفوس ويحرك القلوب ويوقظ المشاعر " لعلمكم تتقون " لعلمكم تشكرون حتى يصفو قلب الصائم من الغل والحسد والحقد .

(١) سبق تخرجه في كتاب الصلاة .

(٢) الروض المربع وحاشية لابن قاسم ٣/٣٤٧ .

التأكيد على أهمية روح الصيام :

إن الإسلام لم يكتف بصورة الصوم الظاهرة والمعتادة . بل اهتم وأكسد حقيقة روح الصوم حيث لم يحرم الأكل والشرب والعلاقة الجنسية فقط بل حرم كل ما ينافي مقاصد الصوم الصحيح وغاياته وأبعاده ومثله ومعظياته ومكاسبه وكل ما يضيع حكمته وأسراره وفوائده الروحية والخلقية والاجتماعية فأحاط الصوم بسياج متين من التقوى والأدب والتحرر من كل مطالب النفس البهيمية .

كبح جماح الشهوة :

إذا كان الصوم هو الإمساك بوجه عام فلننتدق حالته لنجن ثمرته حيث يصل بالنفس الأمارة بالسوء إلى السيطرة عليها وكبح جماحها وتوجيهها الوجهة الإسلامية الراشدة فهو يصل بالنفس إلى تطهيرها وتنقيتها وتزكيتها وشفافيتها، وهو ينظم العلاقة بين الإنسان وربه وبينه وبين نفسه وبينه وبين الناس أجمعين .

تجنب الشرور والوقاية منها :

وضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن ربه بقوله : " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به " (١)

والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه .

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣/٧٣ ، والإمام عبدالرزاق الصنعاني في مصنفه (٧٨٩١) مصنف عبدالرزاق .

إن الصوم فريضة إلهية لذا وجب على المسلم أن يتعامل به ومعه من خلال تعامله مع فرائض الله قبولاً وتسليماً لأمر الله . وفي ذلك الامتثال أثر عظيم للنفس وأيضاً يجب على المسلم :

أولاً : أن يحفظ جوارحه عن المعاصي ، ولا يقتصر على البطن والفرج .
ثانياً : لا يأكل الحرام والسحت ولا يسرف من الحلال أيضاً بل يعتقد أن يكون قلبه بين خوف ورجاء ، فلم يعلم أمقبول صومه أم مردود .^(١)

وباستسلام المسلم لهذه الآداب يعطي نفسه حصانة من اغراءات الشيطان الذي قال الله عز وجل فيه : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾^(٢)

إدراك الحكمة من تخصيص هذا الشهر :

من الآداب التي يجب أن يلتزم بها المسلم في صومه هو إدراكه للحكمة من تخصيص شهر رمضان بالصوم فمن أدرك الحكمة بقلبه الواعي، وفكره السليم، التزم الأدب الرفيع والسلوك القويم .

فالحكمة مبينة في قوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾^(٣)

ولعل الحكمة من اختيار هذا الشهر هو نزول القرآن فيه، فكان ذلك مظهراً من مظاهر الشكر لله وحده على هذه النعمة الكبرى والمنة العظمى فناسب ذلك

(١) مفيد العلوم ومبهد الهموم للخوارزمي ص ٨٧ ط . السعادة سنة ١٣٣٠ هـ .

(٢) آية / ٨٢ ، ٨٣ / ، سورة ص .

(٣) آية / ١٨٥ / ، سورة البقرة

عبادة تطهر القلوب وتسمو بالأرواح وتستمر شهرا كاملا يتكرر كل عام، فيتكرر الدرس لينمو الغرس، فشهر رمضان بما أنزل فيه من قرآن واختصاصه بليلة القدر وفريضة الصيام فيه نال كل ذلك التكريم .

الصوم في العبادات الدينية القديمة :

الصوم بصفة عامة هو الإمساك عن الطعام والشراب لمدة معينة وقد يتخذ هذا الإمساك صوراً مختلفة ، مخففة أو مشددة حسب النظم الدينية والظروف . هذا من الوجهة المحسوسة الظاهرة، ولكن هناك مقاصد داخلية روحية يتوخاها الصائم، وتجعل لصومه قيمته الروحية ومعناه الديني . فلا بد عند دراسته الدراسة المقارنة للصوم من أن ننظر إلى هذين العنصرين الأساسيين .

ولم يأخذ الصوم معناه السامي إلا في الديانات السماوية الثلاثة الكبرى . إن الصوم يعد من العبادات الدينية القديمة التي بينها الله سبحانه لعباده على لسان رسله وعبر عنها بكلمة لا تحتل في الإثبات والإيجاب ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

قال الزمخشري : كتب على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم ، قال على أولهم آدم ، يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلق الله أمة من افتراضها عليهم، لم يفرضها عليكم وحدكم ﴿ لعلكم تتقون ﴾ بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي . . . فمن معناه أنه كصومهم في عدد الأيام ، وهو شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فأصابهم موتان فزادوا في

(١) آية / ١٨٣ / ، سورة البقرة .

أسفارهم ومعاشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع ، وزادوا عشرين يوماً كفارة لتحويله
عن وقته " (١) وقال الشوكاني (٢) : " اختلف المفسرون في وجه التشبيه ما هو ؟ فقيل :
هو قدر الصوم ووقته ، فإن الله كتب على اليهود والنصارى صوم رمضان فغيروا ، وقيل
هو الوجوب ، فإن الله أوجب على الأمم الصيام ، وقيل : هو الصفة أي ترك الأكل
والشرب ونحوهما .

فعلى الأول معناه : أن الله كتب على هذه الأمة صوم رمضان كما كتبه
على الذين من قبلهم .

وعلى الثاني : أن الله أوجب على هذه الأمة الصيام كما أوجبه على
الذين من قبلهم .

وعلى الثالث : أن الله سبحانه وتعالى أوجب على هذه الأمة الإمساك
عن المفطرات كما أوجبه على الذين من قبلهم . وقوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾
بالمحافظة على ذلك الإمساك ، وقيل تتقون المعاصي بسبب هذه العبادة ؛ لأنها
تكسر الشهوة وتضعف دواعي المعاصي " (٣)

والمقابل للفظ الآية " كتب " يجد أن القرآن عبر عنها بالكتابة التي عرفت
واستعملت وهذا يدل على الفرضية واللزوم اللازم للإنسان لزوم القيد للمقيد والتأقيد
للمؤقت إلا في حالات خاصة كالإعذار المرخصة للأفطار . كما استعملت الكتابة
أيضاً في اللفظ كتب في مقام التعبير من مقتضى الألوهية أو التقدير لنظام الكون

-
- (١) الكشف / ١ / ٣٣٤ ط دار الفكر العربي .
(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، من كبار علماء اليمن ، توفي
سنة ١٢٥٠ هـ ، له ترجمة في الأعلام ١٥٢/٦ .
(٣) فتح القدير للشوكاني (١/١٧٩ ، ١٨٠) ط . مصطفى الحلبي .

الثابت حين قال سبحانه: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ^(١) ﴾ وقوله ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَقْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ مَزِيدٌ ^(٢) ﴾ ولم يكتب الحق سبحانه وتعالى بهذا بل مهّد له بالنداء الموقظ للشعور الباعث على الامتثال والطاعة فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ^(٣) ﴾ فبيّن تعالى أن الصوم ليس تكليفاً جديداً إنما هو تشريع سابق، وفي هذا ما تستريح له النفوس، وييسر له القبول والطاعة، وعدم الشعور بالحرج والضيق لأن المسلمين ليسوا منفردين بهذا التكليف. فالصوم عبادة عرفها الإنسان عن طريق الرسل وسيلة إلى القربى إلى الله وعرفها الوثنيون طريقاً من طرق التهذيب والرياضة

صوم اليهود :

" ويمكن تقسيمه عند هم إلى قسمين " الصوم الجماعي أو العام ، الصوم الفردي أو الخاص ، أما الصوم الجماعي فهو على نوعين : صوم إجباري للجميع ^(٤) بموجب نص إلهي صريح ، وصوم عرضي تفرضه السلطة الدينية في مناسبات خاصة .

إن الصوم عند اليهود يعتبر رمزاً للحداد والحزن في العهد البابلي ، وبلجاً إله عند الشعور بالخطر ، وكانوا يصومون مؤقتاً إذا فعلوا ذنباً أو حلت بالبلاد نكبة أو نحو ذلك، وهي محددة لديهم في التقويم الميلادي علاوة على الصوم الكفارة ، وهناك أيام أخرى أضيفت يبلغ عددها خمسة عشر يوماً .

-
- (١) آية / ٥٤ / ، سورة الأنعام .
(٢) آية / ٢١ / ، سورة المجادلة .
(٣) آية / ١٨٣ / ، سورة البقرة .
(٤) دائرة معارف الأديان والأخلاق .

والصوم عندهم يبدأ من الشروق حتى ظهور أول نجم إلا صيام يوم الكفارة،
واليوم التاسع من شهر آب فإنه مستمر من المساء إلى المساء، وهناك تفاصيل
أخرى في صوم اليهود ولا داعي لذكرها .

صوم النصارى :

هناك خلافات جزئية في مناهج الصوم وأحكامه لدى النصارى، وقد نال
الصوم حظا من التقنين والتنظيم لديهم، وقد اتسم الصوم بصلاية وشدة في القرن
الرابع ، وكان هناك اختلاف في نهايته ، وهناك اختلاف بينهم : كان بعضهم
يمسك عن تناول الحيوانات ، وبعضهم يترك البيض والفواكه .

وبعضهم يكفيه الخبز اليابس ، وأخيرا وبعد تنظيم بينته الكنيسة الإنجليزية
في الصوم ولم تقن قوانين . تاركة ذلك لضمير الفرد . وقد وضعت قوانين تفرض
الإسك من اللحوم في أيام الصيام (١) .

وغرضنا في هذا الاستعراض هو تبين ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

الفوائد العرفية التي تعود على الإنسان بالصوم :

الصوم قيمة في حد ذاته لأنه منهج لإصلاح النفس ولما له من آثار على

النفس عظيمة

(١) تراجع في ذلك تفصيلا دائرة معارف الأديان والأخلاق .

Encyclopedia Of Religions And Ethics

(٢) آية / ١٨٣ / ، سورة البقرة .

وفى هذه الدرجات ترتقى النفس البشرية الى مرتبة
أعلى واسمى هذه الدرجات من المراتب التي تؤثر في النفس
مايلي :-

(١) فرس خلق المراقبة والمحاسبة والمتابعة للنفس ففى
كل وقت وحين ، كما يفرس الصوم خلق الصبر
والأنابة والتبصير التربوي فى الأمور كلها فهو
شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة .

(٢) وفى الصوم تربية العزيمة الصادقة التى هى
منطلق ومرتكز فى أمور الدين والدنيا ، وفى الصوم
كسر لنوازع الشهوة وضرورات الجسد ، وضبط
لهوى النفس وما ينشأ عن ذلك من غضب وانتقام .

(٣) للصوم ميزة على سائر العبادات الأخرى
وهى أن جميع العبادات عمل بالجوارح
أما الصوم فهو امتناع باطني لأنسه
كف للنفس عن بعض ما تعودت ، وهى مرحلة
تدريب البدن على ضبط الأجهزة الداخلية من
جهاز هضمي وغيره على الكف عن الأطعمة التى ألفها
هذا البدن .

من هنا تأتى أهمية الصيام ومزيتة على سائر
العبادات فهو حرمان ، يقوم على حراسته

إيمان ومثابرة يؤديان إلى تقوية الإيمان، وتشبهت أركان العقيدة في النفس بما يحمل ذلك من فرس للجانب العملي في العبادات والمعاملات الإسلامية.

(٤) الصيام سر بين العبد وربه وهذه السرية تولد فيه المراقبة ، والتدريب على الجوع يضيق مسالك الشيطان وينمي في النفس القدرة على التحمل . إذن هو تربية نفسية أخلاقية بالدرجة الأولى . ومن هنا ترتفع مستويات الأخلاق، وتعلو الهمم وتكبر النفوس، وترتفع من الصفائح، ويتقارب المسلمون، ويتحابون باتفاقهم على موعد واحد في الإمساك من الطعام وفي اتفاقهم في موعد واحد على الإفطار . ومن هنا ترتفع الأرواح عالية في مدارج الرقي في معارج الأخلاق السامية الكريمة والطباع النبيلة . ومع تكرار هذه العبادات كل عام يتكون المجتمع المسلم في نظر الإسلام ومنهجه الفريد^(١) .

الجوانب الروحية في الصيام :

يرتكز الصوم على مبادئ وقيم أخلاقية وعلى فوائد صحية، وللقيم الأخلاقية

آثار روحية وآثار مادية .

أولا : الآثار الروحية :

١ - الالتزام بطاعة الله :

إن الله عز وجل هو الذي فرض هذا الصوم . لذا وجب على المسلم

أن يؤدي هذه الأمانة التكليفية إذ إنه يثاب عليها ثوابا مفتوحا لا حدود له لأنه

(١) تراجع بتوسع منهج القرآن في بناء المجتمع ص ١٣٢ للشيخ شلتوت .

لله سبحانه ، وكرم الله واسع . يقال به رضوان الله ، واستحقاق دخول الجنان من باب خاص أعد للصائمين يقال له الريان .

قال عليه الصلاة والسلام : " إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد " (١)

" ويبعد عن نفسه عذاب الله تعالى بسبب ما قد يرتكبه من المعاصي فهو كفارة للذنوب من عام لآخر " (٢)

إن الامتثال لأوامر الله بتنفيذ هذه الأوامر واجتناب النواهي يحقق التقوى قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٣)

٢ - تربية الأخلاق :

والأخلاق مجموع تصرفات وأفعال الإنسان الشعورية، واللاشعورية . يقول عليه الصلاة والسلام، فيما رواه البخاري عنه : " قال الله عز وجل : " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يمشج ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنني صائم إنني صائم " (٤)

-
- (١) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي عن سهل بن سعة ، الترغيب والترهيب (٢/٨٢ ، ٨٣) .
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته (٢/٥٧٦) ، مرجع سابق .
(٣) آية / ١٨٣ / ، سورة البقرة .
(٤) الترغيب والترهيب (٢/١٤٧) للمنزدي ، ط. دار الكتب العلمية - بيروت .

رواه البخاري ، واللفظ له ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ،
وابن ماجة .

والحديث يرشدنا إلى التزام الخلق القويم والأدب الرفيع والترفع عن
مساوي الألفاظ الخارجة عن الأدب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل
وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم مرتين " (١) .

قال ابن الأثير : معنى كونه جنة أي بقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات
وقال عياض (٢) : معناه يستر من الآثام أو من النار أو بجميع ذلك . وبالأخير قطع
النووي . قوله : " فلا يرفث " بفتح الفاء وكسرهما وضمها معناه : لا يفحش . والمراد
من الرفث هنا الكلام الفاحش ، ويطلق على الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء ،
ويحتمل أن يكون النهي عما هو أعم . منها قوله : ولا يجهل : أي لا يفعل
شيئا من أفعال الجاهلية كالسفه والسخرية . . . وقال القرطبي : لا يفهم من
هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم .

وقوله صلى الله عليه وسلم " وإن امرؤ شاتمه . . . " قال الشيخ زين الدين (٣) :

اختلف العلماء في هذا على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يقول ذلك بلسانه . إنني صائم حتى يعلم من يجهل أنه

معتصم بالصيام من اللغو والرفث والجهل .

(١) رواه البخاري " كتاب الصوم " ، باب (فضل الصوم) عمدة القاري (١٠ / ٢٥٦) .

(٢) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي أبو الفضل إمام أهل

الحديث في وقته ، توفي سنة ٥٤٤ هـ . الأعلام ٥ / ٩٩ .
(٣) زين الدين بن عبد الله أبو صادق الميموني : من علماء الحديث بمصر ،
شافعي له مختصر خاص من صحيح مسلم . قاموس الأعلام للزركلي (٣ / ٦٥) .

والثاني : أن يقول ذلك لنفسه . أي وإذا كنت صائما فلا ينهني أن

أخذ ش صومي بالجهل ونحوه فمزجر نفسه بذلك .

والقول الثالث : التفرقة بين صيام الفرض والنفل . فيقول ذلك بلسانه

في الفرض ويقول لنفسه في التطوع (١).

من هذا يتضح أن الصوم مدرسة خلقية كبرى يتدرب فيها المؤمن على
خصال كثيرة، فهو جهاد للنفس ، ومقاومة للأهواء ، ونزغات الشيطان التي قد تلوح
له ، ويتعود به الإنسان خلق الصبر على ما قد حرم منه ، وعلى الأهوال
والشدائد التي قد يتعرض لها . إذ يجد الطعام الشهوي يظبخ أمامه ، والروائح
تهيج عصارات معدته ، والماء العذب البارد يتترقق في ناظريه ، فيمتنع منه
منتظرا وقت الإذن الرباني بتناوله (٢) .

٣ — الصوم يربي المسلم على الأمانة :

إذا كانت الأمانة تعنى تأدية ما أوتمن المرء عليه فإن الصوم يقوم بهـذـه
المهمة، إذ ليس بين المرء وبين الإفطار حائل . إن المسلم يستشعر مراقبة الله
تعالى له في السر والعلن ، إذ لا رقيب على الصائم في أمتناعه عن الطيبات
إلا الله وحده (٣) .

ولأن السلطة فيه مخولة للضمير، فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي:

" كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به " (٤)

-
- (١) كتاب الصوم ، باب فضل الصوم ، عمدة القاري .
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته (٢/٥٦٧ ، ٥٦٨) .
(٣) المرجع السابق (٢/٥٦٨) .
(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٧٠ ، ٢٧٤) ، وابن عدي في
الكامل ٣/٩٤٥ ، وأحمد ٣/٢٧٣ ، وعبد الرزاق (٧٨٩) .

(١) قال ابن عبينه معقبا على الحديث السابق :

" هذا من أجود الأحاديث وأحكمها إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة " (٢)

٤ — الصوم بالسوي الإرادة :

الإرادة : أن يعتقد الإنسان الشيء ثم يعزم عليه . ثم يريد ، وقيل : الإقبال بالكلمة على الحق ، والإعراض عن الخلق ، وهي ابتداء المحبة .

فالصوم رحلة روحية . والإرادة غريزة فطرية تؤثر فيها عوامل كثيرة كما تؤثر في الصائم عوامل كثيرة، فمما يؤثر في الصوم تنشئة الآباء ، ورغبة المسلم في تأدية الفريضة ، والالتزام بأوامر الله عز وجل ، ومما يؤثر في إرادة المسلم رغبته في تحقيق ما يسعى إليه . وتقوي الإرادة بالإيمان . ومن هنا فإن الإيمان هو مفتاح الشخصية المسلمة القويمة، إن الصوم يقوي الإرادة ، ويشحذ العزيمة، ويعلم الصبر، ويساعد على صفاء الذهن واتقاد الفكر ، وإلهام الآراء الثابتة، إذا تخطى الصائم مرحلة الاسترخاء وتناسى ما قد يطرأ له من عوارض الارتخاء والفتور أحيانا .

٥ — الصوم يعلم النظام والانضباط :

إن تحديد وقت الإفطار ، ووقت السحور ، ووقت الإمساك أوجد عند المسلمين انضباطا في التوقيت ، وهذا التوقيت يوجد اتفاق النزوع في الرغبة

(١) سفیان بن عیینة بن میمون الہلالی الکوفی أبو محمد ، محدث الحرم ، توفي سنة ١٩٨ هـ . له تراجم في تاريخ بغداد ١٧٤/٩ ، حلية الأولياء ٢٧٠/٧

(٢) الدر المنثور (١/١٧٩) .

في تناول الطعام أو الإقلاع عنه، وهذا الاتفاق يحفز على التأمل والتفكير في حكمة الله في مشروعية الصوم ومعرفة فوائده . قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (١) .

إن الصوم يجبر الصائم على تناول الطعام والشراب في وقت محدد وموعود معين ، والصوم يشعر بوحدة المسلمين الحسية في المشرق والمغرب، فهم جميعاً يصومون ويفطرون في وقت واحد؛ لأن ربهم واحد وعبادتهم واحدة (٢) .

ثانياً : الآثار العاديه :

ليس الصوم تعذيباً للنفس بل هو رياضة روحية .

يقول الأستاذ العقاد : أصبح أبناء القرن العشرين جميعاً يزاوون نوعاً من أنواع الصيام في وقت من الأوقات لصالح البنية . أو صلاح الخلق . أو صلاح الجمال .

ومعنى الصيام : أنه الكف عن شهوات الطعام وسائر الشهوات الجسدية وقتاً من الأوقات . وهذا هو الصيام الذي تدعو إليه الحاجة في تحقيق أغراض التربية النفسية ، والتربية الاجتماعية وسائر ضروب التربية النافعة على حالة من الحالات " وهذه حالات عدة . ثم يخلص إلى القول بأن : هذه الأنواع من الصيام كلها صالحة لغرض من أغراض التربية العامة أو الخاصة بهتدي إليه أبناء القرن العشرين ، ويتعلمون منه أن الآداب الدينية تسبق " التحقيق العلمي "

(١) آية / ١٨٧ / ، سورة البقرة .

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته (٢ / ٥٦٨) .

إلى خلق العادات الصالحة واشتراع الآداب الضرورية لمطالب الجسد والروح
في الجانب الخاص . أو الجانب العام في حياة الإنسان " . (١)

١ - تربية الصوم للمسلمين : الإحساس بالفقراء :

هذا هو الدور الجليل في التربية بالصوم ، فلأنه أمر من الله وجب القيام
به وتنفيذه ، ويهدف هذا الصيام إلى " تربية النفس " وتقويمها وتعويدها على
الصبر وتحمل المشاق والشعور بما يعانيه المحرومون من قلة الطعام والصيام يعلم
النفس كيف يضبظها صاحبها ويكبح شهواتها ، ويقوي العزيمة بالإضافة إلى
ما في الصيام من الفائدة الصحية التي ينتفع بها الجسم لتخليصه من الفضلات
الضارة ، وتعويد الإنسان عدم الإسراف في الطعام والشراب (٢) ، وتدفع الزكاة
عقب الانتها من الصوم ، وهي زكاة الفطر التي قال الله عز وجل عنها : ﴿ وَالَّذِينَ
فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِللسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٣) ، وقال سبحانه ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
لِللسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٤) .

ورد في إحياء علوم الدين عن أسرار الصوم :

أولا : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره، وإلى كل ما يشغل
القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل .

(١) ما يقال عن الإسلام . موضوع الصيام في القرن العشرين ٦ / ٥٥٥ ، ٥٥٦ ،
المجموعة الكاملة للعقاد - المجلد السادس ط . دار الكتاب اللبناني
ببيروت .

(٢) عناية القرآن والسنة بتنشئة الطفل ص ١٥٣ ، رسالة ماجستير بأصول الدين ،
الأزهر بقلم / محمد علي أبو الحسن .

(٣) آية / ٢٥ / ، سورة المعارج .

(٤) آية / ١٩ / ، سورة الذاريات .

ثانيا : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاس^(١) والخصومة والمراء^(٢) وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله وقراءة القرآن .

ثالثا : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ولذلك سوى الله سبحانه بين المستمع وأكل السحت فقال تعالى: ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾^(٢) ، وقال عز وجل: ﴿ لَوْلَا رَهْبُهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(٣) .
وقال عز وجل: ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ﴾^(٤) .

رابعا : كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل وعن المكاره وكف البطن عن الشهوات في وقت الإفطار وفي جميع الأوقات .

خامسا : ألا يكثر من الطعام والشراب وقت الإفطار بحيث يمتلىء جوفه فهذا وإن كان عاما في غير الصوم فهو في الصوم ألزم .

سادسا : أن يكون قلبه بعد الإفطار قلقلًا مضطربا بين الخوف والرجاء، إذ لا يدري أيقبل صومه فهو من المقربين . أو يرد عليه فهو من الممقوتين^(٥) .

-
- (١) إحياء علوم الدين (١/٣٥) ط. عيسى الحلبي .
 - (٢) آية /٤٢/ ، سورة المائدة .
 - (٣) آية /٦٣/ ، سورة المائدة .
 - (٤) آية /١٤٠/ ، سورة النساء .
 - (٥) الترغيب والترهيب للمنذري (٢/١٤٣) ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٣ - فائدة الصوم الرياضي :

للصوم فوائد صحية بدنية هذه الفوائد تؤثر في الجسم من حيث النشاط " بل إن الرياضيين في جميع النحل ليلجأون إلى الصوم التماسا لما فيه من تصفية النفس وقوة الروح والقلب كالبوديين والهنود .

وكذلك الفلاسفة ولا سيما الإشرافيون منهم على اختلاف النظم في ذلك، بعد اتفاقهم في نفس الإصلاح ونشدان التصفية والخفة التي ترتفع بمستوى الناس إلى ما خلقهم الله لأجله " (١).

ومن المعروف أنه كلما ثقل الجسم وتضخم كلما قلت الحركة وأصبح عبيء الثقيل أضراره أكثر من نفعه .

يقول الأستاذ العقاد -رحمة الله تعالى عليه - : ومن الصيام الذي ثبت لزومه في هذا العصر : صيام الرياضيين وهم يملكون بإرادتهم زمام وظائفهم الجسدية ، ويتجنبون كل طعام يحول بينهم وبين رشاقة الحركة . أو يحول بينهم وبين الصبر على الحركة العنيفة ، والحركة التي تتعاقب على انتظام، التي مسافة طويلة من المكان أو من الزمن، ولا يستطيعونها من جهل نظام الصيام، ولا يروض نفسه وجسده على نوع من أنواعه طوال حياته " (٢).

إن الصوم فعلا يجدد حياة الإنسان بتجديد الخلايا وطرح ما شاخ منها وإراحة المعدة وجهاز الهضم وحمية الجسد ، والتخلص من الفضلات المترسبة

(١) إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام ص ٣ ، المقدمة لابن حجر الهيتمي .

(٢) ما يقال عن الإسلام . الأعمال الكاملة للعقاد (٦ / ٥٥٥) .

(١)
والأطعمة غير المهضومة ، والعفونات أو الرطوبات التي تتركها الأطعمة والأشربة "

فائدة الصوم الطبيعية :

يتنوع العلاج حسب الحالة الصحية للمريض، ولذلك فإن الصوم يقوم بسدور كبير في علاج الجسم علاجا دون تكلفة، وهو علاج يحافظ على الإنسان، ويحافظ على صحته ويصون قوامه وينشط حركته ، ومن هذا المنطلق نجد عوامل كثيرة تدفع المرء إلى الصيام منها :

- ١ — تخفيف الوزن بأسرع وأسهل وسيلة ممكنة .
- ٢ — لتشعر بتحسّن جسمي وعقلي .
- ٣ — لتشعر بحيوية الشباب وتبدو أكثر ما يكون قوة ونشاطا .
- ٤ — لتعطي أجهزة جسمك فترة راحة مناسبة .
- ٥ — لمعالجة العديد من الأمراض الشائعة .
- ٦ — لكي توفر قسطا من المال .
- ٧ — لتنظف جسمك وتطهره بإخراج الخبث منه كذلك السموم .
- ٨ — لتخفيض معدل ضغط الدم وانقاص مستوى مادة الكوليسترول (٢) .
- ٩ — لتترك الفرصة لجسمك ليبرح نفسه بنفسه .
- ١٠ — للتخلص من التوتر العصبي أو النفسي .
- ١١ — لتتمكن من التخلي عن العلاج بالأدوية والمهدئات .
- ١٢ — لتنام بصورة أفضل .

(١) الفقه الإسلامي وأدلته (٥٦٨/٢) .

(٢) الكوليسترول : مادة توجد بالجسم تنتج من هضم الدهون وتعمل على تصلب الشرايين عند ترسيبها بكثرة بجدار الشرايين .

- ١٣ - لتتمكن المعدة من هضم الطعام بصورة أفضل وذلك بالتخلص من كل ما بهها من طعام .
- ١٤ - لتشعر بالنشاط والخفة .
- ١٥ - لصقل الحواس وإيقاظ المواهب .
- ١٦ - لتنشيط العمليات الفكرية وتوفير الوقت .
- ١٧ - لمضاعفة احترام الذات وتعليم عادات أفضل للأكل .
- ١٨ - لمشاركة الجائعين جوهم والإحساس بنفس أحاسيسهم .
- ١٩ - لاكتساب القدرة على ضبط النفس .
- ٢٠ - للسمو الروحي والوصول إلى الكشوفات الروحية .
- ٢١ - للفت الانتباه إلى الأمور الاجتماعية ذات الأهمية البالغة .
- ٢٢ - مفيد في علاج أمراض خطيرة على الجسم منها النفسي والجسمي .
- ٢٣ - علاج لزيادة الضغط الذاتي المنتشر بسبب الترف والضغط النفسية والاجتماعية .
- ٢٤ - علاج الهول السكري وهو كثير الانتشار .
- ٢٥ - في علاج التهاب الكلى الحاد والمزمن .

ومن أشهر من ألف في هذا المجال عالم أمريكي اسمه (ماك فادن) وهو عالم متخصص بأسس مصحة شهيرة في بلده أسماها باسمه، وألف كتاباً عن الصيام بعد تجربة وممارسة ومعاينة دقيقة وفاحصة .

ومن هنا نجد أن أعداء الإسلام قد فطنوا لفوائد الصيام تماماً، كما فطن إليها بعض الأطباء المسلمين، فكثرت الأبحاث والمقالات حول الصيام وفوائده الروحية والصحية والتهربية والاجتماعية، وهي من مقاصد هذا البحث المهمة .

ولقد عالج بعض الأطباء مرضاهم بالصوم، ولقد شفى العديد منهم من أمراض مستعصية بإذن الله، وذلك بالصيام .

ومما قاله العالم لاك فادن " السابق الذكر عن الصيام : إن الصيام نافع للجسم، ويصفيه من رواسب السموم التي تشتمل عليها الأغذية والأدوية ، وقد قال هذا العالم؛ إنه طالج أكثر الأمراض بالصيام، وكان الصوم لمثل تلك الأمراض كالعصا السحرية، يسارع في شفاؤها، ويرى المعالج به العجب العجائب، ويؤمن أيضا أن الجسم بحاجة إلى الصيام، وإن لم يكن صاحبه مريضا؛ لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم، فتجعله كالمرضى، وصدق الحق سبحانه إذ يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(١)

الحالات التي يروى فيها بالفطر :

لم يطبق نظام الصوم في الإسلام دون مراعاة لظروف الفرد ، فهذا غير مقصود قط؛ ولذلك فالمصابون بهذه الأمراض لا يجب عليهم الصوم .

(١) أمراض القلب عموما ، وعلى وجه الخصوص الذين لديهم استعداد لتخثر الدم نتيجة الصوم .

(٢) الأورام والقرحات النازفة، وكذلك السرطان وأمراض الدم والأمراض الرئوية الحادة .

(٣) داء السكري عند الأحداث، وكذلك النقرس المسمى " داء الملوك " وأمراض الكبد والمخ ، والقرآن واضح في هذه المسألة بالذات حينما قال الحق سبحانه: ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾^(٢) .
وأما من كان قادرا فعليه صومه ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾^(٣)

صيام التطوع :

لم يقطع الإسلام صلة المسلم بالصيام على شهر من الشهور إلا على شهر رمضان ، ولذلك جعل الباب مفتوحا لصيام التطوع، وسن لهم أن يقتدوا برسولهم

(١) آية / ٥٣ / ، سورة فصلت .

(٢) آية / ١٨٥ / ، سورة البقرة .

(٣) آية / ١٨٥ / ، سورة البقرة .

صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم كثير الصيام . وهاك أشهر الأيام التي كان يصومها .

١ - صيام يوم وإفطار يوم :

يقول عليه الصلاة والسلام : " أفضل الصيام صيام داود - عليه السلام - كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً . (١) "

٢ - صوم ثلاثة أيام من كل شهر :

والأفضل أن تكون الأيام البيض من الشهر العربي وهي : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .
روى أبو ذر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام (٢)
فصم ثالث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة . (٣)

٣ - صوم الاثنين والخميس من كل أسبوع :

(٤)

روى من أسامة بن زيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصوم يوم الاثنين والخميس . فسئل عن ذلك . فقال : " إن أعمال الناس تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس (٥)
وفي لفظ : " وأحب أن يعرض علي وأنا صائم " .

- (١) حديث متفق عليه . نيل الأوطار (٤/٢٥٤) .
وأخرجه النسائي (٤/٢٠٩) كتاب الصوم . باب صوم يوم وإفطار يوم .
- (٢) أبو ذر : جندب بن جنادة بن سفيان بن صهيد من بني فزار من كنانة بني خزيمية . من كبار الصحابة ، خاص من أسلموا ، توفي سنة ٣٢ هـ . له تراجم في : الإصابة ٦٠/٧ ، صفوة الصفوة ٢٣٨/١ ، حلية الأولياء ١/١٥٦ .
- (٣) رواه الترمذي رقم (٧٦١) ٦ - كتاب الصوم ٥٤ - باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر وحسنه ابن ماجه ٧ - كتاب الصيام ، ٣٣ - باب صيام ستة أيام من شوال ، وأحمد نيل الأوطار ٤/٢٥٢ ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤/٢٩٤ ، والنسائي في ٢٢ - كتاب الصيام ٨٤ - باب ذكر الاختلاف على موسى ابن طلحة في الخبر في صيام ثلاثة أيام من الشهر .
- (٤) أسامة بن زيد بن حارثة بن كنانة بن عوف أبو محمد ، صحابي نشأ على الإسلام لأن أباه من أوائل المسلمين ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً . توفي سنة ٥٤ هـ ، له تراجم في طبقات ابن سعد ٤/٦١ . الإصابة ٢٩/١ ، الأعلام ١/٢٩١ .
- (٥) رواه أحمد وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤/٢٩٤ ، والنسائي باب صوم النبي ٤/٢٠٢ .

٤ — صيام ستة أيام من شوال :

ولا يشترط أن تكون مجتمعة أو متفرقة .
(١)
فقد روي عن أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من صام رمضان
ثم أتبعه بست من شوال فذلك صيام الدهر " .
(٢)

٥ — صيام يوم عرفه :

وهو التاسع من ذي الحجة . روى مسلم : " صيام يوم عرفه ، إنني أحتسب
على الله أنه يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده " .
(٣)

٦ — صوم تاسوما وماشورا :

وهما يوموا التاسع والعاشر من شهر الله المحرم . إن النبي صلى الله عليه
وسلم وجد اليهود يصومون يوم العاشر من محرم . وحين سأل . قالوا : ذلك اليوم
نجى الله فيه موسى . فقال " أنا أحق بموسى منكم " .
(٤)

٧ — إكثار الصيام في الأشهر الحرم :

وهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد منفرد وهو رجب .

- (١) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة أبو أيوب الأنصاري من بني النجار ، صحابي
شهد سائر المعارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفي سنة ٥٢ هـ ،
له تراجم في الإصابة ٤٠٥ / ١ ، صفوة الصفوة ١ / ١٨٦ ، حلية الأولياء
٣٦١ / ١ .
- (٢) رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي ، رواه أحمد من حديث جابر (نيل
الأوطار ٢٣٧ / ٤) .
- (٣) متفق عليه نيل الأوطار (٢٤١ / ٤) ، مسلم كتاب الصيام ، باب ٣٦ رقم
(١٩٦) ، وأبو داود كتاب الصيام ، باب ٥٣ وابن ماجه ١ / ٥٥ ، ٧ —
كتاب الصيام ٤٠ — باب صيام يوم عرفه رقم الحديث ١٧٤٠ عن أبي قتادة
وأخرجه البغوي في شرح السنة ٦ / ٣٤٤ .
- (٤) متفق عليه ، نيل الأوطار ٢٤١ / ٤ .

الأثر النفسي لهذا الصيام التطوعي :

- ١ - يتعود المسلم من خلال الصيام المراقبة على نفسه من حيث أقواله وتصرفه في أفعاله ، وصيام أوقات أخرى غير رمضان، يجعل هذه المراقبة فسي استمرارية، يمارع فيها الشيطان، فلا يجد سبيلا لديه .
 - ٢ - " إن ما في الصوم من كبت وحرمان، ليس هدفه هذا الكبت والحرمان ، وإنما الصوم وسيلة إلى غاية نبيلة، إنه التدريب على السيادة والقيادة ، قيادة النفس وضبط زمامها " (١) .
 - ٣ - الصيام يوجد مجتمعاً فاضلاً، حيث تحل الأخلاق الكريمة محل الأخلاق الرذيلة ويصلح حال الأمة، وتقوى على أعدائها، وتستعيد الحقوق المسلوبة منها .
وبعد :
 - فهذه فريضة الصيام بكل أبعادها ومعطياتها التربوية والنفسية والأسرية والاجتماعية، إنه تشريع حق ونهج تربوي سليم، نابع من تعاليم القرآن، أتى لخير البشر دينا ودنياً فهل يعي بعض المسلمين هذه المثل ؟ وهل يعقلون هذه المزايا الخالدة ؟ .
- يقول الأستاذ سيد قطب في تفسيره الجليل " في ظلال القرآن " :
- " كان من الطبيعي أن يفرض الإسلام الصوم على الأمة التي يفرض عليها الجهاد في سبيل الله لتقرير منهجه في الأرض وللقيام به على البشر وللشهادة على الناس، فالصوم هو مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة ، ومجال

(١) الصوم تربوية وجهاد ، د . محمد عبدالله دراز ص ١٤ ط المكتب الفني للنشر بالقاهرة .

اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه مجال للاستعلاء على ضرورات الجسد كلها ، واحتمال ضغطها وثقلها إثباتاً لما عند الله من الرضا والمتسع وذلك كله لازم لإعداد النفوس لاحتفال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك، والذي تتناثر على جوانبه الرغائب والشهوات والذي تهتف بالسالكين فيه آلاف المغربات .^(١)

وقد أصاب - رحمه الله - كبد الحقيقة ، والعلم عند الله .

(١) في ظلال القرآن (١ / ٢٩٨) .

((دور الحج في التربية))

تعريف الحج في اللغة :

- (١) يعرف الحج بأنه " القصد إلى الشيء المعظم " .
وحج البيت الحرام أي قصده للنسك .

تعريف الحج شرعاً :

- " هو اسم لأفعال مخصوصة " ^(٢) أو قصد مكة لعمل مخصوص .

فالمعنى الشرعي يجب اشتماله على اللغوي بزيادة المناسبة بين المعنيين
فالحج شرعاً قصد : وهو النية وزيادة الأفعال كالصلاة دعا^(٣)، وزيادة^(٤) الأفعال
كما قبل، الحج قصد الكعبة للنسك ^(٤) .

ونخلص من هذه التعريفات أن الحج عمل قصد به وجه الله تعالى، والإخلاص
فيه واجب، حتى يتقبل وهذه تربية المراقبة، ونعني أن يكون مال المسلم الذي سينفقه
في حجه وفي سفره من حلال، وأن تكون معاملته مع الحجيج بنية الإخلاص في الطاعة
والعبادة لله عز وجل .

أنواع الحج :

١ - الحج الأصغر :

- " الذي ليس فيه الوقوف بعرفة ويسمى العمرة " ^(٥) .

- (١) التعريفات ص ١١٥ للجرجاني ط . عالم الكتب ببيروت .
(٢) المغني لابن قدامة (٢١٧/٣) .
(٣) الروض المربع وحاشية ابن قاسم (٥٠٠/٣) .
(٤) شرح روض الطالبين (٤٤٣/١) .
(٥) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً .

٢ - الحج الأكبر :

وهو الذي فيه وقوف بعرفة، ويسمى الحج الأكبر بنص القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تَبَتَّمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

ويوم الحج الأكبر هو يوم النحر وقيل يوم عرفة .

٣ - الحج المبرور :

في قول الحسن البصري (٢) هو أن يرجع زاهدا في الدنيا رافيا في الآخرة، وقول القرطبي : هو أي الحج الذي طلب من المكلف على الوجه الأكمل ، وفي قول بعض العلماء هو الذي لم يخالطه شيء من الإثم ، وفي قول بعضهم أن لا يكون فاسدا (٣) .

مكانة الحج بين العبادات :

تنقسم العبادات في الإسلام إلى ثلاثة أقسام :

(١) عبادة بدنية :

كالصلاة وهي عبادة قائمة على الاغتسال والوقوف في الصلاة متوجها إلى الله عز وجل ، بالتضرع والدعاء، وهي فرض عين على جميع المكلفين من

-
- (١) آية / ٣ / ، سورة التوبة .
(٢) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨ ، ترجمة رقم ٦٤ وله ترجمات أخرى في المراجع الآتية : تذكرة الحفاظ (٧١ / ١) ، تهذيب التهذيب (٢٦٣ / ٢) ، حلية الأولياء ٢ / ١٣١ ، شذرات الذهب ١ / ١٣٦ .
(٣) القاموس الفقهي ، لغة واصطلاحا .

المسلمين، وهم في كامل وعيهم . والصيام عبادة بدنية يقصد بها تهذيب النفس وتدريب الجسد والفرد المسلم على الإحساس بغيره .

(٢) عبادة مالية :

وهي الصدقات ودفع الزكوات ، كفارات الإيمان والأضاحي، ويصح فيها الإنبابة . قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (١)

(٣) عبادة مركبة :

من هاتين العبادتين . العبادة البدنية والعبادة المالية من تكليف النفس بالعبادة ، والجود بالمال ، وتكبد المشاق في الانتقال إلى الأماكن المقدسة ، وبين أماكن المشاعر يسعى ، وينفق على تنقلاته ويذبح الهدي . ويؤدي الصلوات . لهذا كان الحج يحمل الحسنيين من العبادات، ويصح في الحج الإنبابة كأدائه أصالة .

وفي الحج ضبط للأعصاب على الرغم من المصاعب التي يلاقيها والمتاعب التي يواجهها لأن الله قال له: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (٢)

الحج وأثاره التربوية والروحية :

الحج رحلة روحية، فيها يتخلص الإنسان من كثافة المادة إلى شفافية الروح، ينتقل الإنسان من متع الدنيا ووجعها، إلى نعيم الآخرة، ومن أجله يستعذب

(١) آية / ١٠٣ / ، سورة التوبة .

(٢) آية / ١٩٧ / ، سورة البقرة .

المشقات التي يجدها من سفر ، وانفاق مال ، ومفارقة الأهل .

والحج يشتمل على كثير من العبادات التي يترتب فيها المسلم تربية أخلاقية روحية متقربة من الله تعالى كالإحرام ، والتلبية ، ودخول مكة ، والطواف ، والسعي في تلك البقاع الطاهرة والأماكن المقدسة .

والآيات الآتية تبين الفوائد التربوية والآثار الروحية . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُنُوبًا وَمَنْ لَمْ يَطِيفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُهْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حَنَفَاءً لِلَّهِ فِيمَ شَرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَانَ خَرًّا مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهَا لِلَّهِ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١) ﴾

وهذه الآيات تبين أن في الحج منافع جملة :

- ١ - ذكر الله والتدبر في نعمه وشكره عليها .
- ٢ - العطف على الفقراء .

(١) الآيات من ٢٧ - ٣٥ ، سورة الحج .

٣ - الوفاء بالنذور .

٤ - الطواف حول البيت العتيق وتعظيم حرمان الله .

قال ابن عباس : (لمشهدوا منافع لهم)

قال : منافع الدنيا والآخرة ، أما منافع الآخرة : فرضوان الله تعالى ،

وأما منافع الدنيا : فما يصيبون من منافع البدن والذبايح والتجارات ، وكذا

قال مجاهد^(١) وغير واحد إنها منافع الدنيا والآخرة^(٢) .

(٢)

١ - وأيضاً من المنافع : الراحة النفسية والجو الروحي المشعر بيوم الحشر،
ففيه من الرهبة والرغبة ما يجعل القلب في حضور دائم مع الله . إن هذه
اللحظات فيها : " حالات الوجد التي تستجيشها في وجدانهم زيارة
الأماكن المقدسة وآداء الفريضة . فبالها من حالات عجيبة نادرة المثال
في واقع الحياة . حالات ترتفع فيها النفوس البشرية من ملابسات الأرض
ومطامع الأرض، وشهوات الأرض وتتجرد لله خالصة تتوجه إليه أن يتقبلها
في عبادة ويمنحها مغفرته ورضوانه . إنها مشاعر عميقة تهز الوجدان هزاً،
أو تصل إلى أعماقه . تصل إلى الكيان الخالص المصفى من الأدران إلى
الجوهر الشفاف المستضيء بنور الله هنالك، حيث أودعه الله ليتصل به
ويلقاه .

٢ - في الحج تربية روحية رفيعة المستوى تهذب من نفسه وتهذب خلقه وفيها

يعترف الإنسان بذنبه فيغفر له ربه .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢١٦) ط. عيسى الحلبي .

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي . مولى بني مخزوم . تابعي مفسر ، من
أهل مكة ، توفي سنة ١٠٤ هـ . حلية الأولياء ٣/٢٧٩ ، الأعلام ٥/٢٧٨

٣ - في الحج تربية اجتماعية رائعة حيث يلتقي جموع المسلمين من كافة بقاع الدنيا من كل حدب وصوب، وتتألف القلوب، وتتدارس الأمور في معرفة أحوالهم الاجتماعية وعاداتهم وطباعهم وشتى ألوان معاشهم، فيحدث امتزاج لهذه الصنوف المختلفة من العادات والتقاليد .

٤ - في الحج تذكر لأصل الإنسان بأنه من أب واحد وأم واحدة من آدم عليه السلام ومن حواء عليها السلام . تجرد الرجال من كل مخيط وتوحّد الزبي والهدف . وأخذ الجميع صورة إيمانية رائعة . ذابت الفوارق اقتداءً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - معبرين بلسان الحق والصدق ، لبيك اللهم لبيك . . . إلخ

مبرهنين على الاستجابة القلبية لنداء الخليل عليه السلام حين قال عليه السلام : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقِهِمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

٥ - وإذا كانت الصلاة والزكاة والصوم فرائض الإسلام وشعائره التي جعلها الله أشعة هدى، ومصابيح ضياء، وأساليب تهذيب وتقويم وتكريم ، ووسائل تدريب وتقريب على حسن الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان . وبينه وبين خالقه جل وعلا . فإن فريضة الحج ونسكه جماع ذلك كله . ففريضة الحج جمعت مبادئ التربية الحقة كلها، وهي كفيّلة بأن تعيد للإنسان إنسانيته، وأدميته ، وكرامته . ففي مفارقة الأهل ، والمال ، والوطن ، وسير الإنسان في رحلته الطويلة بالمال والمتاع يذكره بوجوب التزود بالعمل

(١) آية / ٣٧ / ، سورة إبراهيم .

الصالح ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (١)

٦ - وهذه المفارقة تحرير للإنسان من عبودية المال والوطن، وجهاد للنفس ورياضة لها ، وبعيد المكان وبمرور الزمان يتكون منهج تربوي رائد للالتزام والاهتمام بشرع الله دائما .

٧ - وفي الحج ونسكه يربط المسلم بين حاضره وماضيه، وهي تشير ذكريات عذاب، ويتلاشى الزمان والمكان، وتصفو الروح وتستقر . ففيه تجديد الصلة الوثيقة بإمام الموحد بن، إمام الملة الحنيفية، سيدنا إبراهيم عليه السلام، ففيه المحافظة والاهتمام بميراث الأنبياء عليهم السلام - الحج رمز للتضحية والفداء . فيه يتذكر المسلمون قصة التضحية من إبراهيم عليه السلام وروح الفداء من الله عز وجل . وهذا الدرس يعلمنا أن الامتثال لأوامر الله ينجي صاحبه من الهلاك، وفيه تعليم للقادة من المسلمين أن يطاردوا الشر أينما كان، ويقطعوا دابرهم، ويحشوا على الفضيلة، ويعملوا على تشبيتها في نفوس الناس .

٨ - وفي رمي الجمار تمثيل رائع مشاهد وتطبيق عملي لقصة وقعت قبل آلاف السنين، وكأنها تطبق بدقة وروية كل عام يطبقها مئات الآلاف من الحجاج بدون ضجيج ولا تكلف، والمسلم يؤدبها حقيقة إخزاء للشيطان، وتقوية للإيمان واقتداء بخليل الرحمن ، وهي بمثابة إعلان رفض المسلم للشر .

٩ - والتربية الإسلامية في الحج نعرف منها القليل، ونجهل الكثير، لكننا حسبننا المنافع الظاهرة ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (٢) . وقد دل التعبير الدقيق

(١) آية / ١٩٧ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ٢٧ / ، سورة الحج .

ببلاغة على كثرتها وتنوعها وعظيم فائدتها . فالبلد الآمن رمز الحياة الإسلامية الحققة بصورها كما كانت .

١٠- والحكمة في ذلك يلمسها ويتذوقها، ويحس بها كل قادم إلى البيت العتيق، لا تحول بين كليهما فروق الزمان والمكان، فهو مركز الحج إلى آخر الزمان ومولد الإسلام ، وعاصمة المسلمين وقبلتهم . لذا نجد التربية الروحية الجادة والتربية القرآنية الماثلة واضحة في شعائر الحج ونسكه .

١١- فالحج مدرسة جامعة بعيدة عن الغفلة والعبث، فهو عبادة عميقة الأثر . وهو تربية عملية واقعية، ينفذ فيه تعاليم الدين التعبدية، وتعاليمه السلوكية، وفيه درس في ضرورة الاهتمام، بالانضباط وأهميته في كل لحظات حياة الفرد لا مثيل لها .

والإحرام بالحج بمثابة التكبير في الصلاة . ففيه الإخلاص والتعظيم لشعبيرة الله عزيمة صادقة بفعل ظاهر . وكذلك الخروج منه لا يكون عفوية، ولا أنسى شأ . بل لابد من ضوابط تحكم الخروج . وكل هذه المراسم ضوابط روحية كما لا يخرج المصلي من صلاته إلا بالتسليم ، وفي التلبية شحنات إيمانية قوية واتصال الأرض بالسما بالدعاء والتذلل والخضوع والبكاء والتماس العبد من ربه العفو، يقدم أسباب هذا الاعتذار .

لقد جمع الله في الحج حرمتين . حرمة الزمان ، وحرمة المكان ليقوي شعور المسلم . فحرمة المكان بالمسجد الحرام، وأن هذه الأماكن لها تصرفات من المسلم في سلوكه، يقوم بها، ويحرم عليه أشياء يقوم بها . فمما يحرم عليه مثلا : عقد النكاح والجماع ودواعيه كالقبلة والمباشرة ، وتحرم المخاصمة

مع الرفقاء والخدم ونحوهم لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾^(١)

ويحرم التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح . أما صيد البحر فهو حلال قال الله تعالى: ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ﴾^(٢) وحرمة الزمان بأنها الأشهر الحرم التي ذكرها مولانا في كتابه، والالتزام بهذه التعاليم في الأشهر الحرم يربى في المسلم طاعة الله، واجتناب معصيته، ويربى فيه الإرادة، وهي الإقبال بالكلية على الحق ، والإعراض عن الخلق^(٣) .

١٢ — ويمتاز الحج في الإسلام بدلالته الروحية التي لا ترتبط بمواسم الزرع والحصاد،

إنما يكون موسماً للطاعة والعبادة ، وإخلاص النية ، فإنه يتحقق في جميع المواسم والمواعيد ، ويأتي على مدار الفصول، وذلك لا يرتباطه بالسنة القمرية .

١٣ — إن المسلمين في الحج يلتفون حول هدف واحد هو تأدية فريضة الله عز وجل،

يتزودون بالشحنات الروحية لتقوم بذلك حياتهم . وهو أشبه ما يمكن بمن يفارق دنياه وحيدا لا زاد، ولا أنيس سوى ما أدخره من عمل صالح . . . يرمز لذلك تجرده من المخيط ، كذلك في شعته يشبه خروجه من قبره ، ووقوفه بجبل عرفات يشبه إلى حد ما وقوفه في عرصات القيامة ، ورجوعهم من عرفات ، من الموقف بعد الفصل والقضاء بينهم ، ولبثه في منى كلبث

(١) آية / ١٩٧ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ٩٦ / ، سورة المائدة .

(٣) معجم مصطلحات الصوفية ص ١٣ ، د / عبدالمع^{الدين} الحفني ، ط. دارالصيرة ببيروت . وكشاف اصطلاحات الفنون ٣ / ٣٥ ، ٣٦ ، للتهانوي .

المذنبين وانتظار شفاة الشافعين ، ونهاية المطاف بالبيت الحرام ،
وقد أمن الله قاصده ومبتغيه كما أمن ساكن الجنان من الفزع والخوف .

١٤ - في الحج يذكر خطيب العيد ومرشد وبيت الله الحرام الحجاج المسلمين
بتعاليم الدين باعتباره صمام أمان، ويفرض على أصحابه رقابة ذاتية واعية
تحت أي تأثير أو شهوة أو شبهة . إنهم يتدارسون تعاليم الله فيعرفون
الحلال من الحرام، ويعرفون أحكام دينهم فيما يدور بخلد هم، ويثير عزيقتهم ،
ويستولي على أفئدتهم في الحج تربية للدعاة على ضرورة العثابرة من أجل
نشر دين الله، وأن من واجبهم تحمل الأذى والمشاق، حتى يوفيهم الله أجر
ما صبروا عليه ، ولهم في سيدنا رسول الله . صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة
فهم يزورون مسجده حتى يجددوا العهد معه على ضرورة نشر دعوته وتبليغ
رسالته، ويتذكروا قوله تعالى لرسوله الكريم . صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١)

وليتذكر الداعية أنه طالما بلغ رسالة الله فإن الله كما عصم نبيه من أذى
المشركين قادر على أن يدفع أذى الحاقدين المنافقين ، والإحساس
بمسئولية تبليغ الرسالة لا تتوقف على الساكنين أو الذاهبين لبيت الله
الحرام . فإن نشر الرسالة يستمر كل لحظة من لحظات السلم . " لقد
كان عمر يضرب الحجاج إذا حجوا، ويقول : يا أهل اليمن يمنكم - أي عودوا
إليها - ويا أهل الشام شامكم ، ويا أهل العراق عراقكم ، ولذلك هم
رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف : وقال : خشيت أن يؤنس بهذا
البيت " (٢) .

(١) آية / ٦٧ / ، سورة المائدة .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (١ / ٢٤٤) .

١٥ - يقوم الحج بخرية المراقبة لقوله عليه الصلاة والسلام: " اعبد الله كأنك تراه ،

فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (١)

والمراقبة تكون بأن نفرغ قلوبنا من النظر الفكري ، ونجلس مع الحق تعالى

بالذكر على بساط الأدب والمراقبة والحضور ، والتهيء بقبول ما يـرد

علينا منه تعالى " (٢)

إن الحاج حريص على ألا يقع في معصية الله، لا سيما وهو في موسم الحج .

١٦ - يربى الحج في نفوس المسلمين الاتحاد فهو قوة . وفي تجمعهم عـزة

ورفعة. لهم في كل أمور حياتهم على مر العصور ، فحينما يجتمعون من أنحاء

العالم في هذا الموسم فمن الضروري أن أول ما يتدارسونه بعد أداء مناسك

الحج هو الشئون السياسية والأحوال الاجتماعية والظروف الخارجية التي

تحيط بالأمة الإسلامية . وكيف لا يتحد المسلمون، وقد قال الله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٣)

يقول الرازي : اعلم أن كل من يمشي على طريق رقيق يخاف أن تزلق

رجله فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبه ذلك الطريق أمن من

الخوف . ولا شك أن طريق الحق طريق دقيق ، وقد انزل رجل الكثير

من الخلق عنه . فمن اعتصم بآيات الله ونيانه، فإنه يأمن من ذلك الخوف.

فكان المراد من الحبل هاهنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق فـي

طريق الدين " (٤)

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢٤٤/١) ، أخرجه الإمام أحمد ١٣٢/٢ ، حلية

الأولياء ١١٥/٦ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٤٥/١٣ .

(٢) المعجم الصوفي - الحكمة في حدود الكلمة ص ٧٢٧ د / معاذ الحكيم ،

ط . قدره للطباعة والنشر، نقلًا عن الفتوحات المكية فقرة ٤٥ السفر الثاني .

(٣) آية / ١٠٣ / ، سورة آل عمران .

(٤) التفسير الكبير (١٦٢/٨) للرازي ، ط. إحياء التراث العربي ببيروت .

وكيف لا يتحد المسلمون ، وقد قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى
وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١) . ففي التعاون قوة . إن قوة المسلمين
تزداد عزما ، وتتجدد بتجدد هذا الموسم كل عام .

يقول الغزالي : " إن تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود . فإن
الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا ، حيث يثوبون ويعودون إليه مرة
أخرى ، ولا يقضون منه وطرا " (٢) .

ويكون هذا واضحا جليا وواقعا ملموسا لمن أدى مناسك الحج . إذ بعد
فراقه منها ، يشعر بشوق متجدد ، لا يفارقه مع ما يشعر به من أنس وألفة لتلك
المشاعر المقدسة . (٣)

١٧ — ليس المقصود بالأضحية في الإسلام أنها طعام للكهان ، أو طعام
للإله أو قربات لكسب الرضى من أحد ، ولكنها صدقة أو سخاء من النفس
في سبيل العبادة . يشير بها الإنسان إلى واجب التضحية بشيء من
الدنيا في سبيل الدين متجشما لذلك مشقة الرحلة وتكاليفها جهد المستطاع (٤)
وفي التضحية تربية على بلوغ الجود والوفاء بالعهد والسير على درب نبينا
إبراهيم ورسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) آية ٢ / ٢ ، سورة الطائدة .

(٢) إحياء علوم الدين ١ / ٢٤٤ .

(٣) تفسير سورة الحج والأهداف التي ترمى إليها ص ٢٣٣ ، رسالة دكتوراه
د . كمال محمد المهدي السيد النجار ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين .

(٤) المرجع السابق ص ٣٤٥ .

فضيلة الحج وثوابه :

روى عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم - في مسجد منى فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف . فسلما ثم قالوا : يا رسول الله جئنا نسألك ؟ . فقال : إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانسي فعلت . فقالا : أخبرنا يا رسول الله ، فقال الثقيفي للأنصاري : سل . فقال : أخبرني يا رسول الله . فقال : " جئتنني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه ، وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما ، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه ، وعن رميك الجمار ، ومالك فيه ، وعن نحرك وما لك فيه من الإفاضة ؟ " . فقال : والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . قال : " فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام ، لا تضع ناقتك خفا ، ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة : فإن الله يهبط إلى سما الدنيا فيها هي بكم الملائكة ، يقول : عبادي جاؤني شعثا من كل فج عميق يرجون جنتي ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل . أو كقطر المطر أو كزيد البحر لغفرتها . أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولعن شفعتم له ، وأما رميك الجمار ، فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك : فهذا خير لك عند ربك ، وأما حلاقتك رأسك ، فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك يأتيك حتى يرضع يده بين كتفيك فيقول :

(١) أعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى " . رواه الطبراني في الكبير والجزار واللفظ
له . . وقال : روي هذا الحديث من وجوه ، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق" .
(٢)

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه " .
(٣)

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : " فلم يرفث " الرفث : الجماع ،

ويطلق على التعريض به وعلى الفحش في القول ، وقال الأزهري : الرفث : اسم

جامع لكل ما يريد به الرجل من المرأة ، وكان ابن عمر يخصه بما خوطب به النساء ، وقال

عياض : هذا من قول الله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ والجمهور على

أن المراد به في الآية الجماع . انتهى .
(٤)

(١) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر الجزار من الحفاظ ، مات سنة ٢٩٢ هـ —

تاريخ بغداد ٢٣٤/٤ ، الشذرات ٢٠٩/٢ .

(٢) الترفيب والترهيب ٢/٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ومجمع الزوائد ٣/٢٧٤ ، ٢٧٥ ، كذا

عزاه الهيثمي لهما ثم قال رجال الجزار موثقون ، وهو عند الجزار (١/٩٠ ،

٢/٨٩ زوائد الجزار) وعند الطبراني ١٢/٤٢٥ رقم ١٣٥٦٦ .

(٣) رواه البخاري/كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ، ورواه مسلم والنسائي
والترمذي وابن ماجه .

(٤) فتح الباري رقم ١٥٢١ (٣/٣٨٢) ط . دار المعرفة - بيروت

((الحج في الأديان الأخرى))

لم تخل أمة من أمم الأرض من أمكنة تعظمها، وتشد إليها الرحال، لها طرق وعادات وتقاليد مختلفة .

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأُمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

فالديانة اليهودية والنصرانية تمارسان شيئاً من ذلك وبتفاصيل وطرق مختلفة، لا ترقى، ولا تقرب من نظم الحج الإسلامي، وطرقه الدقيقة الحكيمة الرائدة .
ففي الديانتين المذكورتين العديد من التحريف والتبديل والتضليل، ولا غرو أن يسبق الإسلام غيره في ذلك فهو كلمة الله الأخيرة إلى البشر، وهو بتنظيمه للحج غير مسبوق ولا ملحق بحال .

أما الجاهلية . . . فقد أدخلوا في الحج عادات جاهلية ضالة ما أنزل الله بها من سلطان . فقد ابتدعوا واصطلحوا على أشياء من تلقاء أنفسهم بحسب رغباتهم وأهوائهم، فحرفوا وبدلوا ما توارثته القبائل من إبراهيم عليه السلام، فكانت تسيطر على الحج ونسكه دعوى الجاهلية .

(١) آية / ٣٤ / ، سورة الحج .

(٢) آية / ٦٧ / ، سورة الحج .

وكانت قرينش تمارس شيئاً من الكبرياء والغطرسة والتمييز . ولما جاء القرآن اجتث هذه البدع والخرافات من أصولها وأبدلها بتشريعه الخالد الرائد، وأعادته إلى أصله الإبراهيمي في التوحيد والسمو والطهر، حيث بعث بالحنيفية السمحة يقيم ما أوجع ، ويبني ما انهدم ، ويصلح ما فسد . إذ بعث إلى قوم فيهم بقيّة من سنة راشدة ذات جذور أصيلة . لكنها شابهها شيء من التغيير والتبديل .

ومجمل القول :

أن الحج من العبادات متعددة المنافع وهي مع كثرتها يمكن لنا أن نقف منها على ثلاثة أمور :

- ١ - معاينة البيت الحرام والكعبة حرسها الله بوجه خاص ، تثير في وجدان المؤمن شعوراً فياضاً بالغبطة والانتماء والاعتزاز بهذا الدين القويم ، هذه المعاينة تربط المسلم بشعائر دينه، وتصله بالخالق جل وعلا صلة طاعة وانقياد .
 - ٢ - ربط المسلم بشعائر دينه ليرتبط بالتالي بخالقه، فهو يقضي وقتاً ممتعاً وأخذاً، يتدبر، ويفكر، ويذكر الله، ويتضرع إليه، ولقد قضى عمراً مديداً في مشاغل دنياه، ولقد حانت الفرصة ليروح عن نفسه بالطاعة . ويكفر عن ذنبه بالتضحية .
 - ٣ - منافع الحج ومكاسبه العاجلة والآجلة عديدة وفريدة، وهي تجربة تربوية رائدة، لا يمكن أن يتعرض لمثلها في حياته . ففي الحج مراجعة للنفس على ما قدمت وتدبر لما هو آت على أن يكون في طاعة الله .
- وبعد فيقول الأستاذ محمد قطب : إن الصلاة والصيام والزكاة والحج

وسائر الشعائر التعبدية إن هي إلا مفاتيح للعبادة ومحطات يقف عندها السائرون
في الطريق، يتزودون بالزاد، ولكن الطريق كله عبادة، وكل ما يقع فيه من نساك أو عمل
أو فكر أو شعور فهو كذلك عبادة . . . ما دامت وجهته إلى الله ، ما دام قد
شهد حقاً، لا باللسان^١ / أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام حياته
كلها وواقعه كله على هذا الأساس .^(١)

(١) منهج التربية الإسلامية ص ٣٨ محمد قطب .

الفصل الثاني

توجيه الغزاة للانسانية
وفيه خمسة مباحث

- غزوة الجاني ونظرة القرآن للزواج
 - توجيه غزوة التناسل
 - 66 66 التقليل
 - 66 66 حب التملك
 - توجيه حب السيطرة وحب الذات
 - ومما يتأخر عنهما من القتال والغضب
-



((البحث الأول))

فريزة الجنس ونظرة القرآن إلى الزواج (١)

تعد الفرائز عند الإنسان في معظمها نتيجة إفرازات الغدد بأنواعها المختلفة ، هذه الإفرازات ، هي التي توجه سلوك الإنسان ، أو يكون على الأقل لها تأثير في ميول فريزة الفرد من حيث الحدة أو الانخفاض في هذه الحدة .

والإسلام لم ينكر هذه الفرائز ، ولم يطلقها على شرستها ، بل اختار الطريق الوسط ، فنظم وهذب هذه الفرائز ، وأباح لها أن تصرف في سارها الصحيح الذي نظمه الشرع .

فمثلا فريزة الجنس أباح لكل من الابن والبنات الزواج ، حتى يخرج الولد له أم معلومة تقوم على رعايته وتسهر على تربيته ، ومن ثم فإن الإسلام وجه هذه الشهوة الفطرية من عذاب يلقى صاحبه ويكدر عليه صفو حياته إلى حالة هدوء واستقرار وهذا ما يحققه الزواج :-

أولا : الزواج الشرعي بحدوده وقبوده وضوابطه .

ثانيا : ملك اليمين : "فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ حِفْتُمْ إِلَّا تَعَدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" .

ثالثا : الصيام : قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباهة فليتزوج إلي أن قال ومن لم يستطع فعليه بالصوم . . . فإنه له وجاء (متفق عليه) وذلك لأن الرجل قد لا تندفع شهوته بالواحدة فأبيح له واحدة بعد واحدة حتى تبلغ أربعاً لأن في الأربع فنية لكل أحد إلا ما ندر .

تعريف الفريزة :-

التعريف اللغوي :

قال ابن منظور (٢) في "لسان العرب" مادة " فرز "

(١) تراجع كتاب الاسلام والمشكلة الجنسية ص ١٣ للدكتور / مصطفى عبد الواحد ط . دار النصر للطباعة الاسلامية ١٩٧٧ .
(٢) سبق ترجمته .

الغريزة : الطبيعة والقريحة والسجية من خير أو شر ، وقال اللحياني :
هي الأصل والطبيعة ، وفي حديث عمر - رضي الله عنه - : " الجبن والجـرأة
غرائز " (١) أي أخلاق وطبائع سالحة أو رديئة واحدها غريزة .

(٢)
وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة : " غرز " الفين والراء والزاء أصل

صحيح يدل على غرز الشيء في الشيء .

من ذلك : غرزت الشيء أغرزه غرزا . وغرزت رجله في الغرز . وغرزت الجراداة
بذنبها في الأرض ، مثل رزت . والطبيعة غريزة ، كأنها شيء غرز في الإنسان " (٣)

التعريف النفسي :

الغريزة عبارة عن استعداد فطري لا يحتاج إلى تعلم يدفع الكائن الحي إلى
القيام بسلوك خاص في موقف معين " (٤)

(٥)
الغريزة عند مكد وجمل :

هي استعداد نفسي فطري يجعل صاحبه يدرك مثيرا معيناً ، ويعاني خبرة
انفعالية خاصة عند إدراك هذا المثير ، وبسلك نحوه مسلكاً خاصاً . أو على الأقل
يحس بنزعة نحو هذا السلوك " (٦)

-
- (١) انظر النهاية لابن الأثير (٣ / ٣٥٩) والحديث عزاه السيوطي في الدرر المنتشرة ص ٩٦ لأبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه ط . دار العربية وانظر الحديث في المقاصد الحسنة ص ٣٦٦ .
 - (٢) أحمد بن فارس بن زكريا ، القزويني الرازي أبو الحسن ، من أئمة اللغة والأدب توفي سنة ٣٩٥ هـ ، له ترجمة في ابن خلكان ١ : ٣٥ ، الأعلام ١ / ١٩٣ .
 - (٣) مقاييس اللغة ٤ / ٤١٦ ، ابن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتب العلمية بإيران .
 - (٤) الدوافع النفسية (ص ٥) ، د . مصطفى فهمي ط . مكتبة مصر ، طبعة (٥) .
 - (٥) مكد وجمل : صاحب نظرية الغرائز وأحد علماء النفس ومؤسس المدرسة الغرضية في علم النفس . د . أحمد عزت راجع أصول علم النفس ص ٩٩ ، ١٩٨٥ ، دار المعارف مصر .
 - (٦) المرجع السابق ص ٦ .

مقصدنا في هذا المبحث :

مهمتنا في هذا المبحث معرفة النظرة الواقعية للفريزة الجنسية التي تنبع من روح الإسلام، والتي تعالج بعمق وصدق مشكلة من أهم وأعقد مشكلات العصر . هذه المشكلة التي عانى وبماني منها شباب الإسلام حيث الأخطار المحدقة، والأضاليل الموجهة والسوم الفتاكة منذ أن أصبح للحضارة الغربية تأثيرها الذي لا ينكر في المجتمعات الإسلامية .

وهذه المشكلة ما كان لها أن تظهر أو يستعر أوارها في مجتمعات الإسلام لو رجعت هذه الأمة إلى رشدها، وإلى قرآن ربها، والتزمت بمنهج القرآن الكريم وربت أبناءها وبناتها على هذا المنهج القويم .

لكن هناك فئات ضالة منحرفة تعمل جاهدة على بقاء وزيادة هذه المشكلة دون علاج حاسم، لبتاجر بها، وتكسب من ورائها بعد أن تمارسها . وهي تعد من أقوى وأعمق الفرائز البشرية فتكا بحياة البشر إذا لم تنظم، وترشد وفق عقيدتنا الإسلامية النقية .

ومن يقلل من شوكة هذه الفريزة ودورها المدمر إذا لم توجه توجيهها سليما فليعرف أنها تختص بالنوع البشري والجنس الإنساني .

ان الفريزة فطرية ليست خاصة بالإنسان وحده، بل يشاركه فيها العديد من مخلوقات الله .

(١) * والطاقة الجنسية مسألة بيولوجية كما يقول علماء الطب . لا يمكن استمرار الحياة ولا بقاء النوع بدونها . والإسلام أشد حرصا على تحقيق أهداف الحياة

(١) يراجع كتاب أضواء على نظام الأسرة في الإسلام د . سعاد إبراهيم

العليا النبيلة . وقد اقتضت حكمة الله أن يوجد في طبيعة تكوين الإنسان والحيوان دوافع فسيولوجية فطرية، تدفعها إلى أنواع السلوك الضرورية لحفظ الذات :

فهناك دافعان فسيولوجيان فطريان يقومان بنوعين هامين من السلوك يتوقف عليهما بقاء النوع، هما الدافع الجنسي ودافع الأمومة .^(١)

وللنفس الإنسانية حقوق أقرتها الشريعة الغراء منها: دافع الفطرة مثل

الميل الجنسي، فهي لا تسمح له بكبح شهوات نفسه كل الكبح، بل تأمره بالزواج لقضاء ما في نفسه من الشهوة .^(٢)

والحياة البشرية لا يمكن أن تنتظم، ولا تستقيم وتعتدل إذا كانت علاقة الجنسين غير مستقرة ولا واضحة المعالم بينة الأهداف والمقاصد . وإذا كانت تتأرجح تبعاً للنظرة إلى المرأة من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال . أو إذا كانت تستند إلى الجهل والضعف والهوى .

لذلك أقام الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس دواعي الفطرة الأصيلة المحتشمة الواعية . فعنى أولاً بوحدة الزوجية وتساويهما من الناحية الإنسانية لم يقضى بذلك على جميع النظريات المتطرفة والخاطئة . قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾^(٣) .

(١) تراجع كتاب القرآن وعلم النفس للدكتور محمد عثمان نجاتي ص ٣٦ .

(٢) مبادئ الإسلام للدكتور أبو الأعلى المودودي ص ١٣٥ .

* بيولوجية : تتصل بعلم الحياة (الأحياء) أي مسألة حيوية حيث أن معنى بيو Bio. أي حياة ، ولوجس LOGY أي علم .

* فسيولوجية : فسيو PHySio يعني وظيفة ولوجي LOGY تعنى علم أي أن فسيولوجية هي ما يتصل بوظائف الأعضاء في الكائن الحي .

(٣) آية / ١ / ، سورة النساء .

" والآية توحى بأن قاعدة الحياة البشرية هي الأسرة، فقد شاء الله أن تبدأ هذه النبتة في الأرض بأسرة واحدة فخلق ابتداءً نفساً واحدة، وخلق منها زوجها فكانت أسرة من زوجين " وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً " وزوجهم فكانوا أسرا شتى من أول الطريق لا رحم بينهما من مبدأ الأمر ولا رابطة تربطهم إلا صدورها عن إرادة الخالق الواحد وهي الوشيجة الأولى . ولكن سبحانه شاء لأمر يعلمه ولحكمة يقصد بها أن يضاعف الوشائج فيبدأ بها من وشيجة الربوبية وهي أصل وأول الوشائج . ثم يثنى بوشيجة الرحم . فتقوم الأسرة الأولى من ذكر وأنثى . هما من نفس واحدة وطبيعة واحدة ، وفطرة واحدة ، ومن هذه الأسرة الأولى يبت رجالاً كثيراً ونساءً كلهم يرجعون ابتداءً إلى وشيجة الربوبية . ثم يرجعون بعدها إلى وشيجة الأسرة التي يقوم عليها نظام المجتمع الإنساني بعد قيامه على أساس العقيدة " (١) .

كما عني الإسلام ببيان وحدة وتماثل الزوجين بالنسبة للعلاقة بينهما . وبين ذلك مولانا فقال جل وعلا : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (٢)

" أى يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله أو كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم . وقيل المراد صلة الإسلام وهذه جملة معترضة " بعضكم من بعض " يثبت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين " (٣) .

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٧٥ ط ١٣ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م الشيخ سيد قطب

(٢) آية / ١٩٥ / سورة آل عمران .

(٣) الكشاف للزمخشري (١/ ٤٨٩، ٤٩٠) ط . دار الفكر - بيروت .

كما بين تعالى نوع الصلة بين الصنفين وأهداف وأغراض هذه الصلة بمفهوم
ومنظور إسلامي رشيد .

قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ ﴾ (١)

ذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : المودة : حب
الرجل امرأته ، والرحمة : رحمته إياها أن يصيبها بسوء . (٢)

وقال تعالى : ﴿ هُنَّ لِيَاْسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاْسٌ لَهُنَّ ۗ ﴾ (٣)

اللباس ساتر وواق . وكذلك هذه الصلة بين الزوجين تستر كلا منهما وتقيه .
والإسلام الذي يأخذ هذا الكائن الإنساني بواقعه كله ويرتضى تكوينه وفطرته كما
هي ، ويأخذ بيده إلى معارج الارتفاع بكلية .

الإسلام وهذه نظرتة يلبي دفعة اللحم والدم ، وينسم عليها هذه النسمة
اللطيفة ، ويدثرها بهذا الدثار اللطيف في آن . (٤)

وقال تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ۗ ﴾ (٥)

أسلوب رفيع وأدب راق يبين فيه مولانا أسلوب الحديث عن نكاح الأزواج . إنه
رأى الإسلام الحاسم القاطع المانع للمخاطر ، فالرجل في حاجة إلى المرأة ، والمرأة في
حاجة تامة إلى رجل لمقصد سام ، وغرض نبيل لضرورة الجسد أحيانا ورفع الغريزة

-
- (١) آية / ٢١ / ، سورة الروم .
(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٤ ، ط . دار الكاتب العربي للطباعة
والنشر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، طبعة مصورة عن ط دار الكتب .
(٣) آية / ١٨٢ / ، سورة البقرة .
(٤) في ظلال القرآن (١ / ١٧٥) ط ١٣ سيد قطب .
(٥) آية / ٢٢٣ / ، سورة البقرة .

الحيوانية وإفراغ الطاقات في مواطنها الصحيحة .

إن المرأة تشارك الرجل في الغرائز، ومن هنا فليست المتعة من طرف واحد .
ففي الزواج لا تحدث المتعة من طرف واحد ، بل الزواج في الإسلام بمُثله وقيوده
وحدوده المقررة عقلا وشرعا سكن وألفة ومودة .

إن هذه المشاعر الندية والملاذ الأمين، توطد الصلات بين الناس أما ما بين
الرجل والمرأة من علاقات شرعية أشرف وأفضل لكل منهما من أي مكان آخر فلا توجد
هذه العلاقات الدافئة الآمنة في أماكن الدعارة ولا دور البغي إنه لقاؤه سامية
يعقبه الندم، وتعقبه الفضيحة بالنسبة للبنات . فهو لقاؤه حيوانات تتسافد .

إن الغرب الفارق في ذلك ضيع الأنساب، وألقى بالأبناء في دور الملاجى،
وفقد الإنسان أصله فلم يعرف هويته لأنه لم يترب في أسرة تقوته وتغرس فيه القيم
النبيلة والأخلاق الفاضلة . وبارتياد دور اللهو والدعارة يصل الإنسان إلى
درجة الحيوانات وينحط إلى أسفل السافلين، لأنه لم يحافظ على نطفته، وهو
المسئول عنها أمام الله، أمين وضعها، ومن هي التي استقبلت هذه النطفة . والزواج
الشرعي يحمي من نيران هذه الشهوة وبارتياد دور الدعارة واقتراف جريمة الزنا،
يصاب الإنسان بأخطر الأمراض وأفتكها .

إتيان الرجل أهله يثاب عليه :

اعتبر الإسلام أن إتيان الرجل زوجته ومطاعة الزوجة زوجها أمر، يثاب عليه

كل واحد منهما .

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم - : يا رسول الله : أيأتي أحدنا

شهوته ويكون له فيها أجر ؟ فقال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر،

فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر^(١).

إن العلاقة الحقة بين الزوجين أداة فعالة لخدمة النوع البشري بإنشائها، المحض النظيف الشريف الآمن الكافي لتربية الطفل والمحافظة عليه حتى ينمو نمواً صحيحاً .

حديث القرآن من الغريزة :

قال الله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ، قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٢).

إن ميل النفس إلى نزواتها و رغباتها كان من تزيين الشيطان لها . قال المفسرون : دلت هذه الآية على أن الحب غير الشهوة لأنه أضاف الحب إلى الشهوة والمضاف غير المضاف إليه ، وهي عبارة عن أن يجعل الإنسان غرضه وعيشه في طلب اللذات والطيبات^(٣) .

وهذه الأصناف المذكورة قد زين الله حبها للناس و فرسها في قلوبهم حتى صار غريزة عندهم ، ومن أحب شيئاً ولم يزين له يوشك أن ينفر منه ، ومن أحببه

(١) رواه مسلم (٨٢/٣) ط محمد علي صبيح (٦٩٨/٢) ١٢- كتاب الزكاة
١٦- باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف رقم ٥٣ -
(١٠٠٦) عن أبي ذر، وأخرجه البيهقي ٤/١٨٨، والبغوي في شرح السنة
١٤٤/٦ .

(٢) الآيات / ١٤، ١٥ / ، سورة آل عمران .

(٣) التفسير الكبير ٨/ ١٩٥ ، الفخر الرازي .

وزين له، فلا يكاد يرجع عنه، ولا يقبل فيه كلاما ولا يرى فيه عوجا . . . ولقد عسبر القرآن عن هذه الأشياء بالشهوة مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها . وإذ اننا بشدة تعلق الناس بها وللإشارة إلى أن حبها من طبيعة الإنسان الحيوانية، فإن الشهوة من صفات البهائم، حتى يعتدل الإنسان في حبه لها " (١)

وتعليق التزيين بالحب جرى على خلاف مقتضى الظاهر ، لأن المزيين للناس هو الشهوات، أي المشتهايات نفسها، لا حبها فإذا زينت لهم أيقظت في النفس عدة مشاعر، تنشأ عن هذا الاستحسان من حب فيها، ورغبة في الظفر بها، وخوف من فواتها ، وحرص على الاستكثار منها ، وما إلى ذلك من أنواع الشعور، والتي يكون الحب واحدا منها، بل هو سيدها وكبيرها . والمسلم حينما يوجه غريزته إلى مرضاة الله فإنه يثاب عليها .

" إن أول ما تحدث الآيعة عنه من هذه الشهوات، هو حب الجنس اللطيف من بنات حوا، بدافع الغريزة الجنسية ، لأن الميل إلى النساء مركز في الطبع، وخصه الله عز وجل لحكمة بقاء النوع بداعي طلب التناسل، إذ المرأة هي موضع التناسل ، فجعل ميل الرجل إليها في الطبع حتى لا يحتاج بقاء النوع البشري إلى تكلف ربما تعقبه سامة " (٢)

طلب العفة أهم مقاصد المتعة الجنسية في الإسلام :

إن الهدف الأول من أهداف الزواج في الإسلام، إعفاف النفس وإحصان الفرج لدفع غوائل الشهوة ما عدا من به عجز أو عفة . وأمام الشهوة الجامحة تقف تقوى الله التي تكبح عنان هذه الشهوة .

(١) التفسير الواضح (٣ / ٣٨) نشر دار التفسير للطبع والنشر بالقاهرة .
(٢) فلسفة التشريع الإسلامي في تنظيم الغريزة ص ٧ ، رسالة دكتوراة بقلم نعمان أحمد عبد الله أبو ليل من كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر .

إن الشيطان ليوسوس للنفس بكافة السبل، حتى يطلق هذا الطارد العتيق من مقاله . والقلب العامر بتقوى الله والخوف منه هو القادر على التصدي لهذا الطارد . ولذلك كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو قائلًا : " اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ، ومن شر بصري ، ومن شر لساني ، ومن شر قلبي ، ومن شر منيبي ^(١) — يعني فرجه — .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث سعد بن أوس عن بلال بن يحيى ^(٢) . ^(٣) ^(٤) ^(٥)

ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة، فدخل، فأتى امرأته زينب بنت جحش، ففضى حاجته منها، ثم خرج إلى أصحابه فقال : إن المرأة تقبل في صورة شيطان، فمن وجد من ذلك شيئاً فليأت أهله فإنه يضر ما في نفسه ^(٦) . ^(٧)

(٨)

قال الإمام ولي الله الدهلوي : والحكمة من ذلك أن شهوة الفرج أعظم الشهوات وأرهقها للقلب موقعة في مهالك كثيرة . والنظر إلى النساء يهيجها، وهو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم : " المرأة تقبل في صورة شيطان " . فمن نظر إلى امرأة ووقعت في قلبه واشتاق إليها ، وتولاه لها ، فالحكمة ألا يهمل ذلك ،

(١) رواه أبو داود ، كتاب الصلاة - باب في الاستعاذة (١٥٥٦) ، والحاكم ٥٣٢/١ انظر : الفتح الكبير (٢٤١/١) ، وأخرجه الترمذي ٤٨٩/٥ رقم ٣٤٩٢ - ٤٩ - كتاب الدعوات .

(٢) سعد بن أوس العدوي البصري ، روي عن مصدع بن يحيى ، وروى عنه محمد ابن دينار الطامى ، وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين . خلاصة تهذيب الكمال ٣٦٩/١ .

(٣) بلال بن يحيى العيسى ، روي عن علي وشثير بن شكل ، وروى عنه سعد بن أول ،

وليث بن سليم . قال ابن معين ليس به بأس . خلاصة تهذيب الكمال ١٤١/١ . سنن الترمذي ٤٨٩/٥ رقم ٣٤٩٢ ط . دار الكتب العلمية بيروت . وأخرجه ابن أبي شيبة ١٩٣/١٠ ، ١٣٠/١٥ .

(٥) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي ، صحابي من الرواة ، توفي سنة ٧٨ هـ . الإصابة ٢١٣/١ ، الأعلام ١٠٤/٢ .

(٦) زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية ، من أسد خزيمية أم المؤمنين ، اسمها برة

فير اسمها النبي صلى الله عليه وسلم إلى زينب ، توفيت سنة ٢٠٠ هـ ، صفوة الصفوة ٢٤/٢ ، حلية الأولياء ٥١/٢ .

(٧) صحيح مسلم (١٠٢١/٢) ط . دار التحرير بالقاهرة . ويتحقق الشيخ محمد

فواد عبد الباقي ١٠٢١/٢ ، ١٦ - كتاب النكاح ، ٢ - باب ندب من رأى امرأة فوقع في نفسه إلى أن يأتي امرأته وجاريته ، فيوقعها رقم الحديث ٩ - ١٤٠٣

(٨) سراج الهند الدهلوي عبدالعزيز بن أحمد ولي الله بن عبدالرحيم العمري

الفاروقي ، مفسر ومحدث من دهلي ، توفي سنة ١٢٣٩ ، الأعلام ١٥/٤ .

فإنه يزداد حنيننا فحنينا في قلبه احتى يملكه ويتصرف فيه ، ولكل شي مدد يتقوى به ، وتدبير ينتقص به ، فمدد التوله للنساء امتلاء أوعية المنى به ، وتدبير انتقاصه استفراغ تلك الأوعية ، وأيضا فإن الجماع يشغل قلبه ، ويسليه عما يجده ، ويصرف قلبه عما هو متوجه إليه ، والشئ إذا عولج قبل تمكنه زال بأدنى سعي^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾^(٢)

وقد فسر بأنه الولد .

فقد جعل الله عز وجل لنا شهوة النكاح ؛ لتتحرى طلب النسل الذي يكون سببا لبقا ، نوع الإنسان إلى غاية قدرها ، وحصانة النفس التي تمنع من الوقوع في المعاصي والفواحش ، فيجب على الإنسان أن يتحرى بالنكاح وشهوة الجماع ما جعل الله له على حسب مقتضى العقل .

أدب القرآن في الحديث من الجنس :

إن الحديث عن هذه المسألة الحساسة في حياة الرجل والمرأة يجمع بين الأدب والصراحة . أدب في التعبير وصراحة في تغليف الكناية بغلالة رقيقة من الألفاظ الرقيقة ، والتي لا تخدش حياء ، ولا تجرح شعورا ، لأي منهما . فالقرآن يكتفي عن الجماع بالإفشاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾^(٣) والإفشاء هو الوصول إلى الشئ بغير واسطة^(٤) .

(١) حجة الله البالغة (٢ / ٦٨٥) للإمام ولي الله الدهلوي ط المطبعة الخيرية .

(٢) آية / ١٨٧ / ، سورة البقرة .

(٣) آية / ٢١ / ، سورة النساء .

(٤) الكناية والتعريف ص ١٨ " النهاية في الكناية " الشعالبي ط . دار الكتب العلمية مع كتاب المنتخب .

كما جاء ذلك موضحاً في قوله تعالى: ﴿ وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ^(١) .

في هاتين الآيتين ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ مسألتان :

المسألة الأولى : أصل أفضى من الفضاء الذى هو السعة ، (يقال :

فضا يفضو فضاء إذا اتسع) .

(٢)

قال الليث : أفضى فلان إلى فلان . إن وصل إليه ، وأصله أنه صار

في فرجته وفضائه .

وللمفسرين في هذه الآية قولان :

أحدهما : أن الإفضاء هاهنا كناية عن الجماع ، وهو قول ابن عباس ^(٣)

ومجاهد والسدي ^(٥) ، واختيار الزجاج ^(٦) ، وابن قتيبة ^(٧) ، ومذهب الشافعي ، لأن عنده

(١) الآيتان / ٢٠ ، ٢١ / ، سورة النساء .

(٢) الليث بن سعد ، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، كتب عنه ابن حجر

كتاب الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية ط . في سيرته . انظر : وفيات

الأعيان / ١ / ٤٣٨ ، تهذيب التهذيب / ٨ / ٤٥٩ ، تذكرة الحفاظ / ١ / ٢٠٧ ،

صبح الأعشى / ٣ / ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، والنجوم الزاهرة / ٢ / ٨٢ ، الجواهر

المضيئة / ١ / ٤١٦ ، ميزان الاعتدال / ٢ / ٣٦١ .

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس . صحابي

جليل لازم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وروى عنه . مولده ٣ ق . هـ ، توفي

سنة ٦٨ هـ له تراجم ، طبقات ابن سعد / ٤ / ٥ - ٣٣ ، الأعلام / ٤ / ٩٥ .

(٤) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم التابعي ، مفسر

أهل مكة وشيخ القراء والمفسرين . مولده ٢١ - ١٠٤ هـ ، له تراجم في

صفوة الصفوة / ٢ - ١١٧ ، وحلية الأولياء / ٣ - ٢٧٩ .

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي . تابعي صاحب التفسير والمغازي ، توفي

سنة ١٢٨ هـ ، له تراجم في النجوم الزاهرة / ١ / ٣٠٨ ، الأعلام / ١ / ٣١٧ .

(٦) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة . مولده

٢٤١ - ٣١١ هـ ببغداد ، له تراجم فيه . تاريخ بغداد / ٦ / ٨٩ ، ابن

خلكان / ١ / ١١ وهو : إبراهيم بن محمد ، والأعلام / ١ / ٤٠ .

(٧) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد . من أئمة الأدب ٢١٣ - ٢٧٦ هـ

الزوج إذا طلق قبل الميس فيه أن يرجع في نصف المهر ، وإن خلا بها .

القول الثاني : في الإفضاء أن يخلو بها وإن لم يجامعها .

قال الكلبي : الإفضاء أن يكون معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها

وهذا القول اختيار الفراء ومذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - لأن الخلوة الصحيحة

توجب المهر .

(١)

قال الرازي : وأعلم أن القول الأول أولى ويبدل عليه وجوه :

الأول : أن الليث قال : أفضى فلان إلى فلانة أي صار في فرجتها وفضائها

ومعلوم أن هذا المعنى إنما يحصل في الحقيقة عند الجماع ، أما في غير وقت الجماع

فهذا غير حاصل .

الثاني : أنه تعالى ذكر هذا في معرض التعجب ، فقال : ﴿ وَكَيْفَ

تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ والتعجب إنما يتم إذا كان الإفضاء عليه .

الثالث : وهو أن الإفضاء إليها لا بد وأن يكون مفسرا بفعل منه ينتهي إليه ،

لأن كلمة "إلى" لانتهاء الغاية ، ومجرد الخلوة ليس كذلك لأن ضد الخلوة

يصل فعل من أفعال واحد منها إلى الآخر ، فامتنع تفسير "أفضى بعضكم إلى بعض"

بمجرد الخلوة (٢)

السؤال الثانية :- قوله أو * كيف تأخذانه وقد أفضى بعضكم إلى بعض

كلمة تعجب أي لأي وجه أو لأي معنى تفعلون هذا بأنها بذلت نفسها لك

وجعلت ذاتها لذتك وتمتعك فكيف تليق بالعاقل أن يسترد منها شيئا بذلها له

بطبيعة نفسه . (٢)

له تراجم ، حلية الأولياء ١٢٤/١ ، البيان والتبيين تحقيق عبدالسلام هارون ٥٦/٢ .

(١) سبق ترجمته .

(٢) التفسير الكبير ١٠ / ١٥ / ١٦ الفخر الرازي .

كما كنى سبحانه وتعالى عن الجماع باللمس ، والمس ، وما إلى ذلك ممن

الكنيات ، تعليماً للعباد .

ولنتأمل الألفاظ القرآنية الآتية أيضاً .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ (١)

وفي استخدام كلمة " القرب " والنهي عن القرب . نهى عن مسببات الجماع .

إن الإسلام يقرر ويرفع أمر المباشرة وأمر العلاقات بين الجنسين عن أن تكون شهوة جسد تقضى في لحظة إلى أن تكون وظيفة إنسانية ذات أهداف أعلى من تلك اللحظة وأكبر ، بل أعلى من أهداف الإنسان الذاتية ، فهي تتعلق بإرادة الخالق في تطهير خلقه بعبادته وتقواه . (٢)

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ، نِسَاءُكُمْ حَرِّمْ لَكُمْ فَاتُوا حَرِّمْكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ وَقَدْ مَوَّأَ لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله تعالى عليه عن هذه الآية " وهذه لفتنة

أخرى إلى تلك العلاقة ترفعها إلى الله وتسمو بأهدافها عن لذة الجسد حتى في أشد أجزائها علاقة بالجسد في المباشرة . إن المباشرة في تلك العلاقة وسيلة لا غاية ، وسيلة لتحقيق هدف أعمق في طبيعة الحياة . هدف النسل وامتداد الحياة ووصلها كلها بعد ذلك بالله . والمباشرة في المحيض قد تحقق اللذة

(١) آية / ٢٢٢ / ، سورة البقرة .

(٢) في ظلال القرآن (١ / ٢٣٧) الشيخ سيد قطب ط . دار الشروق .

(٣) آية / ٢٢٢ ، ٢٢٣ / ، سورة البقرة .

الحيوانية مع ما ينشأ عنها من أذى ، ومن أضرار صحية مؤكدة للرجل والمرأة على حد سواء ، ولكنها لا تحقق الهدف الأسمى فضلا عن انصراف الفطرة السليمة النظيفة عنها في تلك الفترة ، لأن الفطرة السليمة يحكمها من الداخل ذات القانون الذي يحكم الحياة فتصرف بطبيعتها وفق هذا القانون ، عن المباشرة في حالة ليس من الممكن أن يصح فيها غرس ، ولا أن تنبت منها حياة ، والمباشرة في الطهر تحقق اللذة الطبيعية وتحقق معها الغاية الفطرية " (١) .

(٢) ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾

قال ابن منظور : " الغشيان : إتيان الرجل المرأة ، الفعل غشي ، يغشى ، وغشي المرأة فشياناً : جامعها . ثم قال : وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ (٣)

(٤) كناية عن الجماع . يقال : " تغشى المرأة وذلك إذا علاها وتجللها مثله " وقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (٥)

قال ابن منظور : " اللمس كناية عن الجماع ، لمسها يلمسها ولا مسها ، وكذلك الملامسة وروي عن عبدالله بن عمرو وابن مسعود أنهما قالا : القبلة من اللمس واللماس واللامسة كناية عن الجماع " (٦) .

وهذه الكنايات تحمل من الرقة والتأثير دون خدش للحياء كتشبيه النساء بالأرض المشمرة في قوله تعالى : ﴿ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ (٧) إن القرآن وجه أنظار

(١) في ظلال القرآن (١ / ٢٤١) سيد قطب .

(٢) (٣٠٢) آية / ١٨٩ ، سورة الأعراف .

(٤) لسان العرب لابن منظور ، مادة غش ٣٢٦٢ / ٥ ط . دار المعارف بمصر

(٥) آية / ٦ ، سورة المائدة .

(٦) لسان العرب لابن منظور ، مادة " لمس " ٤٠٧٢ / ٥ ط . دار المعارف

(٧) آية / ٢٢٣ ، سورة البقرة .

المسلمين إلى الحياء باعتبارها سلاحاً ضد الاغراءات والفتن التي تحدق بالناس، ويرفع من شأن المسلمين في كلامهم . فيهدب من أخلاقهم لا سيما التلغظ بالكلمات . وهو أيضاً يلفت نظر الزوجين إلى ضرورة إحاطة اللقاء الجنسي بسياج من الآداب والخُفْيَةِ والبعد عن المصارحة والمكاشفة . إن هذه المواقف بطبيعتها الحال تقتضي التلميح لا التصريح والإشارة دون العبارة .

وحيثما يكون الحديث في القرآن عن الجنس وقضايا الزوجين فإن الارتفاع من حالة الحيوانية البهيمية إلى مرحلة السمو بالغريزة يكون هو شأن القرآن فسي ذلك .

والقرآن يدعو المسلم إلى مراقبة الله عز وجل وتقواه عند الخوض في هذا الكلام بحيث يكون كلامه محتشماً وعليه من الوقار والأدب ما يرتفع بالإنسان إلى درجة الإنسانية . وقارن بين كلام القرآن وكلام كتاب الأدب المكشوف الذين لا يتورعون في التصريح بألفاظ تثير الشهوة وتشهر الغريزة كالسيف البتار إنهم لا يتقون الله . وأيضاً بنات حواء اللاتي يتجرجن في السينما والمسرح دون مراعاة للحياء ولا للدين ولا للذوق العام .

((المطلب الأول))

المرأة عند الأمم القديمة

لم يتسع مجال البحث في المرأة ولم يهتم بشأنها كاملاً إلا بعد مجيء الإسلام بنظمه وآدابه ومثله وأخلاقه وإن كان الاهتمام بها موجوداً في كل شرائع الله للخلق لكن ذلك في الإسلام أكد .

وفي العصر الحاضر اهتم الكثير بمثل هذه الدراسات فبعضها بمنظور إسلامي والآخر بفكر جانح مغاير .

ولعلي في هذه الدراسة ألقى الضوء حسب مقتضيات المقام على منزلة المرأة قديماً .

- ١ - فالوثنيون هم أكثر الأمم القديمة تحضراً ، ومع ذلك جعلوها من سقط المتاع حيث كانت تباع وتشترى كالإماء ، وقد سموها رجساً من عمل الشيطان ، وحرّموا عليها كل شيء سوى تدبير البيت ، وتربية الأولاد .
- ٢ - وجاء في معتقدات الهنود أن الوباء والموت والجحيم والأفاعي خير من المرأة .
- ٣ - وكانت التوراة المحرفة فيها شيء من عدم الثناء والرضا على المرأة .
- ٤ - وفي رومية بحثت شؤون المرأة فقرر المؤتمر أنها كائن لا روح له ، وأنها لن تترث الحياة الأخروية وأنها رجس الخ .
- ٥ - أما في فرنسا فقد عقد سنة ٥٨٦ ميلادية اجتماع دار فيه البحث عن المرأة أتعد إنساناً أم غير إنسان ، وفي آخر الاجتماع تقرر أنها إنسان ولكنها مخلوق لخدمة الرجل .

٦ - أما في إنجلترا فقد أصدر الملك هنري الثامن^(١) أمرا بتحريم مطالعة الكتاب المقدس لديهم على النساء .

كما أن النساء كن طبقا للقانون الإنجليزي حوالي سنة ١٨٥٠ ميلادي غير معدودات من المواطنين ، ولم يكن لهن حقوق شخصية ، ولا حق لهسن في تملك ملبسهن ولا في الأموال التي يكتسبها بأي مجهود كان .

٧ - أما المرأة في شبه جزيرة العرب فلم تكن بأسعد حظا من اللائي ذكسرت نماذج عنهن .

لقد انتشر عند العرب عادة سيئة جدا وهي وأد البنات وكانت العرب لا تورث النساء وكانوا يرثون النساء كرها ، وكانوا يكرهون إمامهم على البغاء ، وكانوا يرثون زوجات آبائهم ضمن العتاع والتركة بوجه عام^(٢) .

ولا شك أن الإسلام أعطى المرأة مكانة تحترم فيها إنسانيتها وبين لها حقوقها وواجباتها وحدد دورها، وحشها على طلب العلم . ويتضح لي من مطالعة أقوال العلماء والمفكرين الإسلاميين أن نظرة الإسلام إلى المرأة تنحصر في أمور عدة أهمها :-

(١) أنه أكرمها ، ورفع شأنها ، وجعلها مساوية للرجل في التكليف الشرعية إلا ما استثني .

(٢) حرم ظلمها والاعتداء عليها، وحفظ حقوقها .

قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَّمَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٣) .

(١) هنري الثامن : من ملوك إنجلترا والرئيس الأعلى للكنيسة . في عهده فتحت إيرلندا وأدمجت ويلز . توفي سنة ١٥٤٧ م ، الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٠٨ م .

(٢) تفسير كلام المنان لابن سعدى ج ٢ / ٤١ ، ج ٧ / ٤١٨ ، ٥٧٥ بتصريف .

(٣) آية / ٢٢٨ / ، سورة البقرة .

ثم قال تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾ (١)

وهذه الدرجة هي درجة القوامة أي درجة الإدارة التي لا تستقيم بدونها شركة وهي مفسرة بقوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (٢)

(٣) بحث الإسلام على الزواج ويرغب فيه وينظمه ويضعه في مساره وإطاره الصحيح

من أجل بقاء النوع ، وعمارة الأرض وعبادة الله التي قال الله فيها: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣)

(٤) الزواج متعة وبهجة ، وأنس وانشراح وسكن ولباس كما أن الاتصال الجنسي نعمة من نعم الله إذا كان في مساره الصحيح .

(٥) يحرض الإسلام أيما حرص على وشيخة القربى في الزواج فيحافظ على أوامر الزواج ويقويه .

(٦) الإسلام دين حضاري عالمي اهتمت الإنسانية على تعاليمه وترتبت على مبادئه . فالقرآن لا نظير له في الكتب ولن يكون له نظير .

الرجل والمرأة كجناحي النسر للطائر إذا هبط أحدهما سقط الآخر لا يجد في الأرض مقعدا ولا في السماء مصعدا (٤)

والإسلام لا يفرق بين المرأة والرجل إلا حيث فرقت طبيعة الخلق بينهما

فهي فروق فسيولوجية وعلى آثارها فروق نفسية ولذا نجد هُدَى الرسول في غريزة الجنس أكمل هُدَى ، وأتمه وأقسطه وأفضله . حيث الأخلاق هي مقياس إنسانية الإنسان وامتيازهم عن الحيوان ، وهي المحك الرئيس لسعادة البشر وأمنهم وراحتهم

(١) آية / ٢٢٨ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ٣٤ / ، سورة النساء .

(٣) آية / ٥٦ / ، سورة الذاريات .

(٤) مع القرآن في آدابه ومعاملاته ، عبدالحسيب طه حميدة ص ٣٠٠ .

وإذا نظرنا إلى مسار الأخلاق وتحول الطباع وانتكاس الإنسان في بعض الأحيان شرقاً وغرباً وبلغ في ذلك البعض إلى حد مزرٍ ومستقبح، ولم تصل الإنسانية فـي تاريخها الطويل إلى أفسد مما عليه البعض باسم التحرر والحضارة ، وهذا اللون من الفساد والضياع والانحلال تحميه عقول محسوبة على الجنس البشري أنها من الزعماء والقادة والموجهين التربويين . كما يحميه بعض مدعي العلم ، وأصحاب النظريات الفاسدة ، هذه النظريات المدعومة بالمال والرجال ، ووسائل الإعلام .

فالشيوعية مثلاً تؤمن بمبدأ النقيض ومعناه أن كل شيء يحمل نقيضه فهو في تطور مستمر . فما هو فضيلة اليوم يكون رذيلة غدا ، وما يذمه مجتمع يحمده آخر . . . وهكذا فتقاليد الأسرة وفضائل الجنس وحرية الفرد ليس لها اعتبار ثابت والدعوة إلى الحيوانية عندهم قد تكون مبدأً أخلاقياً .

ومثل هذه النظريات الفاسدة دعوة كاذبة إلى انتكاس الجنس البشري وليس إلى تقدم الإنسان، وعود بالأخلاق والقيم والمثل إلى الانطلاق فـي الحيوانية (١) .

وهذه النظريات الفاسدة في المعسكر الشيوعي يقابلها في المعسكر الغربي

خاصة شيوع نظريات فرويد في الجنس .

(١) انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وانظر : منهج القرآن في تربية المجتمع ص ٦٥١ — د . عبدالفتاح عاشور وتطور الفكر التربوي ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ د . سعيد مرسي أحمد ، والإسلام ومشكلات الحضارة ص ٦٣ للأستاذ الشيخ سيد قطب ، والإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب ص ٨٠ وما بعدهما وروح الدين الإسلامي ص ٣٥٦ : ٣٥٨ عبدالفتاح عفيفي طباره .

وهذه النظرية ترى أن الانسان يجب أن ينطلق بلا رابط أو قيد فهي نظرة بهيمية خالصة ، أو قتل لاشباع غريزة الجنس وإلا أدى ذلك حسب زعمه إلى الكبت والعقد والأمراض النفسية .

وعلى هذا الأساس شاع الاختلاط العاجن، والعري، والخلاعة والفسق ، ودور الملاهي الفاسدة ، والتمثيلات الساقطة ، والقصص الداعرة لإرواء غريزة الجنس الجانحة، وإطفاؤ الشهوة، بل ثورة اللحم والدم ، ووصل بهم هذا السعار وهذا التردي الأخلاقي إلى مرتبة مهينة وهابطة لا تليق بالإنسان المعزز المكرم ، وغرق إلى أم رأسه في حماة الرذيلة .

دور الصهيونية :

وتبعاً لذلك ، وكنتيجة متوقعة لهذا الضياع تحركت الصهيونية العالمية بخططها الماكرة ومناهجها لتدمير البشرية ومسح الإنسانية والاستيلاء عليها ، وحاولوا مسح ومحو عقيدة الإيمان من النفوس . وأوجد مكانها لدى البعض الكسره للدين ، وأنه مخدر ومخذل للشعوب ، وأن الإنسان ليس إنساناً إنما هو حيوان كما قال " دارون " (١) . وأن غرائزه كلها تنصب في الغريزة الجنسية كما قال " فرويد " (٢) ويجب أن تتحرر ولا يقف في طريقها أحد أو عائق من دين أو خلق ، وكما جاء في بروتوكولات حكما " صهيون " يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا .

-
- (١) دارون : سبقت ترجمته
(٢) سيجموند فرويد، طبيب نساوي، مؤسس علم التحليل النفسي ، مولده ١٨٥٦م ، وتوفي في ١٩٣٩ م . المنجد في الأعلام ص ٤١٣ .
(٣) بروتوكولات حكما " صهيون " ، وثيقة سرية تشتمل على مشروع يهدف إلى السيطرة اليهودية على العالم ، قدمه هيرتزل في المؤتمر الصهيوني بمدينة بازل عام ١٨٩٧ م . القاموس السياسي أحمد عظمة الله ، ط . رابعة ١٩٨٠ م ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

إن فرويد ظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية .

وعندئذ تنهار أخلاقه ، وتقول البروتوكولات .
(١) (٢)
ولقد رأينا نجاح دارون ، وماركس ونييتشه بالترويج لآرائهم وأن الأشر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح وبكل تأكيد ، ولقد ظهر ذلك جليا في البرامج التعليمية والثقافية والإعلامية .

مما يملأ حياة الناس عامة والشباب والشابات بوجه خاص بهذا اللون الفاسد من التحلل والانطلاق والنهم الجنسي الميسر ، وليضيق منه هذا الإنسان الساقط الفاقد لهويته .

وإذا ما قارن الإنسانُ المنصفُ الواعي المدركُ بين ما وصلت إليه الإنسانية اليوم من هبوط في بعض الأماكن ، وبين نظام الإسلام نظام ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٣) والذي أعطى من بين ما أعطى لمعتنقيه الطهر والعفاف والنظافة والكرامة .

كما أعطى حياة سعيدة آمنة مستقرة لهذا الإنسان الذي كرمه الله وحماه ورفعته . فكل إنسان فيه يرى الإسلام أنه لا بد أن يعيش إنسانا كريما فاضلا متصفا بصفات الكمال الخلقي والترفع عن مستوى الشهوات البهيمية الهابطة حتى يشعر بالأمان والحنان والدفء والسعادة الغامرة في أسرة مستقرة .

-
- (١) ماركس (كارل) فليسوف اجتماعي ألماني حرر البيان الشيوعي أسس الدولة الأولى له: رأس المال ، دستور الطاركسية ، ١٨٤٤ - ١٨٨٤ . المنجد في الأعلام ٥١١ .
- (٢) نييتشه (فردريش) ١٨٤٤ - ١٩٠٠ م - فليسوف ألماني أخذ بمذهب التطور وهو مؤسس العرقية الجرمانية - المنجد في الأعلام ٥٨٢ .
- (٣) آية / ١١٠ / ، سورة آل عمران .

والإسلام بحكم بقائه وخلوده وشموله لا يدع بني الإنسان فريسة للأغراض والأهواء والشهوات ، ولا يدعهم وحدهم في صراعهم الشاق مع شهواتهم . بل يقدم لهم العون العملي والنفسي والروحي ليساعد في الوصول إلى الكمال فيبيح لهم الاستمتاع بطيبات الحياة ومنها شهوة الجنس، ولكنها منظممة يجب عليهم أن يتحفظوا منها ويرتفعوا عليها ويتوجهوا إلى نعيم الروح بدلا من الانغماس في الشهوة الجامحة .

والتربية القرآنية الحقة في مثل هذا المجال تضمنتها الآية الكريمة ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَقَابِلِ . قُلْ أَوْ نَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ (١) ﴾

(١) الآيات / ١٤، ١٥ / ، سورة آل عمران .

((المطلب الثاني))

دوافع الزنى ومعالجة الإسلام لها

لدافع الزنى لدى أي فرد عوامل داخلية ذاتية نابعة من أعماق التكوين
الفسولوجي، وعوامل خارجية هي عوامل الإثارة .

أولاً : فالرغبة في النكاح تنتج عن إفراز هرمون البروجسترون داخل الخصيتين لدى
الرجال وإفراز البويضات من المبيضين ثم قذفها إلى داخل قناتي فالوب
لدى النساء . هذا الإفراز يؤثر على سلوك الكائن الحي، لا سيما الإنسان
والحيوان . فإفراز هذه الهرمونات يحتاج إلى توجيه ودفعه في المسار
الصحيح عن طريق الزواج (١) .

ثانياً : أما الدوافع الخارجية التي تؤثر فيها بدرجات مختلفة من الإثارة أهمها
ذلك التبرج من بنات حوا . وقد عالج الإسلام ذلك بالاحتشام حيث يمنع
مشيرات الغرائز والاختلاط الذي يدعو إلى الفساد ، فلا تبرج ولا صور
خليعة ، ولا أفلام هابطة ، كما لا يوجد فيه وسائل إعلام منحلة . كما أنه
ضرب سورا منيعاً حول اتصال الرجال بالنساء، ليمنع السبل التي تؤدي إلى
استفزاز كل من الرجل والمرأة . وهو مع ذلك يقرر العلاج الحاسم وهو
الزواج والتبكير فيه .

(١) أصول علم النفس . د . أحمد عزت راجح ص ٩٢ ، ط . دار المعارف
بمصر ١٩٨٥ م .

ثالثا : وأيضا من عوامل انتشار هذه الجريمة وجود بعض أولياء الأمور الذين لا يغيرون على بناتهم فيخرجون بهن سافرات متحديات تعاليم الله . أضف إلى ذلك انتشار النظريات الهابطة والترويج لها كمنظريه فرويد وأمثاله في الكبت والجنس .

وإذا قارنا بين تعاليم القرآن وما عليه المسلمون فسوف نجد الهدى شاسعا فنحن في بعد عن سبيل الله في هذا المضمار إلا من عصم الله .

((المطلب الثالث))

نظرة القرآن إلى الزواج وتأسيس الأسرة

المخلوقات كلها في العالم عالم الجماد، وعالم الحيوان، وعالم النبات تظهر من خلال زوجين اثنين، يعبر عنهما في كل من عالم الإنسان والحيوان بالذكور والأنثى .

وفي عالم الجماد بالموجب والسالب . أما في ناتج التفكير الإنساني فيعبر عنه بالصواب والخطأ . إن الشاعر الإنسانية لها مقابلات عديدة كالرضى والغضب والحزن والفرح . والقرآن الكريم بما فيه من التنزيه لله - سبحانه وتعالى - والتعظيم لمؤكد أن الله هو الذي خلق الأزواج كلها، مما نعلم بل ومما لا نعلم . قال تعالى :
* (سَبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبَتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) * (١)

قال الزمخشري : " الأزواج " الأجناس والأصناف . " ومما لا يعلمون " ، ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها، ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم، ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ، ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلم بوجود ما لا يعلمون " (٢)

والقرآن يبين أن سيدنا نوحا حمل معه * (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) * (٣) أي من كل نوع زوجين . حملهم معه في السفينة وقت الفيضان حتى يحفظها من الضياع والانقراض .

(١) آية / ٣٦ / ، سورة يس .
(٢) الكشاف ٣ / ٣٢٢ ط . دار المعرفة بيروت .
(٣) آية / ٤٠ / ، سورة هود .

وهذا الخلق من الله سبحانه وتعالى ﴿لِكُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ يقصد به تذكّر نعم الله وحكمة خلقه . قال تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١) .

" وتتنوع الأزواج والأجناس تنوعاً يبرز إبداع الخلق ، وتنوع قدرات الخالق سبحانه وتعالى " . (٢)

إن العلاقة التي بين الرجل والمرأة علاقة سامية تقوم على قضاء الوطر فيما أحل الله ، وتحفظ النوع البشري ، وتكون سبباً في تعمير الأرض . إذن هذه العلاقة صلة شرعية بين الرجل والمرأة تسن لحفظ النوع وما يتبعه من النظم الاجتماعية ، وشرعية الإسلام في نظام الزواج بهذه المثابة شريعة تامة تحييط بجميع حالاته فليس الزواج علاقة حيوانية بين حيوانين ، وليس الزواج علاقة روحية بين ملكين " . (٣)

" وإنما الزواج الإنساني يجب أن يكون واجبا اجتماعيا من وجهة المجتمع وسكنا نفسانيا من وجهة الفرد ، وسبيل مودة ورحمة بين الرجال والنساء " . (٤)

" ومن ثم كانت شريعة القرآن مطابقة لحقيقة الزواج في معانيه الإنسانية ومعانيه النوعية ، والاجتماعية " . (٥)

-
- (١) آية / ٤٩ / ، سورة الذاريات .
 - (٢) فلسفة التربية الإسلامية ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، د . ماجد عرسان الكيلاني .
 - (٣) الفلسفة القرآنية ص ٥٢ عباس محمود العقاد ، ط . دار الإسلام بالقاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
 - (٤) المصدر السابق ص ٥٩ .
 - (٥) المصدر السابق ص ٦١ .

مفهوم الزواج في الإسلام :

إن الزواج في الإسلام رباط إنساني يجمع بين طرفين مختلفين في كل شيء .
في النوع ، وفي التنشئة ، وفي الإطار الاجتماعي الصغير ، وفي التصورات والآمال
ويتفقان في قوله عليه الصلاة والسلام : " الأرواح جنود مجندة . فما تعارف منها
اختلف وما تناكر منها اختلف " (١) .

فالزواج في الإسلام يحقق مصالح وأهدافا اجتماعية أكبر بكثير من قضاء
حاجات الفرد العاجلة والآجلة ، والتي تعد رأس مال المجتمع في مستقبل
أيامه ولذا كان منطقيا أن يكون قوامه الرحمة والحب والود ، ومراعاة المشاعر
والتضحية ، والبذل قبل كل شيء آخر .

وليس كل الناس على نفس القدر من تمثيل هذه الحقائق والاستعداد للاستجابة
لها . . . ومن ثم كان منطقيا كذلك أن يكون الزواج الناجح هو الزواج القادر على
أن يقيم العلاقة بين الطرفين ، وعلى أساس حرية الاختيار منذ البداية ، لا على
أساس فرض هذا الزواج على الزوج أو على الزوجة ، وعلى أساس الإرادة الحرة
فيما بعدُ يستمر هذا الزواج " (٢) .

فليس الزواج شركة يبغى كل طرف فيها الربح له وحده ولا يبالي بخسارة
الآخرين . بل هو ميثاق مؤكد، وعهد مشهور بين الزوجين أن يعمل كل منهما من

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣١/٤) ٤٥- كتاب البر والصلة والآداب ، ٤٩- باب
الأرواح جنود مجندة رقم الحديث ١٥٩ - ٢٦٣٨ عن أبي هريرة .

(٢) الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، د . عبدالغني عبود ،
ط . دار الفكر العربي بالقاهرة .

أجل الآخر وأن يتعاضدا ويتآزرا لبلوغ السعادة المشتركة ، وتلك هي علاقة السكن التي نجدها في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (١) وعلاقة المودة والرحمة في قوله سبحانه ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٢) .

(٣)
وكل ما بين الزوجين يندرج تحت هذا وينبثق منه، إن حياة الإنسان منذ الطفولة حتى الشيخوخة هي بمثابة التربة التي تنمو فيها بذور التربية القرآنية . والقرآن الكريم يُشَبِّهُ النظام العائلي على أسس قويمية أساسها المودة والرحمة والعاطفة الصادقة .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

والأسرة بذرة اجتماعية راقية ذات جذور ثابتة تنبعث من ظروف الحياة ومتطلباتها، وتفرضها الطبيعة البشرية، والحاجة الإنسانية، وهي ضرورة ملحة لبقاء النوع لحكم فريدة عجيبة أرادها خالق الكون ومدبره .

-
- (١) آية / ١٨٩ / ، سورة الأعراف .
(٢) آية / ٢١ / ، سورة الروم .
(٣) الزواج في الإسلام وحقوق الزوجين ص ٥١ ، د . مصطفى عبد الواحد ، ط . دار الاعتصام بالقاهرة .
(٤) آية / ٢١ / ، سورة الروم ، راجع كتاب الفلسفة التربوية في القرآن الكريم ص ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، د . محمد فاضل الجمالي .

((الحث على الزواج))

الزواج هو الرابطة التي تقوم بين الرجل والمرأة ، ولقد عني الإسلام بالأسرة عناية خاصة ومركزة، وجعل منها أساس المجتمع ولذا حث الإسلام على الزواج ورغب فيه ، وهذا النهج الإسلامي الفريد، هو النهج الذي يلائم الطباع السليمة والفطرة المستقيمة، وفيه صلاح الفرد . كما أنه يتفق تماما كل الاتفاق مع الحياة الاجتماعية إذا أريد لها الصلاح والبقاء والسير بها إلى معارج الكمال والرقى ، وقد أثبتت التجارب العلمية والعملية صحة هذا الاتجاه " (١)

والقرآن الكريم يشير إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

أي زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من الرجال والنساء من أحرار رجالكم ونسائكم (٣)

قال الطبري : الأيامي : جمع أيم ، يوصف به الذكر والأنثى ، يقال : رجل أيم ، وامرأة أيمة ، إذا لم يكن لها زوج . والصالحين من عبادكم وإمائكم أي وأنكحوا كذلك أهل التقى والصلاح من عبيدكم وجواريتكم . قال البيضاوي : (٤)

-
- (١) معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٥٩ ، د . عبد الكريم الخطيب .
 - (٢) آية / ٣٢ / ، سورة النور .
 - (٣) تفسير ابن كثير (١ / ٤٤٩ ، ٤٥٠) طبعة عيسى الحلبي ، أخرجه البخاري كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء ، باب إن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى .
 - (٤) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد أو أبو الخير ناصر الدين البيضاوي ، قاض ومفسر ، توفي سنة ٦٨٥ هـ . البداية والنهاية ١٣ - ٣٠٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ٤ - ٤١٨ ، الأعلام ٤ / ١١٠ .

(١)

وتخصيص الصالحين بذلك لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم . وفيه إشارة إلى مكانة التقى والصلاح في الإسلام .

﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي إن يكن هؤلاء الذين

تزوجونهم أهل فاقة وفقر فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم، ففي فضل الله ما يغنيهم .

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي واسع الفضل ، جواد كريم، يعطي الرزق من

بشائه وهو عليم بمصالح العباد .

قال القرطبي : " وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلبا لرضا الله واعتصاما

(٢)

من معاصيه " .

وقال ابن مسعود (٣) : " التمسوا الغنى في النكاح " (٤) وتلا هذه الآية ، وفي

الحدِيث : " ثلاثة حق على الله عونهم : الناكح يريد العفاف ، والمكاتب الذي يريد الأداة ، والمجاهد في سبيل الله " . (٥)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٤٦٨ للبيضاوي ط . دار الجيل بيروت .

(٢) تفسير القرطبي ٢٤١/١٢ .

(٣) عبد الله بن مسعود بن قافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن . من أكابر الصحابة . أول من جهر بالقرآن ، خادم الرسول الأمين . توفي سنة ٣٢ هـ ، له تراجم : حلية الأولياء ١٢٤/١ ، صفوة الصفوة ١٥٤/١ ، الأعلام ١٣٧/٤ .

(٤) عزاه السيوطي كما في كنز العمال (٤٤٣٦/١٦) إلى مسند الفردوس والسخاوي في المقاصد الحسنة ص ٨٢ ، والعجلوني في كشف الخفاء (٢٠٢/١) ، والسيوطي في الدر المنثور (٤٥/٥) ، وعزاه لابن جرير (٢٥٠/٦) ط . مصطفى الحلبي ، ط . أولى .

(٥) زهر الربي على المجتبي للسيوطي ، كتاب النكاح ، باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف .

وعن أنس بن مالك : " أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم . فخطب ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ، لكني أنام وأصلي ، وأصوم ، وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " . وهذه السنة الطيبة فيها بيان . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر باللباء وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول : تزوجوا الودود الولود فاني مكاثركم الأنبياء يوم القيامة .^(٢)

وفي سنن أبي داود من حديث معقل بن يسار مرفوعا : " تزوجوا الودود الولود ، فاني مكاثركم " .^(٤)

واللباءة : القدرة على مصاريف النكاح .

ولمّا للتزوج من أهمية في حياة كل من الشباب من الجنسين حث عليه الإسلام ونهى عن التبتل أي الاختصاص^(٥) فعن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل .

-
- (١) فتح الباري ١٠٤/٩ كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح رقم ٥٠٦٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٧٥/٩) كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه .
 - (٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨/٤) رواه أحمد (٢٤٥، ١٥٨/٣) ، والطبراني في الأوسط وإسناده حسن والبيهقي (٨٢، ٨١/٥) كتاب النكاح باب استحباب التزوج بالودود والولود .
 - (٣) معقل بن يسار بن عبدالله بن معمر بن حراق بن لاي بن كعب الغزني صحابي أسلم قبل الحديبية ، سكن البصرة . وينسب إليه نهر معقل . الإصابة ٢٥٩/٩ / ٨١٣٧ ، أسد الغابة ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ، الأعلام ٢٧١/٧ .
 - (٤) مختصر سنة أبي داود (٦/٣) كتاب النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء .
 - (٥) أخرجه مسلم (١٧٧/٩) في كتاب النكاح . باب من رأى امرأة فوقع في نفسه إلى أن يأتي امرأته ، والنسائي (٥٨/٦) ، وابن ماجه ٥٩٣/١ رقم (١٨٤٨) ، كتاب النكاح ، باب النهي عن التبتل ، والمسند ١٧٩/١ ، ١٨٣ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ^(١) ﴾ .

أوضحت الآية سر خلود وبقاء الأسرة، وأن العلاقة بينهما عميقة الجذور
ثابتة الأركان شامخة البنيان، ليست مسألة عارضة، ولا سهلة ولا رفقة في سفر
أو حضر . ولا إجراء مؤقتا لإسكان شهوة جامحة وغريزة نائرة .^(٢)

إن العلاقة الزوجية علاقة إنسانية منظمة محتشمة حقيقة بالإهتمام والإحترام
علاقة بين زوجين نظيفين شريفيين ينتج عنهما أبناء تشكل حجر الأساس في البناء
الاجتماعي والحضاري، تشرى الحياة السعيدة بمزيد من العطاء والحب والنسب
الصالح للحياة . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ^(٣) ﴾ .

وكلمة " لَتَسْكُنُوا " . . . لها طعم خاص، ونكهة خاصة وتعبير موحٍ معبر

يقطر نداوة وحلاوة توحى بالراحة والغبطة والمودة والحنان والاطمئنان .

وسورة النساء كما يظهر من عنوانها ويتبين من مدلولها تؤكد اهتمام

القرآن بالأسرة المسلمة وتربيتها وتهذيبها .

-
- (١) آية / ١ / ، سورة النساء .
(٢) الفلسفة القرآنية ص ٦٨ ، ٦٩ للعقاد .
(٣) آية / ٢١ / ، سورة الروم .

((المطلب الرابع))

الزواج رحمة ونعمة

الزواج بحدوده وقيوده رحمة ونعمة . قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ومن قديم هيات الأمة طبيعة المرأة لتدبير ذلك السكن وتزويده بـ المودة والرحمة . (٢)

وتعبير القرآن في ذلك واضح وصريح معبر ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (٣) .

فكل واحد منهما سكن ، ومودة ، ورحمة ، وعاطفة .

بهذا التلاقي والتزواج يظهر كل واحد منهما لمجتمعه في ثوبه النظيف العفيف الشريف .

وبقدر نظرة المجتمع إلى الزواج تكون أصالة تحضره وعلمه وفهمه لأسرار الكون والحياة وكذلك الأفراد .

وأي أمة لا تهتم بالزواج وتحصين الفرج وحفظ الأنساب وإيجاد السكن المريح . أمة مختلة بل مقلة عقلا ودينا وتحضرا . وقد أثبتت التجارب شقاء الرجل بدون المرأة . وشقاء المرأة بدون الرجل ، مهما توفرت عندهما أسباب الراحة والمتعة الظاهرة .

(١) آية / ٢١ / سورة الروم .

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٧١ ، ١٧٢ ، للعقاد .

(٣) آية / ١٨٧ / سورة البقرة .

كما أثبتت التجارب أن الولد الذي يعيش بين أبوين يكون أقوى جسماً وأصح نفساً ، وأقوى عاطفة من أطفال الملاجى* ، ودور الحضانة والأماكن العامة .^(١)
فالنوع الإنساني ليس مجرد سلالة كسلالة البقر أو الغنم أو الطيور تتكاثر وتتمو فحسب ، إنما البشر لهم رسالة وأصحاب أهداف ومصير .
إنه مستخلف في الأرض ، ومن ثم كانت هذه العناية الفائقة والمركزة حتى يؤدي وظيفته ودوره كما أراد الله .

ويرى الأستاذ العقاد أن من مقاصد الزواج عدا بقاء النوع . تهذيب النفس الإنسانية واستزادة ثروتها من الرحم من تنوع الإحساس وتنوع العاطفة وتنوع القدرة على الحب والإيناس .

ولهذا اقتصر الزواج على النساء اللاتي يوجدن المودة والرحمة والعاطفة عن طريق العشرة الحاصلة بالزواج . فلا زواج حسب مفهوم الإسلام بين رجل وامرأة تتصل المودة بينهما عن طريق القرابة وهذا من أسرار المحرمات في النكاح* (حرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ ^{وَدُوَّهُنَّ}) . . . إلخ

فكل هؤلاء الغريبات أو أشباههن قد حصلت المودة بينهن وبين أقاربهن من الرجال فلا موجب لخلطها بالمودة التي تنشأ من العلاقة الجنسية ولا لتعريضها

(١) انظر في هذا المعنى في تنظيم الأسرة للمجتمع ص ٦٦ للشيخ محمد أبو زهرة ، ومنهج القرآن في تربية المجتمع ص ٢٩٨ د . عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية د . مجاهد محمد هريدي ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) آية / ٢٣ / ، سورة النساء .

للجفا الذي قد يعرض بين الأزواج والزوجات (١).

فوائد الزواج :

القاعدة الأولى : قوامة الرجل :

قال تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (٢)

من مقتضيات قوامة الرجل على زوجته أن يوفر لها المأكل والملبس والمسكن ، كما أن من واجب الزوجة توفير الجو النفسي اللائم لزوجها ، تهدهد من نفسه وعناء الطريق وعناء العمل ، وصعوبات الحياة .

ومهمة المرأة داخل الأسرة إضافة وتوفير الجو العاطفي الجياش بالحب والأمل . قال تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٣)

السكن الزوجي ترويح للنفس وإيناس لها بالمجالسة والنظر والملاعبة وأراحة للقلب ، وتقوية له على العبادة ، فإن النفس ملولة وهي عن الحق تنفر .

فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها، جمحت وثار ، وإذا رُوِّحَتْ بالذات في بعض الأوقات، قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ، ويروح القلب ، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات، ولذلك قال تعالى : ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ وقال علي رضي الله عنه : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا كرهت عميت (٤).

(١) الفلسفة القرآنية ص ٦٩ ، ٧٠ للعقاد .

(٢) آية / ٣٤ / ، سورة النساء .

(٣) آية / ٢١ / ، سورة الروم .

(٤) راحيا علوم الدين (٣١ / ٢) ودستور الأسرة في ظلال القرآن (٦٤ ، ٦٥) أحمد فائز ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .

القاعدة الثانية : (طلب الولد) :

إذ أن المقصود من عملية التزاوج بين الرجال والنساء هو الإبقاء على النوع .
ولذلك يقول الغزالي في الإحياء : إن طلب الولد هو الأصل ، وله وضع النكاح
والمقصود إبقاء النسل ، وأن لا يخلو العالم من جنس الإنس ، وإنما خلقت الشهوة
باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر ، وبالأُنثى في التمكين من الحسرت
تلطفاً بهما في السياقة إلى إقتناص الولد بسبب الوقوع كالتلطف بالطير في هــ
الجب الذي يشتبهه؛ ليساق إلى الشبكة .

وفي التوصل إلى الولد قريبة من أربعة أوجه :

الأول : موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان .

الثاني : طلب محبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تكثير من به مباهاته .

الثالث : طلب الأجر والثواب بدعاء الولد الصالح .

(١)

الرابع : طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات .

القاعدة الثالثة :

التحصن من الشيطان ، وكسر التوقان ، ودفع فوائل النفس ، وغض البصر
وحفظ الفرج . وإلى ذلك أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : " يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له
جاء " . (٢)

ومعنى وجاء : وقاية .

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٥ للغزالي .

(٢) فتح الباري (٩/١٠٦) ومسلم (٩/١٧٣) كتاب النكاح - باب استحباب

النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ، وانظر : متن صحيح مسلم
(٢/١٠١٨، ١٠١٩) الحديث رقم (١٤٠٠) . تحقيق محمد فؤاد

عبد الباقي .

قال النووي في شرح هذا الحديث : 'وفي هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاعه وتاقت نفسه ، وهذا مجمع عليه لكنه عندنا — أي الشافعية ، وعند العلماء كافة أمر ندي لا إيجاب ، فلا يلزم التزوج والتسري سواء خاف العنت أم لا . هذا مذهب العلماء كافة ولا يعلم أحد أوجبه إلا داود ومن وافقه من أهل الظاهر .

ثم قال : أما الأفضل من النكاح وتركه فقال أصحابنا فيه أربعة أقسام :

- أ — قسم تتوق إليه نفسه ويجد المؤمن فيستحب له النكاح .
- ب — وقسم لا تتوق ولا يجد المؤمن فيكره له .
- ج — وقسم تتوق ولا يجد المؤمن فيكره له وهذا مأمور بالصوم لدفع التوقان .
- د — وقسم يجد المؤمن ولا تتوق فمذهب الشافعي وجمهور أصحابنا أن ترك النكاح لهذا والتخلي للعبادة أفضل ، ولا يقال النكاح مكروه . بل تركه أفضل ، ومذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وبعض أصحاب مالك . أن النكاح له أفضل ^(١) . والله أعلم . ^(٢)

والنكاح وقاية . أخرج أحمد بن حديث أبي كبشة الأغارى حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء . فدخل على بعض أزواجه وقال : ففعلوا فإنه من أمثال أفعالكم إتيان الحلال . وإسناده جيد . ^(٣)

(١) النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي أبو حنيفة أحد الأئمة الأربعة . مولده (٨٠ — توفي ١٥٠ هـ) ، له تراجم في تاريخ بغداد ٣٢٣ / ١٣ . النجوم الزاهرة ١٢ / ٢ ، البداية والنهاية ١٠٧ / ١٠ ، الأعلام ٣٦ / ٨٠ .
(٢) صحيح مسلم شرح النووي ١٧٣ / ٩ ط . المطبعة المصرية ومكتبتها .

(٣) تخريج أحاديث الإحياء للعراقي بهاشحيا علم الدين ٢٩ / ٢ ط دار المعرفه ، والعراقي هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن زين الدين من كبار الحفاظ توفي ٨٠٦ هـ ، له تراجم في الضو اللامع ١٧١ / ٤ ، الأعلام ٣٤٤ / ٣ .

الفائدة الرابعة :

تفريغ القلب من تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والغرش وتنظيف الأواني ، وتهيئة أسباب المعيشة ، ولذلك يقول طيه الصلاة والسلام : " ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته " (١) .

يقول أبو حامد الغزالي في الإحياء " إن الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر طيه العيش في منزله وحده . إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل . فالمرأة الصالحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريقة واختلاف أو اختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش " . (٢)

الفائدة الخامسة :

مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن ، والسعي في إصلاحهن وإرشادهن لطريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن، والقيام بتربية الأولاد فكل هذه أعمال عظيمة الفضل . فإنها رعاية وولاية . والأهل والولد رعية ، وفضل الرعاية عظيم ، وإنما يحترز منها ما يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها . (٣) والافتقار إلى الصلاة والسلام :

-
- (١) تحفة الأحوذني (٤٩١/٨) للمباركفوري . وهو ابن العلي محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ، من علماء الهند ، توفي سنة ١٣٥٣ هـ ، تفسير سورة التوبة ، رقم الحديث ٣٩٤ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، ابن ماجه ١/٥٩٦ ، رقم الحديث ١٨٥٦ .
- (٢) إحياء علوم الدين (٢/٣٣) .
- (٣) المرجع السابق .

"ألا كلّم راع ، وكل راع مسئول من رعيتيه " (١) .

وقال طيه الصلاة والسلام : " ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل

ليؤجر في اللقمة يدفعها إلى نبي امرأته " (٢) .

(١) مزاه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٣٢/٢ للطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس . أخرجه البخاري (٧٧/٩ ط الشعب) ، ومسلم كتاب الإمارة رقم (٢٠) ، والترمذي رقم (١٧٠٥) .

(٢) مزاه العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٣٣/٢ للبخاري ومسلم وأخرجه الحاكم (٥٠/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٨٢/١٠) ،

((المطلب الخامس))

في الزواج ميثاق وعهد بين الزوجين

هذا ما صرح به الكتاب العزيز لأهمية الزواج وعظمه وكبير نفعه وتعدد فوائده .

إن هذا العهد فيه إقرار للحقوق وبيان للواجبات وعهد شركة ولا بد للأطراف أن تلتزم بأمانة هذه الوثيقة .

وبموجب هذا العهد تتلاقى القلوب وتتحد الأبدان حتى تنشأ خلقا آخر فيه الحياة ويقوم بنفس الدور الذي قام به الوالدان في الحياة من تعمير وإصلاح وتربية وتنشئة وإصلاح بين الناس . والقرآن الكريم يقول عن عهد الزواج وميثاقه: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (١) .

قال الزمخشري : الميثاق الغليظ حق الصحبة وحق المضاجعة كأنه قال : وأخذ الله به منكم ميثاقا غليظا . أي بانفءا بعضكم إلى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه . فقد قالوا : صحبة مشرين يوما قرابة . فكيف بما يجري بين الزوجين من الإتحاد والإستزاج . (٢)

ومعروف أن الميثاق لا يكون إلا في الأمور الهامة فكيف إذا كان غليظا . قال الشيخ شلتوت : وإذا كان المتتبع لكلمة ميثاق ومواضعها التي وردت بها لا يكاد يجدها تأخذ مكانتها في التعبير القرآني إلا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده والأخذ

(١) آية / ٢١ / ، سورة النساء .

(٢) تفسير الكشاف (٣٨٨ / ١) للزمخشري .

بشرائعه وأحكامه ، فإنه يستطيع وقد جاءت في شأن الزواج أن يدرك من طريق قريب المكانة السامية التي وضع الله الزواج فيها وجعله في التعبير منه صنوا للإيمان بالله وشرائعه وأحكامه^(١) .

والمرأة الصالحة خير ما في هذه الدنيا . قال صلى الله عليه وسلم " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " .^(٢)

-
- (١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ١٥٩ ، للشيخ محمود شلتوت ، وهو فقيه ومفسر ، شيخ الأزهر ، توفي عام ١٣٨٣ هـ . الأعلام ١٧٣/٧ .
- (٢) أخرجه مسلم (١٧٨/٤) كتاب النكاح ، باب خير متاع الدنيا . والنسائي (٩٦/٦) ، وابن ماجه (٥٩٦/١) (٩) كتاب النكاح (٥) باب أفضل النساء رقم (١٨٥٥) ، والمسند (١٤٣/١٦) .

((المطلب السادس))

في الحقوق الزوجية

كانت المرأة في الجاهلية مهضومة الحقوق . بل إن بعض الحضارات كانت تعتبرها كالسلعة التي تباع وتشترى . بل وتورث كما في الحضارة الرومانية القديمة . وشتان شتان بين مكانتها في الجاهلية والحضارات القديمة والأديان الأخرى وبين مكانتها في الإسلام . فالهون شاسع والفارق كبير . وإذا كانت النصرانية تسلبها حقها من الميراث عند تواجد الفرع الوارث المذكور من الأبناء . فإن الإسلام لم يحجبها حقها ولم يهضمها .

فذلك واحد من الزوجين على صاحبه حقوق مرصية جاءت مبينة ومفصلة في الكتاب والسنة، ونهج سلف هذه الأمة والإسلام لا يفرق بين الرجل والمرأة في شيء إلا حيث فرقت طبيعة الخلق والتكوين والقاعدة الشرعية تقول : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِأَنفُسِهِمْ أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾^(٢) .

والإسلام الذي يعرف حقيقة الفطرة الإنسانية السوية ويتمشى معها يعترف بتكافؤ الجنسين لا بتماثلهما لأن التماثل ليس حقيقة ولذا يفرق بينهما في بعض الحقوق

(١) آية / ٢٢٨ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ٣٤ / ، سورة النساء .

والواجبات التي تنشأ من اختلاف طباعهما واختلاف وظائفهما بعد أن سوى بينهما في الأمور الأخرى التي تتصل بالإنسان من حيث هو إنسان . والإسلام لا يفرق بين الجنسين إلا في موطنين أساسيين : القوامة ، وتوزيع الميراث^(١) .

والتسوية بين الحقوق والواجبات هي العدل الذي فرضته التربية القرآنية . وهو وضع المرأة في موضعها الصحيح من الطبيعة والمجتمع ومن الحياة الفردية^(٢) .

القوامة التي فرضها الإسلام للرجال على النساء هي إذن قيادة يجب أن تتوافر فيها ما يتوافر في كل قيادة رشيدة ، فالقائد يجب أن يكون أفضل من في الجماعة التي يقودها ، وأن يكون أهلاً للمسئولية .

ولابد من الشروط الآتية لهذه القيادة :

- ١ — أن يبلغ مبلغ الرجال سنًا وإدراكًا .
- ٢ — أن تتوافر له صفة الفضل أو التفضيل . فالرجل الفاسد أو المجرم . أو فاقد الحرية لا قوامة له على الزوجة الصالحة .
- ٣ — أن يقوم بواجبه في الإنفاق على من يعوله من النساء^(٣) ، ولقد ترجم شوقي رأي الإسلام في ذلك فقال :

(١) انظر في هذا المعنى : الإنسان بين العادية والإسلام ص ٢٥٧ محمد قطب .

(٢) الفلسفة القرآنية ص ٥٠ ، للعقاد .

(٣) حقوق المرأة في التشريع الإسلامي والدولي المقارن لحسنی نصار ص ١١٣ .
وأيضاً مع القرآن في آدابه ومعاملاته ص ٣٠١ د . عبد الحسيب طه حميدة .

- هذا رسول الله ﷺ .: ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعة .: لنساء المتفقهات
رُضِنَ التجارة والسياسة .: والعلوم الأخرى
وحضارة الإسلام تنـ .: طق من مكان المسلمات^(١)

(١) الشوقيات ج ١ ص ١٠٣ .
أحمد شوقي بن طي بن أحمد شوقي ، لقب أمير الشعراء . مولده سنة
١٢٨٥ ، توفي سنة ١٣٥١ هـ . الأعلام ١٣٧/١ . مصري المولد والوفاء .

((المبحث الثاني))

في توجيه فريضة التناسل

من عظمة الإسلام التربوية أنه حمى الطفولة وأحاطها بحصن اجتماعي متين ،
في حين جعل ملاقة الأبوين على درجة من الكمال لا يتطرق إليها أي خلل . أو أدنى
شك . أو ريبة تنفص على الأسرة حياتها وجعل ميثاق الزوجية ميثاقا غليظا . فقال
تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (١) .

فقد حمى الإسلام العلاقة الزوجية من أية علاقة سيئة ، حماها من أية خيانة
أو إهانة تصدر عن أي من الزوجين وجعل عقوبة الموت رجما بالحجارة لكل زوج تثبت
عليه خيانة صريحة واضحة . أي اتصال جنسي غير مشروع بشهود وحدود وقيود معروفة
في كتب الفقه الإسلامي .

وإذا كانت الأمة تدافع من أمنها واستقرارها ، فإن الأسرة ذلك المحضن الهام
والمغرس الكريم تعد نواة المجتمع . بل أصل الأمة جميعا ، قد دافع الإسلام عنها
بهذا التشريع القرآني العظيم ، ليتوفر بذلك للطفل المسلم الانتماء إلى نسب شريف
عفيف فيه استقرار للنفس ، وفيه مودة ، وفيه رحمة وفيه عاطفة الأبوة والأمومة التي
لا تعدلها عاطفة بأي حال من الأحوال .

إن الإسلام بتضييقه الخناق على الخارجين من تعاليمه ومعاييرهم بأشد العقوبات .
بفعله هذا قد انعدم في بيئاته الأولاد غير الشرعيين ، وقل أثر الزناة الجناة .

(١) آية / ٢١ / ، سورة النساء .

لقد أعطى الإسلام للطفل المسلم بما شرع من أحكام حق صيانة حياته وحفظ أسرته من التصدع والانهيـار ، وحفظ المرأة من الابتذال والسقوط لئلا تكون سلعة متناولة للعابثين أو متاعا يبتاع لتجار الجنس الرخيص . فأعطاها مكانة الصداوة في قلوب الرجال المتزوجين . وأنزلهن منزلة تليق بأنوشتهن^(١) .

لقد أقام الإسلام سياجا متيناً وحرماً آمناً لعش الزوجية ، وكان من نتيجة ذلك النظام الفريد حفظ الأنساب ، وعرف الناس أقاربهم وقبائلهم من قبل أصولهم من الآباء والأمهات .

وفي هذا العش الآمن المطمئن ينشأون فيه بسعادة غامرة من غير خوف يهدد كيانهم البدني . أو يدمر تكويناتهم النفسية وانتماؤاتهم الأسرية . ومن غير أن يفقدوا حنان الأم والاهتزاز بالأب ورعاية ومعنوية كل منهما .

ومن هذا المنطلق وجه القرآن الكريم لهذا الجانب قسطاً كبيراً من الاهتمام والبيان والتوجيهات للمربين . فاهتم الإسلام بالزواج والحضانة والرضاع ، والنفقة كما اهتم بصيانة الأمراض من القذف، وبين أحكام اللعان والظهار والطلاق وغير ذلك مما هو داخل في هذا^(٢) .

وحيث إن الجنس من أهم وأخطر ما يواجه الأمة في كل عصر ، وفي كل مجتمع وهو السم القاتل الذي يهدد الكيان البشري كالسوس ينخر في العظام . لذا كان ولا يزال وسيظل منهج الإسلام هو المنهج التربوي السليم الذي ينظم هذه الفريضة من خلال إصناف معتنقيه وتحصينهم بالزواج .

(١) راجع كتاب أصول التربية الإسلامية ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، د . عبد الرحمن النحلاوي .

(٢) المرجع السابق .

إن اقرار جريمة الزنى يكون سببا للردائل والمصائب التى يطول شرحها ويصعب حصرها .

إن ظاهرة اللقطاء فى المجتمعات الغربية لدليل أكيد على بشاعة الزنا وقبحه حيث النتيجة الآثمة الأليمة والأثر السيء الماحق للإنسان الذى كرمه الله فساد البعض من مساره الصحيح ، وإن نظرة الغرب اليوم إلى الزنى ودوافعه وما ينتج عنه لنظرة تعم أصحابها بوصمة العار ، وسوء العاقبة والمصير ، وتذرههم بالفضيحة والعار والشنار ، والانحطاط الخلقي حيث وصل البعض منهم إلى الإباحية المطلقة والمهيمية المتخلفة والأطفال الذين ينحدرون من هذا الطريق ينسبون إلى الدولة فليس لهم أب ولا أم . ولذا، فهذه المجتمعات المنحلة تعاني أسوأ النتائج فهناك الأزمات النفسية الضاغطة ، وأزمات عصبية ماحقة على الرغم من الرخاء والثراء المادي ، والتقدم الحضاري، فكل هذا لم يجلب لهم السعادة، بل فتح عنه انتحار وحوادث قتل ، ومحاولة عابثة فى تعاطي المخدرات والخمور للهروب من الواقع المؤلم والذى يخلو من أي مشاعر عاطفية، لا سيما التى تستمد من المبادئ الدينية والقيم الخلقية .

والأسرة المسلمة هي الخلية الطبيعية التي تحمي الفرد من هذا الدمار ، وهي المنظم الطبيعي لانطلاق الشهوة التي تمنع دمار الجسد ، وهذاب اللهفة الدائمة، وتمنع الفرد السوي في الوقت ذاته نصيبا معقولا من المتعة الجسدية ينتهي به إلى الرضا والارتواء . (١)

إن العلاقة بين الجنسين أداة لخدمة النوع البشري بإنشاء المحض الآمن النظيف المتخصص لإنجاب الأجيال من بني الإنسان وهذا الانجاب من أعلى وأثمن

(١) انظر : كتاب الإنسان بين المادية والإسلام تحت عنوان المشكلة الجنسية ، ص ٢٢٠ وما بعدها .

أنواع الإنجاب في هذه الأرض ، واعتبار الواجب لا اللذة هو عماد هذه العلاقة التي يرتبط المجتمع البشري كله بها ، وقيام التمدن البشري عليها .

أما هذا الاعتبار فلم يعتدل به الميزان كذلك قط في مناهج الجاهليات القديمة والحديثة .^(١)

وبترغيب الإسلام لمعتنقيه في الزواج يعتدل الميزان نظرا لطبيعة الأزواج فسي كل هذا الخلق أن تتجاذب فالذكر والأنثى في النوع الواحد يتجاذبان حتما حسب ما بنى الله عليه طبيعة كل منها ، وحسب ما هدى إليه من فطرة، وسبحان ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^(٢) .

فميل الرجل إلى المرأة وميل المرأة إلى الرجل جزء من قانون طام اقتضته حكمة الله سبحانه وتعالى لا سبيل إلى تجنبه أو إنكاره ، وليس من المطلوب ولا هو مما يرغب فيه ويسعى إليه أن يخفف هذا الميل ، أو يعمل على إضعاف حدته .

ثم إن اطلاق الأمر في تجاوز الرجل والمرأة واختلاطهما لا يخلو من أمرين فهو إما أن يؤدي إلى إثارة الشهوة وزيادة حدتها . أو يؤدي إلى العكس .

وإذا خرج الأمر عن الطريق المرسوم تحول إلى فوضى لا ضابط لها، وعند ذلك يشيع الأذى بشيوع الأمراض، وبذلك يفسد المجتمع ويختل نظامه ، ويعتل جسمه بتكاثر الأحقاد والضغائن بين الآباء الذين أودوا في بناتهم، والأزواج الذين أودوا في نساءهم . والأولاد الذين أودوا في أمهاتهم .

وكذلك بين المتنافسين والمتنافسات على العشيق الواحد والعشيقة الواحدة .^(٣)

(١) انظر في هذا المعنى : المرأة وطلاقات الجنسين في كتاب الإسلام ومشكلات الحضارة ص ٦١ ، وما بعدها ، للأستاذ سيد قطب .

(٢) آية / ٥٠ / ، سورة طه .

(٣) انظر : حصوننا مهددة من داخلها في أوكار الهدامين ص ١٠٧ وما بعدها ، المجتمع المختلط د . محمد محمد حسين .

حكمة الإسلام في توجيه غريزة التناسل :

إن الإسلام حينما يوجه الإنسان إلى فعل شيء ما وعدم الاقتراف لشيء ما فإن ذلك يكون لمصلحة الإنسان وكل هذه الأوامر وتلك النواهي إنما هي لتنظيم حركة البشرية في هذا الكون لذا فإن له حكمة في توجيه غريزة التناسل منها :-

(١) حفظ الأنساب لأنها إذا ضاعت ضاعت الأسرة .

كما يترتب على عدم حفظ الأنساب مفاصد كثيرة وأمور خطيئة .
منها اختلال نظام التوارث فتنتقل الأموال إلى غير أهلها، وهذه مفسدة عظيمة وظلم كبير .

وكذلك نظر الرجل إلى غير محارمه وهذا فيه إفساد لنظام البيوت وقطع للصلوات الصحيحة ، وتعريض للأولاد لأمر سيئة منها فساد التربية، وما ينشأ عنها من فقدان العاطفة وتشرد الأولاد وسوء السلوك، والزنى ملاقاة بهيمية مؤقتة لا ضابط لها ولا تبعية تنتج عنها .

ومن مفاصد الزنى هتك الأمراض واختلاطها . فكم من عرض انتهك فأنزل العائلة من أعلى المجد إلى مهاوي الرذيلة ومرضها لسوء العاقبة والمصير .

(٢) ومن حكم الإسلام في توجيه غريزة النسل انتظام أمور البيت والاستقرار النفسي والعائلي . حيث المرأة إذا رأت زوجها ميلاً إلى الخناقل ميلها إليه، وقلت رغبتهما فيه وفي بيته وأولاده أحياناً . فيتحول الود إلى كره شديد ونفور أشد، والعكس حاصل منها إذا رغبتهما في غيره . فإن نظرها ومشاعرها وتوجهاتها كلها ستتحوّل حتماً إلى هذا الأخير، وحينئذ يكون الفساد الكبير .

(٣) ومنها حفظ النسل في عشه ومحضنه الصحيح وتكاثره بطريقة صحيحة صريحة . حيث الزانية لا ترغب في النسل لأسباب عدة ، وإذا قل النسل اختل نظام الكون . وهذا كله عكس مراد الله ، والمسلم مطلوب منه تفضيل مراد الله على مراد نفسه .

(٤) ومنها تجنب الأمراض الفتاكة والمعدية، والتي تنذر بهلاك ودمار الإنسان . وها هي أجراس الخطر تدق معلنة إنذار الزناة الجناة بمرض (الإيدز) الذي قيل منه : إنه طاعون العصر .

وها هو شرع الله يمد يده للخارجين منه معلنا أن النجاة في اتباعه وأن المعصية في اتباع هوى النفوس .

إن البغاء في حقيقته تلويث شامل للفرد والمجتمع . وإشاعة الفاحشة، وسعنة نطاقها إذابة لأخلاق المجتمع ، ونظامه وأعرافه . وهدم للعدالة الاجتماعية التي جانب العاهات والعلل والأمراض النفسية والعصبية التي يخلقها البغاء ، للرجال والنساء على السواء . فهو يخلف العلل البدنية الخطيرة والأمراض الخبيثة التي يعرف الطب آثارها المدمرة في الصحة العامة للأفراد والمجتمعات ، وبعضها وقف الطب طاجزا عنها مبهورا أمامها، ولهذا حرمه الإسلام ، ووقف في وجهه ، وطهر منه مجتمعه .

(٥) الزنى يصيب الإنسان بالفقر وشرك الفاقة والعوز والحرمان حيث إن الفقر مقبوضة تأتي من الله تعالى للزاني، حتى مع الاجتهاد في طلب الرزق .

(٦) الاهتمام بالصغار ، فالطفل محتاج إلى من يرعاه ويحرسه وابن الزنى لا يخلصو من أمرين :

أ - إما أن يموت صغيرا لانعدام من يرعاه أو يهتم به .

ب - وإما أن يعيش مهانا في مجتمع، ينظر إليه بمنظار قاتم، يتقلب في الذل والمهانة ، وفقدان الهوية .

(١) مرض فقد المناعة والذي يسببه أحد الفيروسات التي لم يتوصل العلماء بعد إلى كيفية مقاومتها .

وإنه إذا كتب له العيش فإنه يحيا مصابا بالعقد النفسية والأمراض العصبية التي تنفر جميع من حوله منه، وربما أدى ذلك إلى أن يكون عنصرا للتخريب في المجتمع .

(٢) إن حفظ النفوس مهمة البشر جميعا، لأن ارتكاب الزنى يوجد جيلا من الذين لا خلاق لهم ، ويفقدان التربية يندفع المرء إلى ارتكاب الجرائم من قتل للنفوس ومن سرقة واغتصاب . والجريمة إذا انتشرت في أى مجتمع تدهور أمنه، وقل استقراره، وأصبح مجتمعا غير منتج، ويصبح حالة على الشعوب متورطا في الديون، تابعة للتغير في قراراته السياسية، وأنظمتها الاجتماعية، ويصبح مجتمعا متخلفا .

(٨) النهي في الآية التي تقول : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِتْنَهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١) نهى عن الزنى نهى من أشنع جريمة وأقبح رذيلة .

قال الزمخشري : " فاحشة " قبيحة زائدة على حد القبح ، " وَسَاءَ سَبِيلًا " : وبئس طريقا طريقه، وهو أن تغصب على غيرك . إمراته . أو أخت . أو بنته من غير سبب والسبب ممكن، وهو الصهر الذي شره الله . (٢)

وقال أبو حيان : " لما نهى الله عن قتل الأولاد نهى عن التسبب في إيجاده من الطريق غير المشروعة، فنهى عن قربان الزنى واستلزم ذلك النهي عن الزنى ، وكان المعنى لم يزل أي لم يزل فاحشة : أى معصية " فاحشة "، أى قبيحة زائدة في القبح " وَسَاءَ سَبِيلًا " أي وبئس طريقا طريقه لأنها سبيل تؤدي إلى النار " (٣)

-
- (١) آية / ٣٢ / ، سورة الإسراء .
(٢) الكشاف للزمخشري (٣٥٩ / ٢) .
(٣) البحر المحيط (٣٣ / ٦) لأبي حيان .

أما المواضع التي أشار إليها القرآن الكريم باستمتاع كل من الزوجين بالآخر
فهي إشارات من خالق الليل والنهار والله لا يستحي من الحق، ليهتبهن في هذه
القضايا القول الفصل، حتى يتعلم المسلم كيف يتلفظ عند الحديث عن هذه العملية
الحساسة، وليجنبنا تلك الأساليب الرخيصة من كتب الأدب المكشوف . قال تعالى:

﴿ هُنَّ لِيَابِسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَابِسٌ لِهِنَّ ^(١) ﴾

وفي الآية لفظة إلى انضمام الرجل إلى شريكه حياته روحا وجسدا بحيث
لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ولا يستغنى كل منهما عن صاحبه إلا لأسباب خارجة
عن إرادة كل من الزوجين . وأيضا كل واحد يستر صاحبه ويواريه ، وأحد الزوجين
من غير صاحب عرضة للرديلة والتعري من الفضيلة وإلى بعض هذه المعاني السامية
وغيرها يشير الفخر الرازي في تفسيره الكبير فيقول :

أما قوله : ﴿ هُنَّ لِيَابِسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَابِسٌ لِهِنَّ ^(١) ﴾ ففيه مسائل .

المسألة الأولى : ذكرنا في تشبيه الزوجين باللباس وجوها :

أحدها : أنه لما كان الرجل والمرأة يعتنقان فيضم كل واحد منهما جسده
إلى جسم صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه سمي كل
واحد منهما لباسا .

قال الربيع ^(٢) : هن فراش لكم ، وأنتم لحاف لهن .

وقال ابن زيد ^(٣) : ﴿ هُنَّ لِيَابِسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَابِسٌ لِهِنَّ ^(١) ﴾ يريد أن يقول :

إن كل واحد منهما يستر صاحبه عند الجماع عن أعمار الناس .

(١) آية / ١٨٧ / ، سورة البقرة .
(٢) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المصري أبو محمد
المصري أبو محمد صاحب الشافعي ، توفي سنة ٢٧٠ هـ ، الأعلام ٣ / ١٥٠ .
(٣) ابن زيد أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد شهاب الدين أبو العباس ، من
علماء الحنابلة . الضو اللامع ٢ / ٧١ .

وثانيتها : إنما سمي الزوجان لباسا ليستر كل واحد منهما الآخر
عما لا يحل (١)!

والى بعض أسرار هذا التعبير أشار صاحب تفسير " في ظلال القرآن " فقال :
اللباس ساتر وواق ، وكذلك هذه الصلة بين الزوجين تستر كلا منهما وتقيمه ،
والإسلام الذى يأخذ هذا الكائن الإنسانى بواقعه كله ، ويرتضى تكوينه وفطرته
كما هي ، ويأخذ به إلى معارج الارتفاع بكلية ، وهذه نظرتة يلجى دفعه
اللحم والدم ، وينسم عليها هذه النسمة اللطيفة ، ويدثرها بهذا الدثار اللطيف
في آن ، ويكتنف لهم من خبيثة مشاعرهم ، وهو يكشف لهم عن رحمته بالاستجابة لهواتف
فطرتهم . (٢)

فهذا من أدب القرآن وكنائمه التي تكون في غنى عن التصريح ، فكفى عن
الجماع واستمتاع كل من الزوجين بالآخر باللباس ، فهذا من أعمق وأبلغ التشبيهات
وما ينبغي أن يتحلى به كل من الزوجين في الستر على الآخر .

وأىضا من الآيات التي أشارت إلى استمتاع كل من الزوجين بالآخر أو كليهما
ببعض . قوله تعالى : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتُكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)

(٤)

قال ابن النفيس في الموجز : أفضل الجماع ما وقع بعد الهضم وعند اعتدال
البدن في حره وبرده ورطوبته وبيوسته وخلاسه وامتلائه ، فإن وقع ضرره عند امتلاء
حرارته ورطوبته أسهل من خلاسه وبرده وبيوسته ، وإنما ينبغي أن يجامع إذا قويت
الشهوة ، وحفل الانتشار التام الذي ليس عن تكلف . ولا فكر في مستحسن ولا نظر إليه . (٥)

-
- (١) التفسير الكبير ١١٤/٥
(٢) في ظلال القرآن ١/١٧٤ ، ١٧٥ ، ط . دار الشروق بالقاهرة .
(٣) آية / ٢٢٣ / ، سورة البقرة .
(٤) علي بن أبي الحزم القرشي علاء الدين الطقب بابن النفيس ، من علماء الطب ،
توفي سنة ٦٨٢ هـ ، شذرات الذهب ١/٥٠١ ، النجوم الزاهرة ٧/٣٧٧ .
(٥) الطب النبوي ص ٣١٠ ، ٣١١ ، لابن القيم تحقيق د . عبدالمعطي أمين
قلعجي . ط . دار التراث - القاهرة .

إن الإسلام يصون معتنقه، ولذلك حث أبناؤه على النكاح ورضيهم فيه، وأيضاً أباح لهذه الرفقات المكبوتة أن تخرج في نطاقها الشرعي .

حق الاستمتاع :

من الحقوق المترتبة على عقد الزواج تلك الخاصة باستمتاع الرجل بهزوجه والعكس صحيح . إن الله سبحانه وتعالى أباح لكل منهما الاستمتاع بالآخر تحصيلاً لهما ودرءاً لمخاطر ممارسة الجنس خارج الأهل . وهذا الحق يربح كلا منهما إذا كان في الظروف المناسبة كما بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَوَّأَلَا نَفْسِكُمْ ۖ ﴾ (١) .

وهذا الاستمتاع إنما يكون في حدود ما أمر الله . وعلى الزوجة أن تجيب زوجها وتلبي رغبته ، وعلى الزوج كذلك . وإذا لم تلب الزوجة ذلك تعتبر زوجة آثمة وعاصية لما ورد في الحديث الصحيح من أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح " (٢) .

ولا بد من إزالة اللبس في هذه النقطة بقول بعض الرجال إن المرأة هي التي يجب أن تلبي رغبة زوجها . بل والعكس صحيح ويجب أن يلبي الرجل طلب زوجته حتى يعفها ويحصنها . وهذا واجب عليه شرعاً . فقد ورد من عبد الله ابن عمرو بن العاص أنه كان يصوم نهاره كله ويقوم ليله كله . فبلغ أمره إلى النبي

(١) آية / ٢٢٣ / ، سورة البقرة .

(٢) صحيح مسلم (١٠٥٩ / ٢) رقم الحديث ١٢٠ - (١٤٣٦) (١) كتاب النكاح (٢٠) باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها .

صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : فلا تفعل صم وأفطر ، وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لبيتك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا " (١) .

" قال الكرمانى (٢) : في هذا الحديث إشارة إلى أن وراء الجسد -يعني (٣)
هذا الهيكل المحسوس للإنسان- شيئا آخر يعبر عنه بالروح وأخرى بالنفس " .

وقال ابن بطال : لما ذكر البخاري - في الباب قبلة حق الزوج على الزوجة ذكر في هذا عكسه ، وأنه لا ينبغي له أن يجهد نفسه في العبادة حتى يضعف من القيام بحقها من جماع واكتساب " (٤) .

والمرأة لا تمتنع على زوجها إلا بعدد شرعي كأن تكون صائمة أو حائضا أو تؤدى مناسك الحج . ولعل السبب في التشديد على المرأة وتلبية طلب زوجها إذا دعاها إلى فراشه . أن الرجل أضعف في الصبر على ترك الاتصال الجنسي كما فهم ابن حجر من الحديث . فقال " وفيه أن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة " . وقال : إن فيه من أقوى التشويشات - الخلط - على الرجل . ولذلك حض الشارع النساء على مساعدة الرجال في ذلك .

-
- (١) صحيح البخاري - كتاب النكاح . باب لزوجك عليك حقا (٢٤٥ / ٩) فتح .
(٢) الكرماني هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني ، من علماء الحديث له الكوكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، توفي سنة ٧٨٦ هـ . الأعلام ١٥٣ / ٧ .
(٣) عمدة القاري ١٨٩ / ٢٠ ط . دار إحياء التراث العربي ببيروت .
(٤) فتح الباري ٢٤٦ / ٩ ط . إحياء التراث العربي ببيروت .

ومن هنا يتبين أن الأصل في منفعة الجماع شيئان :

أحدهما : حفظ النسل .

الثاني : إخراج الماء المحتقن، وإنما قرنت به اللذة ، لمحث الحيوان والإنسان على استعماله وإذا ثبت فضل المني فلا ينبغي إخراجها إلا في طلب إحدى فائدتيه .

أما طلب النسل ، وأما إخراج المحتقن منه .

فاعلم أنه إذا دام احتقانه أحدث أمراضا رديئة ، منها الوسواس، والجنون ،

والصرع ، وغير ذلك وقد يبرى استعماله من هذه الأمراض كثيرا .^(١)

(١) فتح الباري ٢٤٦/٩ " ط . دار إحياء التراث العربي ببيروت " .

حكم إتيان الرجل المرأة في دبرها

العربية الإسلامية تربية شاملة ما تركت باباً من أبواب الفقه إلا وتطرقت إليه، وكان الهدف من طرق هذه الأبواب هو بيان الصواب والحق في كل شيء يخص المسلم لا سيما المسائل الحساسة .

والإسلام حريص على نظافة المسلم وحريص على طهارته المادية والروحية . ولقد اتفق جمهور العلماء على تحريم وطء المرأة في دبرها ، لأن هذا الموضع لا يثبت فيه الولد . والله يقول: ﴿ فَاتَّوَهَّنَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) .

(٢)
أخرج الشافعي في الأم ، وابن أبي شيبة وأحمد والنسائي وابن ماجه وابن المنذر (٣) والبيهقي في سننه من طريق خزيمة بن ثابت (٤) . أن سائلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إتيان النساء في أدبارهن . فقال : حلال . أولاً بأس

-
- (١) آية / ٢٢٢ / ، سورة البقرة .
(٢) عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العباسي بالولاء الكوفي ، أبو بكر حافظ للحديث . له مسند ، توفي سنة ٢٣٥ هـ ، له تراجم في تاريخ بغداد . ٦٦ / ١٠ .
(٣) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر . من الحفاظ ، له مؤلفات كثيرة ، توفي سنة ٣١٩ هـ . له تراجم في تذكرة الحفاظ ٣ / ٤ ، طبقات الشافعية ٢ / ١٢٦ ، لسان الميزان ٥ / ٢٧ ، الأعلام ٥ / ٢٩٥ .
(٤) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصاري أبو معارة ، صحابي جليل ، روى له البخاري ومسلم ، توفي سنة ٣٧ هـ . له تراجم في الإصابة ١ / ٤٢٥ ، صفوة الصفوة ١ / ٢٩٣ ، الأعلام ٢ / ٣٠٥ .

فلما ولي دعاه . فقال : كيف : أمن دبرها في قبلها فنع . أم من دبرها فسي
دبرها . فلا . إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن ^(١) .

وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان عن ابن عباس
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : " لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في
الدبر " ^(٢) .

وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم - " ملعون من أتى امرأته في دبرها " ^(٣) .

وأخرج عبدالرزاق وابن أبي شيبة وهب بن حميد والنسائي والبيهقي : قال ^(٤)
رسول الله صلى الله عليه وسلم - : " إيمان الرجال والنساء في أدبارهن كفر " وقد
رواه ابن عدي عن أبي هريرة مرفوعاً، وعند النسائي عنه موقوفاً وهو أصح ^(٥) .

-
- (١) المسند ١/٨٦ ، ٥/٢١٣ ، ٢١٤ ، والبيهقي ٧/١٩٧ ، ١٩٨ ، وتاريخ
بغداد ٣/١٩٧ ، ١٠/٣٩٨ .
- (٢) ابن حبان (١٣٠٢ موارد) والترمذي رقم ١١٦٥ وابن أبي شيبة في
مصنفه ٤/٢٥٢ .
- (٣) سنن أبي داود . كتاب النكاح باب (٤٦) والإمام أحمد في المسند
٢/٤٤٤ ، شرح السنة ٩/١٠٦ .
- (٤) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني من الحفاظ
توفي ٢١١ هـ ، له تراجم في تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ ، طبقات الحنابلة
ص ١٥٢ ، الأعلام ٣/٣٥٣ .
- (٥) عبد بن حميد بن نصر الكسي أبو محمد ، من الحفاظ ، قيل اسمه عبدالحميد
وخفف نسبه إلى كس وهو من بلاد السند ، توفي سنة ٢٤٩ هـ ، له تراجم
في تذكرة الحفاظ ٢/١٠٤ ، الأعلام ٣/٢٦٩ .
- (٦) ابن عدي : عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد بن مبارك بن القطان
الجرجاني أبو أحمد ، من علماء الحديث أخذ من أكثر من ألف شيخ . له
تراجم في كشف الظنون ص ١٣٨٢ ، الأعلام ٤/١٠٣ .
- (٧) انظر كتاب عشرة النساء للنسائي ص ١٣٦ ، كتاب إتحاف السادة المتقين
للزبيدي (٣٧٥/٥) وانظر : مصنف ابن أبي شيبة (٤/٢٥١ ، ٢٥٢ ،
٢٥٣) ، أنظر الكامل لابن عدي (٢/٦٣٢) ، (٣/١١٣٠) من حديث
ابن عباس يرفعه لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دبرها .

ولسنا نرى بهانا كافيا شافيا عن العلاقة التي بين الرجل والمرأة مثلما نص
كتاب ربنا ، ونصت سنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - . ومن هذا المبدأ
جعل الله ما بين الرجل والمرأة ميثاقا غليظا . فقال تعالى ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ
مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (١) .

إن الإسلام جعل ما بين الرجل والمرأة سكنا . فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي سِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

آداب الاستمتاع :

بخطي من يزعم أن مجال التربية الإسلامية متوقف على سلوك الناس مع
بعضهم البعض، ولا تدخل في الخصوصيات، وبالأخص تلك المتعلقة بعلاقة الرجل
وزوجته، وهذا غير صحيح ، لأن التربية الإسلامية قائمة على بيان إشارات القرآن
الكريم للعلاقات الجنسية التي بين الرجل وامرأته، وما وضحته السنة النبوية المطهرة
في الخصوصيات يبين لكل من لا يعرف الإسلام أن الإسلام يهتم بالمسلم في كل
لحظة من حياته .

وإذا كان الاستمتاع حقا مباحا لكل من طرفي عقد الزواج فإنه يراعي الظروف
الجنسية لكل من الرجل والمرأة . وهذه الرعاية تكون متبادلة بينهما . إن الإسلام
يبيِّن الطريق الواضح المعالم للسمو بالخير في قضاء الرجل أو المرأة وطريقهما

(١) آية / ٢١ / ، سورة النساء .

(٢) آية / ٢١ / ، سورة الروم .

وهذا الطريق، وتلك المعالم تتمثل في آداب الاستمتاع وهي : " أن يقول عند الوقاع : بسم الله العلي العظيم . الله أكبر، الله أكبر . فإن قرأ قل هو الله أحد كان أحسن . ويقول : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا " (١) .

إن حال المسلم دائما يستعين بالله لأن ثقته في الله تجعله يطمئن فيما يهبه الله له . فهو الذي يهب لمن يشاء إن شاء ويهب لمن يشاء الذكور .

والتسمية تكون قبل المباشرة .

من عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا " (٢) .

والتسمية هنا مستحبة بالذات لأن الثقة في الله عز وجل والأمل فيه أن تكون الذرية سالحة .

قال صاحب روح المعاني : " وقد موا لأنفسكم ما يصلح للتقديم من العمل الصالح ومنه التسمية عند الجماع وطلب الولد المؤمن " (٣) .

(١) أخرجه البخاري ٤٨/١ ، ١٤٩/٤ ، ٧٠/٣٠، ٨٠٣/١٠٣، ٩٠/٤٦ ط . الشعب وأخرجه مسلم كتاب النكاح (١٦) ، وأبو داود رقم ٢١٦١ وابن ماجه رقم ١٩١٩ .

(٢) أخرجه البخاري (١/٤٨، ٨٠٢/١٠٢، ٩٠/١٤٦ ط الشعب) ، ومسلم كتاب النكاح الباب ١٨ رقم ١١٦ . وأبو داود رقم ٢١٦٣ ، والترمذي ١٠٩٢ ، وابن ماجه ١٩١٩ ، وابن أبي شيبة ١١/٤ .

(٣) روح المعاني للألوسي ١٢٥/٢ . وهو محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي شهاب الدين مفسر ومحدث، توفي سنة ١٢٧٠ . الأعلام ١٧٦/٧ .

منع الزوجين من إفشاء ما وقع بينهما من أمور العشرة :

اعتبر الإسلام كتم الأسرار التي تفسد حياة الناس بإفشاءها من الأمور التي يؤتمن عليها المسلم في مصنعه وفي حقله وفي بيته، حتى فيما يدور بينه وبين زوجته . لهذا جعل الإسلام كتم الأسرار من الأمانة التي تحفظ للأسرة وللمجتمع كيانهما المستقل، وثبت دعائمها على بنيان قوي . وفي هذا المعنى جاء في كتاب الحقوق الزوجية المشتركة " .

يحرم الإسلام على كل من الزوجين نشر الأسرار التي تقع بينهما، والتي ترجع إلى الاتصال الجنسي ومقدماته من قبلات وأحضان وغير ذلك . ولا شك في تحريم الإسلام الاتصال الجنسي بمراى من الناس .^(١)

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها " .^(٢)

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم : وفي الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ، ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لأنه خلاف المروءة .

(١) الحقوق الزوجية في الفقه الإسلامي ص ٣٢ د . محمد رأفت ط . مطبعة السعادة القاهرة .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٦١٦/٣) الحديث رقم (١٢٥ - ١٤٣٨) كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة .

(١)
يقول الإمام محمد عبده حول المعنى الذي تشير إليه الآية الكريمة ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾^(٢) من سرعظة التعبير القرآني فالجملة من باب الكفاية وإنما تكون فيما لا يحسن التصريح به، ويؤيده تعدية الإفضاء بحرف الجر "إلى" الدال على منتهى الاتصال ، وهذا من حسن نزاهة القرآن في التعبير بقوله ﴿ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ أي مع كون الظاهر أن يقول : وقد أفضيتم إليهن أو أفضي أحدكم إلى الآخر وهي الإشارة إلى كون كل من الزوجين بمنزلة جزء الآخر وبعضه المتم لوجوده، فكان بعض الحقيقة كان منفصلا عن بعضها الآخر فوصل إليه بهذا الإفضاء واتحد به^(٣).

ويقول صاحب كتاب " الحقوق الزوجية المشتركة " :

من الأدب الإسلامي وجوب أن يستعر الزوج عند الاتصال جنسيا بزوجه ،
والزوجة لمست ملزمة بأن تمكن زوجها من نفسها في غير خلوة ، ويحرم عليه
أن يطلب ذلك منها ، فحفظ العورة مأمور به المسلم ، ولا يجوز له أن يكشفها
إلا لزوجه أو لجاريتها^(٤).

(١) محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركمان ، من رجال الإصلاح فني
الديار المصرية ، توفي سنة ١٣٢٣ هـ ، له ترجمة في الأعلام ٢٥٢/٦ .

(٢) آية / ٢١ / ، سورة النساء .

(٣) تفسير المنار (٣٧٦ / ٤) ل محمد رشيد رضا .

وهو محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء
الدين بن منلا على خليفة القلموني البغدادي الأصل ، صاحب مجلة
المنار . توفي سنة ١٣٥٤ هـ ، له ترجمة في الأعلام ١٢٦/٦ .
(٤) الحقوق الزوجية المشتركة في الفقه الإسلامي ص ٢٩ . محمد رأفت ،
ط . السعادة .

من هذا نرى مدى محافظة الإسلام على شعور كل من الزوجين ولا ينبغي لأحدهما أن يجرح شعور الآخر .

العزل :

التربية الإسلامية تربية خلق ومبادئ، وتربية أهداف نبيلة ، ومن أجلّ هذه المبادئ مراعاة الرجل لزوجته وعدم حرمانها من حقوقها ، وهي تربية قائمة على توطيد العلاقة بين الرجل والمرأة، ومن أجل توثيق ارتباط الرجل بزوجته ينبغي عدم حرمانه لها من حق الاستمتاع الذي يمارسه معها و ومن أجلّ أهداف الزواج وأعلى درجات حفظ الجنس البشري والعمل على إبقاء النوع الإنساني حتى تستمر الحياة . لذلك حرم الإسلام كل الوسائل التي تتعارض مع هذا الغرض الجليل ، وإذا كان الإنزال في رحم المرأة يؤدي إلى هلاكها أجزى العزل .

تعريف العزل :

(١) في اللسان : " عزل الماء عن النساء حذر الحمل " .

(٢) وفي التعريفات : " صرف الماء عن المرأة حذر الحمل " .

إن العزل ممتنع في حق الزوجة الحرة من أجل المحافظة على شعورها فضلا عن كامل حقها في الاستمتاع ، والعازل عن المرأة يهضمها حقها بدون أذنها ، وقد أشار إلى هذا المعنى صاحب فتح الباري بقوله : لا خلاف بين

(١) لسان العرب ٤/ ٢٩٣٠ ط . دار المعارف بمصر .

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٣١ ط . مصطفى الحلبي ، سبق الترجمة له .

العلماء أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا باذنها لأن الجماع من حقها ولها المطالبة به ، وليس الجماع المعروف إلا ما لا يلققه عزل ، ولعل العلماء قد استنبطوا هذا المعنى من قوله تعالى ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (١) .

وقد ذكر الألويسي في " روح المعاني " مُبَيَّنًا الهدف الأسمى من الزواج وأنه ليس قضاء الشهوة فقط بل الغرض الأسمى هو حفظ النوع فقال : وجعل بعضهم هذا المطلب كناية عن النهي عن العزل أو عن إتيان المحاشي (٢) .

وبعضهم فسر من أول مرة ما كتب في محله . أي اطلبوا ذلك دون العزل .

أسباب أمر الاسلام بافتزال النساء في المحيض :

قال الله تعالى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ (٣)

أن هذا الأمر الإلهي الذي ينهى المسلمين فيه عن جماع النساء في المحيض من منطلق الحرص على صحة المسلم وتجنب الفرد منا بوائق الأذى .

وإذا اقترن الرجل بالمرأة في تلك الحالة فإن هناك أضراراً جسيمة تنجم عن ذلك (هي عند المرأة) مثلاً :-

-
- (١) المغني لابن قدامة (٢٣ / ٧) .
وابن قدامة هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي أبو محمد موفق الدين . ت ٦٢٠ هـ ، من كبار الحنابلة . له تراجم في البداية والنهاية ٩٩ / ١٣ ، شذرات الذهب ٨٨ / ٥ .
- (٢) المحاشي . أكنى عن الأدبار .
- (٣) آية / ٢٢٢ / ، سورة البقرة .

- ١ - احتقان الأعضاء التناسلية الخارجية والداخلية في فترات الحيض يجعلها أكثر حساسية ، وأسرع تعرضا للتسلخ والالتهاب خاصة إذا وجد عـدم التناسب بين أعضاء الرجل والمرأة أو استعمل الرجل ضراوته نتيجة تهيجه .
- ٢ - إن معظم الجراثيم ترحب بالوسط الذي تنتجه إفرازات الحيض حيث إن الدم يجعل وسط المهبل معتدلا أو قلويا بعد أن كان حامضيا فتتكاثر بسرعة عظيمة، ونشاط عجيب وذلك حال الجراثيم الكامنة في أعضاء المرأة والرجل، والجراثيم التي تدخل من الخارج أثناءه، وإضافة إلى ذلك فإن مقاومة المرأة للأمراض تنقص إلى حدها الأدنى أثناء الحيض وكثيرا ما يستفيق في الطمث كامن في أعضاء المرأة الجنسية ويزيد في إمكانية ذلك ، وفي اشتداد الالتهاب حدوث المباشعة وقت الحيض .
- ٣ - إن التهيج المرافق للمناسبة الجنسية يزيد في احتقان وتوارد الدم إلى الأعضاء الجنسية . وقد يؤدي ذلك إلى النزف الطمئي الشديد، لاسيما إذا كان بالأعضاء التناسلية ورم أو التهاب ، وقد يؤدي إلى زيادة ألم الطمث . فإذا كان عند المرأة ميل للنزف الطمئي أو لاشتداد آلام الطمث فعلى بعلمها أن يمتنع حتى من الاقتراب النفسي والملاعبة الزائدة .
- ٤ - يتقلص الرحم أثناء الارتعاش الجنسي عند المرأة ، ثم يرتخي مرتشفا محتويات المهبل من مبي ومفرزات وما تحوي من جراثيم . وقد يؤدي ذلك إلى التهاب البطانة الرحمية أو التهاب الطلحقات خاصة وأن أعضاء المرأة الجنسية تكون أكثر استعدادا للالتهاب في فترة الحيض .
- ٥ - إن التوعك والآلام والحالة شبه المرضية التي تصيب كثيرا من النساء في فترة الحيض تجعل المرأة غير مستعدة نفسيا للمناسبة الجنسية في ذلك الظرف

(١)
على الغالب خاصة وأنها تشعر في تلك الفترة بالهبوط والضيق والزهد .
وعن الجماع في حالة الحيض ، قال القرطبي في تفسيره :-
" قال القاضي أبو محمد بن عبد الوهاب : ودم الحيض والنفاس بمنعان
أحد عشر شيئاً وهي : وجوب الصلاة ، وصحة فعلها ، وفعل الصوم دين وجوبه
وفائده : لزوم القضاء في الصوم ، ونفيه في الصلاة والجماع في الفرج ، ومادونه
والعدة والطلاق والطواف ، ومس المصحف ، ودخول المسجد ، والاعتكاف ، وفي
قراءة القرآن روايتان " (٢) .

وهذه المبادئ التعريفية تعمل على تعريف المرأة المسلمة بما تفعله

وما لا تفعله عند الحيض .

وذكر الرازي في تفسيره أن الأحكام الشرعية للحيض هي المنع من الصلاة ،
والصوم ، واجتناب دخول المسجد ، ومس المصحف ، وقراءة القرآن وحظر
الجماع " (٣)

إن الاسلام ارتقى بالمرأة من اليهودية؛ فلقد كان اليهود يجتنبون المرأة
إذا حاضت، فلا يؤكلونها ولا يجامعونها في البيوت، فلما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم.. فأنزل الله هذه الآية كما ذكر ذلك في أسباب النزول .
(٤)

(١) لمزيد من التفصيل . انظر : جرائم البغاء دراسة مقارنة ص ٣٦ ، ص ٣٧ ،
رسالة دكتوراة في الحقوق " العلوم الجنائية " كلية الحقوق جامعة القاهرة
د . محمد نيازي حتاتة ، ط . مكتبة وهبة بالقاهرة ، والمرأة والجريمة
ص ٤٤ وما بعدها د . أحمد على المجدوب ، ط . دار النهضة الحديثة
بالقاهرة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣ / ٨٤ ، ط . دار الكتب المصرية للطباعة
والنشر ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .

(٣) التفسير الكبير ٦ / ٦٩ ط دار الفكر للطباعة والنشر بالقاهرة .

(٤) أسباب النزول للواحيدي ص ٤٦ ، ٤٧ ط . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

أن يعتبر الاهتمام بشعور المرأة المسلمة من الأشياء الضرورية التي راعاها القرآن الكريم . أنه أهتم بالمحافظة على صحتها .

ويشير صاحب الظلال " سيد قطب إلى بعض هذه المعاني فيقول :
وهذه لفظة أخرى إلى تلك العلاقة ترفعها إلى الله، وتثمر بأهدافها عن
لذة الجسد، حتى في أشد أجزاءها علاقة الجسد في المباشرة . إن المباشرة
في تلك العلاقة وسيلة لا غاية، وسيلة لتحقيق هدف أعمق . في طبيعة الحياة،
هدف النسل وامتداد الحياة ووصلها كلها بعد ذلك بالله، والمباشرة في المحيض
قد تحقق اللذة الحيوانية مع ما ينشأ من أذى ومن أضرار صحية مؤكدة للرجل والمرأة
سواء ، ولكنها لا تحقق الهدف الأسمى، فضلا على انصراف الفطرة السليمة المنظمة
عنها في تلك الفترة ، لأن الفطرة السليمة يحكمها من الداخل ذات القانون
الذي يحكم الحياة، فتصرف بطبيعتها وفق هذا القانون من المباشرة في حالة لميس
من الممكن أن يصح فيها غرس ، ولا أن تنبت منها حياة . والمباشرة في الطهر
تحقق اللذة الطبيعية، وتحقق معها الغاية الفطرية، ومن ثم جاء ذلك النهي إجابة
عن ذلك السؤال ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ (١)

ولمست المسألة بعد ذلك فوضى ولا وفق الأهواء والانحرافات، إنما هي
مقيدة بكيفية وحدود ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (٢) . فهي
منبت الإخصاب دون سواء . فليس الهدف هو مطلق الشهوة، إنما الغرض هو
امتداد الحياة ، وابتغاء ما كتب الله ، فالله يكتب الحلال ويفرضه والمسلم يبتغي

(١) ، (٢) آية / ٢٢٢ / ، سورة البقرة .

هذا الحلال الذي كتبه له ربه ، ولا ينشىء هو نفسه ما يبتغيه ، والله يفرض ما يفرضه ليظهر عباده ، ويحب الذين يتوبون ، ويعودون إليه مستغفرين ^(١) .

اختيار الأم الصالحة :

تعتمد التربية الإسلامية على اختيار الأم الصالحة والزوجة الوفية التي تفرس في أبنائها الخير والفضيلة وتعودهم على الاحتشام والالتزام كما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم ^(٢) :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

لذلك فمن حق الولد على أبيه أن يختار له الأم الصالحة التي تورثه عظيم الصفات وكرهيم الخصال ونبل الأخلاق .

ولذلك حث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأكد على الظفر بسذات الدين فقال : " تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدتها فاظفر بذات الدين تربت يداك " ^(٣) .

(١) نسي ظلال القرآن ، سيد قطب ج ١ ص ٣٥٣ ط . دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان .

(٢) محمد حافظ بك السعيد ، توفي سنة ١٣٣٤ هـ ، لقب شاعر النيل ، الأعلام ٦٦ / ٧٦ .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٢ / ٩ فتح) رقم (٥٠٩٠) كتاب النكاح باب الأكفاء

في الدين ، وأخرجه مسلم (٥٠ / ١٠) كتاب النكاح ، باب استحباب ذات

الدين كما ذكر الحديث في سنن أبي داود (٤ / ٣ مختصر) كتاب النكاح

باب التحريض على النكاح . والترمذي (٢٠٥ / ٤ تحفة الأحوزي) كتاب

النكاح ٣ - باب ما جاء فيمن تزويج دينه فزوجوه . وابن ماجه (٥٩٧ / ١)

٩ - كتاب النكاح (٦) باب تزويج ذات الدين والنسائي (٦٥ / ٦) .

وعناية الإسلام بالطفل تبدأ منذ لحظة الاختيار لأمه ، كما تستمر وهو جنين في رحم أمه ليخرج إلى الحياة أفضل وأسلم ما يكون عقلا وجسما وروحا .^(١)

ولهذا ينبغي اختيار المرضعة الصالحة .

قال تعالى : ﴿ لَا تَضَارَّ وَالِدَةَ وَلَا مَوْلُودَهُ لَهُ يُولَدُ لَهُ ﴾^(٢)

أي بأن تدفعه عنها لتضر أباه بتربيته ، ولكن ليس لها دفعه إذا ولدته حتى تسقيه اللبن الذي لا يعيش بدون تناوله غالبا ، ولكن إذا كانت مضارة لأبيه فلا يحل لها ذلك .^(٣)

ومما تقدم تتضح أصالة التشريع الإسلامي في بناء الأسرة المسلمة وتقويم غريزة التناسل التقويم السليم القويم . وفق الآتي :

(١) دعا الإسلام الشباب غير القادرين على الزواج من الجنسين إلى الصيام ، في حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق الإشارة إليه وهو " . . . فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " من استطاع منكم الجماعة لقد رته على مؤن النكاح فليمتزوج ، ومن لم يستطع الجماعة لعجزه عن مؤنه ، فعليه بالصوم ليدفع شهوته ، ويقطع شر منه كما يقطع الوجاه " . وعلى هذا القول — أي القصد الباطنة النكاح — وقع الخطاب للذين هم مظنة شهوة النساء ، ولا ينفكون عنها غالبا " .^(٤)

(١) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٢٠

(٢) آية / ٢٣٣ / ، سورة البقرة .

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٤ / ١) .

(٤) فتح الباري ٩ / ٨٩ ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت .

وقال النووي : " وفي هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاعه وتاقت

إليه نفسه وهذا مجمع عليه " (١) .

والصيام وقاية لصاحبه من أشياء كثيرة ، لأن سلطان الرقابة فيه موكل إلى الله سبحانه وتعالى . والإنسان إذ يخول نفسه المراقبة فمعنى ذلك أن يكون الله نصب عينيه صاحب الصوم والمؤدي له . ومعلوم أن من مبطلات الصوم الاستمناء . فهو يكبح زمام الشهوة .

(٢) دعا الإسلام إلى قتل الفتنة في مذهبها بغض النظر وطلب العفة . قال تعالى :
﴿ وَلَيْسَتَعَفِّ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢) .

فعلى الشباب المكافح أن يصبر على ابتلاء الله له ، وَلِيَتَحَصَّنَ بِعَقِيدَتِهِ

الخالية من المعتقدات الفاسدة . وَلِيَكُنْ واثقا من أن الله قادر على أن يزوجه .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ فِيمَ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ فَوَرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

(١) شرح النووي على مسلم ١٨٤/٩ ، ١٨٥ .

(٢) آية / ٣٣ / ، سورة النور .

(٣) الآياتان / ٣٠ ، ٣١ / ، سورة النور .

(١)

قال الرازي في تفسيره : اعلم أنه لا يجوز أن يتعبد النظر إلى وجه الأجنبية ، لغير فرض وان وقع بصره عليها بغتة يفض بصره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ . وقيل : يجوز مرة واحدة إذا لم يكن محال فتنة، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله ، ولا يجوز أن يكرر النظر إليها لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٢) ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : " يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة " (٣) .

(٢) نهد الإسلام الرهبانية للقادر على الزواج . قال تعالى :

﴿ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِيهِ قُلُوبَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

جاء في لسان العرب : قال الفارسي : الرهبانية من الرهبة . ثم صارت اسما لما فضل عن المقدار وأفرط فيه . ومعنى قوله : " ورهبانية ابتدعوها " . قال أبو إسحاق : يحتمل ضربين :

أحدهما : أن يكون المعنى في قوله : " ورهبانية ابتدعوها " وابتدعوا رهبانية ابتدعوها كما تقول : رأيت زيدا وعمرا أكرمته ، قال : ويكون " ما كتبناها

(١) التفسير الكبير (٢٣/٢٠٣) .

(٢) آية / ٣٦ ، سورة الاسراء .

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٢١٣٥) كتاب النكاح . باب / في ما يؤمر به ممن غض البصر ، والترمذي رقم ٢٧٧ كتاب الأدب ، باب ما جاء في نظرية المفاجأة . وقال حسن غريب . أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/١٩٤) ، كتاب النكاح وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٤) الآية / ٢٧ ، سورة الحديد .

عليهم " معناه . لم تكتب عليهم البتة ويكون إلا ابتغاء رضوان الله ، وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به ، فهذا والله أعلم وجه .

وفيه وجه آخر : ابتدعوها جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون فاتخذوا أسرابا وصوامع وابتدعوا ذلك ، فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع ، ودخلوا فيه لزمهم تمامه ، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوما لم يفترض عليه لزمه أن يتمه (١) .

كانت قوة المسلمين من الشباب مصروفة إلى الجهاد فقد ورد قوله عليه الصلاة والسلام : عليكم بالجهاد فإنه رهبانية أمتي " (٢) .

يريد أن الرهبان وإن تركوا الدنيا وزهدوا فيها وتخلوا عنها فلا ترك ولا زهد ولا تخلي أكثر من بذل النفس في سبيل الله ، وكما أنه ليس عند النصاري عمل أفضل من الترهيب ، ففي الإسلام لا عمل أفضل من الجهاد ، ولهذا قال : " ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله " (٣) .

(١) لسان العرب مادة رهب .

(٢) كنز العمال ٣٠٠ / ٤ رقم (١٠٥٩١) وعزاه للطبراني عن أبي أمامة .

(٣) النهاية لابن الأثير (٢ / ٢٨١) ط . عيسى الحلبي .

((المبحث الثالث))

توجيه فرمزة التقليد

وليه مطالب :

((المطلب الأول))

تعريف التقليد

أولا : في اللغة :

" عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدا الحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل . كأن هذا المتبع جعل قول الغير قلادة في عنقه " .^(١)

ثانيا : في الإصطلاح :

- ١ — " عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل " .
- ٢ — وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات :
التقليد : قبول قول المجتهد والعمل به .
وقال القفال في أول شرح التلخيص هو : قبول قول القائل إذا لم يعلم من أين قاله .

وقال الشيخ أبو إسحاق : هو قبول القول بلا دليل . . .^(٢)

-
- (١) التعريفات للجرجاني ص ٩٣ ، ط . عالم الكتب ببيروت .
 - (٢) محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر . أبو بكر الشاشي القفال الفارقي الملقب فخر الإسلام . فقيه شافعي ٤٢٩ — ٥٠٧ هـ . الأعلام ٣١٦/٥
 - (٣) تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ القسم الثاني ص ١٠١ ط . دار الكتب العلمية ببيروت .

وجاء في القاموس الفقهي : " التقليد مصدر .

في عرف الفقهاء " : هو قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل " (١) .

ويقول السيوطي : " التقليد : هو قبول قول بلا حجة ، وليس ذلك

طريقا إلى العلم لا في الأصول ولا في الفروع " (٢) .

نخلص من جملة هذه التعريفات إلى القول بأن التقليد فيه إبطال للألّة

التي تميز بها الإنسان وهي العقل . فليس من مهمة العقل الاجتهاد في

المنصوص عليه في الكتاب والسنة ، إنما من مهمته الاجتهاد في المسائل والفروع

التي لا نصوص فيها والتي تحتاج إلى قياس .

طبيعة العربي :

يعتبر المجتمع العربي من المجتمعات التي كان لها دور رئيس في تأثيرها

على الشخصية العربية . لقد سيطرت فريضة التقليد في المجتمع العربي قبل الإسلام

على الإنسان العربي فقد مقاييس السيطرة التي أصبحت الفكك منها

أمر غير ممكن إن لم يكن مستحيلا ، والذي دعا إلى شتوت هذا التقليد عوامل

عدة منها :

أ — عدم وجود قانون مكتوب يحكم عادات وتقاليد هذه البيئة أو تلك . فليس ثمة

دستور يحكم هذه البيئة إلا العرف الاجتماعي .

(١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ص ٣٠٨ / سعدي أبو حبيب ط أولى ١٤٠٢ هـ ،

دار الفكر - دمشق .

(٢) الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ص ١٢٧

ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

ب — عدم وجود سلطة ملزمة تنفذ أحكام هذا القانون، فلم يكن إلا لشيخ القبيلة الدور الفعال في تحريك المفاوضات، وفض المنازعات، وحسم الخلافات وجبر الكسور، وتضميد الجروح، وإبرام المعاهدات التي كانت بين القبائل، وبعضها . كان الناس في ذلك العصر ثلاث طبقات : الأحرار ، والعبيد ، والطبقة المتوسطة بينهما، والتي عبرنا عنها بالموالي على نحو ما كان عليه العرب في صدر الإسلام . فإن المولى عندهم أرقى من العبد وأدنى من الحر^(١) .

هذه صورة للشخصية العربية التي نزل فيها القرآن الكريم ، وهي صورة لا تختلف في قليل أو كثير عن شخصية الإنسان في كل مكان في المعمورة . فروح التقليد لا يزال موجودا ، والتقليد فطري في الإنسان ، والقرآن يلزم الذين كانوا يقلدون آباءهم دون دراسة بالعودة إلى رشد هم . قال تعالى : ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾^(٢) .

وهم يعتقدون أن آباءهم على خير . قال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ ﴾^(٣) .

وهم يعتبرون آباءهم قدوة لهم، ولذلك فهم سائرون على آثارهم .

ومن هنا نعلم خطورة مهمة الإسلام الذي بدا فيه للعرب منذ بزوغه أنه يريد أن يطوي كل مظاهر حياتهم، ليهبط لهم حياة جديدة لم يألفوها، ولم يروضوا عليها نفوسهم ، وكل شيء حينذاك كان يأخذ طابع التقليد الموروث ، والعادة الجماعية

(١) العرب قبل الإسلام ص ٩٥ جرجي زيدان ط . دار الهلال .

(٢) آية / ٢١ / ، سورة لقمان .

(٣) آية / ٢٢ / ، سورة الزخرف .

المسيطرة . فالدين عندهم ليس عقيدة فردية أو روحانية ذاتية ، وإنما هو طقوس وعادات موروثة تؤدي شعائرها في صور تقليدية لا يجوز لأحد من الأفراد قسط أن يخالفها أو يخرج عليها ، وقد استقر الوضع الديني على أن يكون لكل قبيلة صنم خاص بهم ، يعتبرونه الإله أو الممثل للإله ، يؤدون عبادته وشعائرتدين له في عرف محدد وسلوك خاص ، يلتزم كل فرد أن يسلكه كما حددته التقاليد (١) .

وعندما واجه الإسلام هذه الجبهة القوية التي تمتد بجذورها إلى ماضي الأجداد من التقاليد نفذ إلى عمق هذه الجبهة بالكلمة الطيبة ولين الجانب عندما قال تعالى : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢) .

ولازمتهم هذه السماح في العرف صدرا من الدعوة ، ومن الدولة الإسلامية الأولى ، فلم يعرفوا في هذه الفترة مشكلة دينية تحتاج إلى حل ديني فسيئون المعيشة من مآكل أو ملابس أو مسلك شائع في معاملات الناس ، ولم تظهر هذه المشكلات إلا مع ظهور الخوف على كيان الأمة الإسلامية : خوف الفتنة من الداخل وخوف السيطرة من الأعداء . وبعد ذلك أخذوا ينكرون العادات والمراسم التي لا غبار عليها في مظاهرها حين علموا أن الدخيل في ملتهم يتستر من ورائها لترويح العقيدة التي تلازمها والتمهيد للدولة التي تقوم عليها . ومن هنا تلفتوا على حذر إلى كل ظاهرة مجوسية أو بيزنطية تستأنف ظهورها في البيئتهم

(١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم ص ٣٣١ . د . عبد الحليم حفني ، ط .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

(٢) آية / ١٥٩ / ، سورة آل عمران .

الإسلامية، وإلى هذا الحذر يرجع الشك في المراسم الأعجمية، حين كانت بين المسلمين أو غير المسلمين، ثم اشتد هذا الإنكار للغريب من الظواهر والعادات بعد زوال الدولة وخضوع الأمم الإسلامية للدولة المغيرة عليها، وكاد هذا الحذر أن يغلّب جهود المصلحين الذين التمسوا القوة من حيث أدركها أعداء الإسلام فحفزوا أقوامهم إلى التشبه بأولئك الأعداء فيما أجادوه من أسلحة العلوم والصناعات. (١)

تخرج المسلمون من الظواهر والأشكال الأجنبية في هذا الدور تخرجاً لم يتعمدوه فيما سلف من تاريخهم في أيام القوة، أو في أيام الفتنة والحذر، لأنهم شعروا بهذا الحرج في عصر الهزيمة والخضوع، وهما أدعى إلى الشك والنفور من فتنة الدخيل والحذر من صاحب الكيد المغلوب.

ولم يكن ذلك التحرج شراً كله، وإن كان فيه شركبير لم ينج المسلمون ممن عقابله إلا بشق النفس، ولم يكذب بعضهم يصدقون بالنجاة حتى الآن. (٢)

هكذا كانت العقيدة، لقد كانت سباجاً من الانخراط في الأمم الأخرى، وفقدان الهوية، ودرءاً من وبال هذه الأمم التي دخلت في الإسلام، وبالأخص الذين بقوا على عقائدهم الفاسدة. كان الاحتياط هو الأمر الذي يحتمون به.

لقد أصبح العالم الإسلامي مرادفاً عند المسلمين للعالم الإنساني بعينه دخول أمم شتى في الدولة الإسلامية عند النظر إلى اختلاف الظواهر والأشكال. وأعتقتهم هذه النظرة السمحة من جمود التقاليد، التي تنعزل بأصحابها من العالم

(١) التفكير فريضة إسلامية للأستاذ / عباس محمود العقاد ص ١٤٧، المكتبة

العصرية - صيدا، لبنان.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٧، ١٤٨.

الإنساني أحياناً، كلما أقام الدين وأتباعه زمناً طويلاً في معزل عن الناس . فلم يتحرج المسلمون من تلك الظواهر والأشكال في غير شيء واحد، وهو المساس بالعقائد والعبادات ، وكل ما زاوله الناس بعيداً عن مخالفة الإسلام فهو مباح ، لا يسألون عنه، ولا يبالون أن ينزهوا فيه منزع الأمم التي احتوتها الرقعة الإسلامية من تخوم الصين إلى شواطئ المغرب الأقصى . احتفل المسلمون بكل جديد مفيد في العادات والمعاملات وفق منظور إسلامي، فأكلوا على موائد الدهاقين ، وركبوا الجراذير والقيلة ، وتعاملوا بالدراهم والدنانير ، وسكنوا البيوت من بناء القبط والروم ، وعاشوا بدين واحد في أزياء لا عداد لها، فحققوا أن الإسلام دين العالمين .^(١)

(١) التفكير فريضة إسلامية ص ١٤٦ للأستاذ العقاد - المكتبة العصرية - صيدا - لبنان .

((المطلب الثاني))

في أثر القدوة في كيان الأفراد والأمم

هذا الأمر من أهم جوانب التربية فهو كبير وخطير وذو أثر فعال في الأفراد والجماعات .

والقدوة الصالحة أو الفاسدة من أهم المؤثرات في الأمم والأفراد، حيث لا بد من وجود واقع تربوي مشاهد ومحسوس، يمثل فرد أو جماعة معينة يحققون بسلوكهم وأعمالهم وأسلوبهم التربوي كل الأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها . وهذا ما درج عليه الأنبياء والمصلحون والزعماء والقادة في كل زمان، وأهم شخصية في هذا المقام وأبلغها أثرا وأكثرها تأثيرا رسول الله سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم . . والذي أرسله الله ليكون قدوة وأسوة ومعلما للخير وناهما عن الشر بقوله وفعله وتقريره . فالقدوة الحقة والأسوة الصادقة بئنة في نهجه ومنهجه القويم .

والقرآن الكريم يقدم لنا هذه القدوة الصالحة به صلى الله عليه وسلم للشباب بل وللأمة عامة حتى تحتذي به صلى الله عليه وسلم في عبارات قصيرة وكلمات وجيزة فيقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن، كما أخبرت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها (٢) .

(١) آية / ٢١ / ، سورة الأحزاب .

(٢) هذا جزء من حديث طويل أورده الإمام مسلم في صحيحه . انظر : مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ج ١ ص ٧٤٦ ، ٥١٣ .

لقد تعلم صحابته رضوان الله عليهم منه صلى الله عليه وسلم الأخلاق الكريمة ،
والصفات الحميدة والمعاملة الطيبة والعشرة الحسنة ، والشاغل الفاضلة . لقد
نفذوا تعاليمه وترجموها في سلوكهم ترجمة تدل على صدق تأثيرهم بها وعلى حبهم
لنبيهم صلى الله عليه وسلم فكانوا لنا أساتذة في التمسك بالدين والعمل بالخلق القويم .

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الواقع العملي البحت للقرآن الكريم
وتعاليمه ومثله وآدابه يتعلق بأهدابه ، وينهل من معين خطابه لما احتوى عليه
القرآن الكريم من أسس تربوية صادقة (١) .

قال الشيخ سيد قطب في " ظلال القرآن " : " . . . وقد كان رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - على الرغم من الهول والرعب والضيق والجهد - بمثابة الأمان
للمسلمين ، ومصدر الثقة والرجاء ، والاطمئنان . وإن دراسة موقفه صلى الله عليه
وسلم في هذا الحادث الضخم - حادث الأحزاب - مما يرسم لقادة الجماعات
والحركات طريقهم ، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وتطلب
في نفسه القدوة الطيبة ويذكر الله ولا ينساه " (٢) . أ . هـ .

فهو - صلى الله عليه وسلم - في نفسه أسوة . أي قدوة وهو المؤتسى أي المقتدى
به ، والمؤتسى برسول الله من كان كذلك " (٣) .

(١) انظر هذا المعنى أصول التربية الإسلامية ص ٢٢٨ وما بعدها د / عبد الرحمن
النحلاوي ، وفلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم . على خليل
أبو العينين .

(٢) في ظلال القرآن ٥٥٨/٦ للأستاذ سيد قطب .

(٣) الكشف للزمخشري ٢٣٢/٣ .

قال ابن كثير : هذه الآية أصل كبير في التأسى برسول الله.. صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر الله تعالى بالتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم في صبره ومصابرته ومرابطته وجهاده .^(١)

وعندما سادت الفوضى وعم الجهل بدأ راغبو السلام ومحبو الأمن في الدعاء إلى الله بأن يتغمدهم برحمته، فأرسل لهم الرسل لكي يستضيئوا بتعاليمهم، ويتأسسوا بالكتب التي أنزلها الله على رسلهم . فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، بِالْمِثْنَاتِ وَالزُّبُرِ ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٢) .

والآيتان توضحان أن المرسلين كانوا رجالاً، وأنه يجب علينا أن نسأل أهل العلم عندما لا نعلم . وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم القرآن ليوضح للناس منهج الله - رجاؤه أن يتفكروا ويتدبروا .

ولما ألغى الإسلام التبني كان رسول الله هو أول من طبق عليه هذا النظام، وأباح الإسلام الزواج من زوجة الابن بالتبني . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾^(٣) .

والقدوة الحقة تتضح في المواقف الصعبة، مواقف الشدة التي تحتاج إلى تضحية كالحروب والانفاق ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقدم صحابته الكرام في كل شيء، فهو المثل الأعلى والقدوة المثلى، كما فعل في غزوة الخندق يربط الحجر على بطنه، ويضرب الأرض بالفأس والمسحاة، ويحمل التراب، ويرتجز معهم تشبهاً لهم، وتقوية لعزائمهم وجلدهم وصبرهم ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يتميز على

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ٨٨ للصابوني ، وانظر هذا المعنى في تفسير

النسفي ٤ / ١٦٢ .

(٢) الآيتان ٤٣ ، ٤٤ / ، سورة النحل .

(٣) آية ٣٧ / ، سورة الأحزاب .

أصحابه لا سيما إذا كان معهم في أفراحهم ومسراتهم وفي أحوالهم كلها . فهو في المسجد معهم إمامهم ، وفي الحروب كذلك ، وَقُلْ ذلك في كل حياته فقد كان في كل موقف مثالا حيا صادقا للمربي المتقن والأستاذ المجرب ، والقائد المخلص المدرب يتبعه الناس ويعجبون به .

وكانت حياته الخاصة مثالا للزوج الوفي الذي يرتق نعله ويرقع ثوبه ، ويصبر على الجوع إذا عدم الطعام من المنزل ، لا ينهر أهله ولا يستفزهم ، ولا يزجر طفلا ، ولا يصيح في نساءه ، وكيف يكون ذلك منه وهو القائل : " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي " (!)

وكان يعامل ضيوفه وزواره بكرم وعطف ولطف ولين جانب ، ويتحمل أذى من يتحامل عليه فقد كان صلى الله عليه وسلم رحب الصدر ، بعيد النظر ، ثاقب البصيرة ، عميق الفكر ، وكان بارا بأهله . وفيما هو معه . لينا في معاملاته ، ويكاد القلم يعجز عن وصف شمائله صلى الله عليه وسلم ، فيكفيه أن يقول عنه ربه سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٨٩٥) وقال هذا حديث حسن غريب صحيح مسن حديث الثوري وابن ماجه رقم (١٩٧٧) والبيهقي ٤٦٨ / ٧ ، والطبراني ٣٦٣ / ١٩ ، وابن حبان رقمي ١٣١٢ ، ١٣١٥ موارد .

(٢) آية / ٤ / ، سورة القلم .

((المطلب الثالث))

في القدوة المثلى

تظهر روافد القدوة في كل من له أثر في تعليم النشء أو تربية لطفل أو بنت . وهذه الروافد متعددة فهي تتمثل في المنزل من أب وأم وأخ أو أخت وتتمثل في المدرسة من مدير ومدرس، وتتمثل في كل من له صلة بالعمل التعليمي على كافة المستويات . وإذا كانت التربية اليوم كما يقرها خبراء التربية وعلماءها تربية ممتدة بمعنى أنها على طول العمر . فإن التربية الإسلامية تقف في حياة المسلم في كل لحظة من حياته نصب عينيه، وهي تعني تربية الضمير ورقابة الله عز وجل في السر والعلن . والإسلام يقرر أنه ينبغي أن يكون كل مسلم قدوة في نفسه حتى يعكس صورة دينه لأهل الأديان الأخرى، ويبين جدوى التربية الإسلامية، وأنها الأقدر على البقاء، وما عداها من ألوان التربية تُحصى من خلال تأسينا نحن بكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم .

ورجل التعليم لا بد أن يكون قدوة أمام طلابه وأبنائه، فهو لا يلقنهم موضوعات التعليم فحسب، بل ويلقنهم القيم الخلقية والتعاليم الدينية من خلال بذله وتفانيه في سبيل العلم ، والعمل على إفهامه لكل أبنائه دون تحيز منه لأحد على أحد .

واحتياج تلاميذ المدارس إلى القدوة في مدرسيهم أمر لهم الحق فيهم، وعليهم الامتثال للأوامر واجتناب النواهي التي توجه لهم من معلمهم واعتبارها نصحا وإرشادا لهم، لما فيه صالحهم . وعليهم أن يستفيدوا من معلمهم إذا استشكل عليهم الأمر بأدب ولطف .

لقد بين علماء المسلمين من أمثال ابن خلدون^(١) في المقدمة وابن كنون^(٢) في آداب المعلمين والبرزنجي^(٣) وغيرهم في صدر كتبهم كثيرا من هذه الأخلاق لا سيما تلك التي تتعلق بالحديث من أخلاق المعلم وأخلاق المتعلم والآداب الواجبة على كل واحد منهما، والآداب التي تربطهما ببعض .

ولعل من حكمة الله تعالى تلك التي تتجلى فيما أودع في النفس النفيسة من حب للمحاكاة للغير . وقد ثبت واقعا ملموسا، أن العلاقات والصدقات تبني المرء^(٤) إن كانت سالحة، وتهدمه إن كانت شريرة فاسدة .

والقرآن يركز على هذه الطريقة ويهتم بها ويوجهها ، ولعل هذا من أسرار بعث الرسول بشرا ، يأكل ويشرب وينام ، ويمارس أعمال البشر، ليقوم بالتطبيق العملي الواقعي لشريعة الله في الأرض، حيث هو بشر منهم ومثلهم، وليس من الجن ولا من الملائكة الكرام .

والتربية الإسلامية تتخذ من التقليد الحسن والأسوة الفاضلة طريقا ومنهجها لها، وإلا أصبحت تلقينا - : حفظا وتسميعا - دون أن تحمل مضمونا تهدف إلى

(١) ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد وليي الدين الحضرمي الأشبيلي ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ ، مؤرخ فيلسوف باحث عالم اجتماعي . دائرة المعارف الإسلامية ١/١٥٢ ، الضوء اللامع ٤/١٤٥ .

(٢) عبدالصمد بن الثامي بن المدني كنون الحسيني الفاسي . ولد بفاس وتوفي بطنجة ١٣٥٢ هـ - عالم مشارك في جميع أنواع العلوم، وله كتاب الحاوي لفرائد العلوم والآداب - معجم المؤلفين ٥/٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) هو محمد معروف بابن مصطفى بن أحمد النودهي الشيرزوري البرزنجي ويعرف بالشيخ معروف النودهي . الأعلام ٧/١٠٥ .

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ص ٢٣١ على خليل أبو العنين .

توصيله ، ويكون له الأثر الفعال في تغيير سلوك الإنسان غير السوي .
وللصداقة والصحة من الأثر ما لا ينكر، لأنه أثر ظاهر عبر عنها علم النفس
الاجتماعي باسم " الصحة " . . . حيث أثرها الكبير في نمو الطفل النفسي ،
أحاسيسه وانفعالاته وفي قيمه وعاداته واتجاهاته .

لذا اعتبرها القرآن جزءاً هاماً ومتميزاً من طرق التدريس . قال تعالى:
﴿ وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتِي
لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴾ (١) .

هذا مثال واضح للتقليد والمحاكاة ، والقذوة السيئة الضالة المضلّة ،
لينظر العبد لنفسه وقت الإمكان ويتدارك الممكن قبل ألا يمكن وللهوالي من ولايته
فيها سعادته ويعادي من تنفعه عداوته، وتضره صداقته .
(٢)

ومثال الصحة الصادقة الصحيحة المتفانية صحة الأخيار ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ
فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هَمُّوا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ يَا اللَّهُ مَعَنَا ﴾ (٣) .

والآية تقول : إن تركتم نصره فالله متكفل به ، فقد نصره الله في مواطن
القلة ، وأظهره على عدوه بالغلبة والقهر ، أو فسینصره من نصره حين لم يكن
معه إلا رجل واحد وقت إخراج الذين كفروا له حال كونه " ثاني اثنين " أي أحد
اثنين ، وهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(١) آية / ٢٧، ٢٨ / ، سورة الفرقان .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٥ / ٢٣٣ الشيخ عبدالرحمن السعدي .

(٣) آية / ٤٠ / ، سورة التوبة .

هذه هي المحبة الصادقة والقدوة المثلى والرفقة الخالصة ، والتقليد والمحاكاة
غريزة طبيعية تعمل عملها في النفوس . يصور ذلك الشاعر فيقول :
(١)

مشى السرطان يوماً باعوجاج فقلد شكل مشيته بنووه
فقال علام تنحرفون قالوا بدأت به ونحن مقلدوه
وبنشأ ناشئ الفتيان منّا على ما كان عوده أبوه

والقدوة الحقة من أساليب التربية الإسلامية الحميدة ، وهي تتقدم
كل الأساليب فهي تؤدي إلى التربية الصحيحة عملياً، وهو أسلوب عملي واقعي
مشاهد، ينبع من فطرة الناس في المحاكاة والتقليد ، وإذا كانت النفس عندها
استعداد للتقوى والفجور والخير والشرفان للقدوة الحسنة أثرها إلى التقوى
والسمو والارتفاع بالقيم والمبادئ الأخلاقية مهما كانت التوضيحات ، والمسلم
الذي لا يلتزم بأداب التنفيذ للأخلاق التي تعلمها من كتاب ربه وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم يقع تحت عتاب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ
مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله لأي شيء تقولون ما لا تفعلون من الخير
والمعروف ؟ ومدار التوبخ في الحقيقة عدم فعلهم ، وإنما وجه إلى قولهم أولاً للدلالة
على أنهم مؤاخذون على شيئين . الوعد وترك العمل . . . كبر مقتاً عند الله
وفي حسبانته أن تقولوا ما لا تفعلون ! نعم إن قولهم سنفعل الخير ثم لا يفعلون
مقت خالص لا شوب فيه ، وبغض عند الله أشد البغض ، ومن هنا كان الخلف
في الوعد ، والكذب ، مذمومين شرماً ، ولا يرضى الله عنهما (٣) .

(١) أبو الأسود الدؤلي ، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكنانسي

وأضع علم النحو ، له ديوان صغير ، توفي سنة ٦٩ هـ .

(٢) الآيات ٢ / ٣ ، سورة الصف .

(٣) التفسير الواضح ج ٢٨ ، ص ٣٣ د . محمد محمود حجازي .

((المطلب الرابع))

في المثل الجيد وأهميته

إن تربية الإنسان المسلم على حب الله ورسوله وحب الخير . هدف سام
نبيل تطلعت إليه التربية الإسلامية واستهدفته ، وهي تعني النموذج الأفضل
للحياة التي يراد للمسلم الحق أن يحياها ، ويعيش تحت لوائها .

وللأمة الإسلامية أن تعيش وفقا لأهدافها ، والمثل الجيد مثل النموذج
المتماز الذي يصممه مهندس ماهر ثم يدفعه إلى من بعده ليحوّله إلى واقع محسوس
لمموس طهقا لقوانين العلم لديه .

ولقد مدح الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام، لما سلكوه في حياتهم من مبادئ
تربوية سليمة، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

قال الشوكاني : " فيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على
الإطلاق ، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى
غيرها من الأمم، وإن كانت متفاضلة في ذات بينها . . . وهم خير أمة مع ما يشتمل
عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به ، فإذا تركوا الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك " (٢) .

وفي التفسير الواضح : أنتم خير أمة في الوجود الآن ، وذلك لأن جميع
الأمم قد غلب عليها الفساد وعمتها الفوضى فلا يعرف فيها معروف ولا ينكر فيها

(١) آية / ١١٠ / ، سورة آل عمران .

(٢) فتح القدير (٣٧١ / ١) للشوكاني .

منكر ، فأنتم خير أمة أخرجت للناس ، وذلك لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله إيماناً كاملاً صادقاً . والإيمان بالله على هذا النحو لا يكون إلا إذا استوعب صاحبه جميع ما يجب الإيمان به ، فلو أخل بشيء لم يكن مؤمناً بالله تعالى إيماناً كاملاً ، وإنما قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان لأنهما أظهر في بيان فضل المسلمين على غيرهم " (١) .

نخرج من ذلك إلى تقرير أن أمة الإسلام خير أمة لما لها من مقومات تقويم المعوج بالإضافة إلى إيمانها بالله وحده لا شريك له .

وفي القرآن الكريم ترى الآيات الكثيرة التي تثبت عقيدة الإيمان ، وتنص على توحيد الله عز وجل ، وأنه وحده له المثل الأعلى ، فمن آيات قدرته : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بِيَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ . وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

وحين يخرج البشر من هذا الاتجاه فإنهم يصيرون أنموذجاً للتقليد والمحاكاة ضاراً أو مثل السوء قال عنه مولانا : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) .

وبالكشف عن ناموس المثل الطيب والقدوة الإسلامية الجيدة نجده يستند

إلى قوانين الخلق والإبداع وسنن الوجود ، بينما الثاني يتخبط في مآهات الوهم والباطل ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ (٤) .

(١) التفسير الواضح ج ٣ ، ٤ ، ص ٨٩ ، د . محمد محمود حجازي .

(٢) آية / ٢٧ / ، سورة الروم .

(٣) آية / ٦٠ / ، سورة النحل .

(٤) آية / ٣ / ، سورة محمد .

أهمية المثل الجيد :

المثل الجيد يعطي دفعة للأمام ، ويوجه نحو الطريق الأقوم فهو يمد الفرد والجماعة بالطاقة والحيوية، ويوجه مسارهما ويجعل للحياة مبنى ومعنى، ويمدّها بالحركة والنمو والاستمرار، ويقضي على الرتابة والسآمة ، ويبعث على النشاط والأمل، ويتجه صوب العمل ، والمثل الجيد أنواع شتى، يهمننا منها المثل الذي همّه الارتقاء بالمسلم حيث يصبح صالحاً مصلحاً، يوجه الحياة إلى حيث الغاية الكبرى من خلق الخلق، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل .

وقد قسم الدكتور ماجد الكيلاني المثل الأعلى حسب تعبيره وتصويره إلى

الآتي وأسوقه هنا بتصريف واختصار :

- (أ) مثل أعلى حق وتطبيق حق. وهذا يعطي نتائج إيجابية، وضرب لذلك مثلاً بحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة إذ استطاع الرسول في زمن قياسي أن يوجد الله على يده أمة مهيبة الجانب منيعة السلطان، تبذل النفس والنفس من أجل إعلاء كلمة الله ، وهو نموذج فريد قل أن يحظى العالم بمثله .
- (ب) مثل أعلى باطل ، وتطبيق جيد ، وهذا يعطى نسبة عالية من النتائج ، وضرب لذلك مثلاً: بعض الفرق المنحلة كالباطنية والحشاشين ، ومقاهل ذلك ما حصل في العصر الحاضر مثل اليابان وألمانيا وغيرها فهنالك سلبيات ومظالم وتميز وتفريق عنصري وخلاف ذلك مما يؤكد عظمة ورسوخ الهدى القرآني الفريد في نظامه وتطبيقه ونتائجه .
- (ج) مثل أعلى وجهل في التطبيق، وخير شاهد لذلك واقع أمة الإسلام اليوم فقد أضع البعض ميراثهم النبوي، وهد بهم القرآن، فتأخروا وتقدم فيهم

(١)

فصدق عليهم قول القائل :

تقدمني أناس كان عدوهم . . . ورائي ولو أمشي على المهمل

(د) مثل أعلى باطل وتطبيق باطل وهذا معدوم النتائج تقريبا وضرب لذلك مثلا بالتصوف المنحرف والدروشة والمذاهب الضيقة .^(٢)

ولقد كان للمسلمين دوما أسوة حسنة وقدوة كريمة في رسولهم الكريم ونبيهم العظيم الذي جاءهم بدين الحق والصدق، ومنه أخذوا تجربتهم وخبرتهم، وفهموا منه كيف ينطلقون في مختلف ميادين الحياة .^(٣)

ولقد طبقوا معنى الآية الكريمة : ﴿ وَلَكِنْ كُنُوا رَبَّانِيَّينَ يَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾^(٤) .

والربانيون: واحد هم رباني منسوب إلى الرب . والرباني العالم المعلم الذي يغذي الناس بصغار العلم قبل كبارها ، وكأنه يقتدي بالرب سبحانه وتعالى- في تيسير الأمور . . .^(٥)

ولا أحد ينكر أهمية القدوة والمحاكاة والتقليد بين الناس خاصة في مرحلة الطفولة ، فالطفل يقتدي بمن يراه، ويقلدهم كثيرا في أعمالهم وسلوكهم،

(١) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو إسحاق . مؤيد الدين الأصبهاني الطغرائي ، توفي سنة ٥١٣ هـ ، شاعر من الوزراء . الكتاب له لامية العجم . الانساب للسمعاني ٥٤٣ ، الأعلام ٢٤٦/٢ .

(٢) أهداف التربية الإسلامية ص ٨٠ وما بعدها . د / ماجد عرسان الكيلاني ، وانظر : ما كتبه جنودة سعيد العمل ص ١٥٥ ، ١٥٧ أو خصائص الرسول وشماله ص ٧٨ د / شعبان محمد علي .

(٣) الرسائل الإسلامية بماذا انتصر المسلمون لأ نور الجندي ص ٢٧ .

(٤) آية / ٢٩ / ، سورة آل عمران .

(٥) لسان العرب مادة (رب) .

(١)
ولذلك عنيت التربية القرآنية بالقدوة المثلى عناية شديدة وأكيدة . ولقد قال عتبة
ابن أبي سفيان لمؤدب ولده : ليكن أول إصلاحك لولدي صلاحك لنفسك . فإن
عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت .
علمهم كتاب الله ، ولا تعلمهم فيه ، فبتركوه ، ولا تتركهم فيه ، فيهجروه ، ورواهم من الحديث
أشرفه ومن الشعر أعفه . . . الخ (٢)

(٣)
ويرى ابن المقفع أن من نصب نفسه للناس إماما في الدين عليه أن يبدأ
بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والرأي واللفظ ، فيكون تعليمه للناس بسيرته أبلغ
من تعليمه بلسانه . قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ
تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

لذا كانت التربية بالقدوة هي أفضل وأقوى الوسائل جميعا ، وأقربها إلى
تحقيق الهدف . فالقدوة يتحرك واقعا ملموسا في حياة الناس ، فلا بد إذا من قدوة
مثلى ، ولا بد من التقليد والمحاكاة . فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولذا كان سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الترجمة الحقيقية لروح وأهداف ومقاصد القرآن
الكريم ، يقول الباري : جل وعلا : +

-
- (١) عتبة بن أبي سفيان بن عبد شمس . أخو معاوية ، والى مصر ، كان عاقلا
حكما فصيحا خطيبا . توفي سنة ٤٤ هـ . النجوم الزاهرة ١/١٢٢ - ١٢٤ ،
الأعلام ٢٠٠/٤ .
- (٢) العقد الفرید لابن عبد ربه ١/١٩٦ .
- (٣) عبد الله بن المقفع ، من أئمة الكتاب والمترجمين ، كان مجوسيا مزدكيا
وأسلم ، توفي سنة ١٤٢ هـ . له تراجم في لسان الميزان ٣/٣٦٦ ، خزنة
الأدب ٣/٤٥٩ - ٤٦٠ ، أمالي المرتضى ١ - ٩٤ .
- (٤) آية / ٤٤ / ، سورة البقرة .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(١) .

وهذه الآية حددت مهمته صلى الله عليه وسلم نحو الناس فهو مرسل من عند الله أولاً وشاهد عليهم، ومبشر لمن اهتدى منهم، ونذير لمن حاد عن طريق الله . ثم إنه داع إلى الله الناس كافة . ومع هذه المهام الجليلة الموكولة إليه، والملقاة على كاهله . فهو سراج لأنه يهتدى به كالسراج يستغاث به في الظلمة^(٢) .

وقد جلى الله به ظلمات الشرك ، واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به ، أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار، ووصف بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيء^(٣) .

وهذه القدوة باقية وماثلة ما بقيت الدنيا ، لأن القدوة بالرسول وصحبه ليست لعصر ولا مصر ولا لجيل . أو قبيل . وإنما آية كونية للناس جميعاً إلى قيام الأشهاد . . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٥) فهو حسي اليوم برسالته، وكانه قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة عام، والذين شاهدوه أخذوا الحياة من شخصه مباشرة، وأخذوا الطاقة العاملة في أرواحهم وقلوبهم ومشاعرهم . فوجدت

(١) الآيتان / ٤٥، ٤٦ / ، سورة الأحزاب .

(٢) تفسير البغوي ٣ / ٥٣٥ .

(٣) الكشاف ٣ / ٢٤٠ ، وتفسير النسفي ٤ / ١٧٤ .

(٤) آية / ١٠٢ / ، سورة الأنبياء .

(٥) آية / ٢٨ / ، سورة سبأ .

قوة الإشعاع والإيحاء على مر الزمان . والأم العادية تعيش أجيالا متلاحقة على سير أبطالها المحليين، وفيهم من القصور والنقص ما الله به عليم .

فكيف بكلمة الله الأخيرة إلى البشر ؟ وكيف بالهدى والنور ؟ ورسول الله

إلى الخلق أجمعين، والذي يرى في شخصه الكريم الصورة المثالية للمسلم .

فهو عليه الصلاة والسلام جامعة متنقلة، سهلة عذبة فيأوضة لا تحدها حدود

الزمان والمكان .

والإسلام الذي جعل القدوة في رسول السلام جعلها قدوة دائمة متجددة

في واقع الناس، فهو لا يعرض هذه القدوة للتسلية أو للاعجاب والتأمل السلبي الذي كثيرا ما يكون في أمور البشر العادية^(١) .

إن التميز الخلقي المتمثل بالقدوة الصالحة من أكبر العوامل في التأثير على

القلوب والنفوس . والأمة الإسلامية اليوم بحاجة ماسة إلى القدوة الصالحة والأسوة

المثلى . . . لينهج الخلف نهج السلف ، وليعطي المسلم لغيره القدوة الصالحة

والأسوة المثلى في كل تصرف من تصرفاته . فالقدوة الصالحة هامة وكبيرة لنجاح

التربية ونشر المعتقد والسلوك الصحيح^(٢) .

والنبي صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل . بل هو على نهجهم سائر

وفي طريقهم عابر . والقرآن يقول له صلى الله عليه وسلم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى

اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اآَقْتَدِهِ ﴾^(٣) .

(١) منهج التربية الإسلامية ص (٢) حتى ٢٢٩ محمد قطب وأيضا قبسات ممن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٧ ، وما بعدها الأستاذ محمد قطب .

(٢) انظر في هذا المعنى/كتاب حتى يعلم الشباب ص ١١٩ عبد الله صالح

علوان ، وكتاب تربية الأولاد في الإسلام ص ٦٣٣ للمؤلف نفسه .

(٣) آية / ٩٠ / ، سورة الأنعام .

وهذا درس في القدوة والأسوة والتقليد، وجهه تبارك وتعالى لنبيه . أي امش
أيها الرسول خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم . وقد امتثل صلى الله عليه
وسلم لهذا الأمر فاهتدى بهدى الرسل الذين من قبله ، وجمع كل كمال فيهم
فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين ، وكان سيد المرسلين
ولامام المتقين .^(١)

ودور الوالدين هو تهيئة الجو المناسب للأبناء عند تنشئتهم حتى يكتسب
الولد التربية الإيمانية المحمودة والتربية الخلقية والنفسية والعقلية .

إن التربية بالقدوة تتأثر بعناصر هذه القدوة، وأهمها الآباء والمعلم والرفقة
والأخ الأكبر ومحيط الأسرة ، ومحيط المدرسة، والمجتمع الصغير، والمجتمع الكبير .
والتربية منها ما هو مقصود مثل البرامج التعليمية في "التلفزيون" أو الحصص
والمحاضرات في المدارس والجامعات أو برامج التأهيل وبرامج التثقيف ، والتربية
غير المقصودة يتأثر بها الناشئ بطرق شتى كثيرة .

وقد ركز البعض من علماء التربية على الاهتمام بالولد الأكبر حيث هو من
أهم المؤثرات في بقية الأولاد غالباً حيث التقليد والمحاكاة من الصغير للكبير .

وفائدة الإخوة والأخوات لا ينكرها أحد في عمليات التشكيل الاجتماعي
فالطفل كثيراً ما يقلد إخوته وأخواته ، وإن كان له أحياناً مبادراته الخاصة التي
لا تنكر .^(٢)

-
- (١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٠٠ / ١ للشيخ عبدالرحمن
السعدي ، وانظر : فتح القدير للشوكاني ١٣٦ / ٢ .
(٢) انظر : موضوعات جديدة في ميدان التربية من مدارس الحضارة إلى الجامعة
ص ٢٦ د . على شلتوت ، وانظر : الفلسفة التربوية في القرآن ص ٩١ .
د . محمد فاضل الجمالي .

((المطلب الخامس))

في مواصفات الطالب للعلم والمعلم

(١) للطالب المسلم صفات خلقية وعلمية واجتماعية لخصها الغزالي في :

- ١ - تقديم طهارة النفس من رذائل الأخلاق .
- ٢ - أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا .
- ٣ - أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلمة في كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق ، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته .
- ٤ - أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر من الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء أكان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه . ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع .
- ٥ - أن لا يدع طالب العلم المحمود فنا من الفنون ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا، يطلع به على مقصده وفائده .
- ٦ - لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم .
- ٧ - لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتبها ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من يراعي ذلك الترتيب والتدرج .
- ٨ - يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، وفي المال القرب من الله سبحانه وتعالى .

(١) إحياء علوم الدين ١ / ٥ طه عيسى الحلبي .

مواصفات المعلم :

وللمعلم صفات خلقية وعلمية واجتماعية . هذه الصفات هي التي تثبت مكانته وترفع من شأنه، وتجعله في منزلة عالية في نظر الطلاب .

الصفات الخلقية :

الصفات الخلقية هي صفات يتحلى بها المعلم أمام تلاميذه، وهذه الصفات هي آداب أخلاقية تجعله قادرا على جذب الاحترام من طلابه والتأثير فيهم، ومن أهم الصفات الخلقية :

(١) الاقتداء^١ بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم باعتباره المعلم الأول وهو نبي ذلك يتأسى بقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) .

وقدوته صلى الله عليه وسلم، هو أنه كان لا يغضب لنفسه ، إنما كان يغضب لله ويفرح لله . وكان أكبر شغله نشر كتابه الأول القرآن الكريم دون طلب الأجر عملا بقوله : ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (٢) .

(٢) العمل بالعلم الذي يعلمه لأنه قدوة . وحتى لا يقع تحت قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (٣) .

(٤) وعيب عليه أن يعلم علما ويخالفه في العمل كما يقول الشاعر :
لا تنه من خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

(١) آية / ٢١ / ، سورة الأحزاب .

(٢) آية / ٢٩ / ، سورة هود .

(٣) آية / ٤٤ / ، سورة البقرة .

(٤) هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي وقيل : للمتوكل الكنانسي . انظر :

معجم البلدان ج ٧ ص ٣٨٤ ، والأغانى ج ١١ ص ٣٩ .

ولا يكون المقصود به التباهي وإنما يقصد به وجه الله عز وجل فإن الله يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(١) .

الصفات العلمية :

- (١) إن دور المعلم دور خطير في تعليم الأولاد . فينبغي أن يكون المعلم مهيبا لا في عنف ، ولا يكون عبوسا مفضيا ، وأن يكون مترفقا بالصبيان دون لين ، وينبغي أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم^(٢) .
- (٢) ينبغي أن يعلم المعلم الصبيان الحساب . . . وكذلك الشعر ، والغريب ، والعربية ، والخط وجميع النحو وهو في ذلك متطوع ، وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن ، وذلك لازم له . والشكل ، والهجاء ، والخط الحسن ، والقراءة الحسنة ، والتوفيق والترتيل يلزمه ذلك . ولا بأس أن يعلمهم الشعر ، مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها . وليس ذلك بواجب ، ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة كنافع^(٣) مثلا ، ولا بأس إن أقرأهم لغيره .^(٤)
- (٣) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفسه ، أو يخبط عليه عقله .^(٥)

(١) آية / ١٨ / ، سورة لقمان .

(٢) آداب المعلمين لابن سحنون ص ٤٧ ، ط . دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٧٢

(٣) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم اللبثي بالولاء المدني ، أحد القراء السبعة

المشهورين ، توفي سنة ١٦٩ هـ . ابن خلكان ١٥١/٢ .

(٤) آداب المعلمين لابن سحنون ص ٤٧ ط . دار الكتب الشرقية - تونس .

(٥) إحياء علوم الدين (٥٧/١) لأبي حامد الغزالي .

وأصعب طريقة في التوصل هو ضرورة النزول إلى ذهن الطالب القاصر في فهمه . فلا بد من تغيير الأساليب والتنوع في طرق التدريس حتى يفهم الطالب .

٤ — من دور المعلم الخطير ألا يحقر من شأن العلوم الأخرى ، وإنما عليه أن يعلم الصبيان بأن كل علم نافع مفيد . والإنسان المجتهد هو الذي ينال من كل علم قسطاً، وإن أراد التخصص فليكن ذلك في سن متقدم .

الصلات الاجتماعية :

وهي ضرورة اجتماعية على المعلم أن يطلع أولياء الأمور على مقدرة أبنائهم على التحصيل، وعلى مستوياتهم العلمية حتى يساعدوه بقدر ما يستطيعون في الأخذ بأيديهم باعتبار أن المنزل له دور خطير في تربية وتعليم الأولاد غير منكور .

((المطلب السادس))

في التقليد الأعمى ودحض دعوى المقلدين في العقيدة

نرى في حديث القرآن الكريم عن الرسل أنه كثيرا ما يذكر احتجاج المدعويين بمنهج آباؤهم وأجدادهم، وأنهم وجد وهم هكذا، فهم على آثارهم سائرون، وبهم مقتدون .

ويختلف سلطان هذه العادة باختلاف المكان ونوعية السكان ومقدار التعليم، والمجتمع القبلي أو القروي أشد تعلقا بهذا من غيره، ولا بد في مثل هذا السبيل من قرع الحجة بالحجة، ولا بد من الدليل الأكيد والبرهان القاطع الساطع، ومثل هذه العادة في طباع البشر أصيلة دائما، يقاومون من يحاول صدهم وتغيير موروثاتهم، وإن كانوا في ضلال مبین (١).

دحض دعوى المقلدين في العقيدة :

لقد ناقش بعض العلماء ظاهرة التقليد، وبطرق مختلفة ومشارب ومآرب شتى فمثلا الماوردي^(٢) أنكر ظاهرة التقليد التي كثرت في عصره، وحذر منها، وبين بعض أخطائها، وساق أمثلة في موضعها^(٣).

(١) القصص القرآني بين المفسرين والكتاب قديما وحديثا ص ١٠٩، ١٠٦، ١٠٧، د . طه عبدالفتاح مقلد .

(٢) الماوردي : علي بن محمد الماوردي ت ٤٥٠ هـ نشأ في البصرة وتلقى علومه فيها، ورحل إلى بغداد، وتابع دراسته، وأجمع المؤرخون على سعة علمه، وعمق تفكيره وتصدره لفقها الشافعية في عصره، اشتغل بالقضاء والتدريس وهو أشعري المذهب .

(٣) انظر : أدب الدنيا والدين للماوردي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان تحقيق مصطفى السقا / طبعة ثالثة .

(١) وكذلك فعل الخطيب البغدادي فأنكر تلقي المعرفة أو الاعتقاد أو الممارسة تقليدا دون تمحيص أو مناقشة .^(٢)

وقد ذكر القرآن الكريم مثلا واضحا، بين فيه كيف يتعلم المرء عن طريق التقليد والمحاكاة، وذلك حينما قتل قابيل أخاه هابيل^(٣)، ولم يعرف كيف يتصرف في جثة أخيه، فبعث الله تعالى غرابا ينبش الأرض ليدفن غرابا قد مات . فتعلم منه قابيل كيف يواري جثة أخيه، فهو تعليم بالقدوة والتقليد والمحاكاة . قال تعالى :
﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْآتِ أَخِيهِ . قَالَ يَا وَيْلَتَا إِنِّي آعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْآتِ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾^(٤) .

والإنسان بفطرته نزاع إلى التقليد، وفي مراحل عمره كلها، ولكن يختلف باختلاف الأعمار والدوافع وشدة التأثير والتأثير . وقد أمر الله عز وجل بالاعتقاد بأبي الأنبياء وسيد الحنفاء سيدنا إبراهيم عليه السلام، والذين معه في تبرئهم من أقوامهم المشركين فقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾^(٥) .

- (١) الخطيب البغدادي أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٣٩٢ هـ - ٤٦٣ هـ ، نشأ في بغداد ورحل في طلب العلم إلى البصرة ثم إلى نيسابور وأصبهان وهمزان ومكة ودمشق ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتدريس واشتهر بحسنة ذكائه وكثرة تصانيفه التي بلغت ستة وخمسين مصنفا .
- (٢) تطور النظرية التربوية الإسلامية ص ١٤٥ وما بعدها . د / ماجد عرسليان الكيلاني .
- (٣) قابيل : ابن آدم عليه السلام قاتل أخيه هابيل . قصص الأنبياء . ابن كثير ج ١ ص ٤٨ - ٥٥ .
- (٤) هابيل : ابن آدم عليه السلام . وهو أول من قتل من أولاد آدم على يده أخيه قابيل . قصص الأنبياء . ابن كثير ج ١ ص ٤٨ - ٥٥ .
- (٥) آية / ٣١ / ، سورة المائدة .
- (٦) آية / ٤ / ، سورة الممتحنة .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١) .

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تدحض دعوى المقلدين . فقد قال تعالى :
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

أخرج الطبري بسنده عن عدي بن حاتم قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرأ " سورة براءة " فلما قرأ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا
مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (٢) قلت : يا رسول الله أما أنهم لم يكونوا يصلون . قال : صدقت ،
ولكن كانوا يحلون ما حرم الله فيستحلونه ، ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونسه .
(٤)

يقول فضيلة الشيخ سيد قطب رحمه الله : حدد السياق القرآني في هذا
المقطع من السورة — حقيقة ما عليه أهل الكتاب ، ونص على أنه شرك ، وكفر ،
وباطل ، وقدم الوقائع التي يقوم عليها هذا الحكم ، سواء من واقع معتقدات " الذين
كفروا من قبل " أو من سلوكهم وتصرفهم ، كذلك .

والنصوص الحاضرة تقر :

أولا : أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

ثانيا : أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله .

ثالثا : أنهم لا يدينون دين الحق .

(١) آية ٦ / سورة الممتحنة .

(٢) آية ٣١ / سورة التوبة .

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي أبو وهب وأبو

ظريف ، صحابي له حوالي ٦٦ حديثا ، توفي سنة ٦٨ هـ . السروض

الأنف ٣٣٤ / ٢ ، الإصابة ح ٢ ص ٤٦٨ ، ٥٤٧٥ .

(٤) تفسير الطبري (٢١١ / ١٤) رقم (١٦٦٣٣) .

رابعاً : أن اليهود منهم قالت : عزير ابن الله ، وأن النصارى منهم قالت : المسيح ابن الله ، وأنهم في هذين القولين يظاهرون قول الذين كفروا من قبل سواء من الوثنيين الإفريق أو الوثنيين الرومان ، أو الوثنيين الهنود ، أو الوثنيين الفراعنة . أو غيرهم من الذين كفروا ^(١) .

” . . . إن التثليث عند النصارى ، وادعاء النبوة منهم أو من اليهود مقتبس من الوثنيات السابقة ، وليس من أصل النصرانية ولا اليهودية .

خامساً : أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله كما اتخذوا المسيح رباً ، وأنهم بهذا خالفوا ما أمروا به من توحيد الله والدينونة له وحده ، وأنهم لهذا مشركون .

سادساً : أنهم محاربون لدين الله ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، وأنهم لهذا كافرون .

سابعاً : إن كثيرا من أحبارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ^(٢) .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ تَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ، قَالَ : أَوَلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ ^(٣) .

أي ليس لهم مستند على ما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد ،

(١) في ظلال القرآن ١٦٢١/٣ الشيخ سيد قطب .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الآيات ٢٣، ٢٤ / سورة الزخرف .

وقد قالوا : إنهم أرجح منا أحلاما وأصح أفهاما، ونحن سائرون على طريقتهم وسالكون نهجهم ، ولم نأت بشيء من عند أنفسنا، ولم نغلط في اتباع واقتفاء الآثار . . .

والخلاصة : أنهم اعترفوا بأن لا مستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل ، ولا من حيث النقل ، وإنما يستندون إلى تقليد آباؤهم الجهلة مثلهم * .^(١)

هو لا الذين يقلدون آباؤهم في العقيدة شركا بالله ألغوا عقولهم . ولذلك يصفهم مولانا - عز وجل - قائلا : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(٢)

شر الدواب لأنهم ألغوا عقولهم ، وأصموا آذانهم ، وأعرضوا عن ذكر ربهم ، ساروا على شريعة آباؤهم على الرغم من فسادها .

والآية فيها تشبيههم بالدواب لجهلهم وعدو لهم عن الانتفاع بما يقولون ويقال لهم : ولذلك وصفهم بالصم والبكم وبأنهم لا يعقلون^(٣) .

الأمر العي يقلد فيها :

قال ابن المعتز^(٤) : لا فرق بين بهيمة تقاد ، وإنسان يقلد ، قال : وقد

نظمت في التقليد أهياتا وهي هذه :

-
- (١) تفسير المراغي (٢٥/٧٩، ٨٠) ط . مصطفى الحلبي ط ٢ ١٣٧٣ هـ / م ١٩٥٣ .
(٢) آية / ٢٢ / ، سورة الأنفال .
(٣) التفسير الكبير (١٥/١٤٤) للرازي ط . دار إحياء التراث العربي .
(٤) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي أبو العباس . خليفة يوم ولية وشاعر ٢٤٧-٢٩٦ هـ ، الأغاني ١٠/٣٧٤ ، تاريخ بغداد ١٠/٩٥ .

- يا سائلي عن موضع التقليد خذ . . عني الجواب بفهم لب حاضر
واصغ إلى قولي وذن بنصيحتي . . واحفظ على بوادي ونوادري
لا فرق بين مقلد ومهيمة . . تنقاد بين جنادل ودعائير
تبالقاص أولمفت لا يــــرى . . عدلا ومعنى للمقال السائر
فاذا اقتديت فبالكتاب وسنة الـ . . سمعوث بالدين الحنيف الطاهر
وعلى الأصول فقس فروعك لا تقس . . فوعا بفرع كالجهول الحائر (١)

والقرآن الكريم يقول: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** (٢) .

(٣)

يقول الشيخ محمد حسن بن محمد مخلوف : دلت الآية على إثبات القياس ،

بل قيل: ان الآية متضمنة للأدلة الأربعة فإن المراد بإطاعة الله تعالى : العمل بالكتاب ، وإطاعة الرسول : العمل بالسنة . وبالرد إليهما : القياس . لأن رد المختلف فيه غير المعلوم من النص إلى النصوص إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه ، وليس القياس شيئا وراء ذلك ، وقد علم من قوله سبحانه " فإن تنازعتم " أنه عند عدم التنازع يعمل بما تم الاتفاق عليه وهو الإجماع " (٤) .

واتباع الله والرسول من واجبات المسلم ، وهو فرض عليه أن يتبع أوامرهم

ويجتنب نواهيهم حتى يحيا سعيدا .

(١) الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ص ١٢٠

للسيوطي ط دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان .

(٢) آية / ٥٩ / ، سورة النساء .

(٣) محمد حسن بن محمد مخلوف العدوي المالكي من علماء الأزهر والمؤسس

الأول لمكتبة الأزهر ، ١٢٧٧ - ١٣٥٥ هـ . الأعلام ٦ / ٩٦ .

(٤) بلوغ السؤل في مدخل علم الأصول ص ١٠٧ محمد حسن بن محمد مخلوف

ط / مصطفى الباهي الحلبي .

للدخول القرآن الكريم في كثير من آياته علي النظر والاعتبار ..

- ومن ذلك قوله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) ولما ذكر أولها في قوله ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ (٢) .
 وقوله عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّئَلَّا يَعْقِلُوا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ (٣) .
 وقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَسَوْا نَفَرًا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ (٥) .

وهذه الآيات فيها دعوة صريحة إلى التفكير والتأمل والاعتبار والاستنباط والتفقه، وكلها أمور تخالف التقليد؛ لأن التقليد محاكاة للغير .

ودعوة القرآن الي النظر من أجل الاستفادة من كون الله وكيفية استغلاله بما يعود على الإنسان بما ينفعه . والقرآن حينما يأمرنا بذلك فإنما يأمرنا بالعمل والسعي في الحياة وهو يرفض التقليد في الاعتقادات الفاسدة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٦) .

قال السيوطي : في هذه الآيات تنبيه على علة خطر التقليد بأن فيه ترك اتباع الأدلة ، والعدول عن الانقياد إلى قول من لا يعلم أنه فيما قلد فيه

-
- (١) آية / ٢٩ / ، سورة (ص) .
 (٢) آية / ٣ / ، سورة الحشر .
 (٣) آية / ٤٣ / ، سورة العنكبوت .
 (٤) آية / ٨٣ / ، سورة النساء .
 (٥) آية / ١٢٢ / ، سورة التوبة .
 (٦) آية / ٢٢ / ، سورة الزخرف .

مصيب أو مخطئ* فلا يأمن من التقليد لغيره كون ما يقلده فيه خطأ وجهل ، لأن صحة المذهب من فساده لا تبين باعتقاد المعتقد له ، وشدة تمسكه به ، وإنما يتميز صحيح المذاهب من فاسدها ، وحقها من باطلها بالأدلة الكاشفة عن أحوالها والمميزة بين أحكامها ، وذلك معدوم في المقلد ، لأنه متبع لقول لا يعرف صحته من فساده ، وإنما اعتقده لقول مقلده به ، فإن زعم صاحب التقليد أنه يعرف صحة القول الذي قلده فيه ، ويعلم أنه الحق ، وأن اعتقاده واجب فذلك باطل منه . لأن العلم بذلك لا يكون إلا بالنظر في الأدلة التي هي طريق العلم به ، فإذا عدل عنها علمنا بطلان دعواه للعلم بصحة ما قلده فيه " (١)

من نقلد ؟

ليس التقليد وقفا على جانب الأصول الفقهية بل يشمل كافة جوانب الحياة . والوقوف على التقليد والاجتهاد يقتضينا أن نقول: ليس كل الناس مجتهدين ، وبالطبع ليس كلهم مقلدين . ولذا قال ابن عبد البر: وهذا كله لغير العامة . أي عدم التقليد ، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة إذ لا تتبين موضع الحجة فلا تصل لعدم الفهم إلى علم ذلك ، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَأَسْأَلُكُمُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

-
- (١) الرد على من أخلد إلى الأرض ص ١٢٥ .
(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر ، من حفاظ الحديث ، فقيه له اهتمامات تربوية توفي سنة ٤٦٣ هـ . الأعلام ٢٤٠ / ٨ ، أعلام التربية الإسلامية ص ٢٩٢ - ٣١٨ ج ٢ .
(٣) آية / ٤٣ / ، سورة النحل .

إن العوام بالطبع مقلدون ولا يحكم بفساد تقليد هم . إنما الذي يحكم بفساد رأيه الذين يقلدون ، وهم أهل الاختصاص والعلم والنظر والبحث في الشريعة والفقهاء وأصوله وغيرها من العلوم الشرعية . أما القياس فيتولاه أولو الأمر ، وهم العلماء ، وقيل : المراد بهم ما يعم الأمر ، لتناول الاسم لهم ، لأن للأمر تدبير أمر الجيش والقتال ، وللعلماء حفظ الشريعة ، وما يجوز وما لا يجوز ، فيجب الرجوع إليهم إذا وقع التنازع بين المؤمنين في شيء من أمور الدنيا ، والرجوع إليهم رجوع إلى الكتاب والسنة " (١) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (٢) .

(١) بلوغ الرسول في مدخل علم الأصول ص ١٠٧ .
(٢) آية / ٥٩ / ، سورة النساء .

((المبحث الرابع))

في توجيه فريزة حب التملك

وليه مطالب:

((المطلب الأول))

حب التملك دافع نفسي فطري وجد في غريزة الإنسان . ويتعزز هذا الجانب أثناء تنشئة الإنسان الاجتماعية والأسرية . فالإنسان يتعلم بدوافعه الذاتية وخبراته الشخصية ، ومن ثقافته الاجتماعية حبه للطلال ، والعقار ، والأشياء الثمينة التي تشعر بالأمن والطمأنينة، وتمده بالجاه والنفوذ والسلطان أحيانا . وقد أوضح القرآن الكريم ذلك فقال : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (١)

قال الزمخشري : «جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها» .

ثم قال : «ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير . ثم يفسره بهذه الأجناس» (٢)

وقال البغوي : الشهوات جمع شهوة وهو ما تدعو إليه النفس ، والقناطر جمع قنطار . وهو المال الكثير بعضه على بعض» (٣)

(١) آية / ١٤ / ، سورة آل عمران .

(٢) الكشاف ١ / ١٧٨ .

(٣) تفسير البغوي ١ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

فهذه هي حالة الناس فأخبر أنها زينت لهم فرمقوها بالأبصار واستحلوها بالقلوب وعكفت على لذاتها النفوس . كل طائفة من الناس تميل إلى نوع من هذه الأنواع قد جعلوها همهم ومبلغ علمهم .^(١)

والمزين هو الله عند الجمهور للابتلاء دليله قراءة "مجاهد" زين للناس على تسمية الفاعل ، وعن "الحسن" : الشيطان . والشهوة : توقان النفس إلى الشيء . وجعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغفة في كونها مشتهاة أو كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات . إذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء ، مذموم من اتباعها شاهد على نفسه بالبهيمية .^(٢)

وقد أوضح سبحانه عما زين للناس في هذه الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين .^(٣)

ولما كانت هذه الرغائب والغرائز والدافع مع هذا طبيعية فطرية ومقصودة من قبل الباري جل وعلا لتؤدي دوراً أساسياً في حفظ الحياة وامتدادها .

فإن الإسلام حينما يوجه الغرائز البشرية إنما قصد بها صيانة النفس ولذا لم يأمر بكنيتها وقتلها، ولكن أمر بتنظيمها وتخفيف حدتها واندفاعها إلى أن يكون الإنسان مالكا لها، متصرفا فيها، لا أن تكون مالكة له متصرفة فيه ، وإلى تقوية روح التسامى فيه والتطلع إلى ما هو أعلى . وهذه خلاصة للرغائب الأرضية إما بذاتها أو بما تستطيع أن توفره لأصحابها من لذائذ أخرى .

"وعلماء النفس يقررون ويؤكدون أن القمع ، وهو القضاء على غريزة من الغرائز

(١) تفسير الكريم الرحمن ١٧٤/١ للشيخ ابن سعدي .

(٢) تفسير النسفي ١٤٨/١ ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٢٦٩/١ .

وأياتها لعدم موافقة نزعاتها للحياة الاجتماعية، هذا القمع كثيرا ما يضر بالشخص أو بالمجتمع، لأن الغريزة المكبوتة تحاول أن تظهر، وتسعى في غير رفق ولا هواده إلى تحقيق هدفها بطرق غير مشروعة. فإن وقفت أمامها الحواجز أضرت بصاحبها جسما وعقليا. لذلك لم يقف القرآن حياء أمة غريزة من الفرائض موقف البطش والعنف، ولم يتنكر لأمة طبيعة من الطبائع بل سلك الطريق الذي يشعر معه الدافع النفسي، بأن المجال أمامه مفتوح لتحقيق ذاته، وليس له إلا أن يسير فيه على هدى وبصيرة. لا يميل يمينا ولا يميل يسارا ولا يخطب خبط عشواء" (١).

وفي الإنسان الميل إلى هذه الشهوات، وهو جزء من تكوينه الأصيل لا حاجة إلى إنكاره، ولا إلى استنكاره في ذاته، فهو ضروري للحياة البشرية كي تتأصل وتنمو.

ولكن الواقع يشهد بأن في فطرة الإنسان جانبا آخر يوازي ذلك الميل، ويحرس الإنسان أن يستغرق في ذلك الجانب وحده، وأن يفقده قوة النفحة العلوية أو مدلولها أو إيجابها، وهذا هو جانب الاستعداد للتسامي، ولضبط النفس عند الحد السليم. الحد الباني للنفس والحياة وربط القلب بالملأ الأعلى، هذا الاستعداد الثاني، يهذب الاستعداد الأول، وينقيه من الشوائب، ويجعله نسي الحدود المألوفة التي لا يطفئ فيها جانب اللذة الحسية على الروح الإنسانية وأشواقها. فهي شهوات مستحبة مستلذة ليست مستقدرة ولا مستكرهة.

وهذه مميزة بمراعاتها للفطرة البشرية وقبولها بواقعها، ومحاولة تهذيبها ورفعها، لا كبتها وقمعها.

(١) القرآن والطبائع النفسية ص ١٥٨، تأليف الشيخ علي محمد حسن العماري ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة اللجنة العامة للقرآن والسنة

ونهم المال تلك الغريزة التي تسيطر على الإنسان فتلقي بظلالها، فيرغب أن يكون له قناطر مقنطرة من الذهب والفضة .

ذلك أن التكديس ذاته شهوة بغض النظر عما يستطيع المال توفيره لصاحبه من الشهوات الأخرى (١) .

ولقد أخبر سبحانه وتعالى من هذه الغريزة الموجودة في فطرة الإنسان فقال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (٢) .

أي: كثيرا طامعا لا يستقي في نفوسكم أرحية ولا مكرمة مع المحتاجين إلى الإكرام والإطعام .

وجما: كثيرا يعني : يحبون جمع المال ويولعون به ، ويقال : جم الماء في الحوض إذا كثر واجتمع (٣) .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَوْعِظْكُمْ بِالْبَنِينِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٤)
والافتخار بالمال والبنين خطأ لأنهما عرض زائل ، ومتاع حائل ، وزينة الدنيا الفانية ، ولعل تقديم المال على البنين لأنه أدخل في باب الزينة من الأولاد (٥) .

وقال تعالى ، ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِيبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ (٦) .

-
- (١) في ظلال القرآن ١/٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠ للشيخ سيد قطب ، فقد أصاب كبد الحقيقة .
- (٢) آية / ٢٠ / ، سورة الفجر .
- (٣) تفسير البغوي ٤ / ٤٨٥ .
- (٤) آية / ٤٦ / ، سورة الكهف .
- (٥) التفسير الواضح ج ١٥ / ٦٦ ، الطبعة العاشرة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٦) آية / ٢٠ / ، سورة الحديد .

قال الشوكاني : اللعب : هو الباطل ، واللهو : كل شيء يتلهى به
ثم يذهب . قال قتادة : لعب ولهو : أكل وشرب . قال مجاهد : كل لعب
لهو ، وقيل : اللعب ما رغب في الدنيا ، واللهو : ما ألهى عن الآخرة
وشغل عنها ، وقيل اللعب : الاقتناء ، واللهو : النساء . . . والزينة :
التزين بمتاع الدنيا من دين عمل الآخرة .

" وتفاخر بينكم " . . . أي يفخر به بعضكم على بعض ، وقيل : يتفاخرون
بالخلقة والقوة ، وقيل بالأنساب والأحساب كما كانت عليه العرب . " وتكاثر فسي
الأموال والأولاد " أي يتكاثرون بأموالهم وأولادهم ويتطاولون بذلك على الفقراء " .^(١)

قال تعالى : ﴿ فَوَسَّوْا إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ
الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى ﴾^(٢)

الأنسان وحب التملك :-

هل حب التملك فريضة أو دافع مكتسب ؟ خلاف في ذلك ، " فمكد وجال " يعتبر
التملك فريضة ، غير أن الدراسات الانثروبولوجية والسيكولوجية الحديثة لا تؤيد الرأي
القاتل بان التملك فريضة تميل الي اعتباره دافعا نفسيا مكتسبا^(٣)
وهو في مستواه المعتدل دافع نافع في الحياة ومحرك لها نافع في عمران
الأرض وحركة أهلها عليها في تنمية أرزاقها واستخراج خيراتها وكل شيء في حدوده ،
وقيوده وضوابطه المعقولة المقبولة نافع ومفيد ، وقد زين للناس في هذه الحياة

(١) فتح القدير للشوكاني ١٧٤/٥ ، ١٧٥ .

(٢) آية ١٢٠ / ، سورة طه .

(٣) انظر في هذا : القرآن وعلم النفس د . محمد عثمان نجاتي ، وانظر أيضا
هذا البحث في علم النفس في حياتنا اليومية للدكتور نجاتي أيضا .

د وافع كثيرة منها حب التملك والتسلط على الأشياء . والمحمود منها أن يُوجدَ في الناس الرغبة في السعي لتحصيل وسائل العيش ونحوها ، ليقوم الناس بعمارة الأرض والاستنباط واستخراج الخيرات منها وابتكارها ما هو نافع ومفيد من الأدوات والوسائل ولولا وجود مثل هذا الحافز والدافع لقصر الناس ولرضوا بأدنى المستويات في الأكل والملبس . وهذا الدافع نجده عند الكثيرين قويا ليس له حد ، بل قد يصل إلى درجة السرف ، ومع هذا فهو بحبه المال شحيح فيهِ إلا من عصمه الله يحب جمعه ويكره إنفاقه . والإنسان قنور إلا من تطلعت نفسه إلى الدار الآخرة .

قال تعالى ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (٢)

وقال عز وجل ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ (٣)

وقال ﴿ وَالْعَصْرِيَّاتِ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٤)

والإنسان بفطرته يحب نفسه ويترتب على ذلك حبه لكل ما تميل إليه وترغبه ويوفر لها الأمن والطمأنينة والمتعة واللذة، وهو بهذا لا يُلام ولا ينكر عليه فهو في

-
- (١) آية / ١٠٠ / ، سورة الإسراء .
(٢) الآيات / ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ / ، سورة المعارج .
(٣) آية / ١٢٨ / ، سورة النساء .
(٤) الآيات / ٣ ، ٢ ، ١ / ، سورة العصر .

حدود طبيعته وناموس خلقته .

فالمسلم إلى جانب هذا الميل الفطرى لديه ضوابط وروابط أخلاقية وروحانية توجه هذا المسار وتنظمه وتجعله يسير في المسار المعتدل الصحيح فهو إما أن يوجه حركات وخلجات النفس إلى الأجل والأفضل . وإما أن تغلب عليه نفسه فيصير شهوانيا أرضيا يؤثر عاجله على آجله ، ويحب كل قريب عاجل . وأجل وأعظم المستويات في هذا نظرة المؤمنين الصادقين . فهم بايمانهم الحق ينظرون إلى الكمال الأسمى وإلى جنة الخلد فيهنون عليهم أن يضحوا بالمتع القريبة أذ أن الإنسان إما أن يكون نظره قاصرا أو فكره محدودا فيجعل حساسية حبه لنفسه مرتبطة بكل قريب عاجل . وإما أن يكون نظره بعيدا فيوجه حساسية حبه لنفسه إلى ما وراء حدود الزمن القريب ، ويهبط هذا الحب بكل صنوف الخير وأعظم أنصبة النعيم لنفسه .

وقد وجه الإسلام المسلمين لضبط دافع حب التملك وجعله في المسار النافع والدائرة المفيدة وإيقاف نموه الأناني الشهواني المتطرف فيربى فيه صفات حسب الخير والعطاء والإيثار كما ربي الإسلام الدافع الفطرية الخيرة ليتوازن هذا الكائن ويعتدل في جمعه للمال ، وحبه له فيجمع وفق ضوابط إسلامية وينفق كذلك ممن فير إسراف ولا تقتير . والإسلام يقرر الحقوق المتعلقة بكسبه كالنفقة الواجبة والمستحبة والزكاة وحته على الاهتمام بمصالح المسلمين ومد يد العون لهم فهناك إنفاق واجب كالزكاة ونحوها وهناك إنفاق تطوعي حث عليه الشرع ورغب فيه .

كما أقام الإسلام في نفس المسلم عاملا آخر منافسا وهو الرغبة في الآخرة ونعيمها فهو يكيح جماح النفس ، ويحدد معالم الطريق ، ويقلل من سعارها وانبهارها في هذه الدار فهو عامل توازن وانضباط . فالإسلام دائما يحرك هذا

(١) أنظر في هذا : الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٦٦/٢ وما بعدها . عبد الرحمن حنيفة الميداني .

الشعور شعور المسلم بزاده الأخرى لثلا يطغى جانب الدنيا على جانب الآخرة .
وهكذا نجد الإسلام العظيم يربى ويؤهل المسلم في معمله ومختبره الإسلامي
التربوي فيعدل في نفسه الدافع الأنانية بأضدادها من الدافع الخلقية الفطرية
والمكتسبة وفق مناهج وبرامج التربية الإسلامية الحققة ومقاييسها وموازينها وأدواتها
ووسائلها وطرقها الشريفة النظيفة ، وهذا المختبر الدقيق الرقيق أوسع
المختبرات وأكثرها دقة ومتانة وأماناً يستطيع المسلم أن يصل بحول
الله إلى الكمال الإنساني والعلو البشري والسمو الإيماني (١) .

وهذه هي خصائص التربية القرآنية التي لا تماثل ولا تطاول ، والنظام
الصالح يوازن بين الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة في نطاق الإنسانية الشاملة
الرحيبة وذلك ما يهدف إليه الإسلام (٢) .

ومن الفرد المتوازن ينشأ المجتمع المتوازن فهي نظرية لا تتبالغ في تقدير
واحد منهما على حساب الآخر .

(١) انظر في هذا المعنى : المرجع السابق ٣٧٢/٢ وما بعدها .

(٢) انظر الانسان بين المادية والاسلام ص ١٦٠ للأستاذ / محمد قطب .

((المطلب الثاني))

في التملك ومشروعيته وأسبابه

الملكية الفردية :

يتحدث القرآن الكريم عن الملكية الفردية باعتبارها أحد مقومات الحياة الأساسية ، والتي ينشأ عليها بناء الأمة الإسلامية ، وهو يقرها ويعترف بها بعكس النظام الشيوعي الذي ينكرها ويعتبرها ملكية للدولة لا ملكية الفرد .

إن الملكية الفردية لعموم الناس حق أعطاه الله تعالى لعباده في قيود وحدود أساسها أن تكون هذه الملكية فيها لا تضر ملكيته الفردية كالماء والمعادن .

فالإنسان بطبعه حريص على حب المال .

قال تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ (١)

(٢)

يدفعه إلى ذلك حب التملك ، وحب الاستمتاع بهذا المتاع وتقرير حقوق الملكية بحقق العدالة بين الجهد والجزاء ، فوق مساهمته للقطرة ، واتفاقه مع الميول الأصلية في النفس البشرية ، تلك الميول التي يحسب الإسلام حسابها في إقامة نظام المجتمع ، وفي الوقت ذاته يتفق مع مصلحة الجماعة بإغراء الفرد على بذل أقصى جهد في طوقه لتنمية الحياة، والإنسان مفطور على :-

(١) آية / ١٤ / ، سورة آل عمران .

(٢) في المجتمع الاسلامي صفحتي ٢٦ ، ٢٧ ط . دار الفكر العربي للشيخ

محمد أبو زهرة .

أ — حب الخير لذاته . قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (١) .

ب — ومفطور على الحيازة والضم بما يملك .

قال تعالى ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّم تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ (٢)
وقال تعالى ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ (٣) .

ج — ومفطور على حب ذريته والرغبة في أن يورثهم نتاج كده ، والعمال الذي يدخره لهم إن هو إلا عمل مختزن في صورة مال ، يؤثر به الرجل ذريته على متاعه الخاص في حياته . ولا خير من مجارة هذه الميول الفطرية لبيدل الفرد أقصى طاقته وهو نشيط مقبل على العمل والإنتاج ، لأنه يلبي أشواقه وحاجات نفسه ولا يشعر أنه مسخر للعمل ولا يبذل جهده كارها ولا يائسا . (٤)

وسائل الملكية الفردية :

ومع أن الاسلام أباح الملكية الفردية فقد أطلق حدود هذه الملكية وقيد هذه

الحدود بما ليس فيه ضرر للغير .

(١) آية / ٨ / ، سورة العاديات .

(٢) آية / ١٠٠ / ، سورة الاسراء .

(٣) آية / ١٢٨ / ، سورة النساء .

(٤) العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ١١٥ ، وما بعدها . الأستاذ / سيد

قطب ط. دار الشروق .

ومن وسائل الملكية الفردية :

أولا : العمل :

(١)

وهو كل عمل شريف بعيد عن الحرام فهو حلال وملكيته تصير ملكية خاصة .

يتملك فيه المسلم بالسعي في الأرض والاكتساب وما أودعه الله فيها .

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا

مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ^(٢) ﴾ .

قال الشوكاني : " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا " أى سهلة لينسة

تستقرون عليها ، ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكن فيها والمشي عليها .

والذلول : في الأصل هو المنقاد الذي يذل إليك ولا يستصعب عليك

والفاء في قوله ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ لترتيب الأمر بالمشي على الجعل المذكور .

والأمر للإباحة . قال مجاهد والكلبي ومقاتل : " مناكبها " : طرقها وأطرافها ^(٣)

وجوانبها . . . ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ أى مما رزقكم وخلقته لكم في الأرض . . .

﴿ وإليه النشور ﴾ : أى وإليه البعث من قبوركم لا إلى غيره ، وفي هذا وعيد ^(٤)

شديد . كما قرن جل ذكره بين المجاهدين في سبيله والذين يضربون في الأرض .

﴿ وَأَخْرَجْنَا مَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ ^(٥) ﴾ .

(١) العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ١١٨ .

(٢) آية / ١٥ ، سورة الطك .

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي أبو الحسن ، كان متروك

الحديث من أعلام المفسرين ، توفي سنة ١٥٠ هـ ، الأعلام ٢٨١/٧ ، تاريخ

بغداد ١٦٠/١٣ .

(٤) فتح القدير للشوكاني ٢٦٢/٥ .

(٥) آية / ٢٠ ، سورة العزل .

والتربية الإسلامية القرآنية في هذا تربية عالية المستوى إذ يرعى المسلم^١ على العمل والكسب ليكفي نفسه وليمتد خيره إلى غيره .

ولقد سن صلى الله عليه وسلم لأُمَّته طرق الكسب الحلال ، وطرق العيش الشريف النظيف ، ولقد رعى صلى الله عليه وسلم الغنم ، وتاجر ، وكان يعمل حاجته بنفسه ، ويحاول سد حاجته ، وقضاء مصالحه بغير معاونة أحد .

والإسلام دين العمل ودين الحركة التي ينشأ منها البركة .

قال تعالى عن داود عليه السلام ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ مَّاءٍ بِأَسْكُنُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾^(١) .

أقسام العمل في القرآن :

ولقد قسم القرآن الكريم كل أعمال بني آدم إلى قسمين :

أ - العمل الصالح :

وهو الذي يبتغي به المرء مرضاة الله عز وجل ولذلك فإن ثوابه الجنة .
قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ﴾^(٢) الآية .
وقال تعالى ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣) .

(١) آية / ٨٠ / سورة الأنبياء ، وانظر في هذا كتاب البركة في فضل السعي

والحركة ص ٦ وما بعدها للوصابي .

(٢) الآيات / ٥٧ ، ١٢٢ / ، سورة النساء .

(٣) آية / ٩ / ، سورة المائدة .

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ مَعَالًا﴾ (١) .

ونلاحظ في القرآن الكريم اقتران العمل الصالح بالإيمان . لأن الإيمان بالله ورسوله من شروط قبول العمل الصالح . فليس كل عمل صالح مقبولا ، بل مقيد بالإيمان .

ب - العمل السيء :

وهو العمل غير المقبول ، والذين عملوا السيئات ثم تابوا وآمنوا فإن مغفرة الله واسعة ورحمته عاممة .

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) .

قال الشوكاني في تفسيره . هذه الآية :

﴿والذين عملوا السيئات﴾ : أى سيئة كانت . ثم تابوا عنها من بعد عملها ، وآمنوا بالله ﴿إن ربك من بعدها﴾ أى من بعد هذه التوبة ، أو من بعد عمل هذه السيئات التى قد تاب عنها فاعلمها وآمن فاعلمها .

(٣) ﴿لغفور رحيم﴾ أى كثير الغفران لذنوب عباده وكثير الرحمة لهم .

(١) آية / ٣٠ / ، سورة الكهف .

(٢) آية / ١٥٣ / ، سورة الأعراف .

(٣) فتح القدير ٢ / ٢٥٠ ط مصطفى الحلبي .

ومن مظاهر عدل الله سبحانه وتعالى أنه لا يجزى الذين عملوا السيئات

إلا بما عملوا .

قال تعالى ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) .

﴿ الذين عملوا السيئات ﴾ لا يجزون إلا مثل ما كانوا يعملون ، وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة إلا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها، وسبعمائة^(٢) .

ولا يظن امرؤ أيها كان أن يتساوى المحسن والمسيء ، وهذا من أفضل نظم

التربية بأنهما لا يستويان . الصالح والطالح .

قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْلِبًا لَهُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٣) .

إن العمل هو المصدر الرئيس للتكسب لكل الناس .

قال تعالى ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا ﴾^(٤) .

فالمال الحرام بالسرقة يقطع به يد السارق . قال تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ

وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴾^(٥) .

(١) آية / ٨٤ / ، سورة القصص .

(٢) تفسير الكشاف (١٨٣ / ٣) للزمخشري ط . دار المعرفة - بيروت .

(٣) آية / ٢١ / ، سورة الجاثية .

(٤) آية / ٣٢ / ، سورة النساء .

(٥) آية / ٣٨ / ، سورة المائدة . وانظر : توضيح هذه الآيات في كتاب العدالة

الاجتماعية في الاسلام ص ١١٥ للشيخ سيد قطب .

ثانيا : الإرث :

وهو إما أن يكون مالا أو عقارا . . . أو أى ممتلكات أخرى

وهو لا يكون إلا بموت المورث وللمسلم أن يأخذ نصيبه الشرعي (١) .

وبأخذه يصبح ملكا لمن يقع له .

ولخطورة تقسيم التركات أو الموروثات قسم الله سبحانه وتعالى الأنصبة على مستحقيها حتى لا تحدث العداوة والبغضاء والشجار فيما بين المتقاسمين للميراث .

قال تعالى ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ (٢) .

وتقسيم الله لأنصبة الميراث درءا لمخاطر الاقتتال ورد للأطماع الشخصية

وما سينجم عن ذلك من صراع قد لا ينتهى .

ثالثا : العمل بالأجر عند الآخرين :

لقد دعا الإسلام إلى العمل : فقال تعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ

عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ (٤) .

قال أبو الفدا ابن كثير رحمة الله تعالى عليه : أى فسافروا حيث شئتم

من أقطارها ، ولا ترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات

(١) كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١١٥ للشيخ سيد قطب .

(٢) آية / ٧ / ، سورة النساء .

(٣) آية / ١٠٥ / ، سورة التوبة .

(٤) آية / ١٥ / ، سورة الملك .

واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئاً ، إلا أن يبسره الله لكم . ولهذا قال تعالى
﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حموة : أخبرني بكر
ابن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو وخماصاً
وتروح بطاناً " رواه الترمذى والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة ، وقال
الترمذى : حسن صحيح فأثبت لها رواها وهدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله
عز وجل وهو المسخر المسير المسبب .
رابعاً : الفى :

قال الجرجاني : الفى : ما رده الله على أهل دينه من أموال من
خالفهم مع لوازمها وتوابعها ، إما بالجلأ ، أو بالمصالحة على جزية أو غيرها ،
والغنيمة أخص منه ، والنفل أخص منها ، والفى ما ينسخ الشمس وهو من الزوال

-
- (١) حموة بن شريح بن يزيد الحضرمي أبو العباس الحمصي ، من الحفاظ
توفي سنة ٢٢٤ هـ . تذهيب تهذيب الكمال ١ / ٢٦٦ / ١٦٩٧ .
- (٢) بكر بن عمرو المعافري ، إمام جامع مصر . توفي بعد ١٤٠ هـ ، له ترجمة
في تهذيب تهذيب الكمال ج ١ / ١٣٥ ، ٨٣٢ .
- (٣) أخرجه الترمذى رقم (٢٣٤٥) وأحمد (٣٠ / ١) والحاكم (٤ / ٤١٨) ،
وابن حبان (٥٦ / ٢ الاحسان) ، وابن ماجه رقم (٤١٦٤) ، والنسائي
في السنن الكبرى في الرقائق .
- (٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٩٧ ، ٣١٨) ط . عيسى الحلبي .

إلى الغروب . كما أن الظل ما نسخ الشمس من الطلوع إلى الزوال " (١) .

قال النووي : " قال أهل اللغة : المغنم والغنيمة بمعنى ، يقال غنم القوم يغنمون بالضم . قال أصحابنا - الشافعية - الغنيمة في اللغة الفائدة . قال أصحابنا : المال المأخوذ من الكفار منقسم إلى ما يحصل بغير قتال وإيجاف خيل وركاب وإلى حاصل بذلك ، ويسمى الأول فيئا والثاني غنيمة " (٢) .

ويعتبر الفيء وسيلة من وسائل التملك الشخصي . وللمقاتل نصيب في

الغنيمة .

ولم يترك الشارع الإسلامي الأمر في تقسيم الغنيمة للأهواء ولا للاجتهادات الشخصية . بل حكم الله عز وجل في تقسيم هذه الغنيمة . فقال تعالى ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَاسَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : يبين الله تعالى تفصيل ما

شرعه مخصصا لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الأمم المتقدمة بإحلال الغنائم .

والغنيمة هي : المال المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب ، والفيء :

ما أخذ منهم بغير ذلك كالأموال التي يصالحون عليها أو يتوفون عنها ، ولا وراث لهم وهناك الجزية والخراج ونحو ذلك . هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٤٨ . ط الحلبي .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ٦٤ ، ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣) آية / ٤١ / ، سورة الأنفال .

علما' السلف والخلف ، ومن العلما' من يطلق الفى' على ما تطلق عليه الغنيمـة
وبالعكس أيضا . . .

... ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾^(١) توكيد لتخميس

كل قليل وكثير حتى الخيط والمخيـط^(٢) .

وتقسيم الغنيمـة خمسة أقسامٍ عدلٌ من الله وكل من يأخذ خمسا يصير ملكا

له وهذا يعتبر رافدا من روافد الملكية الخاصة .

والحقيقة العامة التي يجب أن نقرها هي أن الجندي المسلم كان هدفه

الأول هو نشر دين الله ، وليس همه جمع مال الغنائم . ولما كان هذا هو

المرتجى من الحرب أباح الله لهذه الأمة الغنائم .

خامسا : الهبة والوصية والإقطاع :

أ - الهبة :

(٣)

هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض .

وقد تكون مكافأة أو تشجيعا للمجتهد . وهي من وسائل تقريب الناس

وتحبيبهم بعضهم لبعض . وهي عطا' خالص من نفس من يعطيها . وهي بذلك

تكون من وسائل التملك .

(١) آية / ٤١ / ، سورة الأنفال .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٣١٠ ، ٣١١) .

(٣) لسان العرب (٦ / ٤٩٢٩) ط . دار المعارف مادة (هب) .

ب - الإقطاع :

وهو أن يقوم الوالي بإقطاع جزء من الأراضي الصحراوية للفلاحين مثلاً، لكي يحيوا هذه الأرض . أو أن يهب مكانا لشخص ما يبني عليه مصنعا ليعمل فيه كثير من الأيدي العاملة .

وهنا يكون النفع في صورته الظاهرة نفعاً خاصاً إلا أن عائده يعود على المجموع، وهذا نوع من أنواع التملك، وغالباً ما يعطى الوالي وثيقة أو عقداً يثبت بها صحة نفاذ العقد حتى لا ينازع المقطع له أحداً .

ج - الوصية :

يقول الله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

وقد تناولها علماء الموارِيث بالدراسة والتحليل، لأن الغرض لا يتعلق بذلك وهي مبسطة في كتب الموارِيث - لا يضل طالبها .
وهي هنا تعد باباً من أبواب الملكية الخاصة .

تعقيب : ومن تلك النماذج تبين لنا مصادرها الملكية الخاصة وهي جميعاً تعترف بعزيمة المسلم ورغبته في أن يكون عضواً نافعاً في المجتمع ولا يكون عالة على غيره فإن العمل ما هو إلا طريق من طرق الجهاد من أجل الحفاظ على الحياة ومن يعولهم المرء في الحياة بكرامة وعزة نفس .

(١) آية / ١٨٠ / ، سورة البقرة .

وعلي هذا فأخذ أنصبه الميراث ليس ضربا من ضروب الحظ ، آخذا نصفة الميراث

لأن المسلم يعتبر نفسه مسئولا أمام الله عن ماله من أين اكتسبه ؟ ونفيم أنفقه ؟ .

كما أن جهاد المسلم يقصد منه إيجاد مجتمع تعمه عقيدة الإيمان بالله ونشر السلام . وليس الجهاد من أجل الغنيمة بل من أجل نشر رسالة سامية هي توحيد الله عز وجل . والإسلام لا يدعو المرء إلى التقاعس عن العمل في انتظار الزكاة بل اعتبر اليد التي تعطي وتمنح هي اليد العليا وميزها عن التي تأخذ بالخيبرية .

إن مهمة الصدقات والزكوات هي مساعدة العاجزين والمرضى وكبار السن والهرم " والأرملة وابن السبيل ، وصرف الزكاة في تحرير الرقاب ونشر الحرية والأمن والسلام . ونخلص من ذلك إلى :

الأموال التي قررها الإسلام للملكية وهي :

أولا : أن تكون الملكية في دائرة منع الضرر .

ثانيا : أنه ليس كل شيء قابلا للامتلاك الفردي كالمعادن — مثلا —

(١)

ثالثا : أنه قرر حقوقا ضرورية للدولة أو للجماعة على الملكية ، لأنها ليست حقا

خالصا إذ هي عمل إنتاجي لا يتكافل إلا بتوافر الحرية المختارة .

والمال أو الملكية العامة ليس لأحد دون الآخرين التحكم فيها والسيطرة

عليها إنما ينتفع بها الجميع ، ونخص هذه النوعية بالأموال الآتية :

النوع الأول : الأموال التي ترصد للمنافع العامة ، ولا يمكن أن تؤدي

مقاصدها في ملكية خاصة كالمساجد ، والمدارس ، والمصالح ، والطرق ، ومجاري

(١) في المجتمع الاسلامي ، محمد أبوزهرة ص ٢٥ .

الأنهار ، وفي ذلك ما لا يمكن أن يوتي نفعه إلا حيث يكون للجماعة . ومن هذه الأوقاف الخيرية ، وهي الأموال التي رصدها أصحابها للبر .

النوع الثاني : من الأموال : ما تكون فيه الثمرات غير متكافئة مع العمل الذي عمل لاستخراجها ، كالمعادن التي تكون في باطن الأرض فإن الثمرة التي تجي منها لا تتكافأ مع العمل الذي عمل لاستخراجها .

النوع الثالث : من الأموال التي تؤول إلى ملك الدولة أو يكون للدولة عليها الولاية أنها لا تعطى فيها ملكا خاصا بل تبقى على حكم الملكية العامة لا يعطىها الإمام لأحد وإن أقطعها ولي الأمر لبعض الناس يكون إقطاع منفعنة لا إقطاع رقبة^(١) .

(١) في المجتمع الاسلامي ص ٢٦ ، ٢٧ ط . دار الفكر العربي .

((المطلب الثالث))

التملك في المشروع

للأسف أن الإنسان لم يترك نظام الكون على ما أراده الله عز وجل، لأن فطرة الله كاملة منتظمة . أما عبث الإنسان الغافل عن ربه فقد جعل حالة من الفوضى والاضطراب تسود هذا النظام الذي اختاره الله لعباده .

والقرآن الكريم يقول ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) .

قال الإمام الشوكاني : " بين سبحانه أن الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في العالم .

واختلف في معنى ظهور الفساد المذكور . فقيل : هو القحط وعدم النبات ونقصان الرزق ، وكثرة الخوف ونحو ذلك .

وقال مجاهد وعكرمة : ^(٢) فساد البر : قتل ابن آدم أخاه - قتل قابيل لهاييل ، وفي البحر . الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا .

ثم رد على القائلين بهذا التفسير وقال : والتعريف في الفساد يدل على الجنس فمع كل فساد واقع في خيرى البر والبحر .

(١) آية / ٤١ / ، سورة الروم .
(٢) عكرمة بن عبد الله البربرى المدني ، تابعي ٢٥ - ١٠٥ هـ ، من أعلم الناس بالتفسير . حلية الأولياء ٣ / ٣٢٦ ، الأعلام ٤ / ٢٤٤ .

وقال السدى : الفساد : الشرك ، وهو أعظم الفساد . ويمكن أن يقال ؛ إن الشرك وإن كان الفرد الكامل في أنواع المعاصي ، ولكن لا دليل على أنه المراد بخصوصه . وقيل : الفساد : كساد الأسعار وقلّة المعاش ، وقيل : الفساد : قطع السبل والظلم ، وقيل غير ذلك مما هو تخصص لا دليل عليه ، والظاهر من الآية بظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه . سواء كان راجعا إلى أفعال بني آدم من معاصيهم واقترافهم السيئات وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم . أو راجعا إلى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب ذنوبهم كالتحط وكثرة الخوف والموتان ونقصان الزرائع ونقصان الثمار . والبر والبحر هما المعروفان المشهوران ، وقيل : البر الفياضي والبحر القرى التي على ما . قاله عكرمة ، والعرب تسمى الأمصار البحارة . قال مجاهد : البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر ، والبحر ما كان على شط نهر . والأول أولى ويكون معنى البر مدن البر ، ومعنى البحر مدن البحر ، وما يتصل بالمدن من مزارعها ومراعيتها بما كسبت للسببية وما إما موصولة أو مصدرية .^(١)

هذا الخروج من البشر على سنن الله أوجد الطمع والحرص الذي كان من

نتائج التملك غير المشروع، وتمثل بعض صورته في :

(١) الغصب والنهب والاحتيال ، والاختلاس ، وما جرى مجرى هذه الأشياء

بدون رضا أصحابها .

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾^(٢) .

(١) فتح القدير (٢٢٨/٤) للشوكاني .

(٢) آية / ٢٩ / ، سورة النساء .

كما نهى الإسلام عن بيع الغبن، وعن بيع الخمر والخنزير والأصنام، وهذا باب واسع يطلب في موضعه من كتب الفقه .

(٢) الربا : قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

فهو كسب باطل ويمحق البركة ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ ﴾ (٢) والربا هو زيادة أحد البدلين المتجانسين من غير أن يقابل هذه الزيادة عوض (٣) .

ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده . وقال هم سوا (٤) .

(٣) وحرم سوء استغلال السلطة لبيان أن الكسب الحلال هو ما أتى بطريق حلال وبمجرى طبيعي .

(٤) وحرم الشرع التسعير وجعله تدخلا لا مبرر له حيث أن الإسلام يحمي الملكية الفردية ويوجهها في المسار الصحيح .

(١) آية / ٢٧٨ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ٢٧٦ / ، سورة البقرة .

(٣) المبسوط للسرخسي ١٠٩ / ١٢ .

(٤) رواه البخاري ٧٣ / ٣ .

((المطلب الرابع))

أن المال مال الله، وللبشر حق الانتفاع

يقر الإنسان بهذه الحقيقة إذا أدرك حقيقة المال وعرف أنه أمرٌ عليه في الفترة الزمنية التي يحيها ، ومع كل هذا فهو مسئول عنه كيف اكتسبه وفيه أنفقته .

فاله سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض لأنه خالقهما .

قال تعالى * (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ * (١)

قال تعالى * (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا * (٢)

قال تعالى * (وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * (٣)

قال تعالى * (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ * (٤)

فإذا كان أي فرد أنشأ مبنى أو عمارة ما أو أي شيء ، وأعتبره الشرع والناس مالاً لما أنشأ ، ففي الحقيقة أن المالك له . ولما أنشأ هو الله سبحانه وتعالى خالق الكون ، والقرآن ينص على ذلك بوضوح ، فيقول الله سبحانه :-

* (وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا * (٥)

فملكته سبحانه وتعالى غير محددة بجزء معين في السماء أو في الأرض . أو

فيهما مقابل ملكيتهما له جميعاً .

-
- (١) آية / ١٠٢ / ، سورة الأنعام .
(٢) آية / ١٨٩ / ، سورة البقرة .
(٣) آية / ٢٩ / ، سورة آل عمران .
(٤) آية / ٣٢ / ، سورة إبراهيم .
(٥) آية / ١٧ / ، سورة المائدة .

وهو سبحانه وتعالى ليس له شريك في ملك هذا الكون .

قال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ (١) .

وحتى لا يفقد الإنسان الثقة في ملكيته الخاصة دفعه القرآن إلى العمل

على تعمیرها وإصلاح الفاسد منها .

قال تعالى ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٢) .

وبإصلاح الإنسان الأرض وتعميره إياها استحق خلافة الله في الأرض بأن

يقوم بالعدل والإحسان .

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) .

وبعد كل ذلك الذي منحه الله لعباده أن همأ لهم كل ما في الأرض وجعل

كل المخلوقات قائمة على أن تكون وفق نظام فيه راحة الإنسان .

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ

عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٤) .

إن من أجل نعم الله على الإنسان أن سخر له كل ما في السموات والأرض حتى

يخضع العباد لإرادته سبحانه وتعالى ويشكروه على نعمه الظاهرة والباطنة .

قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ (٥)

(١) آية / ١١١ / ، سورة الاسراء .

(٢) آية / ٦١ / ، سورة هود .

(٣) آية / ٣٩ / ، سورة فاطر .

(٤) آية / ٢٠ / ، سورة لقمان .

(٥) آية / ١٣ / ، سورة الجاثية .

وحتى لا يفتخر الانسان بكل هذه النعم المسخرة له فيظن أنه صاحبها ،
أرشده الله ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ ﴾^(١)

وقال تعالى ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢) .
وإذا أدرك المرء أن وراء هذا الكون إليها مدبراً قادراً عليهما فعليه أن يطلب
منه الرزق .

قال تعالى ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾^(٣) .

ورزق الله واسع وخيره عميم وفير وقوته متينة .

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾^(٤) .

ومال الله يستوجب منا الشكر لله على نعمه وعلى كل من يمتلك أى مقدار
من هذا المال أن يتصرف فيه لله وكما أمر الله به ويتجنب في تصرفه ما نهى الله عنه .

الأكل الحلال :

قال تعالى ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾^(٥) وهذه تربية قرآنية وقد
يشتط أحيانا داعية فيذهب إلى أن الاستمتاع بالطيب الحلال ملهاة عن الله .
فالقرآن يرد عليه قائلاً :

-
- (١) آية / ٢٤ / ، سورة سبأ .
 - (٢) آية / ٣ / ، سورة فاطر .
 - (٣) آية / ١٧ / ، سورة العنكبوت .
 - (٤) آية / ٥٨ / ، سورة الذاريات .
 - (٥) آية / ١٤١ / ، سورة الأنعام .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (١) .

وفي حدود التصرف في مال الله لا ينبغي الإسراف لأنه مخالف لمنهج

الله ومخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .

وينهى القرآن عن الطغيان فيقول عز وجل ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ (٣) .

وساطية التعامل :

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ

قَوَامًا ﴾ (٤) .

وينهى الله عز وجل عن القيود الناجمة عن المنع وعن الإسراف وزيادة البسط .

قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٥)

والآية الأولى تختار للمسلمين الوسطية وهي تربية تنمي فيهم حسن

التصرف . لا إسراف بحيث يفقد الإنسان كل ما معه ، ولا حجب ومنع يجعل الفقير

ينظر إليه بازدراة وكرهية ، إنما العدل في الإنفاق هام جدا لحياة المسلم :-

(١) آية / ٣٢ / ، سورة الأعراف .

(٢) آية / ٣١ / ، سورة الأعراف .

(٣) آية / ٨١ / ، سورة طه .

(٤) آية / ٦٧ / ، سورة الفرقان .

(٥) آية / ٢٩ / ، سورة الاسراء .

وكذلك الآية الثانية تنص على وسطية الإسلام وحسن التصرف في المعاملات

والإنفاق .

ما يترتب على كون المال لله :

يقول الشهيد عبد القادر عودة ^(١) رحمه الله :

يترتب على أن المال مال الله النتائج الآتية :

(١) لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يمتلك المال تملكا نهائياً، ولا يجوز لأحد أن يكون له على المال إلا ملك المنفعة لأن حقوق الله ثابتة له جل شأنه، وليس لأحد من البشر أن يتصرف فيها أو يتنازل عنها حاكماً كان أو محكوماً فرداً أو جماعة .

(٢) أن للجماعة بواسطة ممثلها من الحكام وأهل الشورى أن تنظم طريقة الانتفاع بالمال ، وإذ المال وإن كان لله إلا أنه جعله لمنفعة الجماعة، والقاعدة في الإسلام أن كل ما ينسب من الحقوق لله إنما هو لمنفعة الجماعة وهي التي تشرف عليه دون الأفراد .

(٣) أن للجماعة بواسطة ممثلها من الحكام وأهل الشورى أن ترفع يد مالك المنفعة عن المال إذا اقتضت ذلك مصلحة عامة بشرط أن تعوضه عن ملكية المنفعة تعويضاً مناسباً . إذ الإسلام لا يجيز الغصب ، ولا يحل أخذ المال بغير طيب نفس صاحبه ، كما لا يحل أخذه بالباطل ، وذلك

(١) عبد القادر عودة : محام من علماء الشريعة والقانون ، ومن الإخوان

المسلمين ، كتب نقداً على محكمة الشعب للرئيس المصري جمال عبد الناصر

توفي ١٣٧٤ هـ . الاعلام ٤٢/٤ .

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (١)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله " (٢)

وقوله " إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام " (٣)

(٤) إن الإسلام وإن كان يبيح حرية التملك إلى غير حد إلا أنه يجيز للجماعة بواسطة ممثلها وباعتبارها القائمة على حقوق الله وتنظيم الانتفاع بها أن تحدد ما يملكه الشخص من مال معين فقط إذا اقتضت ذلك مصلحة عامة لتحديد الملكية الزراعية بقدر معين أو ملكية أراضي البناء (٤)

ما يترتب على حق البشر في الانتفاع بمال الله :

ويترتب على أن للبشر حق الانتفاع بمال الله وتملك حق الانتفاع له نتائج

هي :

- (١) إذا كانت الجماعة قائمة على حق الله وهو ملكية المال ، فليس لها أن تمس ملكية الذات ، وليس لها أن تحرم ملكية الانتفاع التي جعلها الله للأفراد .
- (٢) إن ملكية المنفعة تتصل بالعين كما تتصل بالشخص ولمالك المنفعة أن ينقلها إلى غيره بالبيع والرهن والوصية وغيرها من التصرفات الشرعية ، كما أنها تنتقل عن المالك بوفاته إلى ورثته .

(١) آية / ٢٩ / ، سورة النساء .

(٢) الحديث رواه مسلم برقم ٢٥٦٤ . وانظر : رياض الصالحين للنووي ، باب

تحريم الغيبة ، تحقيق شعيب الأرنؤوط .

(٣) البخاري ج ٣ ص ٥٧٣ وفي أكثر من موضع ومختصر

(٤) المال والحكم في الإسلام ص ٤٦ ، ٤٧ ط . المختار الإسلامي بالقاهرة
عبدالقادر عودة .

((المطلب الخامس))

في: التفاوت في الأرزاق والحقوق في المال

أقتضت سنة الله في خلقه أن جعل الناس متفاوتين في المواهب والقدرات والاستعدادات ، وجميع حظوظ الدنيا .

والاسلام يؤكد هذا ويوجهه ، وليس من التدبير ولا من الحكمة في شئ أن يتساوى الناس ، فخلقهم مختلف وألوانهم وأشكالهم وميولهم كذلك .

ومن سنة الله هذا التدرج . قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ (١) .

فالله جعل آدم وذريته — خلفاء في الأرض يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضهم فوق بعض درجات في الرزق والشرف .

﴿ لِيَلْبِغُوا فِيهَا مَا آتَاكُمْ ﴾ من نعمة الله والجاه . . . فكيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضع والحر بالعبد والغني بالفقير (٢) .

ورفع الدرجات وتولية الخلافة حتى يختبر المؤمن فيما منحهم ووهبهم من نعمه التي لا تحصى .

وقسمه الله في خلقه بأن رفع بعض الناس على بعض بالمال أو الصحة أو الجاه فقال تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ﴾ (٣) .

-
- (١) آية / ١٦٥ / سورة الأنعام .
(٢) الكشاف للزمخشري ٥ / ٢ ، البحر المحيط ٢٦٣ / ٤ ، وانظر : الصاوي على الجلالين ٦١ / ٢ ، وانظر مختصر ابن كثير للصابوني ٦٤٢ / ١ .
(٣) آية / ٣٢ / سورة الزخرف .

وهناك حقوق أخرى في أموال القادرين كالنفقة على الأهل والأولاد ممن تلزمه نفقتهم وفق ضوابط ومعايير شرعية مرعية في هذا الباب تطلب في موضعها^(١).

وهناك حقوق اجتماعية وإنسانية كحق الضيافة ، وحق الجوار ، والإسلام دائما يحرك مشاعر الخير وصفات الكرم والبذل .

قال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) .

ووضع سبحانه وتعالى أدب الإنفاق ، وأدب الأخذ ، وربط الآخذ والمعطي بشعور إسلامي جياش . وقد أكد القرآن الكريم أن البذل في سبيل الله مطلب أسمى ومنزلة عليا فقال تعالى ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾^(٣) .

إن التوازن الاجتماعي هو القاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام بناءه .
وغرضنا مما سبق ليس الحصر وإنما الإشارة قدر الطاقة وحسب المقام .

وهذا التوازن الإسلامي مشاهد وملاحظ في عديد من أنظمة الإسلام وأقضيته الفذة ، ولكنه يبلغ الذروة في الجانب الاقتصادي لأهميته وكبير مكانته ، ويقوم هذا التوازن على عدة مبادئ أساسية عامة يقرها أصولا اقتصادية عادلة فاضلة في المال ، وشرائع الإسلام ، ونظمه وحدة متكاملة ، وكل مبدأ منها يفضي إلى الآخر .

(١) حقوق الانسان في الاسلام ص ٢٦٩ . د / على عبدالواحد وافي .
(٢) آية / ٢٦١ / سورة البقرة .
(٣) آية / ٩٢ / سورة آل عمران .

وهو بهذا يحمى الملكية الفردية ، ويوجه غريزة حب التملك التوجيه القويم الذي يلبي في النفس البشرية ميلها الفطري وحاجتها الطبيعية ونظرتها التطلعية إلى المال كي تبذل قصارى جهدها جمعا وحفظا وإنتاجا لنمو الحياة ثم يضع الحدود والضوابط الشرعية، ولهذا يحقق كافة المزايا ويقوم وسطا بين طرفي الغلو متمشيا مع الفطرة النقية . هذا هو منهج الإسلام في المال .

وهو منهج يختلف عن جميع المذاهب الاقتصادية الوضعية في المال فهو يختلف اختلافا كبيرا .

((المبحث الخامس))

توجيه حب السيطرة وحب الذات وما ينشأ عنهما من القتال والغضب

((المطلب الأول))

في : توجيه حب السيطرة وحب الذات

الحكم والسلطان مُمَثِّلان في المَلِكِ قيمة ضخمة من قيم الحياة إذ له من مظاهر الجاه والسلطان والزينة والمتاع ما يصرف النفوس عن حقيقة رسالته فتقدسه وتدين له بالطاعة دون اعتبار لفكرته وسلوكه وغايته .^(١)

وبمنظار غير إسلامي فإن تأكيد الذات كما يقولون يستوجب الاعتداد بالنفس والإحساس بالقوة ، وأيضاً حب الظهور والتفوق، وبخاصة أمام الجنس الآخر، ومحاولة التوضيح للآخرين أنه شخصية هامة وقادرة ومؤثرة .^(٢)

ولتأكيد الزعامة وتكثير الأتباع فليس بد أن يجيد دور الزعيم ، ويعزو بعض علماء النفس ظاهرة الزعامة إلى استعدادات خاصة بينما يذهب البعض الآخر إلى تفسير تلك الظاهرة بالتربية والتمرين .^(٣)

وتبدو دوافع السيطرة وتأكيد الذات في ميل الفرد إلى الظهور والتفوق والغلبة وبز الأقران ، والتنافس . وما التنافس إلا صراع يهدف إلى السيطرة والانتصار على الآخرين بإحباط جهودهم وعرقلة نجاحهم ونحوه .

(١) منهج القرآن في التربية ص ١٦٥ محمد شديد .
(٢) انظر : السلوك وانحرافات الشخصية ص ٩٢ يوسف أسعد .
(٣) المرجع السابق ص ٩٧ .

والسيطرة شائعة في عامة المجتمعات البعيدة عن تعاليم السما ، ويقدر بعدها عنه وعدم التزامها به تظهر هذه الصفة كما نرى في المجتمعات الغربية حيث ترى التنافس المرير والشريير أحيانا من جوانب الحياة . بل وبعض المجتمعات المسلمة لا تخلو أحيانا من هذا الاتجاه .

ولقد اعتبر " مكدوجال" السيطرة غريزة أى: دافعا فطريا يثيره وجود الفرد مع أفراد أدنى منه وأضعف ، أو وجوده في موقف يشعر بأنه له سطوة ونفوذ يتيح للفرد فيه التزم والتحكم وإظهار القوة ، وتأكيد الذات، وألى التفاخر والغرور والخيلا .

(١)
ولقد ذهب " أدلر " مؤسس مدرسة علم النفس الاجتماعي للفرد إلى أن السيطرة أقوى غرائز الانسان (٢) .

هذا بالنسبة للأفراد . أما الدول فترى الرغبة في التفوق على سائر أمم الأرض في العلوم والفنون وهذه الغاية تنافي فطرة الإنسان النقية في إشاعة الخير حيث يصبح كل فرد يهدف إلى التغلب على الآخرين ويفوقهم في الثروة والجاه والقوة والبطش ، ومظاهر الترف والنهم ويحتكر أرزاقهم ، ويحاول القبض على معيشتهم حتى تكون الملذات خالصة له ويكون وحده صاحب الأمر والنهي وغيير ذلك مما لا يعرف له مدى .

ولذا فهم قلقون حائرون ، ومثل هذا التنافس المادى الخالى من الروح يجعل كل مكان ينقلب إلى ميدان للصراع الذى لا يعرف الرحمة ويقل الأمن والسلام

(١) ادلر (الفرد) ، طبيب عقلي نمساوى مؤسس علم النفس الفردى . يعارضه

التحليل النفسى الفرويدى للجنس . الموسوعة العربية الميسرة/ ص ١٠٠

(٢) أصول علم النفس ص ١١١ ، ١٢٢ د / أحمد عزت راجح .

والوثام مهما وجد في الأمة من مال أو متاع .

ونستطيع أن نقول إن مثل هذا الشيء أعنى المال والجاه والتقادم المادى إن لم يصاحبه نصيب واف من الروحانية فإنه لا يطمئن الإنسان ولا يجلب له الخير بل قد يكون النقيض أقرب في كثير من الحالات .

والإنسان لديه دوافع خيرة وشريرة فإذا انحرفت هذه الدوافع وسلكت غير الطريق السليم وفشل الإنسان في ضبط دوافعه والتحكم فيها فأسرف في إشباعها وانغمس في لذاتها وجعل الحصول على لذة الإشباع هدفا في ذاته ، انحرفت الدوافع من أهدافها الصحيحة .

فالإسراف في العدوان مثلا انحراف بالدوافع عن حقيقتها بحيث يصبح هذا الإنسان ميلا في علاقاته مع الناس الي الظلم والعدوان ، والمعتدى يحب السيطرة عليهم دنيا واقتصاديا وعسكريا .^(١)

فهذا انحراف وحب بغيض للذات ، ومن ذلك مثلا حب الراحة والخمول والكسل والتنعم الذاتي وحده من غير اكتراث بمصالح وتطلعات الآخرين دون أن يلقى بالا لمسؤوليته تجاه غيره ، فكل هذا جنح وأنانية فردية ، وانما الاعتدال في إشباع الدوافع فيكون حسب توجيه القرآن الكريم ، كما أن عدم الإسراف فى إشباع هذه الغرائز وقاية للإنسان من الانحراف ، ولقد بلغ الأمر بالبعض أن زاد احساسه بنفسه وذاتيته فنسى وجود الآخرين وذلك حين فسدت فطرة الفرد وأحس بوجوده الذاتي احساسا بالغا فاعتدى على الآخرين ليحقق لنفسه أكثر مما ينهضى من المتعة والسيطرة الفردية الأنانية .

(١) انظر : القرآن وعلم النفس ص ٦٣ د . محمد عثمان نجاتي .

(٢) المرجع السابق .

وهذا حرص يصيب الأفراد حين يبالبغون في الإحساس بفرد يتهم، وهو دافع السيطرة ، وحب الذات، والرغبة في التميز والظهور والبروز . وما دام الجسد بنوازه وبواعثه ورغباته ومشتهياته هو المسيطر فسوف يسعى جاهداً ، وبلا هوادة إلى الظهور، والشهرة، والسلطان ، والجاه مسرعاً ليحقق لنفسه المتاع والأطماع وليضمن لها الفائدة التي يتصورها دون أن يتحاشى الظلم فينشأ عن ذلك شر وبيل .

وصحيح أن من الشهوات شهوة تبد وأحياناً شهوة نفسية لاصلة لها بالجسد إذ تستولي على أفراد لا هم لهم في الطعام والشراب والجنس والمتاع الجسد يوجه عام . كما يحدث في الطغاة المتكشفين من أمثال هتلر وستالين^(١) ، وأن هذه الشهوة تضخم للإرادة في كيان فرد مختل. أي تَضَخُّمٌ لِسِمَةِ هِيَ أَصْلًا من سمات الروح . والإرادة التي تُكُونُ الطغيان هي إرادة النوازع المرتبطة بكيان الروح . والحيوان يحب السيطرة . وبذا تصبح السيطرة الطغيانية عملية حيوانية تجر الروح في ركابها مقهورة مسلووبة مطموسة الإشعاع .

ويستوى أن يكون الطغيان سياسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، فردياً أو جمعياً فهو أصل واحد متعدد الأشكال ، وهذا كله حين الخواص الروحي وحاجة الإنسان إلى القيم الإيمانية بنية واضحة لتوجه مساره وتهديه سواً السبيل . فهو يحكم

(١) هتلر (أدولف) ، سياسي الماني ولد في النمسا ، كون حزباً ناز ، عرف بالتعصب للجنس الألماني ، توفي سنة ١٩٤٥ م . المنجد في الأعلام ص ٥٩٣ .

(٢) ستالين (يوسف) ، من زعماء الحزب الشيوعي والدولة الروسية . من أكبر قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، توفي سنة ١٩٥٣ . المنجد في الأعلام ص ٢٩٦ .

(٣) انظر : دراسات في النفس الانسانية ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ محمد قطب .

بإيمان وإحسان ويرعى شئون المسلمين ويتولى مصالحهم وفق معايير شرعية مرضية .
فيها الخير، والسمو، والعفاف، والطهر . فهو راع غير متسلط يبعد عن نفسه الأثرة
البغيضة والذاتية المرة يشرك فيه معه ، وأحيانا يصطفى غيره ويقدمه على نفسه .

يقول الباري جل وعلا : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا
وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١)

وسيطرة الأريحية والروح والنظرة التربوية القرآنية هي التي تدفع إلى
البذل والعطاء والإيثار لأنه يتولى شئون المسلمين ، ويرعى حقوق المؤمنين
ويكون نائبا عنهم في أى ولاية كانت ولكنه مع ذلك يتحرى الصدق والعدل والأمانة
والصيانة . يتحرى النظافة وينبذ الإيذاء والظلم والاستبداد فهو شورى لا استبدادى
متأن متعطف .

وينتج عن ذلك خير كثير وعطاء وفير فهو يحقق لنفسه أحيانا بعض النزعات
الفردية فيملك مثلا مالا أو جاها أو غير ذلك ولكنه مع ذلك مضبوط المسار بحكمه
إيمانه وبوجهه يقينه وإسلامه وهو في بروزه وولايته يتحرى البروز والظهور النظيف
الشريف العفيف عالما أن الولاية تكليف لا تشریف .

فهو يحس بخدمة الآخرين ومنفعتهم ومداواة جراحهم ومواساتهم والرفق
بهم والعطف عليهم والشفقة بهم . (٢)

محققا بذلك قول الحق سبحانه ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٣) .

-
- (١) آية / ٩ / ، سورة الحشر .
(٢) انظر في هذا دراسات في النفس الانسانية . مرجع سابق ، محمد قطب .
(٣) آية / ٧٤ / ، سورة الفرقان .

وهذه رغبة معترف بها عقلا وشرعا وتتفق مع طبيعة الإنسان الخيرة فـي
أن يحس الإنسان بأنه قدوة للخير فيأتم به الراغبين في الله وليس في هذا أثره
ولا استعلاء فالركب كله في الطريق إلى الله .^(١)

وقال بعض العلماء: في الآية دليل على أن الرئاسة في الدين يجب أن تطلب
ويرغب فيها وهذه درجة الصديقين والأكمل من عباد الله الصالحين، وهي درجة
الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوة للمتقين. وهذه درجة لا تتم إلا بالصبر واليقين .
قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَمْرِنَا يُوقِنُونَ ﴾^(٢)
فهم يطلبون أن يكونوا أئمة يقتدى بهم في الخير .^(٣)

وهو من التنافس الشريف النظيف المتوجه كله لله وحده لا تسلط فيه ولا أنانية
ولا أثره ولا حب بهيمي للحياة وما فيها ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾^(٤) .

فهذا البروز والظهور لا يتم على إهداء الآخرين والإيقاع بهم والاعتداء
عليهم كما تفعل بعض النفوس الجامحة الخارجة عن تعاليم السماء؛ تريد إشباع
شهواتها ونزواتها ولو على حساب أذى وضباع الآخرين . إنما السيطرة الحققة التي
تأمر بالحق وتأتيه وتنهي عن الشر وتنأى عنه فينشأ عن هذا السلوك السديد في
الولاية والرئاسة ورعاية مصالح المسلمين خير كثير . خير فردي بإعطاء الإنسان شخصيته

(١) في ظلال القرآن ١٨٧/٦ .

(٢) آية / ٢٤ / سورة السجدة .

(٣) مختصر ابن كثير للصاحبوني ٦٤٢/٣ .

(٤) آية / ٢٦ / سورة المطففين .

الحققة ، شخصية إيجابية فعالة متحركة لصالح الفرد والمجموع فهي نشطة إيجابية نافعة مستمتعة راضية حانية وينشأ من ذلك أيضا خير جماعي يتوجه الأفراد والجماعات إلى الخير والفضيلة ويزول الظلم والظغيان وتنحسر روافد ومقاصد الشر التي تنشأ غالبا من مجتمع خاضع سلبي يستسلم لكل ظغيان . وسيطرة الإيمان هي الضابط والموجه وصمام الأمان فهي لا تجرد الإنسان من مطالبه ونوازعه المعقولة والمقبولة ولكنها توجهه وترشده إلى أقوم سبيل^(١) .

(١) انظر : دراسات في النفس الانسانية (محمد قطب) مرجع سابق .

((المطلب الثاني))

في بعض روافد حب السيطرة وحب الذات

هذه الروافد تعد عوامل مؤثرة في الرغبة القوية وتحقيق النفوذ والسيطرة .
ولا شك أنها عوامل تثير الإنسان الجانح إلى الرغبة في الاستزادة من تحقيقها
وسوء استخدامها وهي كثيرة وأهمها :

١ - حب المال :

حب المال غريزة مركوزة في النفس البشرية باعتباره نافذة من نوافذ إخراج
الطاقة الداخلية في تحقيق الذات وبسط السيطرة .

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۗ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۗ وَإِنَّهُ لِحُسْبِ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۗ ﴾ (١)

ومعنى الآية : " إن الانسان لربه لكنود " أي أن الانسان لجاحدٌ لنعم ربه ،
شديد الكفران .

قال ابن عباس : جاحد لنعم الله ، قال الحسن : يذكر المصائب وينسى
النعم .

" وإنه على ذلك لشهيد " أي وإن الانسان لشاهد على كفره وجحوده
لا يقدر على إنكاره لظهور أثره عليه .

(١) آية / ٦، ٧، ٨ / ، سورة العاديات .

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو محمد . خامس الخلفاء
الراشدين ، وثاني الأئمة الاثنى عشر عن الإمامية ، توفي سنة ٥٠ هـ ، الاصابة
٣٨ / ١ ، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩٥ ، الأعلام ٢ / ١٩٩ .

﴿ وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ أي إنه لشديد الحب للمال حريص على جمعه ، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متعاس (١) .

والآية تشير إلى حقيقة هامة وهي: أن حب الإنسان للخير يدفعه إلى السيطرة باعتبار المال من أكبر عوامل الرغبة في السيطرة والنفوذ .

وقد حذر القرآن الكريم من مغبة النظرة الجامحة للمال فقال تعالى ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٢) .

أي أن الأموال والأولاد زينة الحياة الدنيا الفانية ، ذاك مثلها ، وهذه زينتها والكل إلى فنا ، وزوال ، ولا يفتر بها إلا جهول أحقق .

﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾

أي أعمال الخير تبقى ثمرتها أبد الآباد فهي خير ما يؤمله الإنسان ويرجوه عند الله .

قال ابن عباس : الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس ، وعنه أيضاً أنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة (٣) .

٢ - كثرة الأولاد :

يقول رب العزة والجلال ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٤) .

-
- (١) صفوة التفاسير ٣/ ٥٩٣ .
(٢) آية / ٤٦ / ، سورة الكهف .
(٣) صفوة التفاسير ٢/ ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٤) آية / ٤٦ / ، سورة الكهف .

فقد ذكرت الآية مظهرا من مظاهر نفوذ الإنسان واغتراره بنفسه وهو كثرة الولد، والآية إذ تقرّر هذه الحقيقة فإنما تأخذ على صاحب هذا المسلك . والآية تبين أن كثرة الأولاد من زينة الحياة الدنيا ، ومن زيادة الجاه ، بيد أن ما يدخره المرء عند ربه من العمل الصالح وفعل الخيرات والإنفاق في السر والعلن وسائر القربات إلى الله تعالى، خير من ذلك . والقرآن يشير إلى ذلك في غير موطن ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ (١) .

أى زين للناس حب الشهوات من نساء وبنين . . . الخ

وذكر النساء أولا لكثرة تشوق الناس إليهن لأنهن أحب ما ذكر ولذلك قد من وخص البنين بقوله .

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٢) .

وهذه الآية تبين اعتزاز الإنسان بذريته وفخره بها . والواقع أنها ابتلاء من الله ليعلم هل يشكر العبد على نعمة الأبناء أم يكفر ويفتر، يزعم أنها ذاتية وأنه الأصل في وجود أبنائه .

قال تعالى ﴿ وَعَلَّمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

(١) آية / ١٤ / ، سورة آل عمران .

(٢) آية / ١٥ / ، سورة التغابن .

(٣) آية / ٢٨ / ، سورة الأنفال .

وقد تعدد تأكيد القرآن الكريم على هذا الابتلاء من الله عز وجل لعباده،
فقد ارشد الله عز وجل أولئك الذين يسيئون استخدام هذه النعمة فقال ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ^(١) ﴾ باعتبار أن كثرة الاشتغال
بالأولاد ملهية عن ذكر الله وسائر الطاعات .

وبنه سبحانه وتعالى علي أن كثرة الأولاد ليست من القربات فقال تعالى ﴿ وَمَا
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى ^(٢) ﴾ .

والقرآن يقرر أن كثرة الأولاد لا تنفع المرء يوم القيامة فيقول سبحانه وتعالى :
﴿ لَنْ نَنْفَعَكَ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ^(٣) ﴾ .

ولذلك نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الإعجاب بأبناء المشركين
فقال تعالى ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ^(٤) ﴾ .

وبدفع الله عز وجل نظر المؤمنين عن التطلع والرغبة في كثرة عدد المشركين
أو أموالهم . يقول تعالى : ﴿ لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا ^(٥) ﴾ .

ويجسد القرآن الكريم هذا الانبهار بالأموال والتفاخر بالأولاد فيقول سبحانه
وتعالى ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُكَونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ^(٦) ﴾ .

-
- (١) آية ٩ / ٩ ، سورة المضافون .
(٢) آية ٣٧ / ٣٧ ، سورة سبأ .
(٣) آية ٣ / ٣ ، سورة الممتحنة .
(٤) آية ٥٥ / ٥٥ ، سورة التوبة .
(٥) آية ١٧ / ١٧ ، سورة المجادلة .
(٦) آية ٢٠ / ٢٠ ، سورة الحديد .

فالتكاثر في الأولاد متاع في الحياة الدنيا وهو متاع المفترين المستكبرين .
إن كثرة تناول القرآن الكريم لقضية الأولاد باعتبارهم مظهرًا من مظاهر
الافتتان لهو أبلغ دليل على أن هذا النزوع لا أساس لصحته ولا قيمة له عند الله .

والمسلم إذ ينشأ على المبادئ الفاضلة والأخلاق الحميدة القائمة على
مسؤوليته عما يفعله وأنه لا يجنب من ثمرة ولده وفضلته كبده شيئًا خلا ثواب التربية
الذي يجده عند الله باعتبار أنه راع ومسئول عن رعيته ومن رعيته أبنائه .

والقرآن الكريم بلغت نظر المسلمين إلى أن ثمرة الأولاد يجب أن تكون قربة
إلى الله لا أن تكون شاغلًا يبعد عن الله عز وجل .

٣ - حب الجاه :

وهو من أخطر مظاهر حب الذات سيما عندما يتقلد الإنسان منصبًا ما فيميل
إلى رفاق السوء وبطانة اللهو التي تزين له سوء عمله فيراه حسنًا ، هؤلاء الذين
يحنون رؤسهم ويقبلون الأرض بين يديه كيما يتمكنوا من الاستحواذ على ما ليس
لهم بحق ويأتون ما طاب لهم من انحرافات وهم بمنأى عن المسائلة أو العقوبة .

لكن المؤمن يؤمن بقوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ
تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلِيُّ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

(١) آية / ٢٦ / ، سورة آل عمران .

وعندما نلقي الضوء على من يحرصون على الجاه فَحَرِيٌّ بنا أن نبدأ بالزعامة نفسها باعتبارها منتهى تحقيق حب الذات لا سيما الطموح المفضي إلى النفوذ . فعلماء الاجتماع يقولون : " إن للسلطة أشكالاً متعددة وهي جزء لا يتجزأ من أى نظام اجتماعي ، وهي في أبسط صورها وأقلها اجتماعية تبدو في صورة مجرد القوة اللازمة للسيد على السيد ، وسلطة الحاكم المستبد على المحكومين ، فهنا قد تتوقف السلطة على الجزاء الذي تتحكم فيه فحسب ، ولكن بالإضافة إلى ذلك فإن من لواحق السلطة أن المحكوم يتخذ موقف الرضا بتلقي الأوامر في خضوع التابع لصاحب السلطان وقد تكون التقدمة التي تصدر عن المحكوم احتراماً للسنن أو للثروة ، وقد تبدو كمحتويات مجردة أو غير شخصية الحاكم - وما يعزز السلطة ويمكن لها تلك البواعث المتعلقة بالمصالح الشخصية ، فالخضوع في أكثر الأحيان هو مظهر لمصالح شخصية تستبق الحوادث في تخيل الفوائد المرتقبة نتيجة للخضوع (١) .

لا شك أن مقومات الزعامة الشخصية ، تختلف من حاكم لآخر وتختلف عن سلطة الوظيفة من حيث أنها تتوقف على الشجاعة والسمعة والمهارة ، والقدرة على الخطابة وغيرها من صفات الزعيم .

إن الزعما هم أهل الصدارة والقيادة والتوجيه في المجتمع ، ومضى قدرة الزعيم في الحكم وجدارته تلك التي تنبع من ترجمة الأقوال إلى أفعال ومن إقامة العدل . فقد قيل العدل أساس الملك ، والله سبحانه يقول ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذَّهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) . وليس للزعامة الناجحة ضرورة للقوة والبطش ، وتجاوز الحقوق وتناسي واجبات الولاية ، والتماس عثرات المحكومين .

إن قيمة التأثير في سلوك الجماعة بالحجة واللين ما لم تدع لغيره ضرورة ، وتكون بالمجابهة والحسم إزاء الخروج على المجتمع ما لم يكن في غيره مندوحة .

(١) أسلوب السخرية في القرآن ص ١٩٦ ، د . عبد الحلیم حفني .

(٢) آية / ١٧ / ، سورة الرعد .

((المطلب الثالث))

في الغضب

١ - أسباب نفسية :

للغضب أسباب واقية وأسباب داعية - فمن أسباب الغضب :
المرض ، ضعف البنية ، وكثرة العمل ، والسهر ، وتشتت الفكر ،
وانجذابه نحو الدنيا ، وكثرة التفكير ، والطمع الشديد ، وهي أسباب جالبة
للغضب وهي أصعب الأنواع كلها .

ومما يبدى الغضب الزهو والفخر والاعتزاز والحمية ، والأسباب المهيجة
للغضب هي :

الكبر ، والعجب ، والمزاح ، والهزل ، والهزء ، والتعبير ، والممارسة ،
والمضادة ، والغدر ، وشدة الحرص على فضول المال ، والجاه ، وهي بأجمعها
أخلاق رديئة مذمومة .^(١)

إزالة أسباب الغضب الظاهرية :

قال أبو حامد الغزالي رحمة الله تعالى عليه : لا بد من إزالة هذه
الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن تمتت الزهو بالتواضع ، وتمتت العجب بمعرفة نفسك
بنفسك . . . وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب
أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد ، وإنما الفخر
بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم

(١) أحياء علوم الدين ١٦٨/٣ ط . عيسى الحلبي .

تتخل عنها فلا فضل لك على غيرك فليم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما المزاج : فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر ، وتفضل عنه . إذا عرفت ذلك ، وأما الهزل : فتزيله بالجد في طلب الفضائل ، والأخلاق الحسنة ، والعلوم الدينية التي تبلغك سعادة الآخرة .

وأما الهز : فتزيله بالتكرم من إيذاء الناس ، وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك .

وأما التعبير : فالحذر من القول القبيح صيانة للنفس عن مرّ الجواب ، وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعاً من ذل الحاجة^(١) .

وأبو حامد الغزالي في الفقرتين اللتين أقتبستهما عنه يشخص الداء تشخيصاً دقيقاً باعتباره مرضاً من أمراض النفوس . والنفس الأمارة بالسوء متسلطة على صاحبها دافعة به إلى الردى . والنفس المطمئنة بعيدة عن هذه التصرفات التي تورث العواقب الوخيمة .

لكن لو أن الزمام انفلت من الفرد وسقط في المحذور من هذه الأمراض النفسية هنا تجيء الفقرة الثانية ليتبين للإنسان كيفية إزالة هذه الأمراض وهو ينبه أن ذلك لا يتم بسرعة آلمة ، بل يستغرق فترة انتقال . قال عنها الغزالي : " وكل خلق من هذه الأخلاق ، وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة ، وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغيب النفس عنها وتنفر

(١) أحياء علوم الدين ٣ / ١٦٨ .

من قبها ثم المواظبة على مباشرة أزدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس * فسر أغوار النفس يحتاج إلى حنكة وتريث يدفع إلى التأمل في بواعث هذا الغضب ومحاولة مقاومة هذه البواعث الدفينة في النفس .

٢ — مظاهر الغضب الجسمية وكيفية علاجه :

الغضب هو غليان داخلي وهو حركة نفسية تهيج الدم في القلب فيثور وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن ، كارتفاع النار إذا استقرت وكالماء إذا اشتد غليانه ، فيحمر الوجه والعينان وتنتفخ الأوداج وتتقلص الشفتان ، كل هذا وغيره يحدث إذا غضب على من دونه ، أما إذا كان غضبه على من فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب فيصفر لونه ، وإذا كان غضبه على من في منزلته تولدت فيه حال يجمع بين الحالتين السابقتين (١) .

وهو انفعال هام يؤدي وظيفة هامة للإنسان إذ يؤدي حسب رأى البعض إلى حفظ ذاته وخاصة حال اعتداله ، فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته زيادة هائلة تمكنه من القيام بالمجهود المضني سيما عند الدفاع عن نفسه والتغلب على ما يعترض سبيله ويوقف في طريقه .

الغضب في الله :

أشار الكتاب العزيز إلى أن بقتال الذين يصدون عن سبيل الله بالحيلولة دون تبليغ دعوة الحق ، فالقتال هنا ليس منه بد ولا مندوحة عنه ، وهو غضب في سبيل الله .

(١) المرجع السابق ٣ / ١٦٨ أنظر في هذا المعنى : الخلق الكامل . محمد أحمد جاد المولى ٤ / ٣٨٤ .

قال تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ ﴾ (١)

هذه صفة المؤمنين ، أشداء لا يلينون ، إزاء الكفار ، هم أنفسهم - المؤمنون -

رحماء أبرار بين أهل الإسلام ، فلا هوادة في قلوبهم بالكفار ، بينما تنطوى على

الخير كله بإخوانهم ، يعرف ذلك بسمتهم ، إزاء هؤلاء وأولئك ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

قال النسفي : ﴿ وليجادوا فيكم غلظة ﴾ شدة وعضفا في المقال قبل

القتال ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ بالنصرة والغلبة عليهم . وهذه تربية (٣)

قرآنية للمسلمين أثناء القتال ، وفيها أرشدهم الله أن يبدءوا بالأقرب فالأقرب من

الكفار بالشدّة والغلظة في القتال والثبات وبين أن المعونة منه سبحانه ينزلها

بقدر التقوى فلا زموا تقوى الله ليثبتكم وينصركم على عدوكم وهذا العموم في قوله تعالى

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ مخصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال

غير الذين يلوننا وأنواع المصالح كثيرة جدا . (٤)

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٥)

(١) آية / ٢٩ / سورة الفتح .

(٢) آية / ١٢٣ / ، سورة التوبة .

(٣) تفسير النسفي ١٥١ / ٢ ط . عيسى الحلبي .

(٤) تفسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان ١٤٨ / ٣

(٥) آية / ٩ / سورة التحريم .

وهذا شامل بإقامة الحجّة عليهم ودعوتهم بالموعظة الحسنة ، وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال ، وأيضا جهادهم بالسلاح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله وينقاد لحكمه فإن هذا يجاهد ويفلظ عليه ، الكفار بالسيف والمنافقون^(١) بالقول الغليظ والوعد البليغ ، واغلظ عليهم أى على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان^(٢) .

غضب موسى عليه السلام حين عاد إلى قومه ووجدهم يعبدون العجل الذى صنعه السامرى ، فألقى الألواح وأمسك برأس أخيه وجذبه إليه معنفا * (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَسیفاً قَالَ بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين^(٣) *)

قال الشوكاني : هذا بيان لما وقع من موسى بعد رجوعه . . . والأسف شديد الغضب . قبل هو منزلة من الغضب أشد منه . . . الخ^(٤)

والإنسان يستجيب أحيانا لانفعالات الغضب فيوجه العدو ان إلى من حال بينه وبين رغباته وأهدافه أشخاصا كانوا أم جماعات .

وقد ذكر القرآن صورا أخرى منها . مثلا: وصف القرآن للمنافقين أنهم بعضون

أنا ملهم من غيظهم من المؤمنين .

-
- (١) تفسير العزيز الرحمن ١٤٧/٨ .
 - (٢) تفسير النسفي ١٧٣/٤ .
 - (٣) آية / ١٥٠ / ، سورة الأعراف .
 - (٤) فتح القدير ٢٤٨/٢ للشوكاني .

قال تعالى ﴿ هَآأَنُتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١) .

وقال الشوكاني : " وإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ " تأسفاً وتحسراً . حيث عجزوا عن الانتقام منكم . والعرب تصف المغتاظ والنادم بعَضْفِ الْأُنَامِلِ وَالْبِنَانِ ، ثم أمره الله سبحانه بأن يدعو عليهم ، فقال ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ وهو يتضمن استمرار غيظهم ما داموا في الحياة حتى يأتيهم الموت وهم عليه ، ثم قال ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ فهو يعلم ما في صدورهم .
والمراد بالصدر : الخواطر القائمة بها ، وهو كلام داخل تحت قوله " قُلْ " فهو من جملة المقول " (٢)

وحيثما يغضب الإنسان يفقد أحياناً السيطرة على ذاته وتفكيره وتتعطل قدرته على التفكير الصائب والرأى السديد، وتصدر عنه بعض الأعمال سرعان ما يندم عليها ويود الخلاص منها (٣) .

وقصة موسى عليه السلام في الآيات السابقة واضحة . ولما عرف موسى ما أحدثه قومه استغفر الله فقال ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٤)
وإذا كان الإنسان أثناء غضبه قد يرتكب بعض المخالفات . وقد يندم على ما فاتته

(١) آية / ١١٩ / ، سورة آل عمران .

(٢) فتح القدير ٣٧٦ / ١ للشوكاني .

(٣) انظر : هذا المعنى في القرآن وعلم النفس (ص ٧٤) د . محمد عثمان

نجاتي .
(٤) آية / ١٥١ / ، سورة الأعراف .

فان عليه حسب توجيه القرآن ألا يفعل شيئا يندم عليه، كما يجب عليه
أن يتأدب بآداب القرآن الكريم والسنة المطهرة في السيطرة على الغضب .

وتتضح حكمة الله في توجيهه وتأديبه بالتحكم في هذا . وكظم الغيظ .

" ويحدث أثناء الغضب أن تفرز الغدتان الكظريتان الأدرنالين الذي
يؤثر على الكبد ويجعلها تفرز كمية أكبر من السكر مما يؤدي إلى زيادة الطاقة في
الجسم وتجعله أقدر على بذل المجهود العضلي اللازم للدفاع والمقاومة والبطش
أحيانا ، وهذه تجعل الإنسان أكثر استعدادا للعدوان غير الواعي (١) "

ولذا تصبح القدرة على التحكم عند الغضب أمرا بالغ الأهمية من وجوه :-

- (١) يجعل المرء قادرا على التفكير الصائب .
- (٢) يحفظ للإنسان كيانه واتزانه ويبعده من التبذل والخروج عن اللياقة أحيانا .
- (٣) يحفظ العقلانية الجالبة للهدوء والتبصر في نفس الخصم .

قال تعالى موجه ومرشدا ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٢)

- (٤) التحكم في الغضب يبعد الإنسان عن كثير من الأمراض العامة وأمراض العصر
بوجه أخص وثبت علميا دور الانفعال النفسي في كثير من الأمراض بد^(٣) واضعفة .

(١) علم الحيوان العام . د . أحمد حماد الحسيني : ص ٤٦٣ ، الهرمونات :

د . ابراهيم القيعي ص ٢٣ .

(٢) آية / ٣٤ / ، سورة فصلت .

(٣) الغضب النفسي . د / صلاح مخيمر ٢١١ / ٣ .

الغضب لغير الله :

وهو رغبة الإنسان في تحقيق مآرب شخصية ونزوات نفسية . هذه المآرب وتلك النزوات تدفعانه إلى الحرص والطمع والسيطرة ونحوها ، فمن أجل ذلك يغضب لنفسه ويبطش بغيره ويبسط نفوذه بالقوة ويلحق الضرر بالآخرين .

وصف مظاهر الغضب عند المحدثين :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
أوصني قال " لا تغضب " فردد مرارا قال لا تغضب^(١) رواه البخارى
" الأدب المفرد ٧٦ "

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب " .^(٢)

وقال الحسن " أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحرمه الله على النار:

من ملك نفسه عند الرغبة، والرغبة، والشهوة والغضب .^(٣)

وقد مر حديث عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:

" كان خلقه القرآن " .^(٤)

ولما رأى صلى الله عليه وسلم النخامة فقام فحكها بيده الحديث^(٥)

-
- (١) دليل الفالحين (١٩٣/١) وجامع العلوم والحكم ابن رجب (٣٥٣/١)
 (٢) دليل الفالحين (١٨٩/١) ، جامع العلوم والحكم ابن رجب (٣٦١/١)
 (٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٣٦٣/١) .
 (٤) سبق تخريجه .
 (٥) البخارى (٤٢٨/١) ، (٤٢٩/١) مسلم (٥٥١) ، انظر : رياض الصالحين تحقيق شعيب الأرنؤط ص ٣٠٨ .

قال العلماء الواجب على المؤمن أن تكون شهوته مقصورة على طلب ما أباحه الله له وربما تناولها بنية سالحة فأثيب عليها، وأن يكون غضبه دفعا للأذى في الدين . له أو لغيره ، وانتقاما ممن عصى الله ورسوله وقد قال عمر بن عبد العزيز: قد أفلح من عصم عن الهوى والغضب والطمع .^(١)

ولما كان الغضب من نزعات الشيطان ولذا يخرج المرء عن اعتداله فيتكلم بالباطل ويفعل المذموم فإن المسلم غضبه لا يكون إلا لله ، أما الغضب لغير الله فهو مطمع شخصي وفرض نفسي دنئ ، فقد أخرج مسلم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قال : قلنا: الذي لا تصرعه الرجال . قال: ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب " .^(٢)

والحديث لا ينفي وجود الغضب ولا ينكره ، لأن المؤمن لا بد أن يكون له موقف يغضب للحق ينصره ، وللمظلوم فيرفع عنه ظلمه ، وللضعيف يدافع عنه ويعينه .

علاج الغضب :

الغضب الكثير والذي يتجاوز حد العقل والشرع والمنطق يسمى تهورا، وهو جنون مؤقت يعاود صاحبه كلما دعت إليه أسبابه ، وقد يثور صاحبه لغير مصلحة راجحة كالذي يحدث في المناقشات والمناظرات ، وكما جلب مثل ذلك من حسرة،

(١) انظر : جامع العلوم والحكم ابن رجب (١/٣٦٢) .

(٢) أخرجه مسلم ٤/٢٠١٤ ، رقم (٢٦٠٨) ، وأبو داود رقم (٤٧٧٩) ،

والبيهقي ٤/٦٨ ، وابن أبي شيبة ٨/٣٤٤ .

وفرق من جمع ، وشتت من شمل . وهو مذموم وقبيح العواقب ، وقد ذمته جميع الشرائع، وأمرت بالبعد عنه إذا نفيخرج صاحبه من دائرة العقل والمنطق إلى دائرة الجنون والسفه .

أما التوسط والميل إلى الاعتدال والقبول فتترتب عليه مصالح لأن أثره محمود كالغضب لإنكار المنكر، ونصرة المظلوم أو للمحافظة على سلوك سبيل الرشده ، أما إذا انتقصت هذه الصفة فإنه يورث ذل النفس ومهانتها ، وكثيرا ما يلتبس الحلم بالجبن . وإنما يكون الكف عن الغضب حلما متى صاحبه القدرة على الانتصار ، كما أن ترك السباب فضيلة حميدة .

ولكن هل يحدث الغضب اضطرارا أم اختيارا ، في ذلك خلاف. لكن العاقل يوطن نفسه ، ويحاول كظم غيظه ، ورد عدوان نفسه ، ويجاهد نفسه حتى تنطبع على ذلك .

ويمكن للمسلم علاج غضبه بأحد الوسائل الآتية :

(١) يقول الغزالي : " أن يخوف نفسه بعقاب الله ، وهو أن يقول قدرة الله عليّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه علي يوم القيامة ، والإنسان أحوج ما يكون إلى العفو " (١) وإذا شعر الإنسان بالعقوبة من طريق إحساسه الداخلي وتذكر مواقفه لحظات الألم والأسى مع قياس الفارق مع عقاب الله رجع عن الغضب وأتاب إلى الله عز وجل .

(١) أحيا علوم الدين ٣ / ١٦٩ .

- (٢) يقول الغزالي : " أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام، وتشمم العدو لمقابلته والسعى في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه " فليس الغضب بضروري^(١) للإنسان بل العكس، لأن الإنسان أفضل المخلوقات وأفضلها خاظة إذا تسلح بالإيمان والعقل والتوجه الصحيح .
- والغضب بوجه عام يناطح فطرة الإنسان في القرب والتجمع والمحبة والألفة والتعاون .
- (٣) العلاج الأول : هو العلاج بالقرآن الكريم والسنة وسيرة سلف هذه الأمة يقول الغزالي : ففي سير السلف الصالح فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم ، والتشفي والانتقام وينطفى عنه غيظه .
- (٤) يقول الغزالي : " أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ، ويتفكر في قبح الغضب نفسه ، ومشابهة صاحبه للكلب العاوى والسبع الضارى ومشابهة الحلیم الهادى التارك للغضب بالأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء^(٢) ويخير نفسه في التشبه بين أيهما .
- إن الغضب يشوه الخلق والخلقة ويجعل من الإنسان المستقيم إذا غضب صورة غير مقبولة وهو في تطرفه رذيلة ، ويوقع في أمور لا تحمد عقباها . والنفوس المتزنة المعتدلة المستقيمة وفق شرع الله وأمره قد تتخلص أو تتخفف من الغضب وفق معايير ومقاييس الشرع المطهر .

(١) احياء علوم الدين ١٦٩/٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٥) يقول الغزالي : " أن يتفكر في السبب الذي يدعو إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا يهد أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة ، والافتضاح اذا أخذ هذا بيدك وانتقم وتحذرين أن تصغرى في أعين الناس ، ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبيين " (١) .

إن دراسة أسباب الانتقام في تربيته وتدبر يجعل الإنسان يحول رأيه ويغير اتجاهه عن الغضب، أن تذكر عواقب الغضب من مرض واعتلال صحة وفرقة وجفوة ومحاولة لإقتلال من الاجهاد والاشتغال بالأمر العقلية لمن لا يطبقها والمحافظة على ضرورات الجسد الأساسية كالنوم والأكل السليم والترويح عن النفس التي إذا كلت عميت، والبعد عن المزعجات والمثيرات ومنها الرضا بما قسم الله والصبر على أقدار الله . (٢)

(١) احيا علوم الدين ٣ / ١٦٩ .

(٢) انظر في هذا الخلق الكامل / محمد جاد المولى ، مرجع سابق ، وانظر أيضا دراسات اسلامية ص ٤٥ للدكتور عبد الله دراز .

الفصل الثالث

تربيت القرآن الكريم في تربية للاسرة
وفيه مبعثان

المبحث الأول

في استلوا القرآن في تربية للاسرة

المبحث الثاني

دور الوالدين في إعداد الولد الصالح

((الفصل الثالث))

في تربية القرآن للأسرة

وفيه مبحثان

((المبحث الأول))

في : أسلوب القرآن في تربية الأسرة

وفيه مطالب

((المطلب الأول))

في : مفهوم الأسرة

تعريف الأسرة اللغوي :

الأسرة لغة : أسرة الرجل رهطه لأنه يتقوى بهم^(١) ، فهم أهل بيت الإنسان ورهطه الأدنون ، وأسرة الرجل عشيرة الرجل وأهل بيته^(٢) ، والأسرة الدرع الحصينة^(٣).

والأسرة: الربط والتوثيق، ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقيد وهو الأسرار، وفرس مأسور الخلق وفرس مأسور بالعقب^(٤).

يقال شد الله أسر فلان إذا قوى خلقه أي شد دنا خلقهم أو شد دنا أوصالهم

بعضاً إلى بعض العروق والعصب ، معنى شد دنا توصيل عظامهم بعضاً ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب ومثله قولهم : جارية معصوبة الخلق ومجدولته^(٥).

(١) مختار الصحاح ص (١٦) .

(٢) لسان العرب مادة (أسر) .

(٣) القاموس المحيط ٦٠/١ ، لسان العرب مادة (أسر) ٧٦/٦،٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٦٠/١٣ .

(٥) الكشاف الزمخشري ١٢٢/٤ .

والأسرة بالمفهوم الشائع تعني الأهل إذ ورد أن أهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم نسب كما يعبر بأهل الرجل عن امراته^(١).

وفي الوقت الذي نجد أصل الأسرة في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات الشرقية هو القيد بكل ما تحمله هذه الكلمة من ظلال وإيحاءات نفسية توحى بالعبء الملقى على الإنسان ، ومدى ثقل هذا العبء ، نجد الأسرة في الإسلام لا تحمل هذا المعنى على الإطلاق ، ومن ثم لم ترد كلمة الأسرة إطلاقاً - بهذا اللفظ - في القرآن الكريم وإنما نجد كتاب الله المحكم يستخدم كلمة " الأهل " بمعنى الأسرة . هذا ومن الملاحظ على هذا المعنى الأول الذي يحس فيه الإنسان بالتبرم والضجر فإن الأسرة في الإسلام . . ما هي إلا راحة نفسية وسكينة وطمانينة بدونها لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة إنسانية حقة ، فالأهل في اللغة العربية مشتق من الفعل " أهل " على وزن رضي بمعنى أنس أي استراح وهدأ واطمأن يقال آنسه مؤانسة لطفة وأزال وحشته^(٢).

والأسرة إذا قصد بها في اللغة القيد: فإنما لأن الأسرة لها ضوابط ومعايير اجتماعية وخلقية ودينية لا يستطيع الفرد أن ينفك عنها .

تعريف الأسرة في الاصطلاح العلمي :

إن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع الإنساني ، وهي بدورها تغذي هذا المجتمع بكل المبادئ الخلقية .

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ١٧) للراغب الأصفهاني ط مكتبة الانجلو

سنة ١٩٧٠ .

(٢) (٣٠٢) الأسرة المسلمة المعاصرة ص ١٩ وما بعدها د . عبدالغني عبود . ط . دار الفكر العربي بالقاهرة .

" يرى كثير من المفكرين وخاصة الأمريكان أن الأسرة تعنى وحدة اجتماعية ذات استقلال اقتصادى منزلي بقطع النظر عن جنس أفرادها أى سواء انطوت مجموعتها على وجود نساء وأطفال أو اقتصرت على عنصر الرجال فقط وسواء كانت تربطهم قرابة يقرها ويحدد لها المجتمع أم لم توجد بينهم هذه الرابطة " (١) .

وهذا المعنى الذى لا يعطى مفهوما دقيقا للأسرة بحيث يمكن أن يكون كل فرد مستقل في معيشته يمثل أسرة وهذا ما يخالفه الواقع الاجتماعى للبشرية جميعا .

وتطلق كلمة الأسرة على مجموعة جمعيتها أرضية واحدة وعيش واحد كالأصدقاء الذين يعيشون حياة منزلية واحدة كالمؤسسات الاجتماعية التى تهتم بالأفراد كدور الحضانة وملاجئ العجزة، واعتبارا لذلك رأى البعض الآخر أنه من الأفضل أن تطلق في مثل هذه الوحدات ذات الطابع الاقتصادى والمعيشى اسم العائلة سواء أكانت مرتكزة على القرابة أم لم تكن كذلك . أما لفظ الأسرة بالمعنى العلمى الاجتماعى فيكون مقصورا على نظم الأسرة الزوجية وما تنطوى عليه من اعتبارات متعلقة بنطاقها ومحور القرابة فيها " (٢) .

وهذا أقرب إلى الواقع الاجتماعى وألصق بالمضمون اللغوى .
فالأسرة اتحاد أفراد يجمعهم إلى جانب الاستقلال الاقتصادى والحياة المشتركة في منزل واحد وشائج قرى متينة تحتم مسؤوليات محددة وحقوقا معينة وإلا أصبح كل تواجد اجتماعى أسرة ، ولأصبح كل مجتمع أسرة .

(١) دراسات في الاجتماع العائلى ص ٤٤ د . مصطفى الخشاب . ط . الدار

القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦

(٢) نظام الأسرة في الاسلام ص ١١ ، محمد التومى .

((المطلب الثاني))

في عناية الاسلام بالأسرة

تعتمد التربية في القرآن الكريم على تسليم المسلمين جميعا من الجنسين بأن الخالق واحد سبحانه وتعالى، بيده الأمر وهو على كل شيء قدير . وإذا استقر هذا المبدأ في نفس كل أسرة مسلمة — وهو بالطبع كذلك — فهي أسرة قرآنية لخص فلسفتها سيدنا إبراهيم حين قال ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ . ﴾ (١)

ولما كانت الأسرة شأنها شأن أى ظاهرة اجتماعية عرضة لتقلبات الزمان . والإنسان عرضه لتغير العواطف، والقلوب عرضة للمشاكل التي قد تعصف بتماسكها وتفكك أواصرها فإن الإسلام قد شرع لها أحكاما وآدابا ليخفف العبء ويهون المشاكل لتدوم صلة القربى والمودة والرحمة .

ومن هذه الآداب ما يأتي :

١- ان القرآن يربي في المسلم الصفات الحميدة من صدق وأخلاص وأخلاق كما أنه أعطي القدوة الصالحة لنا في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنموذج للأب والزوج والحاكم والقائد الجيوش والنبي عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى فيه ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (٢)

كما أنه يربي على الايمان بالله ربا ورسوله صلى الله عليه وسلم معلما ورسولا ، ونشأة الأسرة المسلمة في رياض القرآن الكريم ، مطلب قرآني نهيل .

(١) الآيات / ٧٨ : ٨٢ / سورة الشعراء .

(٢) الآية / ٢١ / ، سورة الأحزاب .

٢ — اعتبر القرآن الكريم الزواج آية من آيات الله ودليلا على كمال الخلق . قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا بِهَا ﴾ (١) .

قال ابن كثير في تفسير الآية : **ومن آياته أن خلق من جنسكم إناثا تكون لكم أزواجا . لتسكنوا إليها** . كما قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ بِهَا ﴾ (٢) .

يعنى بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأقرص والأيسر . ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الاختلاف بينهم وبين الأزواج . بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس ، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهن مودة وهي المحبة . ورحمة وهي الرأفة فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك . ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ﴾ (٣) .

٣ — أوجب الإسلام على الرجل أن يبذل صداقا لمن يريد لها زوجة له ، ويكسبون هذا الصداق حقا خالصا تأخذه . قال تعالى ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ (٤) والمعنى وآتوهن مهورهن ديانة . والنحلة لغة العطية دون مقابل وهو تعبير رقيق يسمو بالمشاعر الإنسانية ويعلم الرجل أسلوب التحاب والتودد إلى قلب التي ستكون شريكة حياته .

(١) الآية / ٢١ / ، سورة الروم .

(٢) آية / ١٨٩ / ، سورة الأعراف .

(٣) ابن كثير ٣ / ٤٢٩ ط عيسى الحلبي .

* آية / ٣ / ، سورة الرعد .

آية / ١١ / ، سورة النحل .

(٤) آية / ٤ / ، سورة النساء .

٤ — أوجب الإسلام على الرجل الإنفاق على زوجته وأولاده ومن يعولهم شرعا وفق ضوابط معينة تطلب في كتب الفقه ، والإنفاق على الزوجة باعتبارها العماد الثاني في بناء الأسرة وذلك يعنى الغذاء والكساء والمسكن ثم الخادم في حالات معينة ، ومن حق الزوجة أن تطلب سكنا خاصا عن أهل زوجها أو عن زوجاته الأخريات .

ولقد أعطى المرأة حق حضانة أولادها رضاعة وتربية حتى في حالة فراقها عن الزوج إلى أن يبلغوا سنا معينة . وفق ضوابط معينة وألزم الرجل الإنفاق عليها وعليهم وفق معايير دقيقة تطلب في كتب الفقه .

٥ — الرجل مسئول مسئولية كاملة عن الزوجة والأسرة فله الرئاسة والقوامة ، قال تعالى ﴿ أَلرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (١) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : " الرجال قوامون على النساء " أى الرجل قيم على المرأة ، أى هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اوجبت .

" بما فضل الله بعضهم على بعض " لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم ... وكذا منصب القضاء وغير ذلك .

" بما أنفقوا من أموالهم " أى من المهور والنفقات والكلف التى أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه ، وله الفضل عليها والأفضال فناسب أن يكون قيما عليها (٢) .

(١) آية / ٣٤ / ، سورة النساء .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٤٩١ ط . عيسى الحلبي .

ويلاحظ دقة ومثانة التعبير بالقوامة فهو لم يقل أسيدا مثلا وإنما قال "قوامون" أي رعاة ومسئولون عنهن رعاية وحماية ووقاية وتدبيراً لأموالهن .
وشأن قوامة الرجل في البيت شأن كل الرئاسات لا تعطيه حق الاستبداد برأيه في شئون الأسرة وتربية الأولاد بل من حق الزوجة أن يشاورها ويأخذ برأيها إن كان صواباً .

(٦) حث الأدب الإسلامي للأسرة أن يتطيب الرجل ويتزين للمرأة كما تفعل هي له ذلك .

(٧) حرص الإسلام على أن يقتصر اغراء الزوجة لزوجها وجاذبيتها له وحده وأن يعاملها هو نفس المعاملة ليمتنع تطلع كل واحد منهما لغير صاحبه ضماناً عن الوقوع في الحرام .

قال تعالى ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ . . . ﴾ (١) .

(٨) ومن أدب المعاشرة الزوجية أن يقول الزوج لزوجته إذا فعلت حسناً أحسنت وأن يتعاون الزوجان على البر والتقوى . كما أوصى الإسلام الرجل إذا عاد من سفر ألا يطرق أهله ليلاً لتكون متهيئة له معشوقة الشعمر طيبة الرائحة .

(٩) أوصى الإسلام بصلة الأرحام كي تتوثق الأواصر بين الأسرة الواحدة المتزاوجة وذلك بالتزاور والتعاطف والتراحم والتلاحم ليقوم الزوجان بذلك تجاه أهلها وأهل كل واحد منهما .

قال تعالى ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٢) .

(١) آية / ٣١ / ، سورة النور .

(٢) آية / ٨٣ / ، سورة البقرة .

أى وإحساناً إلى ذوى القربى إليهم والمهين تقوية لأواصر المحبة والرحمة .
وقال تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (١)

وقد أرشدت السنة المطهرة إلى عظم هذا وفضله . قال رجل يا رسول الله
أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال صلى الله عليه وسلم : " تعبد الله
ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم " (٢)

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (٣)

قال الزمخشري : ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقربات ، ويدخل
فيه قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ ﴾ (٤) بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم ، والذب عنهم ،
والشفقة عليهم ، والنصيحة لهم ، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم ،
وإنشاء السلام عليهم ، وعبادة مرضاهم ، وشهود جنازتهم ، ومنه مراعاة
حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر ، وكل ما تعلق منهم
بسبب حتى الهرة والدجاجة . (٥)

وفي مجال بناء الأسرة المتناسكة أوصى الإسلام بالصلة مع القطيعة ، والعطية
مع الحرمان فيصل المسلم من قطعه ، ويعطي من حرمه منهم .

-
- (١) آية / ١ / ، سورة النساء .
(٢) رواه البخارى (١٣٣٢ / ٢) كتاب الزكاة ، ورواه مسلم ١ / ١٣ ، ٤٣ ، كتاب
الايمان .
(٣) آية / ٢٠ ، ٢١ / سورة الرعد .
(٤) آية / ١٠ / ، سورة الحجرات .
(٥) تفسير الكشاف ٢ / ٣٥٧ .

قال رجل يا رسول الله إن لي قرابة . أصلهم ويقطعونني . وأحسن إليهم
ويسميئون إلي . وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال صلى الله عليه وسلم : " لئن
كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل ^(١) . ولا يزال معك من الله ظهير عليهم
ما دمت على ذلك " ^(٢) .

(١٠) حث الإسلام على تعليم وتأهيل المرأة خاصة أحكام دينها من صلاة وزكاة
وحج وصوم ، وأن تتعلم كل ما ينفع في حدود حشمتها وعفتها وأنوثتها وما
ينفع بنات جنسها كالطب النسائي ، وطب الأطفال ، والتمريض والتوليد
والتدريس في معاهد وكليات ومدارس البنات ، وإدارة مثل هذه المدارس
والمعاهد النسائية .

(١١) حقق الإسلام سعة الأسرة وامتدادها ووثامها بعدة أشياء أهمها : إيجاد
نظام المحارم ، ونظام الميراث . وقد أدب الإسلام الزوج بأداب كثيرة
وكذلك الزوجة ومن أهمها بعث عامل الرجولة والغيرة والشهامة والديانة
وصيانة هذه الأسرة بتشريعاته الأخلاقية وسلوك النبي صلى الله عليه وسلم .
وعلى الزوج ألا يفتح الفرصة لامرأته للاختلاط منعا لما ذكر ومجالسة غير
المحارم ومحادثتهم من أهلها وأهله منعا للافتتان كما أوجب الشرع المطهر
على الزوجة تجاه زوجها ، رعاية شئونه ، وحفظ عرضها وعرضه وتدبير أعمال
المنزل بحكمة واقتدار واقتصاد مع السمع والطاعة في غير معصية الله .

(١٢) وعلى الزوجة المسلمة أن تتمسك بالحجاب صونا وكرامة لها فهو تكريم للمرأة
وصيانة لعرضها ، فحجابها وتسترها دليل على عفافها وديانتها ومانع
لأصحاب القلوب المريضة من التصدي لها والافتدائها عليها .

(١) المل هو الرماد الحار والمعنى كأنما تطعمهموه والظهير : المعين والدافع
لأذاهم .

(٢) رواه مسلم ٤ / ١٩٨٢ رقم ٢٥٥٨ كتاب البر والصلة .

قال تعالى ﴿ وَلَمْ يُضِرَّنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (١) .
"إن أعز ما تملكه المرأة ، الشرف ، والحياء ، والعفاف ، والمحافظة
على هذه الفضائل محافظة على إنسانية المرأة في أسمى صورها . وليس
من صالح المرأة ، ولا من صالح المجتمع أن تتخلى المرأة عن الصيانة
والاحتشام ، لا سيما وأن الغريزة الجنسية هي أعنف الغرائز وأشد هلعا
على الاطلاق ، والتبذل مشير لهذه الغريزة ومطلق لها من عقابها .

ووضع الحدود والقيود والسدود أمامها مما يخفف من حدتها ويطفىء من
جذوتها ويهدئها تهذيبا جديرا بالإنسان وكرامته ، ومن أجل هذا عني
الإسلام عناية خاصة بملابس المرأة ، وتناول القرآن الكريم ملابس المرأة
مفصلا لحدودها على غير عادة القرآن في تناوله المسائل الجزئية بالتفصيل"
فهو يقول ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَمِهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (٢)

(١٣) أثبت الشرع للولد حقا في الحياة والملك كحق أبوية وشرع له حقوق الرضاع
والحضانة، والإسلام طلب من الأبناء أن يكونوا بارين بأبائهم وأمهاتهم فهو
يقول سبحانه وتعالى عند تقسيم التركة ﴿ يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ . . ﴾ (٤)
ومن حق الوليد على أمه أن ترضعه من ثديها . وقد ثبت علميا ونفسيا
أنه أصلح أنواع اللبن للطفل . قال تعالى ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (٥)

(١) آية / ٣١ / ، سورة النور .

(٢) فقه السنة ٢ / ٢١ ط دار الريان .

(٣) آية / ٥٩ / ، سورة الأحزاب .

(٤) آية / ١١ / ، سورة النساء .

(٥) آية / ٢٣٣ / ، سورة البقرة .

(١٤) حث الإسلام الزوج على التمسك بزوجته ولو تغيرت عاطفته نحوها أو كره منها

خلقا فقد يجعل الله فيها خيرا كثيرا .

قال تعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(١)

قال الشوكاني : قوله ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ أى ما هو معروف فسي هذه الشريعة وبين أهلها من حسن المعاشرة ، وهو خطاب للأزواج أو لما هو أعم ، وذلك يختلف باختلاف الأزواج في الغنى والفقير والرفعة^(٢) والوضاعة .

(١) الآية / ١٩ / ، سورة النساء .

(٢) تفسير فتح القدير (١ / ٤٤١) .

((المطلب الثالث))

في أساليب تربية الأسرة في القرآن الكريم

تعددت أساليب التربية في القرآن الكريم تبعاً لاختلاف وميول الناس وانتماؤاتهم الفكرية واتجاهاتهم الفعلية . والقرآن الكريم في تنوع أساليبه يراعى التباين في الفهم وفي التعامل مع قضايا الحياة ومشكلاتها .

أولاً : أسلوب القدوة :

هو أن يكون الوالدان ملتزمين بإطار الإسلام قلباً وقالبا علماً وعملاً ، ومعنى ذلك أن يكون المعين هو القرآن الكريم الذي يعيشون على هديه .

والقرآن يذكر أمثلة متنوعة عن الأنبياء وعباد الله الصالحين في بعض مواقف حياتهم التي تتمثل فيها القدوة في أجلى معانيها وأرقى صورها ، ففي القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فسي صبره ومصابرته ، ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين (٢) .

(١) آية / ٢١ / ، سورة الأحزاب .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٢ ط . عيسى الحلبي .

وقال الزمخشري : فيه وجهان :

أحدهما : أنه في نفسه أسوة حسنة ، أي قدوة وهو المؤتسى أي المقتدى

به كما تقول: في البيضة عشرون منا حديد : أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد .

والثاني : أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة

بنفسه .^(١)

ومن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو إبراهيم عليه السلام فقد قال

تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾^(٢) .

" والقدوة : الأسوة . يقال فلان قدوة يقتدى به "^(٣)

والقدوة لغة : اسم من اقتدى به إذا فعل مثله فعله تأسيا به .

قال الزمخشري في تفسير الآية السابقة : أي كان فيهم مذهب حسن مرضى

بأن يؤتسى به ويتبع أثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة

وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضا والمقت ، وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم

ليس إلا كفرهم بالله، وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى إن أزالوه

وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة مولاةً والبغضا محبة ، والمقت مقة فأفصحوا

من محض الإخلاص .^(٤)

ولقد لخص رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله بالأنبياء فقال : " إن مثلي

ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل

(١) تفسير الكشاف للزمخشري (٣/٢٥٦) ط . دار الفكر ببيروت .

(٢) آية / ٤ / ، سورة الممتحنة .

(٣) لسان العرب مادة " قدا " .

(٤) تفسير الكشاف (٤/٩٠) .

الناس يطوفون به ويمجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : أنا اللبنة
وأنا خاتم النبيين (١) .

المشبه هنا واحد والمشبه به متعدد فكيف يصح التشبيه؟ ووجهه أنه جعل
الأنبياء كلهم كواحد فيما قصد في التشبيه وهو أن المقصود من تعيينهم ما تم إلا
باعتبار الكل فكذلك الدار لا تتم إلا بجميع اللبنة ، ويقال : إن التشبيه هنا ليس
من باب تشبيه المفرد بالمفرد بل هو تشبيه تمثيلي فيؤخذ وصف من جميع أحوال
المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فيقال : شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد
الناس إلى مكارم الأخلاق بدار أسست قواعدا ورفع بنيانها وبقي منه موضع لبنة
فنبينا صلى الله عليه وسلم بعث لتتميم مكارم الأخلاق كأنه هو تلك اللبنة التي بها
إصلاح ما بقي من الدار (٢) .

ثانيا : أسلوب بيان الحقوق والواجبات :

لقد أوضحت الآيات القرآنية أحكام الأسرة من زواج وطلاق وميراث ووصية
بيانا شافيا ليس فيه إجمال . وبينت الأوامر والنواهي في المعاملات والعبادات
والعقائد . وهذا البيان يرتكز على قاعدة الاهتمام بالأمور الأساسية وترك الفروع
لاجتهاد البشر كل حسب الفهم ووسيلة الاجتهاد .

ثالثا : أسلوب الحوار والنقاش :

وهو أسلوب التفاهم بين الرجل والمرأة وهو قائم على الحجة والإقناع ولقد
خص الله الذين يجادلون بدون حجة ولا علم ولا كتاب مبین بقوله عز وجل :

(١) أخرجه البخارى ٦٥ - كتاب المناقب ١٦ - باب خاتم النبيين صلى الله
عليه وسلم رقم ٣٣٤٢ ، وأخرجه مسلم باب ذكر كونه خاتم النبيين رقم (٢٨٨٦) .

(٢) عمدة القارى (٩٨ / ١٦) للعيني ط . دار احيا التراث .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ ﴾ (١)
وقال أيضا ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٢)

إن طريقة الحوار والمناقشة في التربية الإسلامية لها دورها في تقوية الحجة والتمرن على السرعة في التعامل مع أحداث الساعة، والمرونة في التفاهم المشترك والمنافسة والتفوق على الأقران والتدريب على الاعتماد على النفس والثقة بها . كل ذلك من أجل التكامل مع طرق التربية الأخرى القائمة على العقل التي بها تتحقق أهداف فلسفة التربية الإسلامية. ويبدو في هذه الطريقة استعمال المنطق المحاكمة العقلية وهو أسلوب يمكن الإنسان من التمييز بين الحق والباطل بالحجة والمشاهدة الحسية وليس بالقسر أو التقليد الأعمى (٣).

وإذا اشتد الصراع أو الخلاف بين الطرفين فإن القرآن الكريم يهدي من الموقف ويعلمنا كيف الأخذ بهزام المبادرة إلى الخير .

ويحث القرآن على حسن المعاشرة فيقول تعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (٥).

رابعاً : الوعظ والارشاد :-

ان النفس البشرية تتبلى بالفتن فتميل إلى الهوى وعندئذ تحتاج إلى تقويم ، والله ميز الرجال بالعقل ، وميز النساء بالعاطفة وكل منهما يكمل الآخر فالرجل يعظ المرأة عند ما يجد منها الحيف والبعد عن الصواب آخذاً بيدها بالخلق الحسن لا بالاعتداء عليها .

(١) آية ٣ / سورة الحج .

(٢) آية ٨ / سورة الحج .

(٣) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف (ص ٣٣٥) .

(٤) آية ٨٩ / سورة النساء .

(٥) آية ٣٥ / سورة النساء .

والمرأة تعظ الرجل حينما يظهر منه الجفوة والسطوة والبطش ، وقد منحها الله العاطفة المفيدة لها ولزوجها .

وفي المواعظ القرآنية تلحظ أسلوبها تربويا رائعا يقصد كمال الإنسان والارتقاء به إلى مستوى إنسانيته ورفعته عن درجة حيوانيته يربسي الغرائز . وهذه المواعظ وتلك الإرشادات تضيء لكل فرد من أفراد المجتمع حتى يسلكوا الطريق القويم . فهي تعاليم صادرة عن حكمة لا عن هوى، والمثال على هذا نأخذ خلاصته من عظة لقمان لابنه التي تهدف إلى :-

(١) أن يكون الله وحده هو مصدر السلوك ، بمعنى إيمان الإنسان به واتباع شريعته ، وذلك هو محور سلوك الفرد وهو الهدف والغاية لسلوكه ، بمعنى أن يكون مخلصا لله ، وذلك عن طريق عدم الاشرار بالله ، والشكر له والشكر للوالدين ، والشكر لصاحب النعمة .

(٢) أن يكون السلوك كما حددته الموعظة في قصد واعتدال في كل شيء فلا مغالاة ولا تفريط ، وإنما توسط واعتدال ، وما سبق يوضح هدف التربية الإسلامية السلوكية ، إنها تنشى "إنسانا معتدلا في سلوكه وعقيدته ومعظم المواعظ القرآنية تدور حول تربية الإنسان عقديا وسلوكيا ومن ثم تأتي أهمية هذه الطريقة العظيمة من طرق التربية الإسلامية لتكوين وتنشئة وإعداد المسلم العابد الصالح ، بحيث يكون سلوكه صائبا في معتقده ودينه وعقله وعمله وهذا هو هدف الموعظة كما جاءت في القرآن الكريم كما هو هدف القرآن كله^(١) .

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن (ص ٢٣٣ ، ٢٣٤) ط . دار الفكر .

وإذا لم يجد ما سبق من النقاش والحوار والموعظة ، لجأ الزوج إلى التدرج بما هو أشد فيهجرها بالفراش إذ هو المصدر الذي تراه المرأة المرأة إذا أثر بالغ على الزوج فينقطع هذا ويبين لها بالهجر قدرته على الاستغناء عما لديها من إغراء وهو سلاحها الوحيد تقريبا والميزة التي لديها يحتاجها الزوج وإذا لم تحسم الأمور أبيع له الضرب في المبرح والمقصود به التأديب لا التشفي والتعذيب .

ونجد أن القرآن بين ذلك وسلك مسلكا تربويا رائعا ومؤثرا فيما ينشأ من الزوجة وعبر عنه أصدق تعبير قال تعالى ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ (١) فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم : فلا تبغوا عليهن سبيلا أي : فقد حصل لكم ما تحبون ، فاتركوا معاقبتها على الأمور الماضية والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها ، ويحدث بسببه الشر ، (٢) وعلى الجملة فاللييب لا تخفى عليه العظائم التي لها المحل الأرفع في قلب امرأته فإن لم يجد ذلك فله أن يجرب :-

(١) الهجر والإعراض في المضجع .

(٢) الضرب في المبرح أو غير المؤذي كثيرا كالضرب باليد أو بعضا صغيرة لكن إذا صلحت البيعة وصارت النساء يستجبن للنصيحة أو يزدجن بالهجر وجب الاستغناء عنه إذ نحن مأمورون بالرفق بالنساء واجتناب ظلمهن وإسآكنهن بمعروف أو تسريحهن بمعروف ، والخلاصة أن الضرب عيلاج مرقوم يستغنى عنه الخير الكريم ولكنه لا يزول من البيوت إلا إذا عم التهذيب الرجال والنساء وعرف كل ماله من الحقوق وكان للدين سلطان على النفوس يجعلها تراقب الله في السر والعلن . (٣)

(١) آية / ٣٤ / سورة النساء .

(٢) تيسير الكريم المنان للشيخ بن سعدي ج ٨ / ٦٢ ، مركز بن صالح بعنيزة ١٤٠٧ هـ .

(٣) تفسير المراغي ج ٤ / ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ط مصطفى الحلبي .

((المبحث الثاني))

في دور الوالدين في إعداد الولد الصالح

((المطلب الأول))

تربية الأولاد وإعدادهم إعداداً إسلامياً من أهم صفات وسمات التربية القرآنية ولذا نجد القرآن والسنة أعطيا هذا الجانب الهام حقه اللائق به، ولعظم هذه المسؤولية وأهميتها نجد القرآن يقول * (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) ^(١) .

والتربية الإسلامية تؤكد وتبين الدور التربوي للأسرة المسلمة، وتؤكد أيضاً دور الوالدين في تربية أولادهم ، والمساهمة الفعالة والمؤثرة في إعداد الأولاد الإعداد الإسلامي الرشيد لشئون الآخرة والأولى .

قال تعالى * (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) ^(٢) .

ومربي هذه الأمة صلوات الله وسلامه عليه أكد في أكثر من حديث ومناسبة وصية الوالدين بضرورة العناية بتربية أولادهم وكلمته صلى الله عليه وسلم الجامعة المانعة في حديثه المشهور وهي : " الرعاية " . ولو فحصنا جيداً هذا المعنى الدقيق المعبر لوجدنا لها الكثير من المعاني الرحبة . فهي تعنى المسئولية والإشراف والحرص والرقابة والمساعدة والمعونة والتوجيه ، وتعنى أيضاً التربية والتعليم بمفهومها المعاصر .

وهذا كان شأنه صلى الله عليه وسلم في بيته ومع أهله وأولاده وتبعه في هذا النهج الراشد سلف هذه الأمة فأدركوا جيداً مسئولية الوالدين . وهكذا

(١) آية ٦ / سورة التحريم .

(٢) آية ١٣٢ / سورة طه .

كانت النتائج القيمة والآثار الطيبة ، والسماة العالية لشباب الإسلام يوم أن كان الأب يعي مسئوليته ويدرك واجبه . ولقد تناول ابن القيم رحمه الله أهمية دور الوالدين في التربية والتعليم فقال: إن من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم بترك تعليمهم فرائض الدين وسنته .^(١)

ويقال: الطفل صورة عائلته فكل ما فيها من خير أو شر ، وكل ما يسمعه ويسراه يتطبع به ولهذا كان جهد الأمهات من أهم الأمور في تربية الأبناء ، ومن ربي ماله ولم يرب ولده فقد ضيع الولد والثروة .^(٢)

^(٣)
وقد عبر الزرنوجي أدق تعبير وأجزه عن العلاقة بين البيت والمدرس بقوله : " يحتاج في التعلم إلى جد الثلاثة المعلم والأستاذ والأب ."^(٤)

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾^(٥)

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ أي إذا أوتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها .^(٦)

فالأولاد أمانات عند الوالدين وعليهم القيام بحفظ هذه الأمانات وكفهم

-
- (١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ١٨٠) .
(٢) ابن خلدون وتراثه التربوي (ص ٦٣) حسين عبدالله بانبيله
(٣) برهان الاسلام الزرنوجي : فيلسوف عربي مجهول النسب ، توفي عام ٥٩١ هـ تقريباً ، من كتبه تعليم المتعلم ، له ترجمة في أعلام التربية ، مكتب التربية العربية ، المجلد الثالث ص ١٧٥ - ١٩٦ .
(٤) ابن خلدون وتراثه التربوي (ص ٦٣) حسين عبدالله بانبيله
(٥) آية / ٨ / ، سورة المؤمنون .
(٦) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٣٩ ط عيسى الحلبي .

من جميع المضار والمفاسد وتعليمهم العلوم النافعة وأخذهم بالأخلاق الفاضلة .
بشر الذين يربون أولادهم تربية سالحة بالخير والشواب والانتفاع ، وحذر
الذين يهملونهم بالضرر العاجل والآجل والضياح^(١) .

وفي التربية المحمدية المستمدة من القرآن الكريم نجد الخير الوفير
والعطاء الكثير .

وقد مر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : ما من مولود إلا ويولد على
الفطرة . . . الخ .^(٢)

فللتوجيه السليم من قبل الوالدين أثره الذي لا ينكر، والعكس حاصل إذا كان
الوالدان غير مسلمين . المهم في هذا تأثر الولد بمنهج والديه صحة وفسادا .^(٣)

وقد قال صلى الله عليه وسلم : " ما نحل والد ولده من نحلة أفضل ممن
أدب حسن " .^(٤)

وقد سبق حديث " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين " .^(٥)

وذلك ليعتادوها ويألفوها، فإذا بلغوا عسرا فاضربوهم على تركها، وهي مرحلة
ثانية من مراحل التعليم والتقويم والتأديب ، ولقد جمع بين الأمر بالصلاة والتفريق
بينهم في المضاجع في الطفولة تأديبا ومحافظة لأوامر الله كلها وتعلما لهم
لئلا يقفوا موقف التهم فيتجنبوا المحارم .^(٦)

- (١) الرياض النضرة ص ٤٨ .
- (٢) سبق تخريجه ، وانظر : صحيح البخارى ٩٧٦/٢
- (٣) انظر هذا المعنى أصول التربية الاسلامية مع نظريات التربية (ص ٤٥) لسعد
ابن عبد الله بن جنيد
- (٤) أخرجه الترمذى ١٩٥٢ وقال : حديث غريب .
- (٥) سبق تخريجه .
- (٦) فيض القدير ٥٢١/٥ (٨) وصحيح البخارى ٨٠٩/٢ .

(١)

وروى البخارى من عمر بن سلمة قال : كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام سم الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي .^(٢)

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه، وهذه هي التربية القرآنية الغذة تتعهد متابعة النشء منذ صغره ليشب على أدب الإسلام ، وخلق القرآن ليسعد في دنياه وأخرته وليحقق الوالدان قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾^(٣) .

وقال الإمام القرطبي رحمه الله : قال علي رضي الله عنه ومجاهد : قوا أنفسكم بأفعالكم ، وقوا أهلكم بوصيتكم .^(٤)

وقال بعض العلماء : لما قال : "قوا أنفسكم" دخل فيها الأولاد لأن الولد بعض منه فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي والآثام فعلينا تعليم أولادنا ، وأهلينا الدين ، والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب .^(٥)

وقال تعالى ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾^(٦) .

-
- (١) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم : من الصحابة ، توفي سنة ٨٣ ، ربه النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أم سلمة زوجة النبي . الاصابة ٥٧٤٢ .
(٢) صحيح البخارى ٨٠٩/٢ ، ٨١٠٠ .
(٣) آية ٦/ ، سورة التحريم .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/١٨ ، ١٩٦ .
(٥) آية ٢٣/ ، ٢٤/ سورة الاسراء .

أى أدع لهما بالرحمة أحياء وأمواتا جزاءً على تربيتهم إياك صغيراً . وفهم
من هذه الآية كلما ازدادت التربية ازداد الحق .^(١)

وعلى الوالدين تعهد ولدهما بالتربية الصالحة ليقوى جسمه ، ويصح عقله
وتفكيره ، ليتحول مساره ليكون عضواً سعيداً ونافعاً لنفسه ، ولمن حوله ، فهو
أحوج ما يكون إلى التربية والتأهيل السليم الكريم .

والشباب منذ صغره متعطش لمعرفة الحياة الجديدة ، ولا بد من إرواء ذلك
العطش بالتربية الحقة . فهو يسمع ويرى بحس عميق ، فكل كلمة أو فعل يصدر
من الأبوين محل اهتمام منه ويقلد في ذلك كثيراً . ومسئولية الأبوين لا تقتصر
على تغذية الجسم بل على تغذية الفكر والضمير بالتربية الأولية في البيت . وهي
إما راشدة أو عكس ذلك فالأب والأم مسئولان إلى حد كبير عن انحرافات الخلقية
والاجتماعية ، وعن سوء سلوكه في معاملة الآخرين ، وعن التزامه في أدبه ،
وعن تدينه واحترامه للآخرين .

ومن المؤسف حقاً! تهاون الآباء والأمهات في هذا الجانب ، وخلو بعض
البيوت الإسلامية من التوجه الإسلامي الرشيد ، فنشأ شباب على الكذب والغش
والحيلولة والخداع والجبن والحذر وضعف الشخصية فحصل نماذج من التربية غير
السليمة نتيجة تفريط الوالدين أو جهلها أو غير ذلك . فوجدت بعض الحالات
الآتية :

- (١) شباب نشأ على الدلال وقلة المبالاة ، والسلبية المميتة .
- (٢) شباب نشأ على الجهل بالدين فبعد من الأخلاق الكريمة والطباع السليمة
المستقيمة .

(١) تيسير الكريم العنان ١٣٣/٤ ، أصول التربية الإسلامية (ص ٤٥) ، مرجع
سابق .

- (٣) شباب نشأ متكبراً متعجباً لا تعرف له توجهها بيننا، لا يشارك مشاركة فعالة ولا يهتم بمن حوله ، يعامل الناس باحتقار ، وينظر إليهم باقتراب .
- (٤) ومنهم من نشأ متزمتاً يفهم الدين من خلال الخرافات والأقاويل الباطلة والداوى غير الصحيحة يعيش بعيداً عن العلماء، يساير بعض الأخطاء المتعمدة التي أتى بها أعداء الإسلام للكيد له ولأمته الإسلامية .
- (٥) ومنهم من نشأ إباحياً متحرراً من الدين، ولذا نشأ بعض شباب الإسلام نشأة غير سليمة^(١).
- فمن أهمل تعليم ولده وتوجيهه . فقد أضاعه وأضاع أمانته ولم يحمل رسالته . وأكثر انحراف الأولاد عن جادة الصواب هو من قبل الآباء غير المباليين برسالتهم، المهملين لأولادهم — وقد رأينا كثيراً من ذلك في مدارسنا، مع الأسف الشديد .
- كذلك من إهمال الوالد لولده ترك تربيته لمن لا يحسنها أو قد يسيء إليها من قصد أو غير قصد كما هو مشاهد أحياناً ، ولقد عاتب بعضهم والده فقال : يا أبت إنك عقتني صغيراً فعقتك كبيراً ، واضعتني وليداً فأضعتك شيخاً^(٢) .
- ... ومن الأسباب الجيدة تعهد الطفل منذ نشأته على القيام بواجباته الدينية متى كان مستعداً لذلك . يوضحه حديث " مروا أولادكم بالصلاة لسبع " وقد مر^(٣) .

(١) الطفل المثالي في الإسلام نشأته ورعاية أحكامه (ص ١٢١) وما بعده .
عبد الغنى الخطيب .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٦ .
(٣) سبق تخريجه

ومنها تدريبه على الصدق والأمانة ، وفعل الخير ، وبذل المعروف ،
ومجانته مجالس اللهو والفسق والمجون ، وأخذه بالحزم ، والعزم ،
وإبعاده عن الكسل ، والدعة ، والأنانية وحب الذات فإن للجد والعمل
والتعب مواقف حميدة ونتائج سارة والمحافظة عليه من تناول المسكرات
والمفترات فهي تفسد الدين ، وتضعف الأخلاق والقيم ، ولا بد من تدريبه
على الجرأة والصراحة ، والصدق والشجاعة ، والكرم ، وتقوية روح التعاون
والتعاقد والتراحم والتلاحم فيه .^(١)

مظاهر التربية الخاطئة :

وهناك تربية خاطئة شائعة وهي كثيرة ومنها :

- (١) سوء النظرة إلى الطفل .
- (٢) التشكك في أعماله وأد طموحه .
- (٣) تقييد حريته وتقييد آرائه .
- (٤) أخذه بآراء غيره وإن كانت غير صحيحة .
- (٥) عدم احترام ذاته .
- (٦) القسوة في عقابه ، وكثرة عقابه بحق وبغير حق .
- (٧) ومن التربية الخاطئة أخذهم بعقول واهتمامات الكبار .
- (٨) أ — فرض شيء من القيود عليهم .
ب — ومن الوسائل غير المجدية سياسة التخويف ، والتهديد ، والوعيد ،
فهنشأ الطفل جباناً ، هياباً متقاعساً .

(١) الطفل المثالي في الاسلام نشأته ورعاية أحكامه (ص ١٢٦) .

(٩) وأسوأ ما يفعله الآباء بالنسبة للأبناء الاختلاط ، وقلة الاحتشام والسيستر

وحشرهم أحيانا مع عائلات ، وأولاد غير صالحين ، ولا ملتزمين .

(١٠) كذلك لبعض المرثيات والمسموعات آثار سيئة وضارة فأفلام الجنس والميوعة

والسرقة والإجرام وسائر الآثام ، كلها نماذج من إهمال الآباء وضعف

أمانتهم وقلة اهتمامهم بأبنائهم، كذلك تيسير سبل القراءة غير الجيدة

كالكتب الضارة ، والمنشورات المفسدة للدين والخلق .

((المطلب الثاني))

مخصائص منهج التربية للنشء في الإسلام

يحرص الإسلام على التوازن ويجعله هدفاً أساسياً في منهاجه ، وببذل فيه كل ما في الطاقة من جهد يبدأ فيه مع الطفل من مولده ، ويسير فيه مع الإنسان في جميع مراحل نموه ولا يتركه لحظة واحدة دون معاونة أو توجيه .

وتتلخص مخصائص المنهج الإسلامي في الآتي :

أولاً : الشمول والتكافل .

ثانياً : التوازن .

ثالثاً : الإيجابية السوية .

(١)

رابعاً : الواقعية المثالية .

ومن خلال هذه الخصائص ينشأ الطفل المسلم وسط عدة دوائر تأثيرية تنقسم

إلى قسمين كما يرى الدكتور على عبد الواحد وافي .

القسم الأول :

وهي عوامل غير إرادية أي التي لا دخل للإنسان فيها وأبرزها الوراثة

كصفة اللون والطول والبدانة والترفع ، وأيضاً حركة النمو داخل جسمه وقدرته

التفكيرية من حيث الذكاء والبلادة ، وكلها صفات مكتسبة ، وهذه العوامل يولد

فيها الإنسان .

(١) التربية الإسلامية ص ١٩ — ٣٧ ، ط. ثانية . ط . دار الشعب بالقاهرة .

القسم الثاني :

وهي العوامل الإرادية والتي يتدخل فيها الإنسان ولا تكون إلا بعد مرحلة النضج الجسمي والعقلي مثل اختيار الأصدقاء ونوع الطعام الذي يتناوله ، ونوع التعليم الذي يريد ، وأيضا فإن الطفل يكتسب من الأصدقاء والأقارب صفات خلقية تؤثر في سلوكه حيث يمكن له أن يحدد رفقاءه سواء كانوا من رفقاء السوء أو رفقاء الخير .

ووسط هذه المجموعة من العوامل المؤثرة في طبيعة الطفل ينشأ ويتربى .

ولنا أن نتوقف عند نقطتين أساسيتين هما :

أ — آثار المنزل في عوامل التربية .

ب — آثار الأسرة التربوية الخاصة .

أ — آثار المنزل في عوامل التربية :

(١) فعلى المنزل يتوقف عمل الوراثة نفسها فبمقدار جهد كل من الزوجين في حسن اختيار زوجه ، وحرصه على أن يكون من سلالة طاهرة ونبت صالح ، وعلى أن يكون خاليا من العيوب الوراثية الجسمية والعقلية والخلقية ، فبمقدار هذه الدقة وهذا الحرص يتحقق في النسل الآثار التربوية الصالحة للوراثة ، ويعصم من آثارها السيئة . فواجب الآباء نحو أولادهم ، وأثار الأسرة التربوية في حياتهم كل ذلك يمتد إلى مرحلة سابقة لزواج آبائهم وأمهاتهم فبدأ منذ أن يفكر أحد الأبوين في اختيار شريك الحياة .

هذا إلى أنه في إمكان المنزل القضاء على كثير مما يظهر لدى الأطفال

من صفات وراثية وتوجيهها في الاتجاه النافع . فإن كان المنزل رشيدا في مناهج

تربيته، وفي أطفاله شرور هذه الصفات الوراثية ضارها ونافعها يوجد فسي
الطفل بالقوة لا بالفعل أى على صورة استعدادات واتجاهات ، فإن وجد
في المنزل بيئة مؤاتية نما وترعرع وإلا ذوى وذبل .

(٢) وبمقدار نشاط المنزل وحرصه على الإفادة من الوسط الجغرافي المحيط به ،
ومن خبرات بيئته الطبيعية ، ومبلغ كفاحه ونجاحه في التغلب على مساوئها
ومعوقاتها وحسن توجيهه للأطفال في هذه الأمور ، تتحقق فيهم الآثار
التربوية الصالحة لبيئتهم الجغرافية ويجنبون ما تنطوى عليه من مفاسد وشرور .

(٣) وأول ما ينقل إلى الطفل عن طريق التقليد في الصوت والحركة لغة آبائه ،
وأفراد أسرته وأعمالهم وسلوكهم ومناهجهم في الحياة . فبمقدار سمو المنزل
في هذه الأمور تسمو آثار التقليد التربوية في الطفل ، وبمقدار انحطاطه
فيها يكون عامل التقليد وبالا عليه .

(٤) ومعظم فترة الألعاب يقضيها الطفل في المنزل ، ومعظم أعباءه يؤديها تحت
إشراف أفراد أسرته . فكلما كانت بيئة المنزل مساعدة على النشاط اللعبي ،
وكانت الأسرة رشيدة في توجيه أطفالها وإشرافها عليهم في ألعابهم ، وكانت
أعمالهم نماذج لما يأتونه من حركات وألعاب كانت النتائج والأهداف التربوية
أفضل وأتم .

(٥) وعن طريق المنزل تحقق البيئة الاجتماعية آثارها التربوية في الأطفال ،
فبفضله تنتقل إليهم تقاليد أمتهم ونظمها ، وعرفها الخلق ، وعقائدها ،
وآدابها ، وفضائلها ، وتاريخها ، وكثير مما أحرزته من تراث في مختلف
الشئون ، فإن وفق المنزل في أداء هذه الرسالة الجليلة ، وكان موصلاً
جيداً لجميع هذه الأمور حققت البيئة الاجتماعية آثارها البالغة في التربية

والأفسد عليها المنزل عملها ، فلم يفد منها الطفل غير آثار تافهة ،
أو لم يصبه منها إلا الشرور والأضرار .

(٦) وعلى قدر المعونة التي يقدمها المنزل للمدرسة وتضافره معها في تحقيق
أغراضها وعمله على تكملة نقصها وما يهذل من جهد في تدارك ما يتخلف
من أعمالها من ثغرات في شخصية الطفل ، وفي تربيته ، على هذه الأمور
يتوقف سير المدرسة ، ومبلغ نجاحها في رسالتها في تربية النشء .^(١)

ب - آثار الأسرة العربية الخاصة بها :

وللمنزل بجانب هذا كله وظائف تربية خطيرة خاصة به لا يكاد يشاركها
فيها غيره ، ولا يغنى فيها أي عامل آخر من عوامل التربية .

(١) فالأسرة هي العامل الوحيد للحضانة والتربية المقصودة في المراحل الأولى
للطفولة ، ولا تستطيع أمة مؤسسة عامة أن تقوم بدور المنزل في هذه
الشئون .

إن الكفالة التي تنشئها الدولة والجهود الأهلية لإيواء الأطفال في
مراحلهم الأولى ما هي إلا تدارك الحالات التي يحرم فيها الطفل من
الأسرة ، مهما حرصت على تجويد أعمالها لتحقيق ما يحققه المنزل في هذه
الأمور .

الاهتمام بالحامل :

إن من أقوى الأدلة على المحافظة على المرأة الاهتمام بها مدة حملها ،
ولقد سبق القرآن الكريم الحضارات فأمر بضرورة رعاية الحامل والاهتمام بها

(١) الأسرة والمجتمع (ص ١٩) د . على عبدالواحد وافي ط . عيسى البابسي
الحلبي وشركاه ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٨ م .

قال تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ، وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمَلٍ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ﴾ (١) .

ويقصد من تلك المحافظة رعاية الأم الحامل متكاملة نفسيا وصحيا ، وهذه الرعاية بدورها تؤدي إلى المحافظة على الجنين في بطن الأم وإذا حوفظ عليه كان مولودا بعيدا عن العيوب الخلقية الناتجة عن تحرك الأم حركة غير طبيعية وغير مناسبة لظروف الحمل .

وإذا كان القرآن الكريم يطالب المسلمين بالاهتمام بالحامل فإنه بين معجزة الخلق التي تتم في أرحام النساء ، ففيها آيات بينات على قدرة الله سبحانه وتعالى . قال عز وجل : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تَصَرُّفُونَ ﴾ (٢) .

وبعرض القرآن الكريم لمراحل خلق الإنسان في أرحام الأمهات فيقول سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٣) .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود : " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل

(١) آية / ٦ / ، سورة الطلاق .

(٢) آية / ٦ / ، سورة الزمر .

(٣) آية / ٥ / ، سورة الحج .

ذلك ، ثم يكون مضغاً مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وشقي أم سعيد^(١) .

والقرآن الكريم بين مراحل خلق الإنسان وهي :

- (١) طور التراب : الذي خلق الله منه أبا البشر آدم عليه السلام وآيات القرآن كثيرة في هذا الموضع .
- (٢) طور النطفة : " وهي الماء الصافي قل أو أكثر ، أو قليل ما " يبقى دليلاً أو قرينة " (٢) .
- (٣) طور العلقة : " وهي القطعة المتجمدة من الدم " (٣) .
- (٤) طور المضغ : " وهي القطعة التي تمضغ من لحم وغيره " (٤) .
- (٥) طور العظام : حيث يشير القرآن إلى ذلك في قوله تعالى ﴿ فخلقنا المضغ عظاماً ﴾ .
- (٦) اللحم : قال تعالى ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ (٥) .
يقول ابن كثير ﴿ أي جعلنا على ذلك ما يستره ويبدده ويقويه ﴾ (٦)
- (٧) الروح : ويقول الله تعالى ﴿ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ (٧) وهي من أمر الله كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم .

-
- (١) فتح الباري (٢٦٣ / ٣) كتاب بدأ الخلق آدم وذريته .
 - (٢) محيط المحيط (ص ٩٠٠) للبستاني ط مكتبة لبنان .
 - (٣) مختار الصحاح (ص ٤٥٠) .
 - (٤) المنجد (ص ٧٦٥) .
 - (٥) آية / ١٤ / ، سورة المؤمنون .
 - (٦) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٤٠) .
 - (٧) آية / ٩ / ، سورة السجدة .

((المطلب الثالث))

في اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالطفل ودور الوالد بهـن
في التعامل معه بأدب القـرآن

آداب الولادة :

تنحصر هذه الآداب في خمسة ، ذكرها الغزالي ، وهي :-

الأول : ألا يكثر فرحته بالذكر وحزنه بالأنثى فإنه لا يدرى الخير له في

أبيها ، فكم من صاحب ولد تمنى أن يكون بنتا . لأن السلامة منهن أكثر والشواب
فمنهن أجزل .

الثاني : أن يؤذن في أذن الوليد ، روى رافع عن أبيه قال : رأيت

النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضي الله
(١)
عنهما .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من ولد له مولود فأذن في

أذنه اليمنى، وأقام الصلاة في أذنه اليسرى، دفعت عنه أم الصبيان ، ويستحب أن
يلقنوه في أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله . ليكون ذلك أول حديثه .
(٢)

الثالث : أن يسميه اسما حسنا وذلك من حق الولد (قال صلى الله

عليه وسلم : " إذا سميتم فعبدوا " .
(٤)

(١) أحيا علوم الدين (٤ / ٧٤٠ ط الشعب) رواه أحمد وأبو داود والترمذي

وصححه وضعفه ابن قتان .

(٢) أحيا علوم الدين (٤ / ٧٤٠) رواه أبو يعلى وابن السني .

(٣) أحيا علوم الدين (٤ / ٧٤٠) رواه الطبراني عن جابر بسند ضعيف .

(٤) أحيا علوم الدين (٤ / ٧٤٠) رواه الطبراني وصححه البيهقي من حديث

عائشة .

وقال عليه الصلاة والسلام : " أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن
... إلى قوله والقسط أن يسمى ^(١) الحديث .

الرابع : العقيقة عن الذكر بشاتين ، وعن الأنثى بشاة ، ولا بأس بالشاة
ذكرا كان أو أنثى .

روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في الغلام أن
يعق عنه بشاتين متكافئتين وفي الجارية بشاة ^(٢) وروى أنه عق عن الحسين بشاة ^(٣) .

وهذه رخصة في الاختصار على واحدة .

الخامس : أن يحنكه بتمر أو حلاوة ^(٤) .

حقوق الطفل في القرآن :

أولا: الرضاع :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ
وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ
بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا
وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ^(٥) .

- (١) احيا علوم الدين (٤ / ٧٤١) رواه مسلم من حديث ابن عمر .
- (٢) احيا علوم الدين (٤ / ٧٤٢) رواه الترمذى وصححه .
- (٣) احيا علوم الدين (٤ / ٧٤٢) رواه الحاكم والترمذى وأبو داود .
- (٤) احيا علوم الدين (٤ / ٧٤٢) رواه البخارى عن سليمان بن عامر الضبي .
- (٥) آية / ٢٣٣ ، سورة البقرة .

في قوله : ﴿ والوالدات ﴾ ثلاثة أقوال :

قال الرازي^(١)

الأول : أن المراد منه ما أشعر ظاهر اللفظ ، وهو جميع الوالدات سواً
كن زوجات أو مطلقات ، والدليل عليه أن اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب
تركه على عمومه .

القول الثاني : المراد منه الوالدات المطلقات .

(٢)

القول الثالث : قال الواحدى في البسيط : الأولى أن يحمل على الزوجات
في حال بقاء النكاح ، لأن المطلقة لا تستحق الكسوة ،
إنما تستحق الأجرة .

وجاء في تفسير البيضاوى للآية ما يأتي :-

" والوالدات يرضعن أولادهن " أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب
أو الوجوب . . . ، إذا لم يرتض الصبي إلا من أمه ، أو لم يوجد له ظئراً أو عجز
الوالد من الاستئجار، ويعم المطلقات وغيرهن ، وقيل تخص بهن إذا الكلام فيهن . . .
وهو دليل على أن أقصى مدة للإرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وأنه يجوز أن ينقص
عنه ، واختلف في استئجار الأم فجوزه الشافعي ومنعه أبو حنيفة رحمه الله تعالى
ما دامت زوجته معتدة " .^(٣)

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١١٦/٦

(٢) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه أبو الحسن الواحدى ، مفسر
عالم بالأدب . توفي سنة ٤٦٨ هـ . النجوم الزاهرة ١٠٤/٥ .

(٣) تفسير البيضاوى ٢٤٤/١ ط . مؤسسة شعبان - بيروت .

مميزات لبن الأم عن غيره :

- ١ — إن لبن الأم يحتوي على نسبة متوازنة من غذاء الرضيع تتلاءم مع احتياجاته ، وتلتقى مع احتياجات الرضيع في فترات الرضاعة المختلفة متمشية مع نموه .
- ٢ — يحتوي لبن الأم على مواد بروتينية تكسب الرضيع قوة ومناعة ضد بعض الأمراض التي تحصنت منها الأم في الشهور الأولى من عمره .
- ٣ — هذا اللبن لا يتعرض للتلوث ، حيث إنه يخرج من ثدى الأم إلى الطفل مباشرة .
- ٤ — يقرب الاتصال النفسي بين الطفل والأم المرضع ، وبهذا ترسخ عاطفة الأمومة والبنوة بالرباط المتين الصادق الصحيح .
- ٥ — تفرز الأم في الأيام الأولى من الرضاع نوعاً من اللبن يطلقون عليه " لبن المسمار " لافنى للطفل عنه .
- ٦ — ومن ناحية أخرى فإن عملية الرضاعة الطبيعية تعجل وتستكمل عملية عودة الرحم إلى حجمه وحالته الطبيعية بعد عملية الوضع .
(١)

ثانها : حق الكسوة والإطعام :

قال تعالى ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِقَ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكُسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكُلْفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا لَا تَضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾
(٢)

قال ابن كثير : " وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف " أى وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف أى بما جرت به عادة أمثالهن فى

(١) كتاب منهج السنة في الزواج (ص ٤٢١) د . محمد الأحمدى أبو النور .

(٢) آية / ٢٣٣ / ، سورة البقرة .

(١)
بلد من غير اسراف ولا باقتار بحسب قدرته في يساره وتوسطه واقتاره . كما قال
تعالى ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝ (٢) ۝

ومعنى قوله تعالى : " لا تضار والدة بولدها " كما ذكر الزمخشري : لا تضار
والدة زوجها بسبب ولدها ، وأن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة
وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد ، وأن تقول بعد ما ألفها الصبي : اطلب له
ظئرا وما أشبه ذلك ، ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده ، بأن يمنعها شيئا مما
وجب عليه من رزقها وكسوتها ، ولا يأخذها منها وهي تريد إرضاعه ، ولا يكرها على
الإرضاع . (٣)

والآية تدل أن على الوالد والوالدة كسوة الأبناء بأحسن الثياب ، وعلى الأقل
بما يستترهم ويجعلهم مقبولين ، وعلى الوالد السعي في الأرض حتى يحصل على
قوته ، وقوت من يعول من الحلال .

ثالثا : حق العربية الأخلاقية والتعليم ضد سلف هذه الأمة :

ولقد وضع القرآن الكريم ضرورة التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال:
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (٤) والوالد
المسلم يتمثل بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن المعاملة والصدق في
السر والعلانية ومجانبة الكذب والوفاء بالوعود والعهود ، والالتزام بما أمر الله به
والاجتناب عما نهى عنه .

(١) تفسير ابن كثير ٢٨٣/١ ط . عيسى الحلبي .

(٢) آية ٧ / ، سورة الطلاق .

(٣) تفسير الزمخشري (الكشاف) ٣٧٠ / ١ ط . دار العلم .

(٤) آية ٢١ / ، سورة الأحزاب .

ومن هنا وجب على الوالد والوالدة غرس القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة والسلوك الحميد ول يأخذ من وصايا لقمان^(١) لابنه مثالا ونموذجا عمليا في تربية أولاده إذ يقول * (وَاقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) *^(٢) .

" والذي يجب على ولي الصبي إذا كان أبيا أو وصيا أو حاضنا أو الإمام ، إذا عقل أن يعلمه الإيمان ويعلمه الكتابة والحساب ، ويحفظ أشعار العرب العاربة ، ويعرفه العوامل في الإعراب ، وشيئا من التصريف ثم يحفظه إذا استقل واستوفى العشرين الثاني من كتاب الله وهو أمر وسط متساو بين أهل المشرق والمغرب ، ثم يحفظه أصول سنن الرسول وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب نظمها البخاري ومسلم وهي عماد الدين . وبأخذ بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن ومعاني كلماته ، ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب فالباطل فيه كثير ، وما الصحيح من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا كنقطة في بحر وليحذر كتب غير المحققين وأهل البدع ، فإنهم لم يألوا في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصد وبغير قصد ولا يفرط في علم الفرائض فإنها أصل الدين . وهو أول ما يذهب من المسلمين ، يفرضها وبالحساب يقسمها . ولا يخلى نفسه عن الأنساب ولا عن شي من أصول الطب ، فإنه ليس المطلوب منها الغاية فإنها لا تنال إلا الأفراد . وإنما ينبغي لكل عاقل أن يتخصص بجزء منها ولا يفرد نفسه ببعض العلوم فيكون إنسانا في الذي يعلم ، بهيمة فيما لا يعلم ، ولا سيما من أقام عمره حاسبا أو نحوها هلك ، فإنه بمنزلة من أراد صنعة شي فشخذ الآلة عمره ثم مات قبل عمل صنعته " .^(٣)

(١) لقمان الحكيم : حكيم معمر عرف في الجاهلية قبل الاسلام . توجد سورة باسمه في القرآن . بها وصايا لابنه . ترد أغلب الحكم العربية إليه . قيل إنه كان

نجارا أو راعيا أو عبدا حبشيا . الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٦١ .

(٢) آية / ١٩ / سورة لقمان .

(٣) آداب المعلمين لمحمد بن سحنون (ص ١٤٢) ط . دار الكتب الشرقية ، تونس

وكلام ابن العربي عن العلوم التي يتلقاها المتعلم وكيفية التربية لهو منهاج عمل للمعلمين الذين يرغبون في إصلاح التعليم في العالم العربي على المنهج الإسلامي وهذا في نظري ما يلائم العصر مع تحديته وتجديده حسب القدرة والمصلحة .

كيف نغرس العقيدة في نفس الطفل ؟

أولا : تحدثنا عن دور القدوة وأثرها، بل وأهميتها في حياة الطفل. لكن ما هو الأسلوب لتوطيد هذه المبادئ في نفس الطفل ؟ يكون عن طريق الفهم الصحيح للعقيدة فإنه لا يعقل أن يعطى الزاد من لا زاد له . فقراءة الولد لكتب الإسلام لا سيما القرآن الكريم والسنة النبوية من أكبر عوامل تكوين المبادئ والقيم عند الأبناء، إذ القرآن والسنة هما الرافدان اللذان تمسك بهما مكونات الشخصية الإسلامية السوية .

ثانيا : أن يعلم الوالد ابنه الشكر لله عند ظهور نعمة . فقد قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١) ويتمثل قوله تعالى ﴿ ... أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

ثالثا : التواضع لله : فمن تواضع لله رفعه ، والطفل متأثر بالوالدين فهمما اللذان ينظر من خلالهما إلى عالم الأحياء من خلال نظره وسمعه ، ومن تواضع أعمل فكره فيما يحيط به من نعم الله فيرسخ الإيمان ، ويثبت اليقين عن قناعة ذاتية لا عن تقليد .

(١) آية / ٣٤ / ، سورة ابراهيم .

(٢) آية / ١٤ / ، سورة لقمان .

رابعاً : فرس الخشوع وتقوى الله ، إن إحساس المرء بأن الله يراقبه يستوجب أن يتذلل لله وأن ينحني له فيتقرب إليه عز وجل بالخشوع والخضوع ، وكلما كان القلب خاشعاً التزمت الجوارح به . ومن وسائل تربية الخشوع وترسيخ التقوى في نفس الولد ترويضه في سن التمييز على التخشع فـ في الصلاة ، وتأديبه على التحزن والتباكي عند سماع القرآن الكريم وهذه (١) صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين وخصيصة المؤمنين الصادقين .

قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٤) . وقال تعالى ﴿ إِذَا تُلَّكَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (٥) .

والآيات السابقة تدعو إلى الخشوع والتواضع ، ولتتمثل الوالد بالإضافة إلى كتاب الله ما كان عليه صلى الله عليه وسلم ، ويقص عليهم زهده وتمسكه بشريعته ودفاعه عنها وجهاده من أجلها ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه إنما كان يغضب لله عندما تنتهك حرمة الله عز وجل ، ويقص الوالد أو الوالدة على أبنائهم القصص ومواقف الصحابة والتابعين والسلف الصالح من الخشوع الذي أفضى إلى نضارة وجوههم وتمكنهم في البلاد والاعتزاز بدينهم .

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١٦٣ / ١) عبدالله ناصح علوان . ط / دار السلام

بمصر .

(٢) صدر سورة المؤمنين . (آية ١ ، ٢)

(٣) آية / ٢٣ ، سورة الزمر .

(٤) الآيتان / ٣٤ ، ٣٥ ، سورة الحج .

(٥) آية / ٥٨ ، سورة مريم .

خامسا : التحذير من الإسراف والأمر بالاقتصاد : إن الإسراف مهلكة للأمم ومضيعة لجهودها ولخيرها ولقد حذر القرآن الكريم من ذلك في آيات عديدة بينت ضرورة الاقتصاد والابتعاد عن الترف والإسراف والبدخ الذى يقلل من هيبة الفقير للغني وبصير الغنى محط حسد وكره منه . قال تعالى : * (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) * (١) .

وأمر عز وجل بالتوسط في الإنفاق حتى تعتدل الحياة وتستقيم الأمور فقال سبحانه * (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) * (٢) .

سادسا : تهذيب الطفل بالتوسط في المعاملة : فليس من التربية الصحيحة الضرب المبرح ، ولا التماذى في التدليل بل الاعتدال في المعاملة فيكون ضربا خفيفا إذا لم يكن منه بد . وقبل الضرب طرق عديدة منها : النهى بعنف، والزجر أو الإعراض عن كلامه أو منعه المصروف الذى ينفقه وغير ذلك من وسائل التربية التى تكون شخصية سوية ذات خلق ودين .

سابعاً : احترام آراء الأطفال : يخطئ كثير من الناس عندما يعنفون الطفل لا سيما عندما يعبر عن رأيه ويسمعونه من الألفاظ التى تسمى ، إليه فتجرح مشاعره وتفقد الثقة فى نفسه وتجعله مشط التفكير عندما يعبر عن نفسه ، وليس الأمر فى الإسلام كذلك ، فكما أن المداعبة مطلوبة

(١) آية / ٣١ / ، سورة الأعراف .

(٢) آية / ٢٩ / ، سورة الاسراء .

ففي أثنائها يكون سماع ما يجول بخاطر الطفل واستبطان ما يضمـره
ويخجل أن يقوله واجبا تربويا إسلاميا .

أما في سن المراهقة والشباب :

فمن الواجب على الوالد أن يسمع أحاسيس ابنه من طلب شراء كذا وبيع كذا
وحتى الرغبة في الزواج بثلاث ، وليس من صالح الآباء إجبار الأبناء على أشياء
لا يرغبون فيها كإجبار البنت على زوج معين وإجبار طالب أو طالبة على دخول كلية
معينة لمجموع درجاته بل يترك لاختيار ما يوافق ميوله .

أثر المراقبة العادقـة :

وإذا شعر المرء بالمراقبة ذاك الطالب واجتهد وأنتج العامل في مصنعه
وأفلق الفلاح في حقله بجديـة وكانت النتيجة خيرا ، والمراقبة مراقبة عبادة ومراقبة
خشوع ، ومراقبة طلب النجاة من الله والذي يتمثل لأمر المراقبة يتحقق فيه قوله
تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (١) .

ولقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في الحديث الذي
رواه الشيخان عندما سأله عن الإحسان فقال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم
تكن تراه فإنه يراك " (٢) .

(١) آية / ٥٠ / ، سورة البينة .

(٢) حديث متفق عليه . مسلم كتاب الايمان ومختصر صحيح البخارى للألباني

٣٧ باب ٨ ص ١٩ .

نتيجة :

يعتبر الآباء مرشدين وموجهين للأبناء وهم في إرشادهم يستخدمون الحجة والموعظة والقول الجميل مسترشدين بهدى سيد المرسلين عندما مدحه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١) ﴾ .

(١) آية / ١٥٩ ، سورة آل عمران .

الفصل الرابع

الترتيب السبعون في القرآن الكريم
فيه مئة وعشرون مائة

الاول: اعتبار الفروع الصالح (سبعمائة) المجمع الصالح

المجمع للادب: مئة الحكم ونوع (الطائفة) ونظام السور

المجمع الثاني: مكانة العدة في القرآن الكريم

((الفصل الرابع))

في التربية السياسية في القرآن الكريم

تعريف السياسة :

" بالكسر والمشناه التحتانية مصدر ساس الوالي الرعية أى أمرهم ونهاهم^(١)"

ويقول ابن منظور : السياسة : القيام على الشي^(٢) بما يصلحه .

وفي معجم لغة الفقهاء : السياسة بكسر السين مصدر ساس يسوس الدواب :
راضها وعنى بها^(٣) .

ويقول ابن منظور : والسياسة فعل السائس ، يقال : هو يسوس الدواب
إذا قام عليها وراضها ، والوالي يسوس رعيته^(٤) .

وفي معجم لغة الفقهاء : السياسة رعاية شئون الأمة بالداخل والخارج
وفق الشريعة الإسلامية^(٥) .

ويقول أبو البقاء في الكلبيات :

السياسة : هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق الفجى في العاجل
والآجل ، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم ، ومن
السلطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير ، ومن العلماء ورثة الأنبياء
على الخاصة في باطنهم لا غير^(٦) .

(١) كشف اصطلاحات الفنون (١٧١ / ٣) ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) لسان العرب مادة " سوس " .

(٣) معجم لغة الفقهاء (ص ٢٥٢) ط . دار النفائس .

(٤) الكلبيات (٣١ / ٣) لأبي البقاء الكفوى .

وهذا التعريف من أبي البقاء اشتمل على : أولا : مهمة السياسة .
ثانيا : معن تكون السياسة ؟ ، وإذا اتضحت هاتان النقطتان صارت مهمة
السياسة والذين يقومون بها في استقامة وعلاج أوجه القصور التي تواجههم ، ودوام
الاعتدال .

ويضيف التهانوي الي تعريف أبي البقاء الكفوى ما يجعله في ظلية الوضوح "
فيقول ولا تكون على الخاصة — أي العلماء — في ظواهرهم ، لأنها
أيضا منوطة بالجبر والقهر ، وتسمى سياسة نفسية . ويقال أيضا : على تدبير
المعاش بإصلاح أحوال جماعة مخصوصة على سنن العدل والاستقامة وتسمى سياسة
بدنية" (١) .

أقسام السياسة :

يرى أبو البقاء أن السياسة هي السياسة البدنية ، ويعرفها بأنها " تدبير
المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة " (٢) أما التهانوي فإنه يقسمها إلى
قسمين :

القسم الأول : " سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر ، فهي
من الشريعة ، علمها من علمها وجهلها من جهلها " .

القسم الثاني : السياسة المدنية من أقسام الحكمة العملية ، وتسمى
بالحكمة السياسية ، وعلم السياسة ، وسياسة الملك ، والحكمة المدنية . وهو

(١) كشف اصطلاحات الفنون (٣/١٧٢) للتهانوي .

(٢) المرجع السابق .

علم تعلم منه أنواع الرياسة والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها ، وموضوعه
المراتب المدنية وأحكامها ، والاجتماعات الفاضلة والرديئة ووجه استيفاء كل
واحد منها ، وعلّة زواله ، ووجه انتقاله ، وأمر الرعية ، وعمارة المدن^(١) .

وهذان القسمان من السياسة غرضهما هو إصلاح الحياة وإدارة دفتها

والى بر الأمان .

ثم يتحدث من أهمية السياسة :

فيقول : وهذا العلم لا يستغنى عنه أحد من الناس ، لأن الانسان مدني
بالطبع ويجب عليه اختيار المدنية الفاضلة مسكناً والهجرة من الرديئة ، وأن يعلم
كيف ينفع أهل مدينته وينتفع بهم ، وإنما يتم ذلك بهذا العلم^(٢) . وإذا كانت مهمة
الوالي هي صيانة مجتمعة من أوجه الانحراف والقصور وعلاج الخلل الناجم عن
تلف بعض أدرات ومؤسسات دولته ، فإن القيام بهذه المهام الموكولة إليه مهام
تربوية وإصلاحية هدفها تحقيق المجتمع القرآني سلوكاً وعملاً .

(٢٠١) كشف اصطلاحات الفنون (٣/١٧٢) .

((المدخل))

اعتبار الفرد الصالح أساس المجتمع الصالح

نظرة الإسلام للمسلم :

الإسلام يضع اللبنة الأولى في بناء المجتمع السليم الكريم القويم ، ويخطو الخطوة الأولى والتي لا بد منها في إقامة صرح الأمة الإسلامية على أساس متين فيوجب إعداد الفرد إعدادا بدنيا وعقليا وخلقيا حتى يكون عضوا نافعا لنفسه ولأهله ولأمته وحتى يضطلع بالأعباء التي تناط به (١) .

ونظرة القرآن إلى الانسان هي نظرة شاملة كاملة متزنة معتدلة فالإنسان ليس بالكيان المادى كما ينظر إليه الماديون كما أنه ليس بالروح التي تتجرد عن المادة كما يفعل بعض المتقشفين فهو مكون من جسد وروح منذ أن خلق الله الإنسان ، والإنسان ليس بالحيوان الحقيق الذى تنتهى حياته بانتهاء أجله فقط ، والذى يشاركه في هذا الحيوان . كما أنه ليس بالمخلوق الأسمى الذى ليس فوقه شيء . والقرآن الكريم يحترم الفرد ، ويعرف قيمته ، ومكانته ، ويحمله مسئولية فردية ، والمجتمع في الإسلام يتكون من أفراد ذوى مسئولية وشعور اجتماعي ، وانتماء مفيد ، فالقرآن لا يتجاهل الفرد أو يهمله كما أنه لا يتطرف في الفردية على حساب الجماعة ، فالفرد حسب مفهوم القرآن الكريم اجتماعي بطبعه ، وتكوينه ، ومشاعره ، ومطالبه ، وأحاسيسه ، والمجتمع يتكون من أفراد اجتماعيين متآلفين متعاونين . والإنسان مادة وروح . قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢) .

(١) انظر في هذا دعوة الإسلام ص ٥٥ سيد سابق .

(٢) آية / ٧١ ، ٧٢ / ، سورة ص .

والانسان خليفة الله في أرضه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١) . ويقول الزمخشري :-

"أريد بالخليفة آدم ، واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم ، أو أريد من يخلفكم أو خلفا يخلفكم (٢) ."

" وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ويقطع تنازعهم ، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم ، ويقوم الحدود ، ويزجر عن تعاطى الفواحش إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، والإمامة تنال بالنص كما يقول طائفة من أهل السنة في أبي بكر ، أو بالإيما إليه كما يقول آخرون منهم ، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب ، أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته أو بمبايعته واحد منهم له فيجب التزامها عند الجمهور وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع والله أعلم " (٤) .

وعنى القرآن الكريم بتكريم الإنسان ورفعته وميزه عن غيره . قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٥) .

-
- (١) انظر هذا المعنى في : الفلسفة التربوية في القرآن الكريم (ص ١٥) د / محمد فاضل الجمالي .
(٢) آية / ٣٠ / ، سورة البقرة .
(٣) تفسير الكشاف ٢٧١ / ١ .
(٤) تفسير ابن كثير ٧٢ / ١ ط . عيسى الحلبي .
(٥) آية / ٧٠ / ، سورة الإسراء .

"ولقد كرمنا بني آدم بالعقل والتفكير فسخرنا له كل شيء في الكون كالماه واليهوا والأثير ، وكرمه بأن خلق له كل ما في السموات والأرض وكرمه في خلقه السوى وقامته المرفوعة ، وكرمه بالتكليف ، وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام خاصة محمدا صلى الله عليه وسلم" (١) .

"كما أعلن القرآن فردية الإنسان ومسئوليته عن تصرفاته . قال تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (٢) .

وقال الشوكاني : "إن كل من في السموات والأرض" أى كل من في السموات والأرض إلا وهو آتى الله يوم القيامة مقرا بالعبودية خاضعا ذليلا كما قال : ﴿ وَكُلُّ آتِيهِ دَاخِرِينَ ﴾ (٣) أى صاغرين . والمعنى أن الخلق كلهم عبيده فكيف يكون واحد منهم ولد له . . . " لقد أحصاهم " أى حصرهم وعلم عددهم . " وعددهم عدا " أى عد أشخاصهم بعد أن حصرهم فلا يخفى عليه أحد منهم . " وكلهم آتىه يوم القيامة فردا " أى كل واحد منهم يأتىه يوم القيامة فردا لا ناصر له ولا مال معه " (٤) .

وأوضح القرآن أن فعل الانسان ما هو إلا على الأرض وإلى الله المرجع والمآب والمصير قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥) .

قال ابن كثير في تفسيره (٦) " ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى

(١) التفسير الواضح ٣٧/١١ ط . العاشرة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٢) آية / ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ / ، سورة مريم .

(٣) آية / ٨٧ / ، سورة النمل .

(٤) تفسير فتح القدير ٣ / ٣٥٢ الشوكاني .

(٥) آية / ١٦٤ / ، سورة الأنعام .

(٦) تفسير ابن كثير ٢ / ١٩٩ ط . عيسى الحلبي .

إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال : ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مَثَلَةً إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ ﴿١﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَآ يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۗ ﴾ ﴿٢﴾ .

قال علماء التفسير : أي فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم بأن ينقص من حسناته . وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۗ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۗ ﴾ ﴿٣﴾ معناه كل نفس مرتهنة بعملها السيء إلا أصحاب اليمين فإنه قد تعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقرباتهم كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ﴿٤﴾ أي أَلْحَقْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ شَارَكُوهُمْ فِي الْأَعْمَالِ . بل في أصل الإيمان .

وما أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم . وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم بفضله ومنته ثم قال : ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ ﴿٥﴾ أي من شر . وقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَمِنْ بَيْنِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٦﴾ أي اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم وما كنا نختلف فيه فسي

الدار الدنيا

-
- (١) آية / ١٨ / ، سورة فاطر .
 (٢) آية / ١١٢ / ، سورة طه .
 (٣) آية / ٣٨ / ، سورة المدثر .
 (٤) آية / ٢١ / ، سورة الطور .
 (٥) آية / ٢١ / ، سورة الطور .
 (٦) آية / ١٦٤ / ، الانعام .

وهذا تعريف للإنسان الفرد بمكانته بين الخليقة وبمسئوليته الفردية في

(١)
هذه الحياة .

ومبدأ القرآن الكريم في إقامة المجتمع الطاهر النظيف بضمير الفرد فيطهر عقيدته ونفسه ويسمو بدوافعه ويوزع طاقاته بين الأرض والسما، وبين الآخرة والأولى، وبين الحاضر والآتي، وبين ذاته ودعوته، ويتعهد بفرائض تروضه على الحياة الشريفة النظيفة العادلة المتزنة .

والأمة مجموعة متماسكة من الأفراد وكلما كان الفرد يقظا وسليما في عقله وتفكيره وديانته وأمانته كان بناء الأمة سليما . والفرد هو الخلية الأولى في بناء المجتمع، والدعوات الإصلاحية تبدأ طريقها من الفرد لا من الجمهور .

وإن إصلاح مجموعة من الأفراد في كل بلدة إصلاحا جيدا هو الذي يفضي إلى إصلاح تلك البلدة .

التدرج في إصلاح الفرد والجماعة بمنظور تربوي :

ظل صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة يعني بالدرجة الأولى بإصلاح أفراد من أمته حتى إذا اجتمع له منهم عشرات بدأ في بناء الدولة . وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي، ومن سار على هديهم هم الذين أقاموا صروح الدولة الإسلامية وهم الذين كان يجتمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم يقوى أواصرهم ويضمدهم ويبيت روح الأمل في نفوسهم .

(١) انظر في هذا الفلسفة التربوية في القرآن (ص ١٣) د . محمد فاضل الجمال .

وفي سائر الأمم والحضارات بدأت تلك الكيانات الصلبة من أفراد قويت عزائمهم وتوحدت إرادتهم واستقامت أخلاقهم ولايجاد الفرد الصالح ، والمسلم الصالح أقيمت الكتاتيب والمدارس والمساجد ودور العلم المختلفة للتهذيب والتربية القرآنية .

ففي المسجد والمدرسة تبني عقيدة الفرد وعقله ، وفي الجماعة يتدرب على التعامل والسلوك القويم له ، وأول عمل اهتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو بناء المسجد ليبنى الأفراد على طاعة الله ونهج رسوله ويربيهم على مائدة القرآن وهدية .

(١)

ولقد كان مسجده هو الجامعة الكف لتخريج الأبطال والرجال . إن هناك تفاعلا وتقاربا بين الفرد والمجتمع في كل حركة كبيرة من حركات التاريخ والمجتمع يبرز مرة ، والفرد مرة أخرى ، والتفاعل موجود دائما في جميع الحالات مثال ذلك عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — شخصية فذة بارزة في التاريخ كله يضاف إليها الروح الإسلامية ، والتوجه الإسلامي ، والمجتمع المسلم ، إن عمر استوعب هذه الروح بكل خصائصها ، واستوعبها بقوة تناسب قوة نفسه وإيمانه ، وسار معها مستقيما لا ينحني ولا يضعف ولا تضطرب في يده مقاليد الأمور .

التفاعل بين الفرد والمجتمع :

إن هناك تفاعلا مشتركا بين الفرد والمجتمع ، فلولم يكن المجتمع أيام سيدنا عمر مسلما متشعبا بالروح الإسلامية مستجيبا — لأهدافها لاستعصى على عمر بعظمته الشخصية وحدها أن يسير بها إلى القمم العالية التي وصل إليها . إذا^(٢)

(١) انظر في هذا : أخلاقنا الاجتماعية (ص ٥) للدكتور/مصطفى السباعي .

(٢) في النفس والمجتمع (ص ١٤٥) محمد قطب .

فالتفاعل موجود دائما بين الفرد والمجتمع ، والعلاقة بين الفرد والمجتمع هي الموضوع الرئيس لعلم الاجتماع . .

وعلماء النفس الفرديون ينظرون إلى المجتمع من وجهة نظر الفرد فيبالغون في تقدير أهميته ، ومن جانب آخر تبالغ بعض الدول في تحقير قيمة الفرد وتصوره تصورا خاطئا وكلتا النظرتين غير صائبة .

فالفرد المحب لنفسه الغارق في ذاته المنكر لحقوق الآخرين ، والمجتمع الذي يهمل قيمة الفرد كلاهما يجهل أو يتجاهل طبائع الأشياء . وقد أسلفت أن الفصل بين الفرد والمجتمع أمر غير سليم ولا يثبت أمام البحث والمناظرة .

والمجتمع هو مجموعة تلك الأفراد . إن كل فرد هو في ذات الوقت كائن مستقل وعضو في جماعة ، فمنذ وجد الإنسان تكون المجتمع حيث أن أفراد النوع البشري لا يستطيعون أن يعيشوا منفصلين .

ومع أن الفرد يحتفظ لنفسه بكونه شخصية مستقلة لها سماتها ، وعلاماتها ، وتوجهاتها إلا أنه اكتسب مع ذلك صفته الأخرى كعضو في جماعة متألفة متعاونة .

والفرد ظل ملازما لصفته الأصلية صفته كفرد مستقل وصفته كفرد في مجموعة ، ولدى الإنسان مجموعة من الرغبات والمقاصد ولكن الرغبة في الاجتماع والوحدة قد أخضعت النوازع الذاتية والفردية لسلطانها بوجه عام .

والإنسان كما هو معروف يخضع لعوامل عدة وتحكمه أحيانا أمور أخرى قد تخرج عن هذه القاعدة فهو أحيانا يستجيب لنوازعه الفردية وأحيانا يستجيب لنزعة الاجتماع والقرب ، وهو أيضا في حالته السوية تتقلب من حال إلى حال وهي كلها تدور في دائرة المألوف والمعروف عن البشر تقريبا، لم يصل إلى حد التطرف والاسراف .

إن الفرد الممتاز هو أساس البناء المتماusk، والفرد الصالح المتوازن ينشأ
عنه مجتمع متوازن متعاون .^(١)

وفي المجتمع الصالح ينشأ الفرد الصالح. هذه هي فلسفة الإسلام الفذة وهي
فلسفة متزنة متأنية حكيمة .

فالإسلام لا يغفل الفرد ولا يغفل المجتمع ولا يبالي في تقدير واحد منهما
على حساب الآخر .

والإسلام ينظر إلى الفرد على أنه جدير بالاحترام والاهتمام والرعاية
والعناية . والإسلام يشمل الفرد والمجتمع بنظرة واحدة واعية شاملة ، وطريقته
في ذلك السعي إلى إيجاد الفرد المتوازن .

وهذا الفرد المتوازن سيكون ملتزما معتدلا لن يعتدى على غيره. حيث
الاعتداء منشؤه الإسراف وعدم التوازن والالتزام، وحين يوجد الفرد المتوازن الملتزم،
يوجد المجتمع المتماusk المتعاون المتوازن ، والإسلام يعنى بكل فرد على حدة
لأنه الوحدة التي ينشأ المجتمع من اجتماعها بغيرها من الواحدات واللبنات التي
يبني عليها ما بعدها .

وعناية الإسلام بالفرد المسلم طفلا ومراهقا وشابا وكهلا وشيخا تشبه في
مظهرها عناية الدول الجماعية وتختلف عنها في جوهرها أشد الاختلاف^(٢) ففي تلك
الدول تشرف الدولة بنفسها عليهم وتراقبهم مراقبة علنية وسرية ، حيث لا تشق
بهم ولا تكلمهم إلى ضمائرهم ، لأنها لا تعنى ولا تهتم بتربية هذا الضمير وموضع

(١) الانسان بين المادية والاسلام ص ١٣٦ محمد قطب .

(٢) المرجع السابق .

الاهتمام لديهم الدولة لا العقيدة . والإسلام لا يحتاج لشيء من ذلك ، فالمسلمون يرمون أولادهم على خلق الإسلام طائعين قربةً إلى الله وابتغاءً ما لديه ، يحدد وهم بإيمانهم ويقينهم إلى ذلك ، وهم لا يكتبون أشواقهم ورغباتهم واهتماماتهم لأن ذلك مناف لطبيعة الإسلام بل يصبغون نزعاتهم الفطرية ويوجهونها ، وهم أيضا يقيمون حسيا ورقبها له من داخل نفسه ينظم حركته وتوجهاته ومقاصده ورغباته — إن صحت هذه التسمية — على ضوء الإسلام وخلق القرآن الكريم كما يزرعون في نفسه الأنفة الحقة ، والعزة الإيمانية ، والكرامة القرآنية .

وهذه التربية الحقة للأفراد يمثلها ومبادئها القويمة وخطتها السليمة ومناهجها الحية المعتدلة ينشأ منها أفراد ملتزمون معتدلون . وينشأ بهم ومنهم مجتمع فاضل ينشد الخير ويأديه ويدافع عن الفضيلة . أساسه المحبة وبنيانسه التعاون وثمرته الحصول على خيري الدنيا والآخرة كما شرع الإسلام مع ذلك أنظمة أخرى تساعد وتساند ليظل الفرد منسجما مع هذا الاتجاه منغذا له راغبا فيسه ، وهو مع ذلك يعطيه الإسلام حرية مضبوطة منظمة فلا يعتدى على أحد . فالأب حر في التربية وتنشئة أولاده وفق شرع الله وأمره ونهجه الفريد . والفرد في الإسلام حر التملك وفق تعاليم الإسلام وقد سبق شيء من ذلك في حكم التملك في الإسلام .^(١) كما أن المسلم حر في استمتاعه بالطيب الحلال من الرزق ، وحر في تفكيره وتعبيره وفق نهج القرآن وآدابه ، ومثله والعلاقة التي تقيمها فلسفة التربية الإسلامية بين الإنسان والإنسان هي علاقة العدل والإحسان قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٢) .

والعدل هو الحد الأدنى للعلاقات بين بنى الإنسان والوقوف عند هذا الحد والتحذير من تجاوزه إلى ما هو أدنى حين تثور الخصومات ، وتقع النفوس

(١) ينظر : حكم التملك ص ٢٩٧ - ٣٠٤ من البحث .

(٢) آيه / ٩٠ / ، سورة النحل .

فريسة الانفعال والغضب والكرهية المؤدية الى الجور ، والظلم والعدوان، أو حين تتحرك مشاعر الهوى والشهوات وتصبح النفوس مرضة للميل والتحيز . أما علاقة الإحسان فهي حسب توجيه القرآن العلاقة الطبيعية التي يجب أن تربط الانسان بأخيه الانسان وهي التي يجب أن تسود في الظروف العادية حين لا يكون هناك إحن ولا خلاف ويجب على التربية أن تعمل على تنميتها وإشاعتها في حياة الأفراد والجماعات، ووظيفة التربية الإسلامية الحقة؛ هي العودة بالإنسان إلى أصل نشأته من خلال تربيته على الإيمان والقرآن وبذلك تعود الصحة والتوازن إلى القوى المعتلة والنظم المختلفة .^(١)

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾^(٢) .

والإنسان بفطرته يعيش حياة سوية نقية صالحة متجددة فهي مستمدة من نزعة الفردية، من إحساسه بذاته، ومن حبه للبروز بكيانه، ومن حب الخير لنفسه .

الفرد المسلم - من هو ؟

والفرد المسلم هو الإنسان العامل الذي يقوم بالعمل الصالح ويتقننه لأن العمل الصالح هو علة الخلق ومادة الابتلاء والاختبار في الدنيا ، ومقياس النجاة في الآخرة .

(١) انظر : فلسفة التربية الإسلامية ص ١٣٦ ، د . ماجد عرسان الكيلاني .

(٢) آية / ٦٠٤ ، سورة التين .

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (١)

وقد ورد لفظ العمل في القرآن الكريم في ثلاثمائة وتسعة وخمسين موضعاً وفي جميع هذه المواضع يلحق بالعمل إحدى صفتين: إما صفة الصلاح، أو صفة السوء. والعمل الصالح هو الترجمة العملية والتطبيق الأكمل للعلاقات التي حددتها الفلسفة التربوية القرآنية بين الإنسان والخالق والكون والحياة والإنسان والآخرة.

نماذج قرآنية للعمل الصالح :

لقد حفل القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تحث على العمل الصالح

وهاهي ذى بعض تلك النماذج :-

العمل السياسي :

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (٣)

والعمل الوظيفي :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (٤)

والعمل الفكري والتربوي :

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي

مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٥)

-
- (١) آية / ٢ / ، سورة الملك .
(٢) آية / ١٢٩ / ، سورة الاعراف .
(٣) آية / ٣٨ / ، سورة الشورى .
(٤) آية / ٦٠ / ، سورة التوبة .
(٥) آية / ٣٣ / ، سورة فصلت .

والعمل الصالح ذو جوانب كثيرة ، والفرد الصالح هو أنموذج للإنسان

الذي تسعى التربية الإسلامية إلى صقل خبراته ورفع مستواه .

مكاسب العمل الصالح :

زخر القرآن الكريم بتقديم أمثلة جيدة لمنافع ومكاسب العمل الصالح منها الأمن والتمكن في الأرض ، والحياة الطيبة ، والجزاء الحسن ، والدرجات العالية ، والتمتع بنعم الله ، والصحة النفسية والجسدية واليقين ، ودخول الجنة. كما يقدم القرآن أيضا أمثلة أخرى لمضار العمل السيء ، وهو عمل غير صالح فيذكر منها مثلا المعيشة الضنك ، والإجلاء من الأرض ، وتمزيق الأم وسقوط المنزلة ، والدمار الاجتماعي ، والاضطراب الفكري ، والأمراض الجسدية والنفسية.

والعمل الصالح هو سمة الفرد الصالح ، والتربية الإسلامية تركز في تربية الفرد المسلم على تنمية المكونات الأولى للعمل الصالح، أي تنمية القدرات العقلية والوصول بها الى درجة النضج، ثم المثل الأعلى، ثم الخبرات الدينية والاجتماعية.

حقوق الفرد المسلم :

لكي يقوم الفرد بواجباته في المجتمع المسلم وحتى يكون شخصا صالحا

لا بد له من معرفة حقوقه وهي :-

أولا : حق الحياة :

الحياة هبة من الله لعباده أودعها في نفوس البشر جميعا فقد أنشأهم

وصورهم وأبدع تصويهم فقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾
﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (١)

(١) آية / ٩٨ / ، سورة الأنعام .

وبين سبحانه وتعالى أن نشأة الإنسان كانت من الأرض وأن استعمار الإنسان للأرض كان بتوفيق الله له .

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (١)

قال الزمخشري : " هو الذي أنشأكم من الأرض " لم ينشئكم منها إلا هو ، ولم يستعمركم فيها غيره ، وأنشأكم منها ، خلق آدم من تراب " واستعمركم " وأمركم بالعمارة ، والعمارة متنوعة إلى واجب ومندوب ومباح ومكروه " (٢) .

وكان من أبداع تصويره ونشأته أن خلق وسائل الاتصال التي تحيط بالإنسان ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ . قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٣) .

أي : قل لهم يا محمد - هو الذي خلقكم ، وذراكم في الأرض فكان منكم النسل الكثير ، والتكاثر المفضى إلى الانتشار في بقاع الأرض ، ولكن اعلما أنكم إليه تحشرون " (٤)

قال تعالى : ﴿ وَبِكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مَن يَبْعَدِكُمْ مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (٥)

إن حق الحياة حق أصيل ليس لمخلوق أن يعتدى عليه ، أو يسلبه إلا في إطار الشريعة . التي أقرت ذلك في حالات أهمها :-

-
- (١) آية / ٦١ / ، سورة هود .
 - (٢) تفسير الكشاف ٢٧٨ / ٢ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٤٥٠ ط. عيسى الحلبي .
 - (٣) آية / ٢٣ ، ٢٤ / ، سورة الملك .
 - (٤) التفسير الواضح ١١ / ٢٩ .
 - (٥) آية / ١٣٣ / ، سورة الأنعام .

- ١ — أن يكون حرمان النفس من حق الحياة . . قصاصا . . نفسا بنفس .
- ٢ — أن يكفر الانسان المسلم أو يقطع الطريق . . . الخ " (١)

ثانيا : حق الحرية :

الفرد المسلم يشعر بقيمة الحرية لأنها جزء من حياته ، وجزء من أخلاقه ومعاملاته ، والمسلم يؤمن بأن نعمة الحرية هبة من الله سبحانه وتعالى إذ قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (٢) .

وهي حرية لا تتعارض مع آدمية غيره ، وهي حرية العقيدة التي قدرها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا .

وقال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٣) .

والمسلم الحر يتبع أحسن ما يتلى عليه من منطلق حق الاختيار . قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالُونَ الْأَلْبَابِ ﴾ (٤) .

" قيل يستمعون القرآن وفيه فيتبعون القرآن ، وقيل يستمعون أوامر الله

فيتبعون أحسنها نحو القصاص والاعضاء والابداء والاخفاء " (٥) .

-
- (١) علم الاجتماع الإسلامي . التصوير القرآني للمجتمع ١ / ٦٤١ ط . دار الفكر العربي .
 - (٢) آية / ٥٣ ، سورة النحل .
 - (٣) آية / ٢٥٦ ، سورة البقرة .
 - (٤) آية / ١٨ ، سورة الزمر .
 - (٥) الكشاف ٣ / ٣٩٣ ط . دار المعرفة ببيروت .

والحرية حق ليس مطلقاً فالإسلام يقيد به بالالتزام بحرية الآخرين وذلك فسي
إطار التكافل الاجتماعي الذي يجعل المجتمع كله يحيى ويتفاعل ويتعبد ويتعاون
ككيان عضوي واحد أو كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه بعضاً " (١)

ثالثاً : حق التعلُّم :

إهتم الإسلام في المقام الأول بالعلم وهذا واضح جلي من استطلاعنا
لآيات الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٤)

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحتل على العلم وتبين فضيلته ، إذ به

يرتقى إلى درجة الانسانية المتمثل فيها عبودية الله حقاً . قال تعالى ﴿ يَرْفَعِ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٥)

(١) أخرجه البخاري ١/١٢٩ ، ٣/١٦٩ ، ٨/١٤ ط الشعب ، ومسلم كتاب
البر والصلاة

(٢) آية / ٥٨ ، سورة فاطر .

(٣) آية / ١١٤ ، سورة طه .

(٤) آية / ١ : ٥ ، سورة العلق .

(٥) آية / ١١ ، سورة المجادلة .

- ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم . . على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقد رُكل امرئ ما كان يحسنه . . والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبدا . . الناس موتى وأهل العلم أحياء (١)

وقال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

بِالْقِسْطِ ﴾ (٢) وحق العلم مكفول في الاسلام بشروط أربعة هي :

الأول : ألا يكتم العلم فلا يستفاد به في هداية الناس كما فيه صلاحهم

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (٣)

قال ابن كثير : هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره ، فاذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم . وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، والదال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً " (٤)

الثاني : ألا يمتنع صاحب علم عن توظيفه في خدمة الناس " وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ

كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ (٥)

- (١) إحياء علوم الدين ١ / ٨ ط . عيسى الحلبي .
(٢) آية / ١٨ ، سورة آل عمران .
(٣) آية / ١٨٧ ، سورة آل عمران .
(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٤٣٦ ط . عيسى الحلبي ، انظر : الكشاف ١ / ٤٨٦ ط . دار الفكر .
(٥) آية / ٢٨٢ ، سورة البقرة .

قال ابن كثير " ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب " أى ولا يمتنع من يعرف الكتابة إذا سئل أن يكتب للناس ولا ضرورة عليه في ذلك فكما علمه الله ما لم يكن يعلم فليصدق على غيره ممن لا يحسن الكتابة^(١) .

وقال الزمخشري : " ولا يأب كاتب " ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب " .

" أن يكتب كما علمه الله " مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير^(٢) .

وقال الشوكاني : " ولا يأب كاتب " . . . أى ولا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كتاب التداين كما علمه الله أى على الطريقة التى علمه الله الكتابة ، أو كما علمه الله يقول (بالعدل)^(٣) .

الثالث : لا يشتري صاحب العلم به ثمناً قليلاً فيزيف حقا أو يزين باطلا ، ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾^(٤) .

قال ابن كثير : "هؤلاء" صنف آخر من اليهود وهم الدعاة الى الضلال^(٥) بالزور والكذب على الله وأكل أموال الناس بالباطل " فهؤلاء الكتبة لم يكتفوا بالتحريف ولا بالكتابة لذلك المحرف حتى نادوا في المحافل بأنه من عند الله لينالوا به هذه المعاصي المتكررة هذا الغرض النزير والعض الحقيقير^(٦) .

-
- (١) تفسير ابن كثير ١ / ٣٣٥ ط . عيسى الحلبي .
 - (٢) تفسير الكشاف ١ / ٤٠٢ ط . دار الفكر .
 - (٣) فتح القدير للشوكاني ١ / ٣٠٠ .
 - (٤) آية / ٢٩ ، سورة البقرة .
 - (٥) تفسير ابن كثير (١ / ١١٢) ط . عيسى الحلبي .
 - (٦) فتح القدير (١ / ١٠٥) للشوكاني والنزير بالزور .

وعن ابن عباس أنه قال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله يقرأونه غضا لم يشب ، وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، ولا والله ما رأينا منهم أحدا قط سألكم عن الله الذي أنزل عليكم ^(١) .

الرابع : أن يطلب العلم من أهله نور الحاجة إليه قال تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ^(٢) ﴾ .

(١) تفسير ابن كثير (١١٧/١ ، ١١٨) وعزاه البخاري من طرق عن الزهري .

(٢) آية / ٨٣ / ، سورة النساء .

((المبحث الأول))

في مصدر الحكم ونوع الحكومة ونظام الشورى

((المطلب الأول))

مصدر الحكم

تحمل كلمة الحكم معاني عديدة فهي وقد وردت في مواقعها من القرآن الكريم تدل على تمكن الحرية من العقيدة الإسلامية .

فإن نظام الكون صورة للحكومة المثلى في هذه العقيدة ، وهي حكومة تجسرى على سنة ، وتقوم على حجة ، وتقدم البلاغ قبل الحساب .

أما كلمة الحكم فقد وردت في آيات القرآن الكريم عشرات المرات ، ودلت في مواقع تعددها على أن الحكم للمنصف مسألة أساسية جوهرية في العقيدة الإسلامية وليست بالمسألة الوضعية التي يشار إليها مرة هنا ومرة هناك مضافة إلى غيرها من الدواعي والمناسبات .

(١) فما من خلاف يدهو إلى حل إلا كان حكم الله له حكما فاصلا بين الحق والباطل .

ويذكر الأستاذ العقاد قيمة هذه الكلمة ودورها فيقول :

إنها توحى إلى ضمير الانسان أن وراء كل بغي حكما ، ووراء كل خلاف حكما ، ووراء كل هوى حكما ، ووراء هذه الأحكام جميعا حكم الله أحكم الحاكمين وخير الحاكمين .

(١) الديمقراطية في الإسلام مجلد (٥) ص ٦٧ للعقاد ط. دار الكتاب اللبناني بيروت .

إن هذه الكلمة كبيرة الدلالة ومعناها وكبيرة الدلالة بتكرارها في مواقعها ،
فليس الحكم الصالح فضيلة عرضية. يحث عليها الدين في مقام البحث علي الفئاضل
المستحب ، ولكنه أساس لا ينفصل عن مسائل الحياة ، وملاذ يعاذ به في كل كبيرة
وصغيرة ، وقفاً يسرى في طبائع الأشياء وعلي جميع الأشياء ، ولا يتكرر التنويه بالحكم
والتحكيم ويتكرر معه وصف الحكم بالقسط وتحذير الحاكمين عن الهوى إلا ليثبت فسي
أعماق الضمير ، أن هناك حصانة للأحياء تجل عن عبث الأهوا وطعنان الأقوياء (١)

والباحث في قصد الحكم يجد أن المصدر الرئيس هو كتاب الله ثم سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال الصحابة والتابعين ، والقياس ، والشورى ،
والعرف ، والاستحسان ، كلها قواعد الحكم الاسلامي .

اذن لما هو الحكم ؟!

الحكم المطلق هو إثبات أمر لأمر أو نفيه ، فإذا كان طريق الإثبات أو النفي
العقل ، كالواحد نصف الاثنين ، والضدان لا يجتمعان كان الحكم فصلاً ، وإذا كان
طريق الإثبات أو النفي العادة الفطرية كالنار محرقة والذهب لا يصدأ كان حكماً
مادياً .

وإذا كان طريق الحكم هو الشرع كالصلاة واجبة ، وشرب الخمر حرام وتوحيد
الله واجب والإشراك به حرام كان حكماً شرعياً .^(٢)

(١) الديمقراطية في الإسلام مجلد (٥) ص ٦٧ للعقاد ط. دار الكتاب اللبناني
ببيروت .

(٢) نظرية الحكم ومصادر التشريع في أصول الفقه الإسلامي (ص. ١) د. أحمد
الخضري . ط. دار الكتاب العربي .

ونخلص إلى القول بأنه اتفقت كلمة المسلمين على أن الحاكم في شريعة الله هو وحده سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(١) فلا حكم الا من الله سبحانه وتعالى كما أجمعت الأمة على أن أحكامه سبحانه وتعالى على أفعال المكلفين تعرف من رسله بعد إرسالهم للناس وتليغهم الدعوة فحكم الله يعرف من الوحي السماوي ومن الأدلة التي أعتبرها^(٢).

يرى بعض الباحثين في نظام الحكم الإسلامي أنه لم يتعرض للتفصيلات، وأحكام الجزئيات التي تختلف في أمة من الأمم باختلاف الأحوال والظروف والمناسبات والأزمنة والأمكنة، وإنما أتى القرآن بأسس ثابتة وقواعد كلية قلما تختلف فيها أمة من أمة فهو لم يقرر شكلا معيناً للحكومة ولم ينص على كيفية تنظيم سلطانها، وإنما قرر الأسس الثابتة التي يجب أن يقوم عليها الحكم تحقيقاً للعدالة، ويرجعون السبب في ذلك إلى أن مصالح الناس تختلف باختلاف البيئات والأزمات والأحوال، لهذا كان من حكمة الله أن بين في القرآن والسنة ونهج الرسول صلى الله عليه وسلم الأحكام الأساسية والمبادئ العامة التي لا تختلف باختلاف الأزمان والأمكنة، وترك الفروع والتفاصيل تتصرف فيها كل أمة وفق ما يصل إليه الاجتهاد للقضاة من أبنائها بما يحقق مصلحتها، على أن لا تشذ هذه الأحكام الفرعية عن الأحكام الأساسية التي قررها القرآن وأوضحتها السنة، وأول هذه الأسس وأهمها وأحقها بالرعاية والاحترام هو الاعتراف والالتزام بأن شرع الأحكام هو الله وحده وليس لبشر مهما تلا كعبه ولعم نعمة أن يشرع أصولاً غير التي شرعها الله.

(١) آية / ٤٠ / ، سورة يوسف .

(٢) نظرية الحكم ومصادر التشريع في أصول الفقه الإسلامي (ص. ١) د. أحمد الخضري ، ط . دار الكتاب العربي .

أما القضايا التي ليس فيها نص من كتاب أو سنة ولا إجماع من هذه الأمة فقد
وكلت الشريعة ذلك الى أهل العلم الذين هم أهل للاجتهد والنظر في مثل هذه
الأمور .^(١)

وقد اختص الله وحده بالحكم : * (إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) *^(٢)

فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته إذ الحاكمية من خصائص الألوهية من
ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته ومن نازعه سبحانه
وتعالى فقد كفر .

والأمة في النظام الإسلامي هي التي تختار الحاكم ولكنها ليست هي مصدر
الحاكمة إنما مصدر الحاكمية هو الله .

وكثيرون حتى من الباحثين المسلمين يخلطون بين مزاولة السلطة وبين مصدر
السلطة .^(٣)

فالناس بجملتهم لا يملكون حق الحاكمية إنما يملكه الله وحده ، والناس
إنما يزاولون تطبيق ما شرعه الله بسلطانه أما ما لم يشرعه فلا سلطان له ولا شرعية .

وخاطب الحق نبيه فقال * (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) *^(٤)

(١) انظر في هذا روح الدين الاسلامي (ص ٢٩٠) عفيف عبدالفتاح طبارة .

(٢) آية / ٤٠ / ، سورة يوسف .

(٣) في ظلال القرآن (٤ / ٧٢٥ ، ٢٧٦) .

(٤) آية / ١٠٥ / ، سورة النساء .

إنها صرامة معبرة عن الغضب للحق والغيرة على العدل ، وتشيع في جو الآيات وتقيض منها ، وأول ذلك تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم بتنزيل الكتاب إليه بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله وهو أسلوب تربوي قرآني للجماعة المسلمة لتنهض بتكليفها في خلافة الأرض ، وفي قيادة البشر وهي لا تقوم بذلك حتى يتضح لها منهج فريد متفوق على كل ما تعرفه البشرية ، وحتى يقام فيها ميزان العدل لتحكم به بين الناس مجردا من جميع الاعتبارات الأرضية^(١) . وقال تعالى ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢)

قال الزمخشري : " اتبعوا ما أنزل اليكم " من القرآن والسنة ، " ولا تتبعوا من دونه " من دون الله " أولياء " أى ولا تتولوا من دونه شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل اليكم وأمركم باتباعه^(٣) .

ما على المحكومين إلا الإذعان لأوامر الله والانقياد لطاعته ولا بد من الاعتراف بالأفضلية لشريعة الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(٤) فهي تمثل منهجا شاملا تاملا عادلا لشريعة الله فهي تتناول التنظيم والتوجيه والتطوير ، وهو منهج قائم على العلم المطلق بحقيقة هذا الانسان ، وحقيقة الكون .

إن الإسلام عندما جعل الحكم لله وحده أراد لإخراج العباد من عبادة بعضهم إلى عبادة الله وحده ، والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلتفت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد يملك الإرادة على الضمائر والسرائر أما حين تتوزع السلطة فإنها تفسد الحياة البشرية ، ومن أجل هذا جاء الدين ليكون منهج حياة

(١) في ظلال القرآن (٣ / ١٣ ، ٥١٤) .

(٢) آية ٣ / ٣ ، سورة الأعراف .

(٣) تفسير الكشاف (٢ / ٦٦) .

(٤) آية ٥٠ / ٥٠ ، سورة العائدة .

جاء ليتولى قيادة البشرية وتوجيه الإنسانية وتنظيمها وتوجيهها فهو مصدر الحكم .
ويقرر نوع الحكومة وفق منهج شامل كامل قائم على العدل المطلق مبتدئاً من الجهل
والقصور والخلو والتفريط .

وقد نفى الله الإيمان عن المؤمنين حتى يحكم الرسول ولا يكتفى بذلك
وحده بل لا بد أن يزيل عن قلوبهم وصدورهم الحرج والضيق من حكم الرسول ويسلموا
تسليماً وهو لا يحكم إلا بما أنزل الله إليه . قال تعالى * (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يَحْكُمُوا بِمَا نَازَلْنَا مِنْ رَبِّكَ وَتَقْبَلُوا مِنْ يَدَيْهِ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا) * (١)

وترتب على ذلك نتيجتان عظيمتان هما :-

أولهما : ثبات النظم الشرعية خلافاً لأحكام البشر .

ثانيهما : احترام النظم السماوية والثقة بها والرضا عنها حيث هي من عند
الله . (٢)

ونظام الحكم في الإسلام السديد الرشيد كفيل تماماً بإقامة العلاقة بين
الحاكم والمحكوم على أساس من السلم والعدل والرضا والطمأنينة . وهو نظام كفيل
أيضاً باستقامة الرعايا الرعية، وهو وسيلة هامة من وسائل الاستقرار النفسي
والجماعي لا تفضلها وسيلة ، وهو حلقة من حلقات السلام الشامل غير منفصلة من
السلسلة المتناسكة في فكرة الإسلام الكبرى عن الحياة (٣) .

(١) آية / ٦٥ / ، سورة النساء .

(٢) روح الدين الإسلامي ص (٢٦١ ، ٢٦٢) عفيف عبدالفتاح طيارة .

(٣) السلام العالمي والإسلام ص ٩٢ سيد قطب ، مكتبة وهبة ، القاهرة

أنموذج الدولة الراشدة :

وهناك أنموذج فذٌ للدولة الراشدة ، الدولة الأسوة والقدوة ألا وهي دولة الإسلام الأولى رئيس كامل هو سيدنا محمد رسول الله ، دستورها كامل وهو القرآن وشعبها كامل من المهاجرين والأنصار ، فكانوا بحق جد يرين بالمدح القرآني ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) والقرآن في هذه الآية يذكر حيثيات الحكم على أمة الإسلام بأنها خير أمة أخرجت للناس فهي أولا : تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ثم أنها تؤمن بالله تعالى ربا : ولذلك يذكرنا القرآن حالتنا في الأول فيقول تعالى ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (٢) .

وينبغي لولاة الأمور في كل قطر ومصر وزمان ومكان أن ينهجوا نهج هذه

الحكومة الراشدة أداً للأمانة ونصحا للأمة ووفاءً للواجب .

(١) آية / ١١٠ / ، سورة آل عمران .
(٢) آية / ١٠٣ / ، سورة آل عمران .

((المطلب الثاني))

في نوع الحكومة

الحكومة الإسلامية نمط فريد وحيد ونظام خاص متميز بين نظم الأرض له طابعه وله ميزاته وخصائصه التي تجعله لا يدخل تحت أى من النظم الأخرى ، فهي ليست في نظامها بالشرقية أو الغربية كما نشاهد اليوم إنما هي منفذة لأحكام الله وقائمة على دينه وشرعه ومصلحة العباد والبلاد وفق منهج سليم كريم أعطى ولا يزال يعطى الخير العميم ، ثم ينفرد بألوان من الفضل هي منحة الله ، ومن هذه وتلك تحقق النظم الساسية في الإسلام لاتباعها استقرارا وحياة طيبة سعيدة رغيدة حميدة .^(١)

ولقد اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ببيان العلاقة التي لا يبد منها بين الحاكم والمحكوم من أجل إقامة مجتمع فاضل متكامل يعرف فيه الحاكم واجبه من تفريط أو تقصير ويعرف فيه المحكومون واجبهم فيتنافسون في طاعته والالتزام بأمره في حدود المعروف وبذلك يظهر المجتمع الإسلامي في أفضل صورته وأبهى حلله .^(٢)

وطاعة الناس للحاكم مرهونة بإقامة هذه الشريعة وتنفيذ ذلك القانون فإذا فسق عنه سقطت طاعته قال النبي صلى الله عليه وسلم : " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى " .^(٣) فوقت الطاعة بإقامة كتاب الله دون سواه .

(١) مقارنة الأديان . الإسلام ص ٢٥٤ وما بعدها د . أحمد شلبي .

(٢) منهج القرآن والسنة في العلاقات الانسانية (ص ٩١) د . مجاهد محمد هريدي .

(٣) رواه البخارى في الأذان والجماعة ، باب ٥٤ - اقامة العبد والمولى ج ٢ ص ١٨٤ و باب ٥٦ - اقامة المفتون والمبتدع ج ٢ ص ١٨٨ والأحكام ٨٧ باب ٤ السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية ج ١٣ ص ١٢١ .

والقرآن صريح في الحكم بالكفر على من لا يحكمون بما أنزل الله * (وَمَنْ لَمْ
يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) * (١)

والإسلام صريح كذلك في وجوب مجاهدة الكافر ، وتحريم طاعة المسلم له
على الإطلاق . وتنفيذ هذا القانون الإلهي الذي لا يحابي أحدا ، ولا يجعل
الفرد ، ولا لطبقة امتيازاً خاصاً . حاكماً كان هذا الفرد أو محكوماً ، وغنية كانت
هذه الطبقة أم فقيرة كفيل بأن يحقق السلام في المجتمع لأنه يسوس الجميع لمصلحة
الجميع . (٢)

وبمقارنة وجيزة بين نظام الحكم الإسلامي وغيره من النظم الأخرى يتبين الفرق
الشاسع والبنون الكبير ، وما يقال من التقاء بعض النظم به ليس كفيلاً بتحقيق المطلوب
وما يقوله البعض خطأً إنه اشتراكي أو ديمقراطي أو غير ذلك لا يعطى الصورة الصحيحة
الوضيئة له . فحسبه أنه نظام إسلامي جاء من لدن حكيم خبير ، ولا يشرفه قرينه
من بعض هذه النظم ، ولا يضره بعده عنها .

وللحاكم الإسلامي طريقته ومنهجه وأسلوبه الخاص الذي أخرج الله به أمة من
ظلمات الجهل إلى نور العلم والهداية . وقد جعل الإسلام الإمام حامياً لشريعة
الله ، وقائماً على حدودها وهو أمين على أمته التي يحكمها والله أمره أن يحكم بين
الناس بالعدل فقال تعالى * (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا) * (٣)

(١) آية / ٤٤ / ، سورة المائدة .

(٢) السلام العالمي والإسلام (ص ٩٦) .

(٣) آية / ٥٨ / ، سورة النساء .

وهذه الآية أصل جامع من أصول الحكم فهي تقرر وجوب آداب الأمانات إلى أهلها ، وكلمة الأمانات كلمة عامة شاملة ، فالحكم بين الناس أمانة ، لأن الله هياً للحاكم المركز وجعله أميناً عليه ، ولذلك يعتبر خروج الحاكم عن مقتضى النصيحة والإخلاص للشعب غشاً وخيانة . . . ثم تقرر الآية أن الحكم يجب أن يكون بالعدل ، وما الحكم إلا فرع من فروع الأمانة . وآداب الأمانة يقتضي أن يكون على أساس العدل ، ولكن لما كان الحكم يصحبه السلطان والنفوذ والقوة ، وكان من شأن الإنسان إذا قوى وتسلط وعظم نفوذه أن يختره ذلك إغراءً قوياً باتباع هواه ، وأن يتعرض بذلك إلى مجافاة العدل في الحكم ، لما كان الأمر كذلك خصص الحكم بالعدل الذي هو أمانة من الأمانات بوصية مستقلة زيادة في إبراز أمره وتوجيه العناية إليه ، ولأنه هو بذاته أساس تبنى عليه الحياة السعيدة في المجتمع ، والحاكم فيه قدوة لغيره وحارس على أمانات محكوميه .^(١)

وهناك أسس ثابتة رئيسة تتلخص في الآتي :

- ١ - العدل .
- ٢ - الشورى .
- ٣ - مسئولية الحاكم وطاعة المحكوم .

منزلة الامام في الدولة الإسلامية :

منزلة الإمام أو الأمير في الدولة الإسلامية هي أن جمهور المسلمين بما فيهم الخلفاء منهم قد اختاروا أفضلهم وأتقاهم لله فأودعوه أمانة الإمامة أو الخلافة ،

(١) المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء ص ٨٠ ، ٨٨ ، تأليف محمد محمد المدني .

وخلافة المسلمين العامة أصبحت مرتكزة في ذاته .
والمسلم ينظر إلى خليفته نظرة الحب والاحترام .
وعن تأثير الحاكم في رعيته قيل : إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .
والإمام هو قائد دفة البلاد وربانها وإذا صلحت حاله — صلح حال الرعية
والبلاد .

قال ابن كثير: أي يمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع
كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو
الواقع . وقيل: إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام فحشوم خير من فتنة تدوم . وكما يزع الله
بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن^(٢) . هـ .

لأنه لا بد للحق من قهر لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول الحق ﴿وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا بِالْبَيِّنَاتِ إِلَى قَوْمِهِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ^(٣) ﴿آيَةٌ﴾^(٤) . قال الشوكاني في
تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾^(٥) أخرج الخطيب عن عمير
ابن الخطاب قال: والله لما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع بالقرآن^(٦) .

-
- (١) ابن كثير ج ٣ ص ٥٩ .
 - (٢) العقد الفريد ج ١ ص ٥ طبعة دار الفكر كتاب اللؤلؤة في السلطان .
 - (٣) آية / ٢٥ / ، سورة الحديد .
 - (٤) المرجع السابق .
 - (٥) آية / ٨٠ / ، سورة الاسراء .
 - (٦) وقيل الكلام لعثمان - رضي الله عنه - انظر : أحسن القصص على فكري
ج ٣ الخلفاء الراشدين ، دار الكتب العلمية - لبنان ط ٤ ١٣٩٥ هـ .

نهج الحكم الاسلامي يسير وفق الآتسي :-

١ - إختيار الأمير أو الحاكم يكون على أساس الخلافة، وترادفها الإمامة وإمارة المؤمنين والرئاسة، فإذا انتخبوه فهو ولي الأمر المطاع في حكمه لا يعصي له أمراً ونهى ، يعتمد عليه في تنفيذ الأوامر اعتماداً كاملاً وفق شرع الله ونهجه وهذا هو نوع وشكل الحكومة الإسلامية المطلوبة . والمفروض في الحاكم والمحكوم أن يساير الزمن . والرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين لأصحابه منهاجاً معيناً للحكم لا يتعدونه وذكر الأسس والقواعد العامة التي لا بد منها . وهذه الأسس التي يقوم عليها نظام الحكم في الاسلام . كأي نظام من أنظمة الحكم يخلو من هذه أو بعضها يصبح دون شك نظاماً فاشلاً لا يصل بالمجتمع إلى العدل والخير المطلوب الذي هو المقصد الأسمى من نصب الحاكم وتعيين الخليفة . وهذه العدالة لا تتحقق إلا بوحى السماء فهو مصدر الحكم ويطبق على الجميع الحاكم والمحكوم ، الرئيس والمرؤوس . ونوع الحكومة الإسلامية ومسمياتها أمراً لا مشاورة فيه إنما ذلك مضبوط بدوائر معينة وجدت في صدر هذه الأمة نماذج فريدة سديدة منها ولا زالت مصدر الإلهام والنور لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولم يهتم الإسلام بالألقاب التي تمنح لأعضاء الحكومة وإن كان قد عرف ألقاب : الخليفة والإمام ، والسلطان والرئيس . وعرف لمعاونيه ألقاب : الوزراء ، والأمراء ، والكتاب ، ولا بأس من استعمال هذه الألقاب أو غيرها مما يمثل طبيعة العمل الذي يقوم به كل من أعضاء هذه الهيئة .

والمهم في نظر الإسلام اجتماع هذه الشروط وحسن سير العمل مسنرفق بالرعية ، والبحث عن مصالحهم ، ورعاية شئون الدين والدنيا ، أما

الألقاب فليست مما يحرص عليه التفكير الاسلامي^(١). لذا كانت العلاقة بين الحاكم والمحكوم يضرب بها المثل في النقاء والصفاء والصدق والوثام .

إن الراعي لا يصل الى مكانه إلا عن طريق واحد : رغبة الرعية واختيارها الحر . وحكم يقوم على رضى واختيار ، وبعد مشورة من الناس وإذن ، حكم بشيخ الثقة والطمأنينة في النفوس ، ويبث الرضى والارتياح في القلوب ، فلا مجال للتبرم به ، والضيق منه ، والتفكير في الخروج عليه ، ما دام ينتهض بتبعاته بالطريقة التي رسمها الاسلام وفي الحدود التي شرعها الاسلام^(٢) .

ومما يميز نظام الاسلام على غيره أنه كامل شامل ماديا وروحيا إذ كل انسان مؤمن يطبقه وهو يشعر بأن هناك قوة تسيطر عليه مهما حاول الفرار منه .

وهذا بخلاف القانون الوضعي فإنه لا سلطان له على النفوس ، ويود الكثير كسره والخروج عليه إذ لا رصيد له من داخل نفس الانسان . فالمسلم الحق رقيب وحسيب على نفسه ويحترم قانون السماء لذا فهو يحترم الحكومة المسلمة إذ أنها تحكم بكتاب الله وتطبق منهجه في الأرض حيث أن قواعد الحكم كلها منصوص عليها في آيات القرآن الكريم . وفق النقاط التالية :-

- ١ - إن الامام يتولى الحكم بالبيعة .
- ٢ - والإسلام يوجب على المسلمين أن تكون منهم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومنها أهل الذكر .
- ٣ - السياسة والسيادة التشريعية موزعة بين الإمام ، وأهل الذكر ، واجتماع الأمة ، أو ما هو في حكم الاجماع .

(١) سلسلة مقارنة الأديان . الاسلام ص ٢٦٠ . د / أحمد شلبي .

(٢) السلام العالمي والاسلام ص ٩٥ سيد قطب .

- ٤ — وأحكام الشريعة الإسلامية تُنفذ في كل زمان وكل مكان .
- ٥ — والفرد الحر مسئول عن تصرفاته .
- ٦ — ومصلحة الأمة أساس في تطبيق الشريعة ، وفي وضع الأحكام التي لم تذكر تفصيلاتها .
- ٧ — والحدود الجنائية لا تعطل إلا لعلة واضحة من علل الضرورات والشبهات .^(١)

نظرة الى القوانين الوضعية :

تنقسم نظم الحكم في المجتمع العالمي إلى عدة أنظمة : فمنها الاشتراكي، ومنها النظام الديمقراطي ، ومنها النظام الشيوعي ، ومنها النظام الديكتاتوري . وكل هذه الأنظمة ثبت فشلها . اذن المقارنة بين تشريعات الله وتشريعات البشر ، وبين نظام الله ونظم الناس مقارنة بين السماء والأرض وبين نظام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنظمة كلها عداً ونفاق وفسق وكفر وإلحاد .

النظام القرآني هو نظام إسلامي ، والمقارنة بين طريقة الحكم الإسلامي وغيره من النظم العالمية قديماً وحديثاً يتضح منها أن نظام الحكم الإسلامي فريد لا يضارعه نظام سابق أو لاحق ، وليس تقليداً لأي نظام بشري ، وأن التقاء بعض النظم به في جزئيات منها ليس كفيلاً بأن يجعل هذه النظم إسلامية ، ولا أن يجعل النظام الإسلامي مندرجاً تحت واحدة منها ، ومنها ما يقال أنه اشتراكي أو ديمقراطي أو غير ذلك لا يعطي الصورة الصادقة لهذا النظام ، فحسبه أنه نظام إسلامي

(١) ما يقال عن الإسلام ص ١٣٣ للأستاذ العقاد .

وكفى ، ولا يشرفه أن يكون قريبا من هذه النظم ، ولا ينقص من قدره أن يكون بعيدا عنها فلها مناهجها الخاصة ومجتمعاتها وظروفها وملاساتها التي طبقت فيها ، وللحكم الإسلامي منهجه الذي أصلح به فساد أمة جاهلة ، كما أن له طريقته في إصلاح كل فاسد وتقويم كل معوج في كل زمان ومكان . وذلك بما فيه من عناصر القوة والصلاحية ، وبما اشتمل من مرونة في التطبيق مما يدفع بالتقدم الإنساني إلى الأمام في ظل عدالة الهيئة تضمن لكل صاحب حق حقه .^(١)

(١) منهج الإسلام في تربية المجتمع ص ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، د . عبد الفتاح عاشور
دكتوراه في قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين جامعة الأزهر
نشر مكتبة الخانجي .

((المطلب الثالث))

في نظام الشورى

الشورى من الدعائم الأساسية للحكم في الإسلام . وهي نظام إسلامي بديع ، فيه صلاح حال الأمة وهي أمر ضرورى لتكوين قاعدة صلبة بين الحاكم والمحكوم أساسها الثقة التامة والحب والمودة والإخلاص . قال تعالى ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ، وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١) .

قال الزمخشري : " وأمرهم شورى بينهم " أى ذو شورى ، وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا" (٢) .

وقد أمر الله رسوله باللين وطالبه بمشاورتهم فقال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا فَلْيُظِطِ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣) .

قال الزمخشري : " وشاورهم في الأمر " يعني في أمر الحرب ونحوه مما لا ينزل عليك فيه وحى لتستظهر برأيهم ، ولما فيه من تطيب نفوسهم والرفع من أقدارهم . وعن الحسن رضي الله عنه : قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ، ولكنه أراد أن يستن به من بعده .

(١) الآيات / ٣٦ : ٣٨ / سورة الشورى .

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٧٢) .

(٣) آية / ١٥٩ / ، سورة آل عمران .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : " ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم بالرأى ^(١) دونهم"

وهذا التوجيه القرآني الكريم ، نافع في جميع مناحي الحياة حيث إن انفراد الانسان برأيه والحجر على أفكار الآخرين أمر مضر بالمصلحة العامة والخاصة حيث الآراء مجتمعة يمكن الاختيار منها والتصحيح فيها .

نماذج من مشاورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه :

وقد طبق الهادي البشير ذلك عمليا في أكثر من مناسبة لاسيما في المواقف الصعبة مثل الحروب . ^(٢)

ويشاهد أن الكثير من المحن والإحن سببها بعد البشر عن تعاليم السماء في مثل هذه الأمور ^(٣) .

(١) حديث موسى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نخل ، فرأى قوما يلحقون النخل فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ قلنا يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى فيلقح . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أظن يغني ذلك شيئا " قال فأخبروا بذلك فتركوه . فأخبر

(١) تفسير الكشاف للزمخشري (١/٤٧٤، ٤٧٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٢٠) ط . عيسى الحلبي .

(٣) أنظر : معالم الطريق ص ٥٦ سعيد رمضان ، منهج القرآن والسنة في العلاقات الانسانية ص ٩٦ ، وحقوق الانسان في الاسلام ص ٢٤٧ / علي عبدالواحد وافي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه
فإني إنما ظننت ظنا فلا تتواخذوني بالظن . ولكن إذا حدثتكم عن الله
شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل .^(١)

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم في حادث الإفك : " أشيروا عليّ معشر المسلمين "

فإذا كان هذا سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وحاله من الكمال ما هو
معروف ، فكيف بسواه ؟ لقد سار الخلفاء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ،
فكان أبو بكر يستشير الصحابة فيما يعرض له من شئون الجماعة وكان يأخذ
برأى غيره حتى بدت آيات الحق فيه .^(٣)

والإسلام يحث على الشورى وخاصة مهام الأمور حيث أمر نبيه بذلك مع عصمته
من الزلل والخطل وبين أسمى وأوفى سمات وصفات المؤمنين ومنها أن أمرهم
شورى بينهم .

ولأهمية الشورى سميت سورة من القرآن بها ، وقد أخذ بهذا المبدأ السامي
الرفيع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم بإحسان .
والشورى في صدر الإسلام وما بعده كانت تتم بأشكال معينة وبستشير
الخلفاء من يريدون أو يثقون به وأحيانا يدعى إلى اجتماع معين .

(١) أخرجه مسلم (٤ / ١٨٣٥) ٤٣ - كتاب الفضائل ٣٨ - باب وجوب امتثال
ما قال شرعا دون ما ذكر صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل
الرأى رقم الحديث ١٣٩ - (٢٣٦١) .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٤٢٠) ط . عيسى الحلبي وأخرجه الخطيب البغدادي
في تاريخ بغداد (٩ / ٨٣) ط . دار الكتب العلمية .

(٣) السياسة في الفكر الإسلامي ٨٤ / ٣ ، د . أحمد شلبي ط . مكتبة النهضة
المصرية - بيروت .

وأيضاً فالخليفة ليس يلازم أن يلزم نفسه بما يقال له من أهل الشورى أو غيرهم فهو موضع ثقة ومسئول وله رأيه وتجاربه .

ولخطورة دورها في المجتمع المسلم قال ابن عطية : . . . وهي من قواعد الشريعة ومزائم الأحكام ، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب . وقال العلماء : "واجب على الولاة مشاوررة العلماء فيما لا يعلمون وما أشكل عليهم من أمور الدين ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحروب ، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها" (١) .

والشورى الأمور بها تكون فيما ليس فيه نص قاطع وهي قابلة للتطبيق والتنفيذ ، وليست على نمط معين ، فقد أمر الحق بها وسكت عن تفاصيلها ليكون الناس في متسع من أمرهم ، وبمثل هذا يكون الإسلام قد أرسى قواعد ثابتة للحكم الإسلامي تفوق غيرها بكثير ، حيث استشارة الأمة أهم القواعد التي تؤمن المشاركة في إيجاد الحكم الصالح المفيد ، وهي أصل من أصول الحياة في الإسلام . وهي أوسع مدى من دائرة الحكم حيث هي قاعدة حياة الأمة ، وواجبها النظر فيها والمساعدة في حلها وهي وضع الأمور في نصابها الصحيح ومسارها المستقيم .

وقد ذكر القرآن للشورى نصاً قاطعاً لا يدع للمسلمين شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم للحكم قائمة كاملة موطدة الدعائم على أساس سواه .

(١) تفسير القرطبي ص ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، والإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٥٤ للشيخ شلتوت .

أما شكل الشورى والوسيلة التي تحقق بها فهذه أمور قابلة للتطويع والتطوير وفق أوضاع الأمة . وطلاسبات حياتها . وكل شكل وكل وسيلة تتم بها حقيقة الشورى لا مظهرها . فهي من الاسلام .^(١)

ولقد عنى الإسلام بالشورى عناية خاصة ، وأعلن أن أى حكم صحيح لا يمكن أن يتحقق في غيبة هذا المبدأ .

وإعلان الإسلام لها لم يكن نتيجة لمطالبة من الناس أو ثمرة لتطورهم ، ولكن هذا المبدأ العظيم طبيعى في الإسلام الذى كرم الإنسان وأعلى مكانته . ولم يكن ذلك أمرا نظريا كما يلاحظ في بعض أنظمة العصر . فقد مارست ذلك الأجيال المؤمنة وطبقته أصدق تطبيق .

صفات أهل المشورة :

باعتبار هذا البحث بحث تربوى فان صفات أهل الشورى بما يتحلون به من أخلاق ومبادئ إنسانية وتأهيل علمي يدخل في نطاق بحثنا : إنهم أهل الرأى والمشورة ، وهم أهل الخبرة ، وهم الحاملون لكتاب الله الراعون لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويشترط فيهم شروط عديدة أهمها :

(١) الإيمان والسورع :

وهم أهل الصلاح يتبين ذلك من سيرتهم الطيبة ، ومن معاملتهم الحسنة . ومن أخلاقهم المهدبة . فهم رواد المساجد ورواد دور العلم . والذين

(١) انظر في هذا : في ظلال القرآن ١١٨/٢ سيد قطب ، مقارنة الأديان والاسلام " ص ٢٦١ د . أحمد شلبي .

يجتنبون اللهو ، وهم القائمون بالعبادة سلوكا وعملا وكل هذا لا يبعدهم عن العمل والاجتهاد بل العمل أساس حياتهم .

فلا يمان اعتقاد راسخ في عقل وقلب المؤمن الصادق إذ أن المؤمن — مدوح من الله ومدوح من الناس بعيد عن الشبهات قريب من الطاعات .

(٢) العلم :

ولقد فرق القرآن بين من يعلم ومن لا يعلم فقال تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١) .

قال الزمخشري : أراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل في عالم ، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء^(٢) .

إن العلم هو مجموع الخبرات والمهارات التي اكتسبها المرء المسلم في فن من الفنون أو مجال من مجالات الحياة ، والعلم يحتاج إلى التخطيط والتطوير فهما سمتان من سمات العلم العصري ، والمؤمن مطالب أن يأخذ به وهو يذكر الآيات القرآنية التي منها على سبيل المثال ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾^(٣) .

(١) آية / ٩ / ، سورة الزمر .

(٢) الكشاف (٣ / ٣٩٠) للزمخشري .

(٣) آية / ٦٠ / ، سورة الأنفال .

والإعداد العلمي القادر على ردع العدو ولا يكون إلا بالاستفادة من العلوم العصرية والعمل والتنفيذ والتدريب .

لقد طالب القرآن الكريم المسلم أن يجتهد ليفتح الأبواب واسعة لإدراك الحقائق ، ونفي التقليد الأعمى الذي لا يقوم على برهان ولا دليل عقلي .

والتفكير الاسلامي يقوم على حقائق عقلية تنتج عن واقع مشهود أو مسلم به والله تعالى يقول ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١)

ويقول تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٢)

ولا يقبل التفكير بالهوى أو الظن إذ يقول تعالى ﴿ إِنْ الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾ .

ويقول تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ ، وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ فِشَاوَةً . فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)

والعلم أمر ضروري لمن يدلي برأيه ومشورته .

(٣) الموهبة :

وهي تظهر بكثرة الممارسة ، ومن الفهم الواعي ، والموهبة هي هبة من الله سبحانه وتعالى لبعض عباده . وما أجمل الموهبة وأعظمها عندما تنمو في

(١) آية / ٤٦ / ، سورة الحج .

(٢) آية / ٣٦ / ، سورة الاسراء .

(٣) آية / ٢٣ / ، سورة الجاثية .

ظلال القرآن . فإن هذا الاستعداد الفطري يتغذى بالروافد الإيمانية والسلوك التربوي القويم الذي لا يعرف النفاق ولا الخداع، عندئذ تتحول إلى نعمة وتجتنب أن تكون نقمة وتكون إرشادا وتوجيها إلى خير المجموع .
وصاحب الموهبة ذو بصيرة ورأى صائب وفهم لدقائق الأمور وتجنب المحذور فعقله مستنير ووجدانه إلى نور الله ملتئم منه .
والشورى تحتاج إلى أصحاب الفكر والرأى السيديين وإلى ذوى المواهب الفذة .

الأسس التي يقوم عليها المجتمع في ظل الاسلام :

وهي معالم ترشد الفرد ، وتعرفه أنها إذا قامت بين الأفراد في كل مكان سيما الأجهزة الحكومية بكافة تنظيماتها لا بد وأن توجد طريقا يمر من خلاله الفرد للمساهمة فيها وهي :

أ - النصيحة :

والمسلمون جميعا مأمورون بالنصيحة لقوله صلى الله عليه وسلم : " الدين النصيحة " قلنا لمن ؟ قال " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (١) .

قال النووي : هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام . . .

(١) أخرجه البخارى (٢٢ / ١ طه الشعب) ومسلم (٧٤ / ١) - كتاب الايمان ٢٣ - باب بيان أن الدين النصيحة رقم ٩٥ - (٥٥) عن تميم الدارى ، وأخرجه النسائي ١٥٧ / ٣ .

والنصيحة لله تعالى معناها منصرف إلى الإيمان به ، ونفي الشرك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص ، والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه ومولاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته وشكره عليها والإخلاص ، في جميع الأمور ، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة ، والحث عليها والتلطف إلى جميع الناس .

قال الخطابي رحمه الله : وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه فالله تعالى فني عن نصح الناصح .

وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى :

فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيهه لا يشبهه شيء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها والخشوع عندها ، وإقامة حروفه في التلاوة ، والذب عنه ضد المحرفين ، وتعرض الطاغين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه ، وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكير في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه ، وخصوصه ، وناسخه ، ومنسوخه ، ونشر علومه ، والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته .

وأما النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم :

فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهييه ، وتصرفه حيا وميتا ، ومعاداة من عاداه ، ومولاة من وآلاه ، وإعظام حقه ، وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ، ونفي التهمة عنها ، ومدارسة علومها والتفقه في معانيها والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها ، وتعليمها ،

وإعظامها ، وإجلالها والتأديب عند قراءتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم وإجلال أهلها لانتسابهم إليها والتخلق بأخلاقه والتأديب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه . . . ونحو ذلك .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين :

فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما ففلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتآلف قلوب الناس لطاعتهم .

قال الخطابي - رحمه الله - : ومن النصيحة لهم : الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات اليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف ، أو سوء عشرة ، وأن لا يغفروا بالشناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح . وهذا كله

على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين من أصحاب الولاية وهذا هو المشهور وحكاه أيضا الخطابي ثم قال : وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين وأن من نصيحتهم قبول ما رووه ، وتقليد هم في الأحكام ، واحسان الظن بهم .

ب - الرأى :

هو وجهة النظر التي تعبر عن فكر صاحبها وبيان مذهبه في مسألة من المسائل أو قضية من القضايا .

ج - البيعة :

هي العهد الذي يأخذه الشعب على واليه ، وهي بيعة اختيار وتراض لا بيعة تزوير ودحض لأرائهم وأفكارهم .

د - السمع والطاعة :

واجبان على الأمة حين يعبرون بهما عن الولاية وغيرها . عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : " اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة " (١) .

وعليها السمع والطاعة في غير معصية الخالق .

قواعد الشورى :

لا شك أن ممارسة الشورى تربية وتهذيب لكيفية العمل السياسي في الإسلام ، ومن أهم سماتها الحكمة أن يكون مصدر الرأي فيها ضمير المجموع . ومن زبدة الآراء المعروضة وهي :

- (١) الشورى حق للحاكم والمحكوم ثابت لا تتنازع عليه بنص القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢) فهي شورى من الحاكم وشورى من المحكوم .
- (٢) إذا كانت الأمة خولت الحاكم إدارة شئونها فإنه من اللازم عليه أن يعرض الأمور لاسيما المواقف التي تحتاج إلى قرار جماعي إلى الشعب فيعرض عليهم

(١) أخرجه البخارى (٢/ ١٨٤ فتح برقم الحديث ٦٩٣) ١٠- كتاب الأذان ٥٤-

باب أمامة العبد والمولى ، وابن ماجه (٢٨٦٠) والبيهقي ١٥٥/٨ .

(٢) آية / ٣٨ ، سورة الشورى

الرأى ليستفيد من مشورتهم وحتى لا تقع التبعة لأى قرار يتخذه على عاتقه وحده . بل تكون على المجموع ، ومن هنا لا يقع في مأزق .

(٣) الأمة الإسلامية ليست أمة مبعثرة بل هي أمة فكر ورأى وحجة قوية ، ومن هنا لزم على الحاكم أن يستشيرها ، ولزم على الأمة إبداء رأيا فيما يتخذه الحاكم . لأن واجب الحاكم أن يستشير وحق الأمة أن تستشار فتظهر رأيا في كافة القرارات لاسيما المصيرية منها .

(٤) الإدلاء بالرأى أمانة على عاتق الذى يذكر رأيه ، ولذا فمن حسن خلق المسلم أداء الأمانة لأهلها . فالذى يتبنى رأيا من الآراء يجب أن ينزهه عن الأهواء والمصالح ، وإذا حسنت النية كانت المشورة ناجحة ، والرأى صائبا . وإذا اعترضتها الأهواء والمنازع فقد حافت وحاف صاحبها ولذلك فان من ينتصر لرأى لمصلحته فإنه يعتبر خائنا لله وللرسول .

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

(٢) وقال صفوة الخلق وحبیب الحق صلى الله عليه وسلم : " المستشار مؤتمن "

(٥) ليس الإجماع من الأمة أمرا ضروريا على الرأى . بل يؤخذ برأى الأقلية والأكثرية ، ولقد أخذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في فـزوة أحد برأى الأكثرية، وهم الشباب في الخروج خارج المدينة لملاقاة كفار قريش قريبا من جبل أحد . فالتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى الأكثرية وخرج معهم وهذا إذا كان رأى الأغلبية قريبا من الحق وإلا فقد يكون الحق مع الأقلية فيؤخذ به وهذا من ميزات الاسلام الفريدة .

(١) آية / ٢٧ / ، سورة الأنفال .

(٢) أخرجه أبو داود ٥ / ٢٨ ، والترمذى ٢٨٢٢ ، ٢٨٢٣ ، وابن ماجه ٣٧٤٥ ،

٣٧٤٦ ، والبيهقي ١٠ / ١١٢ .

- (٦) دور الأقلية هو احترام رأى الأغلبية ، ولا ينبغي أن تتخذ موقف المعاداة والمجاناة . بل تحترم هذا الرأى وتبدي رأيتها في أدب ولباقة وحسن تصرف .
- (٧) مبدأ الشورى مبدأ من فقد ترك ذلك لأهل الحل والعقد والحكام على أن يكون ذلك موافقا لروح الشرع .
- (٨) استشارة المسلمين واجبة في جميع المسائل والمصالح والمقاصد .

((المبحث الثاني))

في مكانة العدل في القرآن الكريم

العدل كلمة جميلة رحيمة ، وهي من المثل الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم ليقررها بين بني الإنسان ، ولقد كان طبيعيا من الإسلام أن يقرر كرامة الإنسان ، ووصول حقه إليه وهي ضرورة لإقامة الحق والخير والجمال .

لهذا نجد القرآن الكريم والسنة العظيمة يفيضان بالدعوة إلى العدل وتطبيقه في كل شيء ومحاربة العدوان .

يقول الحق جل وعلا : ﴿ إِيَّاكَ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاؤِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (١) .

قال الرازي في تفسيره لهذه الآية : جمع الله في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا ، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموما وخصوصا (٢) .

إن العدل أهم سمة من سمات التشريع الاسلامي قائمة به ، فأينما وجد العدل وجد الخير فقد جعل سبحانه الشريعة كلها ميزانا للعدل ، ونبراسا للحق ، وقسطاسا مستقيما لتحديد الحقوق والواجبات ، والتمييز بين الحلال والحرام ، والخير والشرف في شئون الحياة كلها . " فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفورة . — إن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده ، ويعامل الخلق بالعدل التام فيؤدي كلُّه وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى ، وولاية القضاء ، ونواب الخليفة ، ونواب القاضي .

(١) آية / ٩٠ / ، سورة النحل .

(٢) التفسير الكبير (١٩ / ١٠٠) طه دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه ، وعلى لسان رسوله وأمرهم بسلوكه .
ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاملات
بإيحاء جميع ما عليك . فالعدل واجب ، والإحسان فضيلة مستحبة " (١)

أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي أنه قال : دعاني عمر
ابن عبدالعزيز . فقال : صف لي العدل ؟ فقال : بخ ! سألت عن أمر جسيم ،
كن لصغير الناس أبا ولكبيرها ابنا ، وللمائل منهم أخا ، وللنساء كذلك ، وعاقب
الناس على قدر ذنوبهم ، وعلى قدر أجسامهم ، ولا تضرين لفضلك سوطا واحدا
فتكون من العادين " (٢)

وأخرج البخاري في تاريخه أن علي بن أبي طالب مر بقوم يتحدثون فقال :
فيم أنتم ؟ فقالوا : نتذاكر المروءة ، فقال : أو ما كفاكم الله عز وجل ذاك فسي
كتابه إذ يقول : ﴿ إِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ . فالعدل : الإنصاف
والإحسان إلى المسيء " (٣)

وأخرج ابن خريم وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات
عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ إِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ ﴾ قال : شهادة

-
- (١) انظر في هذا تيسير الكريم الرحمن للشيخ ابن سعدى ١١٣/٤ ، ١١٤ .
(٢) انظر هذا الحديث في تفسير السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور
(١٢٩/٤) طه دار المعرفة . بيروت عند تفسير الآية / ٩٠ / من سورة
النحل .
(٣) المرجع السابق .
(٤) أيمن بن خريم بن الأخرم الأسدي أبو عطية الكوفي الشاعر . روى عن أبيه
وعنه سمرة بن فاتك ، وروى عنه الشعبي وصده الله بن عميره وهو تابعي ثقة
وقال الترمذي : لا نعرف له سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم . خلاصة
تهذيب الكمال ١٠٩/١ .
(٥) عبدالرحمن بن محمد أبي حاتم ابن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي
الرازي أبو محمد ٣٢٧/٢٤٠ هـ ، من أكابر الحفاظ . تذكرة الحفاظ
٤٦/٣ ، طبقات الحنابلة ٥٥/٢ .

أن لا اله الا الله ، والإحسان " . قال : " أداء الفرائض . وإيتاء ذى القربى " .
قال : " إعطاء ذوى الرحم الذى أوجبه الله عليك بسبب القرابة ، والرحم ، " وينهى
عن الفحشاء " قال : الزنا . والمنكر " قال : الشرك ، " والبغى " قال : الكبر
والظلم ، " يعظكم " قال : يوصيكم لعلمكم تذكرون " .^(١)

" وإيتاء ذى القربى " أى وإعطاؤهم ما تدعون إليه الحاجة ، وفي الآية
إرشاد إلى صلة الأقارب ، والأرحام ، وترغيب في التصدق عليهم ، وهذا
لأن دخل فيما سلف من الإحسان فقد خصص للاهتمام به ، والعناية بشأنه .

وبعد أن ذكر الثلاثة التى أمر بها أتبعها بالثلاثة التى نهى عنها فقال :
" وينهى من الفحشاء " وهي الغلو في الميل إلى القوة الشهوانية كالزنى وشرب
الخمير والسرقه والطمع في مال الناس . ، " والمنكر " وهو ما تنكره العقول من
المساوى الناشئة من الغضب كالضرب والقتل والتطاول على الناس . ، " والبغى "
وهو التماذى في القصاص والافتراء في الانتقام ، والظلم أيضا بغى .

والله أرسل رسله وأنزل كتبه لإقامة الحق والعدل . وقد عظم الإسلام شأن
الإمام العادل ، ونوه به وهو رفيع المنزلة عظيم الجاه عند الله ثم الناس ، والأمة
التي يفشو فيها الظلم والجور، يغلب فيها الضعيف على أمره، لا تستحق الحياة .

وهذه طريقة الإسلام في إقامة مجتمع قوى زاخر بالمبادئ والقيم والمعاني
السامية وحافل بالحب والإخاء والحق والعدل والخير والبر والرحمة والاحسان^(٢) .

ولقد جعل القرآن إقامة العدل بين الناس غاية كالوفاء بالعهود وأمر ببذله
حتى للأعداء^(٣) .

(١) تفسير السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤ / ١٢٩) .

(٢) دعوة الاسلام ص ١٣١ ، ١٣٢ ، للشيخ سيد سابق .

(٣) منهج القرآن في التربية ص ١٧٧ .

والإمام العادل أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله .^(١)

إذن فما هي مكانة العدل في القرآن ؟

إن أول ما يلفت نظر الباحث عند الحديث عن العدل هو الحكم، بيد أن العدل الذي قرره القرآن الكريم هو العدل المطلق الذي ليس فيه تمييز بين أبيض وأسود ، ولا مصرى وهندى ، ولا عربي وعجمي ، إنما هو العدل الذي يتساوى فيه الناس جميعا أمام قضاة الله وحكمه ، والالتزام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم " وكذلك العدالة خير واجب يلتزم به المسلم لا فرق بين عدو وولي " .^(٢)

ولذلك يقول سبحانه وتعالى مبينا أن العدل ميزانه لا يتأثر بالحب والبغض
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا آمِدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾^(٣)

قال الزمخشري في تفسير الآية : "نهاهم أولا أن تحملهم البغضا على ترك العدل ، ثم استأنف فصاح لهم بالأمر بالعدل وهو قوله — هو أقرب للتقوى . أى العدل أقرب إلى التقوى وأدخل في مناسبتها ، أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفًا فيها ، وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بهجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه ."^(٤)

(١) أنظر : هذا الحديث صحيح مسلم كتاب الزكاة باب (١٣) رقم (٩١) ،

والترمذى رقم ٢٣٩١ ، والنسائي ٢٢٢/٨ .
(٢) الإسلام ومكارم الأخلاق بأقلام عشرة من علماء الإسلام ص ١١ ط دار الكتاب العربي بالقاهرة .

(٣) آية ٨ / ، سورة المائدة .

(٤) تفسير الكشاف ١ / ٥٩٨ .

ولا عجب إذا وجدنا أن الله سبحانه وتعالى يقرر هذا المبدأ بين خلقه
في القرآن الكريم لذا قد نفى الظلم من نفسه فيقول سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (١) .

قال الشوكاني في فتح القدير : " وأن الله ليس بظلام للعبيد " . . . بمعنى
أنه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء ، وليس بظالم لمن عذبه بذنبه ، وقبيل :
إن وجه نفى الظلم مستلزم للعدل المقتضي لإثابة المحسن ومعاقبة المسيء . ورد بأن
ترك التعذيب مع وجود سببه ليس بظلم عقلا ولا شرما . (٢)

وإذا تقرر هذا المبدأ عند المسلمين من فهمهم من الخالق - عز وجل -
الالتزام به . وما من شك أن النفس البشرية تتأثر بما يحيط من حولها وأبرز ما
يحيط بها هو الظلم عند غياب الضمير لذلك . يقول سبحانه وتعالى في الحديث
القدسي : يا عبادي إني قد حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا
تظالموا . (٣)

عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كَثِيرٍ مِنَ السُّورِ بَأَنَّ يَقِيمُ الْمَجْتَمَعُ الْإِسْلَامِي عَلَى أَسَاسِ
الْعَدْلِ الْقَوِيمِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِلْتَوَاءَ ، وَلَا يَتَأَثَّرُ بِالْأَهْوَاءِ ، وَقَدْ جَاءَتْ تَعَالِيمُ
الْإِسْلَامِ مَتَعَشِيَةً مَعَ الْعَدْلِ . فَكُلُّ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَحْكَامِ الْمَعَامَلَاتِ وَقَوَاعِدِ السُّلُوكِ
الاجْتِمَاعِيِّ وَتَفْصِيلِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ ،

(١) آية / ١٠ / ، سورة الحج .

(٢) تفسير فتح القدير ١ / ٤٠٦ للشوكاني .

(٣) الاتعافات السنوية بالأحاديث القدسية ص ٣٨ طبعة (٤) طبع مكتبة محمد
علي صبيح ١٩٧٣م / ١٣٩٣هـ ، والحديث رواه مسلم . انظر : مختصر
مسلم للألباني برقم ٨٢٨ .

كل ذلك قام على العدل ، ورمى إلى تحقيق العدل ، ومن ضوابط الشريعة الإسلامية أن كل تشريع لا يقوم على العدل والرحمة والمصلحة فليس من الشريعة (١) وإن أدخل عليها بنوع من التأويل .

مواضع العدالة :

الحق أن العدالة قائمة من الله بين خلقه ، ورحمته تسبق غضبه عز وجل ، وهي تنقسم إلى ثلاثة مواضع وهي :

أحدها : قسمة الأموال والكرامات .

ثانيها : قسمة المعاملات الإرادية كالبيع والشراء والمعاوضات .

ثالثها : قسمة الأشياء التي وقع فيها ظلم وتعدّ .

مع من يقام العدل ؟ ! :

يقام العدل بين الناس لتعمير الحياة واستقرارها . ولذلك فإن التشريع

الإسلامي عبأ الوجدان الإنساني بطاقة عظيمة للميل إلى العدل ، والنزوع إليه .

إن جميع الأحكام التي سنّها الإسلام تدور حول ثلاثة عناصر تمثل الركائز

الأساسية للعدل وهي :

(١) المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء ص ٨٤ ، د . محمد محمد المدني .

العنصر الأول :

العدل بين الإنسان ومخالفة سبحانه وتعالى إذا رغب الإنسان وفقا لفطرته التي فطر الله الناس عليها في الامتثال لأوامر الله على اتباع الهوى ورغبات النفس فهذا الامتثال ما هو إلا إقامة العدل في العلاقة التي تربط الإنسان بخالقه . وقد أوجد الله في الإنسان النزوع إلى العدل . فقال تعالى ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۙ ﴾ (١) .

والمعنى : أنه ينبأ بأعماله ، وان لم ينبأ ففيه ما يجزىء عن الأنبياء لأنه شاهد عليها بما عملت ، لأن جوارحه تنطق بذلك . (٢)

ويقول ابن كثير : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۙ ﴾ سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه . (٣)

ويقول المراغي ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۙ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۙ ﴾ (١) بل الإنسان حجة بينه على نفسه ، فلا يحتاج إلى أن ينبئه غيره لأن نفسه شاهدة على ما فعل ، سمعه ، وبصره ، ويداه ، وجوارحه شاهدة عليه . (٤)

وقال الفراء في الآية منشدا :

كأن ذا العقل عينا بصيرة .. بمجلسه أو منظره هو ناظره
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم .. من الخوف لا يخفى عليهم سرائره (٥)

(١) آية / ١٤ ، ١٥ / سورة القيامة .

(٢) الكشاف (٤ / ١٩١) .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٤٩ ط . عيسى الحلبي .

(٤) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء مولى بني منقر ولد بالكوفة . الفهرست ص ٩٨

لابن النديم ط . دار المعرفة .

(٥) تفسير المراغي (٢٩ / ١٥٠) .

وقال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾^(١) .

قال ابن كثير من الآية السابقة : أى إنه لحب الخير وهو المال لشديد ،

وفيه مذهبان :

أحدها : أن المعنى : وإنه لشديد المحبة للمال .

والثاني : إنه لحريص بخيل من محبة المال . وكلاهما صحيح^(٢) .

وقال الشوكاني : والمعنى : إنه لحب المال قوى مجد في طلبه وتحصيله

متهالك عليه ، يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له : إذا كان مطيقاً له وقيل

المعنى : وإن الإنسان من أجل حب المال لبخيل . والأول أولى^(٣) .

وقال الشيخ المراغي في الآية السابقة : " أى وإن الإنسان بسبب محبته

للمال وشغفه به وتعلقه بجمعه وادخاره لبخيل شديد في بخله حريص متناه في حرصه ،

ممسك مبالغ في إمساكه متشدد فيه " ^(٤) .

إن حب الإنسان للخير هو إراد رآكه ما يفيدده وهو ارتضا^٤ لمكانة العدل الذى

يرضى للإنسان الخير ويقبح فيه الشر : العدل بين الإنسان هو رضاؤه بقضا^٤ الله

وقدره .

العنصر الثاني :

عدل الإنسان مع نفسه .

ويتجلى أسمى صور العدل عند الإنسان مع نفسه فيما عبر عنه القرآن الكريم

(١) آية / ٨ / ، سورة العاديات .

(٢) تفسير ابن كثير (٥٤٢ / ٤) ط . عيسى الحلبي .

(٣) تفسير الشوكاني فتح القدير ٤٨٣ / ٥ .

(٤) تفسير المراغي ٢٢٤ / ٣٠ .

بقوله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (١) .

قال ابن كثير : " ونفس وما سواها " أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة . . . وألهمها فجورها وتقواها " أى فأرشدنا إلى فجورها وتقواها أى بين لها وهداها إلى ما قدر لها " (٢)

وقال الزمخشري : معنى ألهم الفجور والتقوى : إلهامهما وإعاقلتهما ، وأن أحدهما حسن والآخر قبيح ، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما " (٣)

وعدل الإنسان مع نفسه هو أن يرضى لغيره ما يرضى لنفسه . وهو أيضا الرضا بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، حلوه ومره ، والصبر على البلاء ، والطاعة لله عز وجل ، واجتناب معصيته سبحانه .

وعدل الإنسان مع نفسه يجعله لا يقبل الظلم أو الضيم لأن الظلم (يفسد للود قضية) ويقطع الأواصر . إنه عدل يقتضيه حب الخير وكراهية الشر . ويظهر العدل جليا من خلال تعامل الإنسان مع الآخرين حيث ذلك تطبيق عملي واقعي .

العنصر الثالث :

عدل الإنسان مع أفراد المجتمع :

وقد بلغ الإسلام في ذلك مبلغا لا يدانيه فيه شيء آخر وقد تكلمت في هذا

قبل بما فيه الكفاية .

(١) آية ٨ / ٩٠ / سورة الشمس .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٥١٥ ، ٥١٦ ، ط . عيسى الحلبي .

(٣) تفسير الكشاف ٤ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

سمات العدل :

(١) إقترن عدل الله بإحسانه حتى لا يظن ظان أن سيف العدالة قائم على الرقاب دون مراعاة للظروف .

فستشف ذلك من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١)

قال الشوكاني : وقد اختلف أهل العلم في تفسير العدل والإحسان فقيل : العدل لا إله إلا الله ، والإحسان : أداء الفرائض .

وقيل : العدل : الغرض ، والإحسان : النافلة ، وقيل : العدل استواء العلانية والسريرة ، والإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية ، وقيل : العدل الإنصاف ، والإحسان التفضل . والأولى تفسير العدل بالمعنى اللغوي وهو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط . فمعنى أمره سبحانه بالعدل أن يكون عباده في الدين على حاله متوسطة ليست بمثابة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين ، ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشيء مما هو من الدين ، وأما الإحسان فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها^(٢) .

وما أجمل العدل مع الإحسان لأن الإحسان يلقى ظلال الرحمة والمودة على العدالة التي تشمل كل جوانب النفس وتحيط بكل ما في المجتمع^(٣) .

(١) آية / ٩٠ / ، سورة النحل .

(٢) فتح القدير (٣ / ١٨٧ ، ١٨٨) للشوكاني .

(٣) منهج القرآن في تربية المجتمع ص ٤٩٦ د . عبدالفتاح عاشور ط . أولسى مكتبة الخانجي .

(٢) إن عدل الله أمر به أنبياءه ، ولذا وجب على المسلمين جميعا الاعتصام به على أن ظلالة وارفة تحقق للمسلم الحياة الكريمة .

(٣) الخسف والمسح من مظاهر عدل الله :
عندما يتمادى بعض الناس في ارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب والآثام إلى درجة معينة صار من المستحيل فيها عودتهم إلى حديقة الطاعة . فقد بَانَ أَنَّ العبرة من خلالهم أفيدُ لغيرهم الذين يشرمون في اقتراف الذنوب ، ومن هنا كان انتقام الله سبحانه وتعالى منهم وهذا به إياهم .

إن الدارس للتربية الإسلامية من منظور القرآن لابد أن يعي أن درس العبرة والموعظة من أنجح الدروس ومن أكثرها تأثيرا في النفس البشرية التي تخرج من لُلف الطاعة إلى وحشية المعصية . ومن هدو' البال إلى قلق الآخرين ومن الأمن إلى الفوضى والاضطراب .

قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) .

وأخذ الله عقابه وهو لا يأتي إلا بظلمهم . قال تعالى ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢) .

(١) آية / ١٠٢ / ، سورة هود .

(٢) آية / ٤٠ / ، سورة العنكبوت .

هذا تحذير من الله من وخامة عاقبة الظالم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها ، بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه ، فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يفتتر بالإمهال .

وظلمهم لأنفسهم كان ذنبا استحقوا عليه هذا العقاب بأشكال العقوبة في القرآن الكريم متنوعة منها ما ذكر في الآية الآتية الذكر . قال تعالى ﴿ فَمَا أَخَذْنَا بِذَنبِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ^(١) ﴾

وهذه الآية جاءت تعقيبا للآيات الآتية :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِنْ تَكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

(١) آية / ٤٠ / ، سورة العنكبوت .

وَلَا نَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ مَّن بَعَثْنَا لِّبَعْضِكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ فَأَمَّن لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ أَتُنكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ^(١) * إِلَىٰ آخِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ .

(٤) ومن مظاهر عدل الله أنه لا يهلك القرى إلا بعد إرسال الرسل والكفر بهم . قال تعالى : وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلِيمَهُمْ ^(٢) "أَيُّتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ" *

قال الزمخشري : وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى كل وقت " حتى يبعث في القرية التي هي أمها " أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها " رسولا " لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون ، أو وما كان في حكم الله وسابق قضاؤه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم

(١) الآيات من / ١٣ - ٢٩ / ، سورة العنكبوت .

(٢) آية / ٥٩ / ، سورة القصص .

القرى : يعنى مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء . .
 وهذا بيان لعدله وتقده عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا
 استحقوا الإهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد
 الحجة والإلزام ببعثه الرسل ، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ،
 ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
 لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مَظْلُومُونَ ﴾^(١) فنص بقوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم
 مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم .^(٢)

(٥) العدل يقع بين طرفين :

إن الله أعدل العادلين ، وله عز وجل مطلق العدل الذى يندر أن يوجد
 بين البشر ، ولذا فقد سبق فضبه رحمته إن العدل يحكم به بين الناس
 في منازعتهم ، وفي فرض الواجبات والتكاليف عليهم ، وفي التشريع لهم
 والإفتاء ، وفي آداء الحقوق والأمانات ، وفي الشهادة بينهم .

قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾^(٣)
 وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾^(٤) .

أمانة المسلمين على العدل :

دعا الإسلام أهله أن يكونوا أمتا على تحقيق العدل في كافة أنحاء الأرض،
 ونهذ الجور ، ورد الاعتداء تنفيذاً لأمر الله عز وجل . وأينما وقع الظلم فالمسلمون

- (١) آية / ١١٧ / ، سورة هود .
 (٢) الكشاف (١٨٦ / ٣) للزمخشري .
 (٣) آية / ٨ / ، سورة المائدة .
 (٤) آية / ١٥٢ / ، سورة الأنعام . وينظر :
 أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص ١٨٥ محمد الطاهر عاشور ط. الشركة
 التونسية للتوزيع .

منتدبون لدفعه ورفعته ، ولا يكون وراءه الدفع الا وجه الله عز وجل ولا يعينهم من أوقع منه هذا الظلم ، ومن أوقع عليهم ولا يعينهم تحت أى شعار ولا تحت أى اسم من الأسماء سواء أكان الظلم وقع على فرد أو جماعة . وإذا تحروا عن الشيء من ذلك كان هدفهم هو إحقاق الحق وإبطال الباطل ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١)

شرط الله عز وجل على أمة الإسلام حين ينصرهم ، ويمكن لهم في الأرض وتضطلع بمقام قيادة البشر جميعا أن تقوم هذه الأمة بأداء فريضة العدل وتنفيذه ، فهو تمكن مشروط بهذا الشرط ملازم لانتصار الحق ، وحماية العدل . وإذا تخلت الأمة الإسلامية عن هذا الشرط وتأديته على أكمل صورة تكون قصرت في واجب من واجباتها، لأن العدل من عمد مقوماتها الأساسية . بل إن الأمة الإسلامية إذا لم تؤد هذا الواجب وهو الحكم بالعدل والارتضا به منهجا في حياتها، فقد فقدت مكانتها في وسط المجتمع الانساني .

إن العدل نظام صالح لكل زمان ومكان فعليه أقيمت الدنيا وعليه قامت السماوات والأرض وهو الحكم المرتضى لعباده يوم القيامة . وليس من قبيل المصادفة أن يكون ضمن إطار المنهج القرآني موضوع العدل بل إنه ركيزة هامة من هدى القرآن .

أثر إقامة العدل في المجتمع المسلم :

يعتبر العدل في القرآن الكريم أساسا من الأسس القوية التي يقوم عليها منهج المجتمع الإسلامي ، ولذا فإن أهم أثر للعدل بين المسلمين سيادة الأمن

(١) آية / ١٥١ / ، سورة الاسراء .

والطمأنينة ، ونبذ القلق والتوتر والضعينة والعصبية ، وإقامة حياة يسودها الخير والبر والتقوى ، وصلاح الحال والاستقامة ويؤدي ذلك إلى التكافل الاجتماعي الذي عجزت النظم البشرية على مختلف الأعصار وتنوع الأماكن أن توجد مثله في حياة البشر .

" العدل أحد القيم في الإسلام التي تنبع أساسا من الإيمان وقيم القرآن الكريم كما جاء بها القرآن الكريم، ليست أخلاقا مفردة أو مجردة ، ولا آدابا للسلوك المتغيرة . أو متطورة، إنما هي قيم ثابتة موحدة تنبع من العقيدة وترتفع في ضمير المؤمن إلى مستوى الإيمان . ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك . قال : قل آمنت بالله ثم استقم " (١) . والاستقامة خلق وسلوك يجمع الإيمان والعمل الصالح وهو استقامة كل ما يخالغ نفس المسلم وما يصدر عنه من أقوال وأعمال ، ولهذا فسرت الاستقامة على أنها ثبات جميع الطاقات والنزعات على حدودها بالأمر والنهي أخذا من قوله تعالى ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (٢) (٣) .

-
- (١) صحيح مسلم ٤٧/١ ومختصره للألباني ص ١٣ رقم الحديث ١٨ باب فسي
الإيمان بالله . . . الخ .
(٢) آية / ١١٢ / ، سورة هود .
(٣) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ص ١٣٢ محمد عبد الحكيم خيسال
ومحمود محمد الجوهري ط . دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع محرم بك
الاسكندرية .

الباب الثاني

الزينة العامة (الفرانجة)

((الباب الثاني))

أسس العربية القرآنية

العربية العلمية في القرآن الكريم

أتاح الإسلام لكل فرد فرصة العلم والتعليم وذلك بما هيا الله له من أسباب .
ووفر له من إمكانيات كما أعطى كل فرد الحق في أن ينال من العلم والثقافة والإبداع
والانتفاع بعقله وتفكيره وذلك بقدر ما تتبحه له إمكانياته واستعداداته بل جعل
ذلك واجبا عليه في الحدود اللازمة لأمر معاشه ومعاده .

ولقد أشاد الحق جل وعلا في كتابه العزيز بالعلم والعلماء فقال تعالى :
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(١) فهم أحق الناس بخشية الله لأنهم أعرف
الناس به وبقدرته وعظمته ، وهم أعرف الناس بيوم القيامة وما فيه ، ولذا كان من
أوائل الناس عذابا يوم القيامة العلماء الذين لم يعملوا بما علموا^(٢) .

وأول آية نزلت من القرآن الكريم انطوت على تعظيم العلم ووضعه في المكانة
الأولى من نعم الله على خلقه ومن دلائل قدرته وعظمته قال تعالى ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^(٣) .

(١) آية / ٢٨ / ، سورة فاطر .

(٢) التفسير الواضح ٧٤ / ٢٢ .

(٣) آية / ٣ - ٥ / ، سورة العلق .

وقال تعالى حثا على العلم وطلبه ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا بِرَفْعِ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)

وقال أيضا : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣) .

وقال جل ذكره ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٤)
وقال صلى الله عليه وسلم " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " ^(٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة " . . . من سلك طريقا -
يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت
الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة
وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه " ^(٦) .

-
- (١) آية / ٢٢ / ، سورة الملك .
(٢) آية / ١١ / ، سورة المجادلة .
(٣) آية / ١٩ / ، سورة الرعد .
(٤) آية / ٤٣ / ، سورة العنكبوت .
(٥) أخرجه البخارى كتاب العلم باب (١٣) فمن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
حديث ١٦٤ / ١٧٠١ ، ومسلم في كتاب الامارة . باب قوله صلى الله عليه
وسلم : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين . الخ .
(٦) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب (١١) فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ،
حديث ٢٦٩٩ / (٤ / ٢٠٧٤) .

وأكبر وأفضل نعمة أنعمها الله على الإنسان هي القدرة على التكلم وذلك
بما فطره الله عليه من الخصائص والفضائل الفكرية والعقلية والنفسية . قال تعالى
﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)

وهذا يعطى الدليل الأكيد على أهمية التعليم وأنه والتربية عمليتان مستمرتان
تسعى شخصية الإنسان إلى اكتسابهما منذ ولادتها حيث يولد الإنسان ولا يعرف
شيئا .

وقد فضل الله هذا الكائن البشري بالعلم والمعرفة قال تعالى ﴿ يَرْفَعِ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ
يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

ويؤكد القرآن الكريم ضرورة المعرفة وأهميتها فهي من الناحية الإنسانية
تحتل مكان الرأس من الجسد فما ميز آدم وجعل الملائكة يسجدون له إلا قابليته
للعلم . ثم إن التفضيل الذي يعطيه القرآن للعلم والعلماء والأوصاف الخاصة التي
يمتازون بها لما يجعل العلم في التربية يحتل المكان الأعلى (٤) .

مكانة العقل في القرآن وأهميته في العلم :

إهتم القرآن الكريم بالعقل اهتماما بالغا لأهميته ، ولأنه مناط التكليف
وللأعباء الملقاه عليه من أداء الأمانة ، والقيام بالواجب لزم على العقل أن يؤدي

(١) آية / ٧٨ / ، سورة النحل .

(٢) آية / ١١ / ، سورة المجادلة .

(٣) آية / ٩ / ، سورة الزمر .

(٤) الفلسفة التربوية في القرآن الكريم ص ٤٥ د . محمد فاضل الجمالي .

الدور المطلوب منه . . . ونظرا لكبر المسئولية حرص القرآن على أن يكون العقل في حالة يقظة دائمة وحرم على الانسان كل ما شأنه أن يغييه .

وظلت العقوبة على من يفعل ذلك فقد وجه القرآن الكريم العقل الإنساني

إلى وظائفه التي هيأه الله لها وهي :

الكشف عن السنن التي تسير بها المخلوقات من جماد ونبات وحيوان وإنسان وقصد تسخيرها، والانتفاع بها وفهم معاني النصوص الشرعية، وإدراك الأسرار والحكم والمقاصد التي تضمنتها أحكامها وأعمال الاجتهاد في هذه النصوص لاستنباط الأحكام الخاصة بمنطقة العفو التي تركها الشرع ، وأعمال العقل في الترجيح عند ورود الأدلة المحتملة^(١) .

والعقل هو الأداة التي تميز بين الحق والباطل بتشريعات الله وبين الصواب والخطأ . إنه ميزان الجسم الذي إن صلح صلح سائر الجسم ، وإن فسد فسدت سائر الأجزاء . إنه يعمل في الجسم كركب يدبر حركة هذه المدينة . فإذا انتظم سارت الحركة في الجسم على ما يرام ، وإن اختل بطل العمل في الجسم وصار عرضة للتلف، وإذا كانت العلوم تقوم بدراسة الطبيعة وما فيها فإن القرآن ذكر طرفا من الظواهر العلمية التي في الكون، وعلى ذلك لا يمكن اعتباره كتابا أو موسوعة في العلوم الطبيعية يمكن للفيزيائي أو الكيميائي والجيولوجي وغيرهم أن يرجعوا إليه في أبحاثهم وتجاربهم بل إن الفيزيائيين والكيميائيين والفلكيين والجيولوجيين عندما يقرؤون القرآن لا يرون فيه أي تناقض بين أبحاثهم وتجاربهم وبين الأفكار والمرامي العلمية التي تحملها الأدب القرآنية في مواضع اختصاصهم .^(٢)

(١) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث (ص ٣٢) رسالة ماجستير

بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ط. دار السلام بالقاهرة.

(٢) الطبيعيات والاعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص ٢٤) د. عبد العليم خضر

ط. الدار السعودية للنشر والتوزيع ط. أولى .

والإشارات العلمية في القرآن الكريم تدفعه إلى البحث والاستقصاء والانتباه لظواهر الطبيعة . ومن هنا فإن القرآن بذلك رفع من قدر العقل عندما ألمح له ببعض الظواهر الطبيعية الكونية وأيضاً عندما توج القرآن العقل لإدارة وتنفيذ الأحكام الشرعية، لذا عمل على حفظه وصيانته وإبعاد كل الشبهات عنه فنهى عن التقليد ، وأمر صاحب العقل بالتفكير والاستنباط ونهاه عن الخمر والمسكرات والمفترات . ونهاه عن كافة المعاصي التي تسيء إليه واتخذ القرآن كافة الضمانات لوقاية العقل فشرع العقوبات التي تجرم وتردع مرتكب الكبائر لاسيما في حق العقل .

فريضة التفكير في القرآن :

لما كان العقل يحتل هذه المنزلة من الجسم ولأن كل العمليات التفكيرية تصدر عنه دعا القرآن الكريم إلى التفكير والاعتبار ففتح بهذا باب المعرفة الصحيحة وحرر العقول والأفكار من أسر وقيد الجمود والتقليد . فقد خلق الله كل شيء وقدره تقديراً ، وكل شيء عنده بحسبان ، ولقد فطر وهياً الإنسان لمعرفة هذه الأشياء والكشف عنها .

دعا القرآن الكريم إلى التفكير باعتباره ركناً أساسياً في العمليات العقلية التي تنسج عليها نظم الحياة ومدارك الإنسان في مرحلة الوعي وهو يتم في العقل ، إذ أن اللب الذي يخاطبه القرآن الكريم وظيفته عقلية تحيط بالعقل الوازع والعقل المدرك ، والعقل الذي يتلقى الحكمة ويتعظ بالذكر والذكرى ، وخطابه خطاب لأناس من العقلاء لهم نصيب من الفهم الواعي أوفر من نصيب العقل الذي يكسف صاحبه عن السوء ، ولا يرتقي إلى منزلة الرسوخ في العلم والتمييز بين الطيب والخبيث والتمييز بين الحسن والأحسن من القول^(١) .

(١) التفكير فريضة اسلامية (ص ٢٨٩) عباس محمود العقاد . الأعمال الكاملة ، المجلد الخامس . اسلاميات (١) ط دار الكتاب اللبناني ببيروت .

ان التفكير في الكون والحياة والانسان ينمي القدرة عند المسلم على فهم الوجود فالنظر الناتج من التفكير يدفع الغفلة عن القلب ويوقظ أجهزة الاستقبال لآداء وظيفتها الانسانية والخروج من دائرة الذين قال فيهم مولانا عز وجل ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١)﴾ .

والتفكير في الإسلام تفكير منطقي لا يصادر الحقائق وما ينتج عن معطيات العلم . فالذى يجب أن يفهمه البشر كل البشر اليهود، والنصارى، والوثنيين والملحدون أننا نحن المسلمين نقبل أى رأى أو حقيقة علمية تخدم الانسان وتحقق خلافته في الأرض وتكون قد اختمرت تماما في وعاء التجربة والملاحظة والاستنتاج والشمول والوضوح والحقيقة عندئذ فهي عندنا جزئية صادقة من معادلة كلية مطلقة في قانون الله الإلهي العام الأعظم للكون فإذا كانت منسجمة مع هذا القانون فهي ليست في حاجة إلى تأييد أو رفض من انسان (٢) .

ونحن نقرأ القرآن الكريم فنجد فيه الإشارة العلمية كخلق الإنسان من سلالة من طين وإنقاص الأرض من أطرافها ، وعدم اختلاط مياه البحر بمياه النهر، والزلازل والبراكين وعلاقة حدوثها بضعف القشرة الأرضية .

إن القرآن الكريم يحتوى على الكثير من الآيات الكونية التي توقظ عقل الانسان في رفق ويسر وتطالبه حتى بمجرد النظرة الفطرية إلى هذا الملكوت الرهيب فتنتعش

(١) آية / ١٢٩ / ، سورة الأعراف .

(٢) الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص ٣٣) ط . الدار السعودية للنشر والتوزيع .

بها النفس ويهتز لها الوجدان حين تطالع صفحة هذا الوجود في إجمال دون حاجة
إلى التفصيل والتعليل " كما في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا فَرَكْتَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ
الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾^(١) فتركيب الإنسان في غاية
الدقة ، وفي نهاية الإعجاز الذي يستحق من الإنسان الوقوف حوله والتفكير
والتأمل .

ويشير القرآن في المسلم وغيره روح البحث والتفكير في خلق الله عز وجل فيقول
سبحانه وتعالى ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾^(٢)

بناءً على هذه الآيات الكونية القرآنية يعتبر التفكير في الكون في نظر الإسلام
عبادة تؤدي إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته .^(٤)

طرق العلم الصحيح :

حدد ذلك القرآن الكريم بالوحي فيما يتصل بالقضايا الأساسية الاعتقادية
في حياة الناس؛ أما ما سوى ذلك فإن طرقه الحواس والتجربة والمشاهدة وقد عبر
القرآن عن المنهج الثاني بقوله ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾^(٥)

(١) الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ١٤) د / منصور حسب النبي . ط دار الفكر
العربي بالقاهرة .

(٢) الآية ٦ / ٨ - سورة الانفطار .

(٣) آية ١٧ / ٢٠ - سورة الفاشية .

(٥) آية ٣٦ / سورة الاسراء .

فالسمع والبصر يشيران إلى الحواس ومعطياتها ، والفؤاد يشير إلى عمل القلب، والقرآن بأهدافه التعليمية العالية، ومقاصده الكريمة، ومراميه النبيلة يدعو إلى النظر والتفكير ليحصل العلم واليقين والإيمان الذي ثمرته العمل .

لقد حث القرآن المسلم المؤمن على أن يعمل جميع حواسه من سمع وبصر وتذوق وشم وحس — — — — — ، وفهم وقلب وعقل ، يفكر في إدراك ماهية العلاقة التي تربط بين المخلوقات وتدبر نعم الله من ليل ونهار وشمس وقمر ونجوم وكواكب وسما ، وأرض وبحار وأنهار ، وسهول ووديان وجبال ، كل هذا يسير بحركة فلماذا لا يدرس المسلم هذا النظام البديع ويدرك علاقاته ويخلص إلى نظريات وقوانين تفيد في حياته وتوفر عليه جهده قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١)﴾

إن النظرة العلمية في القرآن تحفز المسلم على ضرورة النظر بفكر واستقصاء

الحقائق والتجريب في المعامل حتى يستطيع أن يتعامل مع هذا الكون .

ويسوق القرآن آية أخرى من آيات القدرة التي تحت على النظر فيقول سبحانه : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٢)﴾ .

وقال تعالى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٣)﴾ .

(١) آية / ١٦٤ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ١٠١ / ، سورة يونس .

(٣) آية / ١٧ - ٢٠ / ، سورة الفاشية .

والقرآن يوجه أنظار المسلمين إلى المعارف النافعة لهم في الحياة الدنيا،
والتي بالبحث فيها يتقربون إلى الله عز وجل بطاعته . والإنسان القنوط اليأس
الجاهل يظن أن للعلم حداً وداً، فعلى الرغم مما وصلت إليه البشرية من معارف
إنسانية فإن القرآن يقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

وليس معنى ذلك اليأس والفرار من رحمة الله بل العمل الدؤوب والبحث
المضني الموصل إلى معرفة الحقائق والنظريات العلمية المفيدة ﴿ قَلَّ لَوْ كَانَ
الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (٢)

أهداف التعليم في القرآن الكريم :

القرآن الكريم كتاب خالد وهو آخر الكتب السماوية المنزلة من الله تعالى
على البشر . ختم الله به الرسالات لهذا كان طبيعياً في مكوناته أن يشتمل على
مبادئ وأهداف للتعليم .

لقد سبق في علم الله الأزلي أن البشرية سوف تتقدم لذا وجهت الآيات
القرآنية أنظار المسلمين إلى قضايا إنسانية كثيرة من بينها التعليم وذلك باعتبار
التعليم هو رائد وقائد مسيرة الحياة في أي زمن أيا كان ولا سيما القرون الحديثة
من عمر البشرية . لذا راعى هذه الفروع العلمية الاجتماعية الإنسانية ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٣) ومن هذا المبدأ دعا الإسلام إلى الإيمان
بالله تعالى على أنه الهدف الأول من تربيته ثم اهتم بتربية الإنسان .

(١) آية / ٨٥ / ، سورة الاسراء .

(٢) آية / ١٠٩ / ، سورة الكهف . وانظر في هذا : معالم الثقافة الإسلامية ص

(٣٠٥) د . عبد الكريم عثمان ، خصائص التصور الإسلامي ص (١٩) سيد

قطب ، وكذا التفكير فريضة اسلامية للعقاد .

(٣) آية / ١٦٥ / ، سورة النساء .

أولا : الاهتمام بالانسان جسدا وروحيا :-

التربية القرآنية متكاملة الجوانب فهي تربية جسمية حسية بمعنى أنها تهتم بنظافة المسلم وتعد له علاجا مفيدا لجسمه من سائر الأمراض وتحافظ على حواسه الخمس وتضبط حركة نشاط الجسد . والاشارات القرآنية الى ذلك كثيرة مثل * (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَمَمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ^(١) * والطهارة الجسدية الحسية تجعله مستعدا للتعامل مع العالم الخارجي باستعداد سليم وجسد نظيف .

ولم تقف التربية القرآنية عند هذا الحد بل اهتمت بالتربية الروحية باعتبارها مرحلة الاتصال بين الانسان وخالقه فهي تربية تدعو الى العمل وتنبذ الكسل والتواكل بحجة التعب . إنها تهتم باصلاح الأرض وتعميرها والسعي فيها والجهاد في سبيل الله .

وإذا كان العلم أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل وكان تعليمه إفادة للأفضل ، وبهذه الطريقة أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لا من يتخذها مستقرا وموطنا ^(٢) .

(١) آية ٦ / ١٦ ، سورة المائدة .

(٢) إحياء علوم الدين (١ / ١٣) ط . عيسى الحلبي .

إن طريق العلم يؤدى إلى الإيمان، والإيمان بالله عز وجل ركن أساسي بل هو الأول من عقيدة المسلم . فالقرآن يبين أن عبادة الله عز وجل أمر منه . فقال تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (١)

ولا عجب بعد ذلك في أن ينجح الإسلام في تربيته، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بفعله قبل قوله، ويعلم الناس بسلوكه ونهجه في الحياة، حيث اشتهر بين أهله بالأمانة حتى لقب بالأمين، وبالبعد عن الفواحش . . . وعاش بعد الرسالة على الكفاف ونام على الحصر حتى أثر على جنبه الشريف وكان يمر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله ولا يوجد في بيت رسول الله نار يطبخ عليها طعام (٢)

ويمكن أن نقرر أن كثيرا من الفلاسفة والمفكرين فشلوا في تخيل مناهج للتربية، وخططوا مدنا فاضلة فبقيت مناهجهم ومدنهم خيالا هائما وتصورا عقليا لم يتحول إلى واقع أبدا وحين أنزل الله كتابه لم يرد أن يكون نظرية تحفظ ، وإنما أراد أن يكون سلوكا يترجم في واقع الحياة فاختر من بين الناس محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون السراج المنير والمثل الأعلى والقذوة العظمى للإنسانية . (٣)

اختاره الله على علم كما قال سبحانه ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٤) والإيمان بالرسول يقتضي الإيمان بمن سبقه من الأنبياء والرسل وذلك لأن الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض الآخر هو تفريق ليس بين الرسل بعضهم وبعض

-
- (١) آية / ٥ / ، سورة البينة .
(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع ص ٢٤٨ ط الخانجي بمصر رسالة دكتوراه .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٢٣٧ .
(٤) آية / ١٢٤ / ، سورة الأنعام .

ولكن تفريق بين الله ورسله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١) ورسله في النص إنما يقصد بها الرسل جميعا لأن كل واحد منهم كان رسول الله في زمانه وبين قومه فضلا عن أن الرسل جميعا كانوا متعاقبين في سلسلة الإيمان وخاتمهم في ذلك محمد صلوات الله وسلامه عليه كما كانت دعوتهم جميعا هي الإسلام^(٢).

إذن: الإيمان بنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم يقتضي الإيمان بجميع الرسل، ويقتضي أيضا الإيمان بالكتب المنزلة عليهم، وفي هذا الإيمان طمأنينة لقلوبهم وتهذبة لانفعالهم وتهذيب لسلوكهم وتقييم لعاداتهم.

ثانيا : التأمل في الكون ودراسته علميا :

من أهداف التعليم في القرآن الكريم دراسة هذا الكون إذ فيه من آثار خلق الله عز وجل ، وهذه الآثار متنوعة، والمواضع العلمية التي يدعو القرآن إلى تناولها كثيرة، فهي تشمل الكون والوجود كله، والحياة أجمعها، وذلك لغرض معرفة الخالق والإيمان به أولا وقبل كل شيء ثم عبادته على هدى ونور ثم معرفة الكون كله وما فيه وتسخيره لخيره ونفعه^(٣) ، ورفع الإنسان فلا توجد ناحية من نواحي الحياة والمعات إلا ويدعو القرآن إلى معرفتها ودرسها والتأمل فيها .

والمؤمن لا يمر على هذه الآيات مرور الكرام بل يدرسها ويتفحصها :
استخدم القرآن الكريم صيغة السؤال لحث الناس على التدبر والتأمل في
هذه المخلوقات ، وهذه نماذج من التساؤلات القرآنية .

(١) آية / ١٥٠ / ، سورة النساء .

(٢) التصوير القرآني للمجتمع ١ / ٤٦ د . صلاح الفوال ، ط دار الفكر العربي .

(٣) أعنى الانسان .

قال تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْنَا خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْنَا لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْأَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

والآية تحت على النظر والبحث في نبات الأرض وتشقق خلال هذه الأرض بالأنهار وجريانها وتشبهت هذه الأنهار بالجبال والصخور وعدم امتزاج الماء العذب بالماء المالح على الرغم من التقاء البحر في المجارى المائية .

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢) .

والآية تقرر فائدة مياه السماء للزروع التي تخرج مختلفة الألوان مع أن الماء واحد، والأرض المزروع فيها واحدة ، وأيضا صخور الجبال مختلفة الألوان، وهذه آيات علمية في الكون تحت الإنسان على الإيمان بالله .

قال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا، وَبِلْيَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٤) .

ويقول سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٥)

(١) آية / ٦١ / ، سورة النمل .

(٢) آية / ٢٧ - ٢٨ / ، سورة فاطر .

(٣) آية / ٦ - ٧ / ، سورة النبا .

(٤) آية / ٢٥ - ٢٨ / ، سورة المرسلات .

(٥) آية / ١٧ - ٢٠ / آية الفاشية .

نماذج قرآنية تبين آيات القدرة والدعوة الى تأملها ودراستها :

نعم الله كثيرة لأنه القائل ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١)

آيات القدرة في خلق الحيوان

قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣)

ويتحدث عن الطير وأنه أمم مثل البشر فقال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٤)

وهذا الطير الذي يطير بجناحيه ما الذي يمسكه دون الوقوع على الأرض؟ إن الله هبأه لذلك قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (٦)

-
- (١) آية / ٣٤ / ، سورة ابراهيم .
(٢) آية / ١٧ / ، سورة الفاشية .
(٣) آية / ٤٥ / ، سورة النور .
(٤) آية / ٣٨ / ، سورة الأنعام .
(٥) آية / ٧٩ / ، سورة النحل .
(٦) آية / ١٩ / ، سورة الملك .

بعض آيات القدرة والعناية الالهية في خلق النباتات :

قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ

وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

وَيَنْعِهِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣)

وقوله سبحانه ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ

وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

وَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ

صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يَسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَ لُبَّهَا عَلَىٰ بَعْضِ فِي الْأَكْلِ إِن فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا

الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا

مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (٦)

(١) آية / ٦٣ - ٦٤ / ، سورة الواقعة .

(٢) آية / ٩٥ / ، سورة الأنعام .

(٣) آية / ٩٩ / ، سورة الأنعام .

(٤) آية / ١٤١ / ، سورة الأنعام .

(٥) آية / ٤ / ، سورة الرعد .

(٦) آية / ٢٤ - ٣٢ / ، سورة عبس .

ومن بديع الصنعة ودقة النظام في كواكب السما*

قال تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ،
وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ
الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلٰى
الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
يَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ تَوْقِنُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ
وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ، وَالسَّمَاءُ
رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ (٦)

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (٧)

(١) آية / ٣٨ - ٤٠ ، سورة يس

(٢) آية / ٢ ، سورة الرعد .

(٣) آية / ١٢ ، سورة النحل .

(٤) آية / ٩٧ ، سورة الانعام .

(٥) آية / ٦٥ ، سورة الحج .

(٦) آية / ٥ - ٧ ، سورة الرحمن .

(٧) آية / ١٧ ، سورة المؤمنون .

وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٢)

وعن الظواهر الجوية :

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزِجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِسَيْئِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيَسْتَبِحُّ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ (٦)

-
- | | |
|-----|----------------------------|
| (١) | آية / ٦ / ، سورة ق |
| (٢) | آية / ٤٧ / ، سورة الذاريات |
| (٣) | آية / ٤٣ / ، سورة النور |
| (٤) | آية / ١٢-١٣ / ، سورة الرعد |
| (٥) | آية / ٥٧ / ، سورة الأعراف |
| (٦) | آية / ٢٢ / ، سورة الحجر |

وقال تعالى ﴿ أَمْ نَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ
بَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ نَالَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١)

وقال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ
وَلِيَجْعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾^(٢)

وقال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ
الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوقِنُ إِذَا
كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٣)

وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَمْنُونٍ
فَأُحْيِينَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾^(٤)

ومن النفس والكــــون :

قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ ﴾^(٥)

ومن التاريخ والآثار :

قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ عَاقَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾^(٦)

(١) آية / ٦٣ / ، سورة النحل

(٢) آية / ٤٦ / ، سورة السروم

(٣) آية / ٣٤ / ، سورة الشورى

(٤) آية / ٩ / ، سورة فاطر

(٥) آية / ٥٣ / ، سورة فصلت

(٦) آية / ١٠ / ، سورة محمد

وعن التطور والانتقال من حال الى حال :

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا مَّا فَكَّسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١)

وعن الاحصاء والرياضيات :

قال تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ (٣)

وعن الفيزياء والكيمياء :

وقال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (٤)
قال تعالى ﴿ آتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا، فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ (٥)

وإذا وقفنا عند هذه الآيات بالدراسة والتحليل سوف نخرج بفوائد جملة وفيرة وإذا فحصنا ما تشير إليه هذه الآيات من معطيات علمية سنجد أن ما اكتشفه العلم الحديث ما هو إلا جزء من هذه الآيات . والقرآن الكريم ليس كتابا مخصصا في الطبيعة أو في الكيمياء بل هو كتاب حياة يذكر الأدلة البسيطة والمركبة . يذكر

-
- (١) الآية / ١٢ - ١٤ / ، سورة المؤمنون .
 - (٢) آية / ١٢ / ، سورة يس
 - (٣) آية / ٢٨ / ، سورة الجن
 - (٤) آية / ٢٥ / ، سورة الحديد
 - (٥) آية / ٩٦ ، ٩٧ / ، سورة الكهف

القرآن الآيات العلمية في صفحة الكون للدراسة والتأمل وهو يذكرها بأسلوب يقنع العوام بفلسفتها وبحكمتها . وإذا تأمل المتخصصون سيجدون أنها ضالتههم ، وإذا قرأت القرآن الكريم اتضح لك أنه اشتمل حتى الآن فقط على ثمانمائة آية سبقت العلم الحديث بما فيها من حقائق كونية معظمها صحح أخطاء فلاسفة اليونان القدامى ، وبعضها لم يكشف عنه العلم إلا حديثا . . . وبعضها من القضايا الكلية التي تندرج تحتها قضايا جزئية تثبت بعضها فعلا ، ولا تزال هذه القضايا الكلية صالحة لتشمل ما يمكن أن يكشف عنه العلم في مجالها ذات يوم" (١)

شروط التأمل الصحيح :

الكون كله مليء بالآيات الواضحة والأدلة الدافعة على وجود الله عز وجل

وبقوم التدبر والتأمل على شروط أهمها :

- (١) الإسلام هو دين البحث والتأمل والمسلم الحق يدرك أهمية هذا التدبر .
قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (٢)
- وتجارتهم تجارة رابحة لأنها مع الله عز وجل .
- (٢) الإلمام بعلوم الدنيا والعلوم الشرعية .
- (٣) على المسلم المتدبر أن يقرأ آيات الله عز وجل إذ حثنا القرآن على ذلك فقال سبحانه وتعالى ﴿فَاقْرَأْ مَا تيسرَ مِنْهُ﴾ (٣) .

(١) هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم

(٢) آية / ٢٩ / ، سورة فاطر .

(٣) آية / ٢٠ / ، سورة المزمل .

وأول آية فيه تدعو إلى القراءة وهي قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْمُرْ رَبُّكَ الَّذِي
(١)
خَلَقَ ﴾

ولقد ذكرنا من الآيات القرآنية ما فيه تلميح وإظهار لآيات القدرة والعظمة
في خلق الله عز وجل وفي نفس الوقت حث على إعمال العقل في التدبير
والتأمل .

(٤) أن يكون هذا التأمل والتدبير مصحوبا بخشوع القلب والجوارح . ولقد
حث القرآن الكريم على الخشوع حينما قال ﴿ أَلَمْ يَأْمُرْ رَبُّكَ أَن تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن
قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ اعلموا أن الله يحيي
الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿ (٢)

ثالثا : القدرة على البيان

مما ميز الله عز وجل به الإنسان عن سائر المخلوقات هو أنه يفصح بلغته
منطوقة مفهومة، والقرآن حريص على أن يكون نطق الإنسان المسلم ذكرا، وصمته فكرا،
فلا يقول إلا حقا ولا يتكلم ولا يشهد إلا صدقا. وترجم القرآن هذا الهدف في قوله
تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (٣)

قال الزمخشري " ذكر ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق
الفصح المعرب عما في الضمير " (٤)

-
- (١) آية / ١ / ، سورة العلق
(٢) آية / ١٦-١٧ / ، سورة الحديد
(٣) آية / ١ - ٤ / ، سورة الرحمن
(٤) الكشاف (٤٣ / ٤) .

وقال الشوكاني : " . . . ثم امتن ثالثا بتعليمه البيان الذى يكون به التفاهم ويدور عليه التخاطب وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد ، لأنه لا يمكن إبراز ما في الضمير ولا إظهار ما يدور في الخلد إلا به .

قال قتادة والحسن : المراد بالإنسان : آدم ، والمراد بالبيان أسماء كل شيء ، وقيل المراد به اللغات . . . وقال الضحاك : البيان الخبير والشر . وقال الربيع بن أنس : هو ما ينفعه وما يضره ، وقيل البيان الكتابة بالقلم والأولى حمل الإنسان على الجنس ، وحمل البيان على تعليم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به " (١) .

وقال ابن كثير في تفسير الآيات : قال الحسن يعنى النطق وذكر قول الضحاك و قتادة ثم قال : وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها " (٢) .

إن التربة القرآنية تعطى عناية خاصة بالكلام باعتباره وسيلة التفاهم بين الناس ، وباعتباره الترجمة الحقيقية لما في الصدور وباعتباره وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي والتعلم .

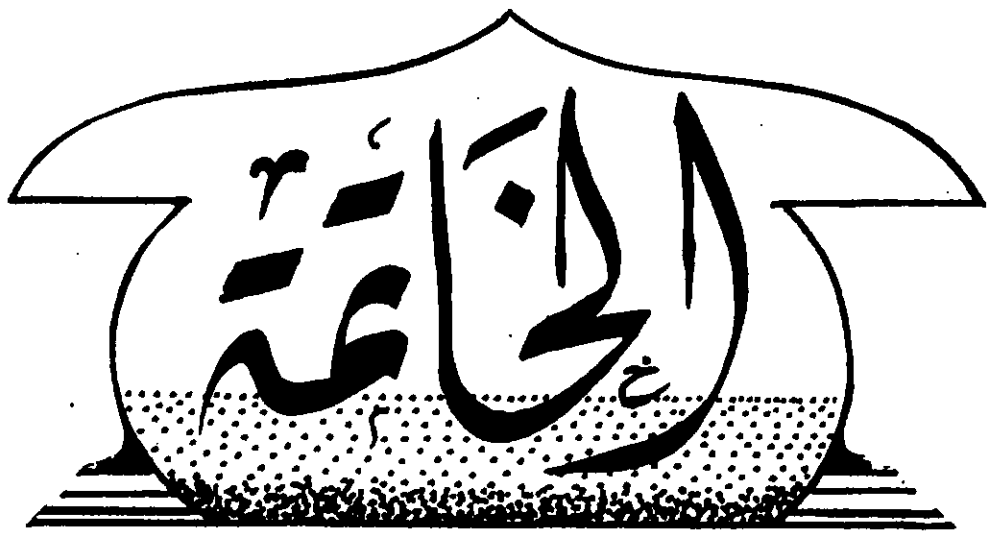
ولخطورة ما يصدر من اللسان من كلام قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ بن جبل . . . ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده ، وذروة سنامه ؟

(١) فتح القدير (١٣١/٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٧٠/٤ ط. عيسى الحلبي .

قلت : بلى يا رسول الله قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة
وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت :
بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه وقال : كف عليك هذا ، فقلت : يا نبي
الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل
يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم .

(١) أخرجه الترمذى ١٣/٥ ، ٤١- كتاب الإيمان باب (٨) ما جاء في حرمة
الصلاة رقم ٢٦١٦ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .



قال تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْنَا خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْنَا لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

والآية تحدث على النظر والبحث في نبات الأرض وتشقق خلال هذه الأرض بالأنهار وجريانها وتشبهت هذه الأنهار بالجبال والصخور وعدم امتزاج الماء العذب بالماء المالح على الرفم من التقاء البحر في المجارى المائية .

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢) .

والآية تقرر فائدة مياه السماء للزروع التي تخرج مختلفة الألوان مع أن الماء واحد، والأرض المزروع فيها واحدة ، وأيضاً صخور الجبال مختلفة الألوان، وهذه آيات علمية في الكون تحدث الإنسان على الإيمان بالله .

قال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا، وَبِلَیْمٍ يَوْمِيذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٤) .

ويقول سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٥) .

(١) آية / ٦١ / ، سورة النمل .

(٢) آية / ٢٧ - ٢٨ / ، سورة فاطر .

(٣) آية / ٦ - ٧ / ، سورة النبا .

(٤) آية / ٢٥ - ٢٨ / ، سورة المرسلات .

(٥) آية / ١٧ - ٢٠ / آية الغاشية .

خاتمة في نتائج البحث "سأل الله حسنهما"

لا شك أن الحديث عن التربية في القرآن الكريم حديث محبب إلى النفوس ، ومن هنا قد عشت من خلال رسالتي هذه وقتاً قيماً ممتعاً ، وأنا أفوض في أعماق الدراسات الثرة التي تتجدد مضامينها على مر العصور ، حيث يجد الباحث من التربية في القرآن بحراً زاخراً ، وكماً هائلاً من المعاني الإنسانية الرائعة التي تمد الإنسانية بصور وخلال كريمة تضرب الأمثال الحية لكيفية تطبيق النظريات ، واستحالتها إلى واقع حي ملموس .

لما تخرج في ظل هذه المعاني والقيم أجيال كريمة برزت فوق هذه البسيطة ، ولأنتها عدلاً وحكمة ، وطبقت النهج الإسلامي خير تطبيق فوق الأرض . ألم يكن خُلُقُ المصطفى صلى الله عليه وسلم القرآن ؟ . وهو القدوة المثلى الذي سار على نهجها صحابته رضوان الله عليهم ، ومن ساروا على دربهم ممن جاءوا بعدهم . ولقد حظيت أن أقف مع هذه النماذج الكريمة وقفات طيبة قطفت من خلالها هذه الثمار اليانعة الغضة التي تمثل معالجة قضايا ومشكلات عدة تهم المسلمين أفراداً وجماعات ، لكي يقيموا حياتهم على نسق سلفهم الكريم واشتملت سيرة دراساتي الجوانب الآتية :

أولاً : تحكيم القرآن الكريم والسنة النبوية في كل مناحي الحياة ، ولا سيما تربية الأمة وتزكيتها ، وخير وسيلة وأقوم أسلوب في ذلك هو الالتزام الكامل بشرع الله جملة وتفصيلاً ، ليقودنا إلى التقدم والرفق في التعليم والتعلم بل في سائر المجالات ، وبدون ذلك فلا تقدم ولا استقرار بل تناحر واختصاص . وفي النهاية وبال ودمار .

ثانيا : إن المفهوم التربوي لكتاب الله يتجلى في صورها، أنه كتاب تربوي يهدف إلى توجيه النفس البشرية إلى الخير ، وإقامة الحق والعدل بين الناس في الأرض ، وإلى تغيير كل واقع سيء في حياة الناس سواء أكان ذلك السوء موروثا من الآباء أو من هوى النفس ورغبتها عن الحق .

ثالثا : إن التربية القرآنية تشمل جميع مراحل حياة المسلم وسائر سلوكياته ، فهي تعدّه إعدادا روحيا ونفسيا ، ليكون مؤهلا لتلقي التعليم والثقافة على نحو موجه ، وذلك حتى يستطيع أن يربط بين هدفي الدنيا والآخرة من حيث البناء والسعي إلى آفاق التقدم الذي لا يصادم فطرة ولا يعادى خلقا .

رابعا : من روعة التربية القرآنية قيامها على المرونة والإقناع ، ومن هنا فهي تربية واضحة تعطي كل سن ما يناسبه ، وكل جنس ما يلائمه ، لأنها تربية تتدرج مع الإنسان تدرجا حكيما يتلاءم مع جميع الأعمار ومختلف العقول ، وقد قيل : إن حكمة الله اقتضت تنزيل سور قصار كي يسهل حفظها على الأطفال ، ليتعلموا منها مبادئ عقيدتهم وأركان دينهم .

خامسا : إن منهج القرآن في مجال التربية هو رد النفس إلى جبلتها السليمة وتخليصها مما رَانَ عليها من العادات السيئة والتقليد الأعمى في العقيدة ، وإرجاعها إلى التوحيد الذي فطرت عليه النفس لحظة أن قال الله تعالى لذرية آدم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ^(١) ۖ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما من مولود إلا يولد

(١) آية / ١٧٢ / ، سورة الأعراف .

على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج
المهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون فيها من جدعاء" (١) .
ولا شك أن القوة الروحية التي تساندها العقيدة السليمة . والسمو
الروحي ، هما الدعائم اللتان تمدان الشخصية بالقوة المعنوية .
والطمح إلى أسمى المقاصد وجلائل الأعمال .

سادسا : من منهج التربية في القرآن ، الأمر بالصلاة والمحافظة عليها :
ومن هنا فلا يقف دور الصلاة على أنها عبادة فقط ، بل فيها
فوائد رياضية فحينما يقف المصلي بين يدي الله عز وجل ، فإنما
يؤدي هذه العبادة في حركات تدل على التذلل والخضوع
والتسليم لله عز وجل ، هذه الحركات تعبر عن الامتثال لتعاليم
الدين وفي نفس الوقت تدفع الدم في جميع أجزاء الجسم ، فتشط
عضلات القلب وتذيب الشحوم المترسبة في الدم ، وتقي المصلي
من أمراض الظهر المنتشرة في دول الكفر والإلحاد الذين ما ركعوا
لله يوما وما سجدوا له ساعة .

سابعا : تقوم الزكاة بتربية المسلم على أخلاق قويمة وسجايا حميدة ، منها
خلق الجود والعطاء والكرم ، الذي يعلى من قدر المزكي في
المجتمع فيصبح إنسانا طاهر النفس خاليا من الشح والكرازة والأنانية
البغيضة ، ومجتمع تلك خلال أغنيائه لا بد أن يكون مجتمعا متعاوننا

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٤٣ ط . مكتبة المعارف - الرياض .

متأخيا متحابا ، لا مكان فيه لحاقد ، ولا موضع فيه لموتسور .
وإن شئت فقل : لا مكان فيه لمحتاج . وكان ذلك كذلك ،
لأن القرآن بهذا العامل التربوي هذب نفوسهم ومحا منها
الأثرة ورباهم على الإيثار فكانوا في ذلك مضرب الأمثال .

وجميع العبادات التي فرضها الاسلام ، منهج تربوي متكامل ،
رعى بها أمة على أكل نظام وأرسخ بنيان ، فكانت بحق ﴿ خَيْرَ
أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (١) .

ثامنا : تعد الغرائز عند الإنسان ظلما نتيجة إفرازات الفرد بأنواعها
المختلفة ما يجعلها توجه سلوك الإنسان ، أو يكون لها تأثير
في ميول غريزة الفرد من حيث الحدة ، أو انخفاض هذه الحدة ،
والإسلام لا ينكر هذه الغرائز ولا يطلقها على شراستها ، بل
اختار الطريق الوسط فنظم هذه الغرائز وأباح لها أن تصرف
وتسير في مسارها الصحيح . الذي نظمه الشرع الصحيح ، وهناك
مثالا يبين ذلك ، غريزة الجنس مثلا ، قد وجهها الإسلام من
عذاب يقلق صاحبه ويكدر عليه صفو حياته إلى حالة هدوء واستقرار
وهذا ما يحققه الزواج الشرعي . قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٢)

ثاسعا : القرآن الكريم في منهجه العظيم يؤدب المسلمين ويربيهم بتلميحاته
وكنائياته المؤدبة فلا يطلق لألستهم العنان حين يريدون التعبير

(١) آية / ١١٠ / ، سورة آل عمران .

(٢) آية / ٢١ / ، سورة الروم .

عن الجنس والاتصالات الزوجية فكناياته تحمل رقة وأدبها
لا يחדش حياءً ولا يثير في النفس ما كان كامناً ومن ثم
فانه يشبه النساء بالأرض العذرة فيقول ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَارَثٌ
لَكُمْ ﴾ (١) . ويقول ﴿ أَوْلَا سَمُّ النَّسَاءِ ﴾ (٢) . ويقول ﴿ أُجِلَّ
لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (٣) ويقول ﴿ وَقَدْ أَنْصَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ (٤) .

فالقُرآن بهذا المسلك يرفع من شأن المسلمين في كلامهم
ويلفت نظر الزوجين إلى ضرورة صيانة اللقاء الجنسي بسياج
من الآداب والخفية والبعد عن المصارحة والمكاشفة .

هاشورا : كرم الإسلام المرأة ورفع شأنها وجعلها مساوية للرجل في
التكاليف الشرعية إلا ما استثنى وحرّم الاعتداء عليها بخلاف
ما جرى مع المرأة قديماً وحديثاً إلى حد أن بعض الأديان
المحرفة اعتبرت المرأة شراً ، بل شيطاناً .

حادي مشور : إن الفلسفات التربوية المعاصرة تصنف على أنها فلسفات
(وطنية) (دينية) أو علمية ، وهي اعتبارات دافعها اجتماعي ،
سياسي ، إلا أن العامل الديني في المنهج التربوي لا يدخل
إلا قليلاً .

(١) آية / ٢٢٣ / ، سورة البقرة .

(٢) آية / ٦ / ، سورة المائدة .

(٣) آية / ١٨٧ / ، سورة البقرة .

(٤) آية / ٢١ / ، سورة النساء .

ففي الهند مثلا اهتموا بأن يكون المنهج التربوي قائم على بعض فروع المعرفة الإنسانية ، دون النظرة الدينية الشاملة ، بينما نجد المنهج الأفلاطوني عند الإغريق القدامى يهتم بالعلوم العقلانية النظرية المجردة ، وبجانب هذا الاهتمام نرى المنهج الأفلاطوني يستنكر العلوم التجريبية ، لأنها في نظره علوم نفعية محضة ، وتنقصها الدلالة التأثيرية .

وبسبب التركيز على العلوم النظرية المجردة جاءت النظرة التي تقول بتقسيم الجسم والعقل والعمل والفكر ، ومن هنا تأثر المنهج الأوربي الجامعي في ذلك الزمان بهذا التناقض فقسم إلى قسمين :-

- ١- تعليم فني يهتم بصفوة المجتمع .
 - ٢- تعليم حر ، يهتم بتعليم الفقراء والمعوزين .
- ولقد استمر هذا الاتجاه في المؤسسات التعليمية حتى الآن .
- وعندما ظهرت النصرانية في أوروبا تأسست فروع المعرفة فيها على أصول جديدة ، فاعتبرت الديانة مادة أساسية في التعليم ولكن إلى حين .

ولقد كان لهذا التغيير آثار مدمرة في التربية والمجتمع ، لأن الكنيسة آثرت أن تجر المؤسسات التعليمية إلى الرهبانية الانعزالية والتقطع ، وذلك لتسير في فلكها الكنسي ، مما أدى إلى مقاومتها من رجالات الفكر ، وكان من أهداف ذلك

الصراع بين رجال الفكر ورجال الكنيسة ما يسمى بفترة النهوض والإصلاح الذي كان سببا في الخروج من قبضة الرهبانية ، ومن هنا دخل التعليم العالي في أوروبا مرحلة التعليم العلماني اللاديني . وعندما دوت رسالة الله الخاتمة عبر شوارع مكة على يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في السنوات الأولى كانت أوروبا حبيسة في قبضة القرون المظلمة . ومن ثم فان وظيفة التعليم الاسلامي بايجاز هي :

١- غرس العقيدة السليمة في نفوس وقلوب المسلمين . وطلاب العلم والمعرفة .

٢- التطبيق العملي لكل ما يدرس في حقول العلم ، تأسيا بفعل السلف الصالح الذين كانوا يتعلمون الآية من كتاب الله فلا يتجاوزونها إلى سواها حتى يعملوا بها .

٣- إن الواجب على المهتمين بشأن التعليم الإسلامي أن يدركوا أن التعليم الصحيح من خلال المنظور الإسلامي لا يمكن أن يوتى ثماره عن طريق حشو العقول بطائفة من المعارف والمفاهيم الدينية ، بل إن التعليم الإسلامي الصحيح أولا وقبل كل شيء تدريب روجي على تحويل هذه المعارف إلى سلوكيات وواقع حي ، ومن هنا يستطيع طلاب العلم تفهمها وتمثلها إلى سلوك منظور .

٤- بيان أن الطالب إنما يتعلم لله ، ليكون داعية خير وواعث نهضة لا ليحصل على نجاح يعقبه شهادة يعمل بها ، ثم

ينسى ما حصل ويففل ما جمع من مادة علمية .

٥- ومن وظائف التعليم الإسلامي تخريج رجال أفاض ودعاة مخلصين يستطيعون نشر الدين بمبادئه السمحة وقيمه العليا بين ربوع العالم .

٦- عدم التناقض بين حياة مدرسي مواد الشريعة الإسلامية وبين تعاليم هذه الشريعة ، لأن التناقض بين الحياتين مصدر الخطر على الطالب ، حيث إنه - والحالة هذه - يمرد على النفاق وتلك مصيبة كبرى وفاجعة عظمى .

ثاني عشر : من خلال دراستنا للمنهج القرآني في تربية المسلمين يتضح لنا ما يأتي :-

١- الأخذ بأساليب العلم الحديث ، وذلك بوجود الجو العلمي الذي يرتقى بحياة الناس ويطور مفاهيمهم وأساليب تفكيرهم بما يتماشى مع تعاليم الدين ومعطيات الحضارة المعاصرة ، ومن ثم فلا تعالج القضايا الإسلامية بالانفعال ورفع الشعارات البراقة ، ولكن لابد من معالجتها على أساس المعلومات الدقيقة والبيانات الموضوعية والدوايات الجادة وذلك لا يتحقق إلا في جو علمي سليم دعانا إليه ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ونهجه سلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين .

٢- الإنفاة من التكنولوجيا المعاصرة ، لأن العالم الإسلامي يواجه تحديات ضخمة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية

والعسكرية تتطلب منه أن يأخذ بأسباب التكنولوجيا —
المعاصرة فيما لا يعارض ديننا الحنيف حتى يستطيع
اللاحق بركب التطور الحضارى في العالم .

٣- الربط بين العلم النظرى والتطبيق ، فإذا كان العلم
يكشف العلاقات والقوانين التي تحكم الظواهر والعمليات
والحقائق ، فإن التكنولوجيا هي التي تحول هذه الحقائق
والقوانين الى عطيات إنتاج .

ومن ثم فلا بد أن تتلخص المناهج الدراسية النظرية إلى
الربط بين الجوانب التطبيقية ومدى إفادة المجتمع منها في
الإنتاج ، ولن يتحقق ذلك الربط إلا إذا انتفت التفرقة
بين ما هو من العلوم النظرية والعلوم التطبيقية .

٤- القدرة على مسايرة التطور الكيفي للمعرفة البشرية ، فلكي تكون
للأنظمة التعليمية القدرة على مسايرة التطور الكمي والكيفي
في غير بلاد المسلمين ، لا بد لها من أن تستوعب كل
جديد مفيد مناسب في ميادين المعرفة ، فالمعلومات
الإنسانية متلاحقة والخبرات البشرية متزايدة ، ولا بد أن يكون
المسلم في مستوى التبدلات الجديدة في المعرفة الإنسانية ،
وفي مستوى القدرة على مسايرة تغييرات الإنتاج وأساليب
العمل تحت راية قول الله جل وعلا ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي
(١) عِلْمًا ﴾

ثالث عشر : التربية القرآنية - وهي تهتم بما مضى - لا تنسى تربية روح الشخصية المؤمنة على العمل الدائب ، ومن ثم فهي تعني بتقويم المعلم وتأميره بطلب الزيادة من العلم وجمع فنون المعرفة كما قال تعالى عن علم الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ ﴾ (١) وذلك لأن تقويم المعلم ، هو تقويم للطالب ورفع لمكانته وتحسين لمستواه ، ومن هنا طلب موسى - وهو الكليم - من الخضر التزود مما آتاه الله من العلم اللدني ، ولو كان الخضر أقل علما من موسى لما قال له : ﴿ هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٢) .

رابع عشر : التربية القرآنية ، تربية لروح الشخصية المؤمنة على العمل الجاد للآخرة ، وذلك كي تصبغ المؤمن بصبغة إيمانية جادة تضبط مساره وتوجه خطاه وتجعله دائما ينظر إلى آخرته نظرة توجيه إلى الخير والالتزام بدين الله منهجا وسلوكا ومن ثم فلا تكون الدنيا أكبر همه ولا مبلغ طمعه ، وإنما يعمل لهذه وتلك فلا يضيع دنياه ، ولا يخسر أخراه .

وهذه التربية ، إنما ينفرد بها المنهج القرآني ، ولذلك تخرج من هذه المدرسة رجال كانوا بالليل رهبانا والنهار

(١) آية / ٥-٦ / ، سورة النجم .

(٢) آية / ٦٦ / ، سورة الكهف .

فرسانا ، حملوا المصحف في يد ، والسيف في الأخرى ،
ليربوا الناس على هذا المنهج .

خامس عشر : إن المنهج القرآني يربي الأمة الإسلامية على منهج وسط

لا إفراط فيه ولا تفريط ولا غلو فيه ولا تسبب ، وذلك
تحت راية قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١)

والوسطية من خلال المنظور القرآني ، إننا تعني استقامة
المنهج على شريعة الله تعالى والبعد عن الميل والانحراف ،
والمنهج المستقيم عبر عنه القرآن (بالصراف المستقيم) وهو
الطريق السوي المعتدل الذي يوصل إلى الصواب دون معاناة ،

وبذلك يكون الإسلام منفردا بهذه التربية عن كل الديانات
السموية والأرضية . التي كلفت الناس شططا وجعلتهم مَلَأًا
وأحزابا متناحرة متقاتلة .

سادس عشر : التربية القرآنية تؤكد الدور التربوي الهام للأسرة وتعتبره

الدعامة الأولى في إصلاح وتوجيه الأبناء ، وتحمل الآباء
والأمهات تبعات تلك المسئولية العظيمة ، مسئولية تربية
الأولاد والمساهمة الفاعلة في تنشئتهم وإعدادهم الإعداد
الإسلامي الجيد الخ

فتربية الأولاد والاهتمام بهم من أهم سمات التربية القرآنية .

(١) آية / ١٤٣ / ، سورة البقرة .

سابع عشر : إن الإسلام باهتمامه بالإنسان قد سبق كل فكر بل سبق ما تقدمه من أديان ، لأنه شرع للإنسانية نظاما شاملا عادلا غير مسبوق ، فهو في الوقت الذي يرفع فيه روح الإنسان ويكرمه ويجعله فوق كل المخلوقات، لا يغفل أثر الواقعيات العادية في حياته ، ويضمن شريعته مزاجا متناسقا من المعنويات والعادات ، ومن التوجيهات الروحية والضمانات التشريعية فهو منهاج كامل للحياة في عالم الروح أو عالم المادة في ضمير الفرد أو محيط الجماعة .

ومعبارة جامعة فإن التربية القرآنية ، تأخذ الانسان ككل ، عقله وجسده ونفسه وروحه ، ونشاطه الجسمي والنفسي والروحي ، وكلاهما داخل في الحساب ، مطالب جسده ومطالب روحه ، جزآن من النظام متكاملان لا متعارضان .

ثامن عشر : وكفي يكون الإنسان المسلم ذا قيمة في الحياة ، عاقلا صحيحا عاملا ومنتجا ، حرم عليه القرآن الإسراف والتترف اللذين هما سبب بلاء الأمم والشعوب قديما وحديثا ، وبين أن التترف مهيا ومستعد للانزلاق في مهاوي الرذيلة ، بل إن القرآن زاد ذلك وضوحا ، فبين أن السرف والتترف من أسباب الخذلان وهلاك الشعوب وأنها — أيضا — بسبب الفقر والعوز والحرمان ، وأن النقص الحاصل الآن في الأكل والملبس وغيرها من ضروريات الحياة ، إنما هو ناتج غالبا من أنانية المترفين . . . والنصوص في ذلك كثيرة .

تاسع عشر : ونهاية القول : فإن الإسلام حرص على تربية الفرد تربية حسنة وعمل وعمل على تقويم سلوك المسلم، وكان منهجه للتقويم قائما على إصلاح كافة العوامل المؤثرة في سلوك الإنسان ، بل وفي جسمه تراه يحرص على أن تكون لقمة الانسان من حلال (يا سعد أطب مطعمك تستجب دعوتك) .

وهو حريص على علاج النفوس وبث الطمأنينة في القلوب بالإيمان واليقين حتى يتحقق للمسلم كافة عناصر البناء المتكامل .

وبعد فهذه جملة من النتائج التي استخلصتها من خلال معاشتي للتربية في القرآن الكريم . آمل أن أكون وفقت فيها ، ولا أدعى أنني أحصيتها أو قاربت إحصاءها ، بل ستظل التربية في القرآن الكريم بكمالاتها متجددة يستمد منها المخلصون للإسلام في العصور المختلفة كل جديد ومفيد يناسب عصورهم ومعتقدهم ويجد رآن تكثف الدراسات حول التربية في القرآن لان كل دراسة تأتي بجديد تعين على نمو الصحة الإسلامية ، التي نأمل أن توصلنا الى ما نبتغيه من تحقيق عمومية رسالة خاتم المرسل الى البشرية عامة .

وبذلك نحقق وعد الله بخلافة الأرض لعباده الصالحين .
وأرى لزاما على أن أعتذر عما يبدر من قصور في هذه الرسالة ، فهي من جهود البشر ، وهم يخطئون ويصيبون . وعين الناقد بصيرة .

وما توفيتي إلا بالله .

والحمد لله ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهارس



لهرس الآيات القرآنية :

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		((<u>سورة الفاتحة</u>))
٢٠	٢	" الحمد لله رب العالمين . . "
		((<u>سورة البقرة</u>))
٣٢١	٢٩	" والله ملك السموات والأرض . . "
٤٠٠	٣٠	" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض . . "
٦٢	٤٣	" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . "
٨٤	٤٣-٤٥	" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . . "
٢٨٥، ٢٨٠	٤٤	" أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم . . "
١١١، ٩٣، ٩٢، ٦٢	٤٥	" واستعينوا بالصبر والصلاة . . . "
٤١٥	٧٩	" فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم . . "
٣٦١، ١١٨	٨٣	" وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل . . "
١٠٧	٩٣	" سمعنا وعصينا . . "
٢٠٦	١٢٨	" ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف . . "
٢٢	١٣٠	" ولقد اصطفيناه في الدنيا . . "
٤٩٤	١٤٣	" وكذلك جعلناكم أمة وسطا . . "
٢٤	١٥١	" كما أرسلنا فيكم رسولا منكم . . "
٨٦	١٥٢	" فاذكروني أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون . . "
٤٦٨	١٦٤	" ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل "
١١٨، ٥٣، ٥٠	١٧٧	" ليس البر أن تولوا وجوهكم . . "
٣١٥	١٨٠	" كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٥٣، ١٥١، ١٤٧ ١٥٧، ١٥٤	١٨٥-١٨٣	" يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . . . "
١٦٧، ١٥١	١٨٥	" شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن . . . "
١٩٩، ١٩٤، ١٦١ ٤٨٨، ٢٤١، ٢٢٢	١٨٧	" هن لباس لكم وأنتم لباس لهن . . . "
١٨٠، ١٧٨، ١٧٤	١٩٧	" فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال . . . "
٢٥٦، ٢٤٦، ٢٠٢	٢٢٢	" وبسئلتونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن . . . "
٢٤٢، ٢٠٢، ١٩٤ ٤٨٨، ٢٤٣	٢٢٣	" نساءؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقد موا لأنفسكم . . . "
٢٣١، ٢٠٧	٢٢٨	" ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة . . . "
٣٨٨، ٣٨٦، ٣٦٤، ٢٥٨ ٧٦	٢٣٣ ٢٣٨	" والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين . . . حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى . . . "
١٤٣	٢٤٥	" من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا . . . "
٤١٢	٢٥٦	" لا اكراه فى الدين . . . "
٣٢٨	٢٦١	" مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله . . . "
٣٢٠، ١٦	٢٧٦	" يمحى الله الربا ويربى الصدقات . . . "
١١٨	٢٧٧	" ان الذين آمنوا وعطوا الصالحات . . . "
٣٢٠	٢٧٨	" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى . . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٤١٤	٢٨٢	" وليكتب بينكم كاتب عدل . . ." ((سورة آل عمران))
٢٩٧، ٢١١، ١٩٦ ٣٣٩، ٣٠٥	١٤	" زين للناس حب الشهوات من النساء . . ."
٤١٤	١٨	" شهد الله أنه لا اله الا هو . . ."
٢٣	٤٢	" واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك . . ."
٨٠	٤٣	" يا مريم اقنتي لربك . . ."
٢٣	٤٢	" واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك .."
٢٧٩	٧٩	" ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون . . ."
٣٢٨	٩٢	" لن تنالوا البر حتى تنفقوا . . ."
		" والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . . ."
٥٦	٩٧	" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا
٤٢٣، ١٨٢	١٠٣	نعمة الله عليكم . . ."
٢٧٦، ٢١٢، ١٠٨	١١٠	" كنتم خيرا أمة أخرجت للناس . . ."
٤٨٧، ٤٢٣		
٣٤٨	١١٩	" ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم . . ."
		" فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب . . ."
٤٣٢، ٣٩٥، ٢٦٥	١٥٩	" ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله . . ."
١٢٢، ١٢١، ١١٩	١٨٠	
٤١٤	١٨٧	" واذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب .."
١٩٣	١٩٥	" فاستجاب لهم ربهم . . ."

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>((سورة النساء))</u>
٣٦٢، ٢٢١، ١٩٢	١	" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم .. "
٣٥٩	٤	" وآتوا النساء صدقاتهن .. "
٣١١	٧	" للرجال نصيب مما ترك الوالدان .. "
٣٦٤	١١	" يوصيكم الله في أولادكم .. "
٣٦٩، ٣٦٥	١٩	" وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن .. "
		" وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض
٢٥١، ٢٢٩، ١٩٩	٢١	وأخذن منكم ميثقا فليظن .. "
٤٨٨، ٢٥١، ٢٤٨		
٢٠٠	٢١، ٢٠	" واتيتم احداهن قنطارا .. "
٢٢٣	٢٣	" حرمت عليكم امهاتكم .. "
		" يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
٣٢٦، ٣١٩	٢٩	بالباطل .. "
٣١٠	٣٢	" للرجال نصيب مما اكتسبوا .. "
٢٣١، ٢٢٤، ٢٠٧	٣٤	" الرجال قوامون على النساء .. "
٣٦٠		
		" والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
٣٠٨	١٢٢، ٥٧	جنات .. "
		" ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات التي
٤٢٥	٥٨	أهلها .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول .. "
٢٩٣ ، ٢٦٩	٥٩	
٤٢٢	٦٥	" فلا وربك لا يؤمنون .. "
٢٩٤	٨٣	" ولو رده الى الرسول والى أولى الأمر منهم .. "
٤١٦	٨٣	" وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف .. "
٧٠	١٠٢	" وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة .. "
٤٢٠	١٠٥	" أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس "
٣٠٦ ، ٣٠٢	١٢٨	" وأحضرت الأنفس الشح .. "
١٦٣	١٤٠	" انكم اذا مثلهم .. "
٤٧٢	١٥٠	" يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله .. "
٤٦٩	١٦٥	" لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .. "
		((سورة الطائفة))
١٨٣ ، ٧٦ ، ٥٨	٢	" وتعاونوا على البر والتقوى .. "
٤٤٧ ، ٢٠٣ ، ٧٤	٦	" يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة .. "
٤٨٨		
		" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
٤٥٨ ، ٤٤٨	٨	شهداء .. "
٣٠٨	٩	" وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. "
٣٢١	١٧	" ولله ملك السموات والأرض وما بينهما .. "
٢٨٩	٣١	" فبعث الله فرابا يبحث في الأرض .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣١٠	٣٨	" والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . . "
١٦٣	٤٢	" سماعون للكذب أكالون للسحت . . "
٤٢٥	٤٤	" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . . "
٤٢١	٥٠	" ومن أحسن من الله حكما . . "
١٦٣	٦٣	" لولا ينهاهم الربانيون والأحبار . . "
١٨١	٦٧	" يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . . "
١٨٠	٩٦	" أحل لكم صيد البحر وطعامه . . "
		<u>((سورة الأنعام))</u>
٤٧٤	٣٨	" وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير . . "
١٥٣	٥٤	" كتب ربكم على نفسه الرحمة . . "
٢٨٢	٩٠	" أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . . "
٧٦	٩٢	" وهذا كتاب أنزلناه . . "
٤٧٥	٩٥	" ان الله فالق الحب والنوى . . "
٤٧٦	٩٧	" وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها . . "
٤١٠	٩٨	" هو الذى أنشأكم من نفس واحدة . . "
٤٧٥	٩٩	" وهو الذى أنزل من السماء ماء . . "
٣٢١	١٠٢	" ذلكم الله ربكم لا اله الا هو . . "
٤٧١	١٢٤	" الله أعلم حيث يجعل رسالته . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٤١١	١٣٣	" وربك الغني ذو الرحمة .. "
٤٧٥	١٤١	" وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات "
٤٥٨	١٥٢	" وإذا قلتم فاعد لــــوا .. "
٦٢	١٦٣-١٦٢	" قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي .. "
٤٠١	١٦٤	" ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة .. "
٣٢٧	١٦٥	" هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم .. "
((سورة الأعراف))		
٤٢١	٣	" اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم .. "
٣٩٣، ٣٢٤	٣١	" يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد .. "
٣٢٤	٣٢	" قل من حرم زينة الله التي .. "
٤٧٧	٥٨	" والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه .. "
٤٠٩	١٢٩	" ويستخلفكم في الأرض .. "
٢٢	١٤٤	" قال يا موسى اني اصطفيتك .. "
٣٤٧	١٥٠	" ولما رجع موسى الى قومه فضبان أسفا .. "
٣٤٨	١٥١	" رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك .. "
٣٠٩	١٥٣	" والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها .. "
٤٨٥	١٧٢	" الست بهرركم قالوا بلى .. "
		" لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعــــين
٤٦٦	١٧٩	لا يبصرون بها .. "
		" هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل
٣٥٩، ٢١٧، ٢٠٣	١٨٩	منها زوجها .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>((سورة الأنفال))</u>
٢٩٢	٢٢	" ان شر الدواب عند الله الصم البكم .. "
٤٤٣	٢٧	" يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول .. "
٣٣٩	٢٨	" واعلموا اننا أموالكم وأولادكم فتنة .. "
٣١٤، ٣١٣	٤١	" واعلموا اننا فنمتم من شيء فان لله خمسة .. "
٤٣٧	٦٠	" واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. "
		<u>((سورة التوبة))</u>
١٧٣	٣	" وأذان من الله ورسوله الى الناس .. "
٧٧	١٨	" انما يعمر مساجد الله .. "
٢٩٠	٣١	" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم .. "
١٤٠	٣٤	" والذين يكنزون الذهب والفضة .. "
٢٧٤	٤٠	" الا تنصروه فقد نصره الله .. "
٣٤٠	٥٥	" فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم .. "
١٣٢، ١٣١، ١١٦	٦٠	" انما الصدقات للفقراء والمساكين .. "
٤٠٩		
١٣١، ١٢٧، ١٢٥	١٠٣	" خذ من أموالهم صدقة تطهرهم .. "
١٧٤، ١٤١		
٣١١	١٠٥	" وقل اعلموا فسيري الله عملكم .. "
٧٥	١٠٨	" لمسجد أسس على التقوى من أول يوم .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٩٤	١٢٢	" فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين . . "
٣٤٦	١٢٣	" يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار . . "
		((سورة بونس))
٤٦٨	١٠١	" قل انظروا ماذا في السموات والأرض . . "
		((سورة هسود))
٢٨٥	٢٩	" ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله . . "
٢١٦	٤٠	" من كل زوجين اثنين . . "
٤١١٠٣٢٢٠٤١٠٦	٦١	" هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها . . "
٤٥٥	١٠٢	" وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى . . "
٤٦٠	١١٢	" فاستقم كما امرت . . "
٤٥٨	١١٢	" وما كان ربك ليهلك القرى بظلم . . "
		((سورة يوسف))
٤٢٠٠٤١٩	٤٠	" ان الحكم الا لله . . "
١٦	٤١	" أما أحدكم فيسقى ربه خمرا . . "
٢٥	٥٣	" إن النفس لأمارة بالسوء . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>((سورة الرعد))</u>
٤٧٦	٢	" الله الذى رفع السموات بغير عمد .. "
٣٥٩	٣	" إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .. "
٤٧٥	٤	" وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب .. "
٤٧٧	١٢-١٣	" هو الذى يرىكم الجرق خوفا وطمعا .. "
		" فأما الزبد فيذهب جفاً ، وأما ما ينفع
٣٤٢	١٧	الناس .. "
٤٦٢	١٩	" أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق .. "
٣٦٢	٢٠-٢١	" الذين يوفون بعهد الله .. "
٨٦	٢٨	" ألا بذكر الله تطمئن القلوب .. "
		<u>((سورة إبراهيم))</u>
٣٢١	٣٢	" الله الذى خلق السموات والأرض .. "
٤٧٤، ٣٩١	٣٤	" وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها .. "
		" فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليه
١٧٧، ٨٠	٣٧	وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .. "
		<u>((سورة الحجر))</u>
٤٧٧	٢٢	" وأرسلنا الرياح لواقع فأنزلنا من السماء ماءً .. "
٢٣	٤٢	" إن عبادى ليس لك عليهم سلطان .. "
		<u>((سورة النحل))</u>
٤٧٦	١٢	" وسخر لكم الليل والنهار والشمس .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٩٥ ، ٢٧٠	٤٤ ، ٤٣	" وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فسئلوا أهل الذكر . . "
٤١٢	٥٣	" وما بكم من نعمة فمن الله . . "
٢٧٧	٦٠	" للذين لا يؤمنون بالآخرة . . "
٤٦٣	٧٨	" الله أخرجكم من بطون امهاتكم . . "
٤٧٤	٧٩	" ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء . . "
٤٥٤ ، ٤٤٥ ، ٤٠٧	٩٠	" إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى . . "
٩٩	١٢٤	" إنما جعل السبب على الذين اختلفوا فيه "
		<u>((سورة الاسراء))</u>
٥	٩	" ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم "
٣٧٤	٢٤ ، ٢٣	" إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما . . "
٢٣	٢٤	" وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . . "
٣٩٣ ، ٣٢٤	٢٩	" ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك . . "
٢٤٠	٣٢	" ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا . . "
٤٦٧ ، ٤٣٨	٣٦	" ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر . . "
٤٠٠	٧٠	" ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم . . "
٩٥	٧٩	" ومن الليل فتعبد به نافلة لك . . "
٤٢٧	٨٠	" واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا . . "
٤٥٩	٨١	" ان الباطل كان زهوقا . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٦٩	٨٥	" وما أوتيتم من العلم الا قليلا .. "
٣٠٦ ، ٣٠٢	١٠٠	" قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي .. "
٨٥	١٠٧-١٠٩	" ان الذين أوتوا العلم من قبله .. "
٥٨	١١٠	" قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن .. "
٣٢٢	١١١	" ولم يكن له شريك في العلك .. "
<u>((سورة الكهف))</u>		
٣٠٩	٣٠	" ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. "
٣٣٨ ، ٣٠٠	٤٦	" الطال والبنون زينة الحياة الدنيا .. "
٤٩٣	٦٦	" هل اتبعك على أن تعلمن .. "
١١٥	٨١	" فأوردنا أن يبدهما ربهما خيرا منه .. "
٤٧٩	٩٦-٩٧	" آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين .. "
٤٦٩	١٠٩	" قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر .. "
<u>((سورة مريم))</u>		
١١٥	١٣	" وحنانا من لدنا وزكاة .. "
١٤٥	٢٦	" اني نذرت للرحمن صوما .. "
١٨٨	٣١	" وأوصاني بالصلاة والزكاة .. "
١١٨ ، ٨٠	٥٥	" وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٩٢	٥٨	" اذا تتلى عليهم آيات الرحمن . . "
٦٣	٦٠، ٥٩	" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة . . "
٤٤	٦٨	" فوريك لنحشرنهم والشياطين . . "
٤٤	٧٢	" ثم ننجي الذين اتقوا . . "
٤٣	٨٨-٩٣	" وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . . "
٤	٩١	" أن دعوا للرحمن ولـدا . . "
٤٠١	٩٣، ٩٤، ٩٥	" ان كل من فى السموات والأرض الا اتى الرحمن عبدا . . "
((سورة طه))		
٢٣٧	٥٠	" الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى . . "
٣٢٤	٨١	" كلوا من طيبات ما رزقناكم . . "
٤٠٢	١١٢	" فلا يخاف ظلما ولا هضما . . "
٤٩٢، ٤١٣	١١٤	" وقل رب زدني علما . . "
٣٠١	١٢٠	" فوسوس اليه الشيطان . . "
٣٧١	١٣٢	" وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها . . "
((سورة الأنبياء))		
٣٠٨	٨٠	" وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم . . "
٨٤	٩٠	" انهم كانوا يسارعون فى الخيرات . . "
١٢٦، ٤٠	٩٢	" ان هذه أمتكم أمة واحدة . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٨١	١٠٧	" وما أرسلناك الا رحمة للعالمين .. "
		<u>((سورة الحج))</u>
		" ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان .. "
٣٦٩	٣	
٣٨٣، ١٥	٥	" يا أيها الناس أن كنتم في ريب من البعث .. "
		" ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب .. "
٣٦٩	٨	
٤٤٩	١٠	" وأن الله ليس بظلام للعبيد .. "
١٧٥	٢٧-٣٥	" وأذن في الناس بالحج .. "
١٧٨	٢٨	" ليشهدوا منافع لهم .. "
١٨٦	٣٤	" ولكل أمة جعلنا منسكا .. "
٣٩٢	٣٤، ٣٥	" وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله .. "
٤٣٨	٤٦	" افلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب .. "
٤٧٦	٦٥	" ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض .. "
١٨٦	٦٧	" لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه .. "
٢١	٧٥	" الله يصطفى من الطائفة رسلا ومن الناس .. "
		<u>((سورة المؤمنون))</u>
٩٨، ٨٣، ٧٧، ٦٣	١-١١	" قد أفلق المؤمنون .. "
١١٥	٤	" والذين هم للزكاة فاعلون .. "
١١٩	١-١٤	" قد أفلق المؤمنون .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٧٢	٨	" والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .. "
٣٨٤	١٤	" فكسونا العظام لحما .. "
٤٧٩	١٢-١٤	" ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين .. "
٤٧٦	١٧	" ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق .. " <u>((سورة النور))</u>
١١٥	٢١	" ولولا فضل الله عليكم ورحمته .. "
٢٥٩	٣٠	" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم .. " ليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين
٣٦٤، ٣٦١، ٥٣	٣١	زينتهن الا لبعولتهن .. "
٢١٨	٣٢	" وأنكحوا الأيامى منكم .. " وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى
٢٥٩، ١٢٠، ١٦	٣٣	يفغنيهم الله من فضله ، والذين يبغفون الكتاب .. "
٤٧٧	٤٣	" ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه .. "
٤٧٤	٤٥	" والله خلق كل دابة من ماء .. " <u>((سورة الفرقان))</u>
٤٣	١٧	" يوم يحشرهم وما يعبدون .. "
٢٧٤	٢٨، ٢٧	" ويوم يعض الظالم على يديه يقول .. " " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
٤٥	٦٨-٦٣	هونا .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٩٧	٦٤	"والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . . ."
		"والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
٣٢٤	٦٧	يقتروا . . ."
٤٥	٧٤-٧٢	"والذين لا يشهدون الزور . . ."
٣٢٤	٧٤	"واجعلنا للمتقين اماما . . ."
٤٥	٧٦/٧٥	"أولئك يجزون الغرفة بما صبروا . . ."
		<u>((سورة الشعراء))</u>
٢٢	١٨	"ألم نربك فينا وليدا . . ."
٣٥٨	٨٢-٧٨	"الذى خلقتي فهو يهدين . . ."
		<u>((سورة النمل))</u>
		"أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها
٤٧٣	٦١	أنهارا . . ."
٤٧٨	٦٣	"أمن يهدىكم في ظلمات البر والبحر . . ."
		<u>((سورة القصص))</u>
٤٥٧	٥٩	"وما كان ربك مهلك القرى . . ."
٣١٠	٨٤	"ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا . . ."
		<u>((سورة العنكبوت))</u>
		"ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم
٤٥٦، ٤٥٧	٢٩-١٤	الفا سنة . . ."

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٢٣	١٧	" فابتهفوا عند الله الرزق . . "
٤٥٦	٤٠	" فكلأ أخذنا بذنوبه فنحنهم من أرسلنا عليه حاصبا
٤٦٢، ٢٩٤	٤٣	" وتلك الأمثال نضربها للناس . . "
		" اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة
١١٢، ٩٠، ٦٢	٤٥	" ان الصلاة تنهى عن الفحشاء . . "
		<u>((سورة الروم))</u>
٢٢١، ٢١٧، ١٩٤	٢١	" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
٢٤٨، ٢٢٤، ٢٢٢		لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة . . "
٤٨٧، ٣٥٩		" وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون
٢٧٧	٢٧	عليه . . "
		" ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت
٣١٨	٤١	أيدي الناس . . "
٤٧٨	٤٦	" ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات . . "
		<u>((سورة لقمان))</u>
٣٩١	١٤	" أن اشكر لي ولوالديك . . "
٢٨٦	١٨	" ان الله لا يحب كل مختال فخور . . "
٣٩٠	١٩	" واقصد في مشيك واغضض من صوتك . . "
٣٢٥	٢٠	" ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات
٢٦٤	٢١	" قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>((سورة السجدة))</u>
٣٨٤	٩	" ونفخ فيه من روحه .. "
٩٦	١٦	" تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. "
٣٣٥	٢٤	" وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا .. "
		<u>((سورة الأحزاب))</u>
٢٨٥ ، ٢٦٨ ، ١٨	٢١	" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .. "
٣٨٩ ، ٣٦٦ ، ٣٥٨		
٢٧٠	٣٧	" فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها .. "
		" يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا
٢٨١	٤٦ ، ٤٥	ونذيرا .. "
٥٤	٥٦	" ان الله وملائكته يصلون على النبي .. "
		" يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء
٣٦٤	٥٩	المؤمنين .. "
٩٨	٦٢	" سنة الله في الذين خلوا من قبل .. "
		<u>((سورة سبأ))</u>
٣٢٣	٢٤	" قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله .. "
٢٨	٢٨	" وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ... "
٣٤٠	٣٧	" وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم .. "
١٤٣	٣٩	" وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>((سورة فاطر))</u>
٣٢٣	٣	" هل من خالق غير الله يرزقكم . . "
٤٧٨	٩	" والله الذي أرسل الرياح . . "
٤٠٢	١٨	" وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل . . "
٤٧٣	٢٧-٢٨	" لم تر أن الله أنزل من السماء ماء . . "
٤٦١	٢٨	" انما يخشى الله من عباده العلماء . . "
٤٨٠	٢٩	" ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة . . "
٢٠	٣٢	" ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا . . "
٣٢٣	٣٩	" هو الذي جعلكم خلائف في الأرض . . "
		<u>((سورة يس))</u>
٤٧٩	١٢	" وكل شي أحصيناه في امام مبين . . "
		" والشمس تجري لمستقر لها ذلك يقدر العزیز العليم . . "
٤٧٦	٣٨-٤٠	
٢١٤	٣٦	" سبحان الذي خلق الأزواج كلها . . "
		<u>((سورة ص))</u>
٢٩٤	٢٩	" كتاب أنزلنا اليك مبارك . . "
٣٩٩	٧١-٧٢	" اذا قال ربك للملائكة . . "
٢٣	٨٢-٨٣	" فبعزتك لأفوينهم أجمعين . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>((سورة الزمر))</u>
٣٨٣	٦	" خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها "
٤٦٣، ٤٣٧	٩	" هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون "
٤٤	١٨، ١٧	" فبشر عباد ، الذين يستمعون القول . . . "
٤١٢	١٨	" الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . . . "
٨٧	٢٣، ٢٢	" فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله . . . "
٣٩٢	٢٣	" الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها . . . "
٤٣	٤٦	" قل اللهم فاطر السموات والأرض . . . "
		<u>((سورة فصلت))</u>
٤٠٩	٣٣	" ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله . . . "
		" ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك
٣٤٩	٣٤	وهينه . . . "
٤٧٨، ١٦٧	٥٣	" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم . . . "
		<u>((سورة الشورى))</u>
٤٧٨	٣٢	" ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام . . . "
٤٣٢	٣٦	" فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا . . . "
٤٤٢، ٤٠٩	٣٨	" وأمرهم شورى بينهم . . . "
		<u>((سورة الزخرف))</u>
٢٩٤، ٢٦٤	٢٢	" انا وجدنا آباءنا على أمة . . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٩١	٢٤، ٢٣	" وكذلك ما أرسلنا من قبلك من قرية ممن نذير .. "
٣٢٧	٣٢	" نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا .. "
		<u>((سورة الجاثية))</u>
٣٢٦	١٣	" وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه .. "
٣١٠	٢١	" أم حسب الذين اجترحوا السيئات .. "
٤٣٨	٢٣	" أفرايت من اتخذ الهه هواه .. "
		<u>((سورة محمد))</u>
٢٧٧	٣	" ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل .. "
٤٧٨	١٠	" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا .. "
		<u>((سورة الفتح))</u>
٣٤٦	٢٩	" محمد رسول الله والذين معه أشداء .. "
		<u>((سورة الحجرات))</u>
٣٦٢	١٠	" انما المؤمنون أخوة .. "
		<u>((سورة ق))</u>
٤٧٧	٦	" أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>((سورة الذاريات))</u>
١٦٢	١٩	" وفي أموالهم حق للسائل والمحروم . . "
٤٧٧	٤٧	" والسما بنيناها بأيدي وانا لموسعون . . "
٢١٥	٤٩	" ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . . "
٢٠٧، ٤٢، ١	٥٧، ٥٦	" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . . "
	٥٨	
٣٢٣	٥٨	" ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين . . "
		<u>((سورة الطور))</u>
٤٠٢	٢١	" والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان . . "
٤٠٢	٢١	" كل امرئ بما كسب رهين . . "
		<u>((سورة النجم))</u>
٤٩٣	٦٠٥	" علمه شديد القوى . . "
٤٣٨	٢٨	" ان الظن لا يغنى من الحق شيئا . . "
١١٤	٣٢	" فلا تزكوا أنفسكم . . "
		<u>((سورة الرحمن))</u>
		" الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه
٤٨١	٤-١	البيان . . "
٤٧٦	٧-٥	" الشمس والقمر بحسبان . . "
٨٩	٤٦	" ولمن خاف مقام ربه جنتان . . "
		<u>((سورة الواقعة))</u>
٤٧٥	٦٤-٦٣	" انفر يتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحس الزارعون . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		((<u>سورة الحديد</u>))
		" آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . . "
١٢٤٠١٢١	٧	
٤٨١	١٧-١٦	" ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم . . "
٣٤٠٠٣٠٠	٢٠	" اعلّموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة . . "
٤٢٧	٢٥	" لقد أرسلنا رسلنا بالبينات . . "
٤٧٩	٢٥	" وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس "
٢٦٠	٢٧	" ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى . . "
		((<u>سورة المجادلة</u>))
		" يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس . . "
٤٦٣٠٤٦٢٠٤١٣	١١	
٣٤٠	١٧	" لن تفسى عنهم أموالهم ولا أولادهم . . "
١٥٣	٢١	" كتب الله لأظلمن أنا ورسلي . . "
		((<u>سورة الحشر</u>))
٢٩٤	٢	" فاعتبروا يا أولى الأبصار . . "
١٤١	٧	" كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . . "
		" ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم . . "
٣٣٤	٩	
		((<u>سورة الممتحنة</u>))
٣٤٠	٣	" لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦٧ ، ٢٨٩	٤	" قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم .. "
٢٩٠	٦	" لقد كان لكم فيه أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله .. "
		((<u>سورة الصف</u>))
٢٧٥	٣٠٢	" يا أيها الذين آمنوا لم تقولون .. "
		((<u>سورة الجمعة</u>))
١٠٩ ، ٩٩	٩	" يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة .. "
١٠٣	١٠	" فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض .. "
		((<u>سورة المنافقون</u>))
٣٤٠	٩	" يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم .. "
		((<u>سورة التغابن</u>))
٣٣٩	١٥	" انطأ أموالكم وأولادكم فتنة .. "
		((<u>سورة الطلاق</u>))
٣٨٣	٦	" اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم .. "
٣٨٩	٧	" لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه .. "
		((<u>سورة التحريم</u>))
٣٧٤ ، ٣٧١ ، ١٠٧	٦	" يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٤٦	٩	" يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين .. " ((<u>سورة المائدة</u>))
٤٠٩	٢	" الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم .. " " هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فاشكروا فى منابها .. "
٣١١، ٣٠٧	١٥	" أولم يروا الى الطير فوقهم .. "
٤٧٤	١٩	" أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن .. "
٤٦٢	٢٢	" قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار .. "
٤١١	٢٤، ٢٣	((<u>سورة القلم</u>))
٢٧١	٤	" وانك لعلى خلق عظيم .. " ((<u>سورة الحاقة</u>))
١٧	١٠	" فأخذهم أخذة رابية .. " ((<u>سورة المعارج</u>))
٣٠٢	٢٠، ١٩ ٢١	" ان الانسان خلق هلوعا .. "
١٦٢، ١٤٠، ١٢٧	٢٥، ٢٤	" والذين فى أموالهم حق معلوم .. " ((<u>سورة الجن</u>))
٧٨	١٨	" وأن المساجد لله فلا تدعو .. "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٧٩	٢٨	" وأحصينا كل شيء عدداً .." <u>((سورة المزمل))</u>
٩٦	٩ - ١	" يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا .." " وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل
٤٨٠ ، ٣٠٧	٢٠	الله .." <u>((سورة المدثر))</u>
٤٠٢ ، ٦٣	٤٣ - ٣٨	" كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين .." <u>((سورة القيامة))</u>
٤٥١	١٤	" بل الإنسان على نفسه بصيرة .." <u>((سورة المرسلات))</u>
٤٧٣	٢٨ - ٢٥	" ألم نجعل الأرض كفاتاً احياءً وأمواتاً .." <u>((سورة النبأ))</u>
٤٧٣	٧ - ٦	" ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً" <u>((سورة النازعات))</u>
٨٩	٤٠	" وأما من خاف مقام ربه .." <u>((سورة هـ))</u>
٤٧٥	٣٢ - ٢٤	" فلينظر الإنسان الى طعامه .."

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		((سورة الانطار))
٤٦٧	٨ - ٦	" يا أيها الانسان ما فرك بربك الكريم . . "
		((سورة المطففين))
٣٣٥	٢٦	" وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . . "
		((سورة الغاشية))
٤٧٣ ، ٤٦٨ ، ٤٦٧ ، ٤٧٤	٢٠ - ١٧	" أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . . "
		((سورة الفجر))
٣٠٠	٢٠	" وتحبون الطال حبا جما . . "
		((سورة الشمس))
٤٥٣	٨ ، ٧	" ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها "
١٤ ، ٤	١٠ ، ٩	" قد أفلح من زكاها . . "
		((سورة العلق))
٤٨١ ، ٤١٣ ، ٤٨	٥ - ١	" اقرأ باسم ربك الذي خلق . . "
٩٢	١٩	" واسجد واقرب . . "
		((سورة التين))
٤٠٨	٦ - ٤	" لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . . "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		((<u>سورة البقرة</u>))
٣٩٤، ٦٣، ٥٩ ٤٧١	٥	" وما أمروا الا ليعبدوا الله .. "
		((<u>سورة العاديات</u>))
٣٣٧	٨، ٧، ٦	" ان الانسان لربه لكنود .. "
٤٥٢، ٣٠٦	٨	" وانه لحب الخير لشديد .. "
		((<u>سورة العصر</u>))
٣٠٢، ٨١	٣-١	" والعصر ان الانسان لفي خسر .. "
		((<u>سورة الماعون</u>))
٧٩	٥، ٤	" فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون .. "
	

للأخوات
فنهن

الصفحة	طرف الحديث
	(أ)
٧٢	أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمي فقال يا رسول الله انه ليس ليس لي قائد
٢٤٧	إتيان الرجال والنساء في أدبارهم كفر
٣٨٦	أحب الاسماء الي الله عبدالله وعبدالرحمن
٢٤٣	إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها
٧٧	إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
٣٨٥	إذا سميتم فعبسوا ...
١٦٨	إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم
١٠٤	إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت فقد لغبت ...
٧٤	أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ...
٣٥٠	أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان
٢١٦	الارواح جنود مجنودة
٧٨	استوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم
٤٤٢	اسمعوا واطيعوا وإن
٤٢٤	أشيروا عليّ معشر المسلمين
٩٩	أفضل الله عن الجمعة من كانوا قبلنا ...
١٨٢	اعبد الله كأنك تراه
١٦٨	أفضل الصيام صيام داود
٥٩	أقربكم مني مجلسا يوم القيامة
٤٨٣	ألا أخبركم برأس الامر
٢٢٨	ألا كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته

الصفحة	طرف الحديث
٢١٩	التصوف الفني في النكاح
١٩٨	اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي
٨٥	اللهم لك سجدت وبك آمنت
١٢١ ، ٦٧	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله . . .
٦١	إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم
٣٩٤	أن تعبد الله كأنك تراه
٣٨٣	ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه
٣٥٠	أن رجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصيني . . .
٣٢٦	إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام
٢٤٦	أن سائل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
١٠٥	ان الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم . . .
١٥٧	إن في الجنة باباً يقال له الريان
١٩٨	إن المرأة تقبل في صورة شيطان
٣٦٨	أن مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه . . .
٢٥٠	إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفيض . . .
٢٢٠	أن نفراً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . . .
٣٨٦	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني الغلام أن يعق عنه بشـاتين
١٦٨	أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم الإثنين والخميس . . .
٣٢٦	أن النبي صلى الله عليه وسلم حين مرت به امرأة . . .
١٦٩	أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد اليهود يصومون يوم العاشر

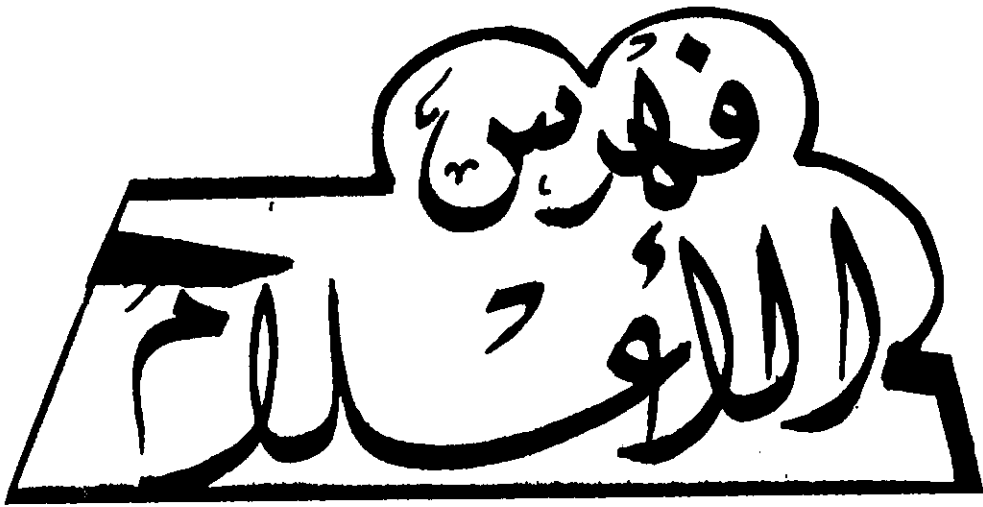
الصفحة	طرف الحديث
٢١٩	إنك تقدم علي قوم أهل كتاب
١١٢ ، ١٩٣	أنه كان إذا حزبه أمر فزع الي الصلاة
٣٨٦	أن يحنكه بتمر
٨٧	أول ما يرفع من الناس الخشوع . . .
١٤١	آياتكم والشح فإنما هلك
١٩٥	آياتي أهدنا شهوته ويكون له فيها أجر
	(ب)
١٤٧ ، ٦٤ ، ١٤٢	بني الأسلام علي خمس
	((ت))
٢٢٠	تزوجوا الودود الولود
١٤٠	تعس عبد الدينار
٢٥٧	تنكح المرأة لأربع
	(ث)
١٤٠	ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع . . .
٢١٩	ثلاثة حق علي الله عونهم
	(ج)
١٩٠	الجبين والجرأة فرائز
	(ح)
١٤٢	حصنوا امنوا لكم بالزكاة
	(خ)
٦٥	خمس صلوات كتبهن الله علي العباد

الصفحة	طرف الحديث
١	خير الناس قرني
١٠٦	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
٢٧١	خيركم خيركم لأهله
	(د)
٢٣٠	الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة
٤٣٩ ، ٣٤	الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ورسوله
	(ص)
٧١	صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة
١٠٩	صلوا كما رأيتموني أصلي
١٥٨	الصيام جنة فلا رقت ولا يجهل وان امرؤ
١٦٩	صيام يوم عرفة
	(ع)
٢٦١	عليكم بالجهاد فإنه رهبانية أمتي
	(ف)
١٢٩	فأنا رأيت سول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأصبعه
٦١	فرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى
٢٥٨	فمن لم يستطيع فعله بالصوم فإنه له وجاء
	(ق)
٩٧	قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
٤٦٠	قلت يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولاً
	(ك)
٢٠ ، ٢٨ ، ٣٨ ،	كان خلقه القرآن
٣٥٠	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباة وينهي عن التبتل

الصفحة	طرف الحديث
١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٤٩	كل عمل ابن آدم له إلا الصوم
٣٢٦	كل المسلم علي المسلم حرام
١٨٤	كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى ..
	(ل)
١٧	لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم ..
١٣٧	لا تحل الصدقة لغني ولا ذى مرة سوى ...
٣٥٠	ليس الشديد بالصرعة
٤	لا تجتمع أمتي علي ضلالة
١٠٢	لا تختصم ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ...
١٠٢	لا يصوم أحدكم يوم الجمعة
١٠٦	لا يغتسل رجل يوم الجمعة وتطهر ما استطاع من طهر ..
٧٩	لتسون صفوفكم أو ليخالفن
٦٦	لعله أن يكون صلي
٢٤٩	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله
٣١٢	لو أنكم تتوكلون علي الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
٢٢٧	ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا ...
	(م)
٢٢٨	ما أنفق الرجل علي أهله فهو صدقة ...
٣٥١	ما تعدون الصرعة فيكم
٤٦	ما عال من اقتصد
٤٨٦ ، ٣٧٣	ما من مولود إلا وولد علي الفطرة
٣٧٣	ما نحل والد وليسده

الصفحة	طرف الحديث
٢٤٠	ما نقصت صدقة من مال
٤٣٣	مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نخل . .
٣٧٦ ، ٣٧٣	مروا أولادكم بالصلاة
٤٤٣	المستشار مؤتمن
١٠٢	معاشر المسلمين إن هذا اليوم
٢٤٧	ملعون من أتى امرأته في دبرها . . .
٤١٣	المؤمن للمؤمن كالبنيان
١٢٢	من أتاه الله مالاً لم يؤد زكاته . . .
١٠٢	من آفتسل يوم الجمعة وتطهر . . .
١٠٤	من ترك الجمعة من غير عذر
١٠٤	من جاء منكم الجمعة فليغتسل
١٨٥	من حج فلم يرفث ولم يفسق
٧٢	من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر . . .
٤٦٢	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً
٦٥	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . .
١٦٩	من صام رمضان ثم أتبعه
١٥	من صنع السيئ معروف فقال : لفاعله . .
٣٨٥	من ولد له مولود فأذن في أذنه اليميني . .
٤٦٢	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
١٥	من لا يشكر الناس لا يشكر الله

الصفحة	طرف الحديث
	(ن)
١٠٧	نحن الآخرون السابقون
	(و)
١٧	وتربوا في كف الرحمن حتي تكون أعظم من الجبل . .
	والذى نفسي بيده لقد هممت أن آمر نقياني أن يستعدوا
٧١ ، ٦٨	لي يحزم من حطب
	والصلاة نور
٩٢	
٤٤٨	والامام العادل احد السبعة الذين يظلمهم الله . . .
	(ي)
١٤٧	يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصيام . . .
٤٦٠	يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا
٤٤٩	يا هادي اني قد حرمت الظلم علي نفسي . . .
٢٤٤	يا عبد الله ألم اخبر انك تصوم النهار
٢٦٠	يا علي لا تتبع النظرة النظرة
٣٧٤	يا ظلام سسم الله وكل بيمينك
٢٥٥	يا معشر الشباب من استطاع منكسر



الصفحة	الاسم
	— أ —
٢١٥	— آدم : أبو البشر عليه السلام
٢٧٧/٦٨	— إبراهيم : سيدنا إبراهيم عليه السلام
٩٧	— أبو أمامة : صدي بن عجلان بن وهب الباهلي
١٥٢	— أبو أيوب : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة
/١٣٣/١٧	— أبو اليقظة : أيوب بن موسى الحسيني القريبي الكفوي
٣٨٥/٣٨٤	
٢٨٢/١٠٩/٨٩	— أبو بكر : عبدالله بن عثمان بن أبي قحافة
٥٠	— أبو حديد : محمد فريد أبو حديد
٨٩/١٢١/٩٣	— أبو حنيفة : أبو حنيفة النعمان بن ثابت
٢٤٨/٢١٤	
١٤٧/١٠٩/٩٣	— أبو داود : سليمان الأشعث بن إسحاق بن بشير
٢٣٥	الأردى السجستاني
١٥٦	— أبو ذر : جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد
١٠٣	— أبو زيد النحوي : سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري
٩٣	— أبو سعيد الخدري : سعد بن طاهر بن سنان الخدري
	الأنصاري
١٢٠	— أبو عبيد : القاسم بن سلام
١٣٣	— أبو عبيدة : معمر بن المثنى أبو عبيدة النحوي
٩٢/٩١/٩٠	— أبو هريرة : عبدالرحمن بن صخر الدوسي
١١٧/٩٥/٩٤	
٣٣٥/٢٣١/٤٢١٣	

المنحة	الاسم
٤٣٥	ابن أبي حاتم : عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم إدريس بن المنذر.
٢٣٥/٢٣٤	ابن أبي عسيبة : عبدالله بن محمد بن أبي شيبة
١٠٢/٥٨/٥٦	ابن الأشير : المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم
١٤٦	
٣٤/١٠٩/٩٢	أحمد بن حنبل الشيباني
/٢٣٥/٤٣٤	
١٣٠٠	
١٧٣/١٠٣/٥٤	الأزهري : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل
١٥٦	أسامة بن زيد بن حارثة
١٠٦/٦٨	إسماعيل : إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
١٧	الأصمعي : عبدالملك بن قريب بن عبدالملك أبي علي ابن أصمع.
٥٤	الأعشى : ميمون بن قيس
٧١	الأعمش : أبو محمد الأعمش بن سليمان بن مهران
٣١٩	ألفرد : أدلر ألفرد
٢٤١/٢٣٧	الألوسي : محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي
٧٥	الأموي : عماد الدين الأموي
١٠٣/ ١٦	الأنباري : عبدالرحمن بن محمد عبدالله
٢٠٨٠	أنس بن مالك : ابن النضر بن ضمضم

المنحة	الاسم
	- ب -
١٠٨/٩٤	- البخاري : محمد بن إسماعيل
٤٣٥/١٤٦	
٢٦١	- البرزنجي : محمد معروف بن مصطفى بن أحمد النودهي
١٢٣	- البزار : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار
٢٣٢/٦٣	- ابن بطال : علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال
٢٨٥/٩٦	- البغوي : حسين بن مسعود بن محمد الفراه
٣٧٦/٢٠٦	- البيضاوي : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي
/٢٣٥/٢٣٤	- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي
٤٣٥	
	- ت -
١٨٦/١٤٦	- الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة
٣٠٠/٢٣٥	
٣٨٦	- التهانوي : محمد بن علي بن القاضي محمد حامد الفاروقي
٨٣/٧٦/٥٦	- ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام
٨٥	بن عبد الله
	- ث -
١٣٥/٦٠	- ثاقب الرأس : ضمام بن ثعلبة
١٠٤	- ثعلب : أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار
	- ج -
١٨٦	- جابر بن عبد الله : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام
١٣٤/١٠٤	- الجرجاني : علي بن محمد بن علي
٠٣٠٠	

الصفحة	الاسم
	— ح —
٧٨/٧٧	حاتم الأصم : حاتم بن عنوان أبو عبد الرحمن
٩٢	الحاكم : محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم
٢٤٥	حافظ إبراهيم : محمد حافظ بك سعيد إبراهيم
٢٣٥	ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ
٩٥	حذيفة : بن جبل بن جابر العبيسي أبو عبد الله
/٣٢٥/١٦١	الحسن البصرى : الحسن ابى الحسن يسار البصرى
٤٧١/٣٣٨	أبو سعيد
٣٠٠	حيوة بن شريح بن زيد الحضرمي أبو العباس الحمصي
	— خ —
٤٣٥	ابن حريم : أيمن بن خزيم بن الأخرم أبو عطية
٢٣٤	خزيمة بن ثابت بن الناكه بن ثعلبة
٤٤	الخطابي : سليمان بن حماد
٢٧٧	الخطيب البغدادي : أحمد بن علي الخطيب البغدادي
٢٦١	ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون
١٣٣	الخليل : أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي
٢٣٩	خير الله : محمد بن عبده . بن حسن خير الله
	— د —
	الدهلوى : سراج الهند الدهلوى عبدالعزيز ابن أحمد
١٨٦	ولي الله بن عبد الرحيم العمري الفاروقي
٢٨	دور كايم : أميل دور كايم

الصفحة	الاسم
	— ذ —
١٣٤	ذوالرمة : فيلان بن عقبة بن نهيش بن مسعود
	— ر —
١١٠ / ٨٠ / ٧٨	الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي
/ ١٨٩ / ١٧٠	أبو عبدالله فخر الدين الرازي
/ ٢٤٣ / ٢٢٩	
٤٣٤ / ٣٧٦	
١٠٢	الراغب : حسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم
	— ز —
١٨٨	الزجاج : ابراهيم السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج
٥٧	الزركشي : محمد بن بهادر عبدالله الزركشي أبو عبدالله
	بدر الدين
٣٧٢	الزرنوجي : برهان الإسلام الزرنوجي
١٣٩ / ٢٣ / ٢٢	الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر
٢٣٨ / ٢١٧ / ٢٠٢	
٤٠٠ / ٣٥٥ / ٢٨٥	
٤٣٧ / ٤٢٦ / ٤٠١	
٤٧٠ / ٤٤٦ / ٤٤٢	
٢٢٩	ابن زيد : أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد شهاب الدين
	أبو العباس
١٨٦	زينب بنت جحش بن رباب الأودية
	— س —
٣٠	سارتر : جان بول سارتر

المنحة	الاسم
٢٨	سينسر : هريوت سينسر
٣٠٧/٢٠٠/٨٤	السدي : إسمايل بن عبدالرحمن السدي
٦٠	السرخسي : محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر شمس الأئمة
٢٤/٢١	السعدي : أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر السعدي
٤٤٩٤٤٩	سفيان الثقفي : سفيان بن عبدالله الثقفي
٩٤	سلمان الفارسي : سلمان الخيروسلطان الإسلام
٢٠٨/٩٢	سمرة بن جندب : سمرة بن جندب بن هلال الفزاري
١٢٣	سهل بن حيثه : سهل بن حيثه بن ساعد بن عامر
١٥٨/٨٨/٥٩	سيد قطب : سيد بن قطب بن إبراهيم
/٢٤٤/١٩٠	
٢٧٨/٢٥٧	
/٢٥١/٩٥	السيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق
٢٨٢	الدين الخضير السيوطي
	— ش —
/١٢١/٩٣	الإمام الشافعي : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان
/٢١٤/١٨٨	
٣٠١/٢٣٤	
٩٣/٦٤	الشعبي : عامر بن شرحبيل
٢١٧	شلتوت : محمود شلتوت
٢٢١	شوقي : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي
٢٨٩/٢٦٤/١٤٠	الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الشوكاني
٢٥٢/٣٠٦٩٢٩٧/٢٩٥	
٤١٦٩٤٠٤/٣٩٠/٣٣٣	
٤٧١/٤٣٨/٤٤٣	

المنحة	الاسم
٩٣/٩٢/٩٠	— الشيخان : مسلم ، البخاري الحسن بن مسلم بن الحجاج ، ومحمد بن اسماعيل البخاري
	— ض —
٤٧١/٨٤	— الضحاک : الضحاک بن مزاحم البلخي
	— ط —
١٧٣/٩٠	— الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب ابن مطير اللخمي الشامي .
٢٧٨/٢٠٦	— الطبري : محمد بن جرير بن زيد الطبري ابو جعفر
٦٠	— طلحة بن عبيد : طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي
٢٣	— الطيبي : الحسن بن محمد بن عبدالله شرف الدين
	— ع —
٢٤/٣٣	— عافية : عبدالغني صود عافية
٣٧٥/٢٠	— عائمة رضي الله عنها : بنف أبي بكر الصديق
٨٤/٧٨/٧١	— ابن عباس : عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي
/١٣٠/١٠٨	الهاعمي ابو العباس .
١٦٤/١٣٣	
٣٢٥/٢٣٧	
٤٠٥	
٢٨٢	— ابن عبدالبر : يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله النمري القرطبي المالكي أبو عمر
	— ابن عبدالحكم : عبدالله بن عبدالحكم بن أعين بن ليث
١٢٣	بن رافع أبو محمد

الصفحة	الاسم
٢٣٥	— عبدالرزاق : بن همام بن نافع الحميري
٢٣٢	— عبدالله بن عمرو : عبدالله بن عمرو بن العاص
٢٣٥	— عبد بن حميد : بن ناصر الكسي باو محمد
١٨٦	— العبسي : بلال بن يحيى العبسي
٢٦٨	— عتبة بن أبي سفيان
٢٤٦	— ابن عدي : عبدالله بن عدي بن عبدالله بن المبارك
٢٧٨/٥٥	— عد هبن حاتم : عدي بن حاتم بن عبدالله بن الحضرج الطائي .
١٣٣/٦٣	— ابن العربي : محمد بن عبدالله بن محمد
١١٩/٩٤	— العسقلاني : أحمد بن علي بن محمد العسقلاني
٢٣٢/١٧٣	
٢٤٦	
٣٥	— عفيفي : محمد الهادي عفيفي
١٤٩/١٠٠	— العقاد : عباس محمود العقاد
٤٠٦/١٥٢ ٧٢	— ابن عقيل : علي بن محمد بن عقيل
٣٠٦	— عكرمة : عكرمة بن عبدالله البربري المدني
٤٣٥	— علي بن أبي طالب
١٧٢/٩٣/٩٢	— ابن عمر : عبدالله بن عمر بن الخطاب
١٩١	
٣٠٣/١٧٨/٨٩	— عمر بن الخطاب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالمزى
٤٣٥/١٢٢	— عمر بن عبدالعزيز : بن مروان بن الحكم الأموي
٣١٣	— عودة : عبدالقادر محمد عودة

الصفحة	الاسم
١٤٦	— عياض بن موسى: بهن عياض بن موسى بن عياض بن عمرو
١٤٨	— ابن عيينة: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي
	— غ —
/٢١٣/٧٥	— الغزالي: أبو حامد الغزالي
٣٣ ١/٣٣١/٢١٥	
٣٤٢	
	— ف —
١٧٨/٥٥	— ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا للقرظيني الرازي
٤٤٠	— الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء مولى بني مضر
٣٣	— فرنسيس عبد النور
١٩٨/١٩٦/٣٧	— فرويد: سيجموند فرويد
٢٠١	
	— ق —
٢٧٧/٣٠٦	— قابيل: قابيل بن آدم أبو البشر
٨٥/٧٥	— قتادة: بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الأوسي
٤٧١	
٢٠٢	— ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
١٣٤	— ابن قدامة: أبو محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد
١٤٦/٢٤/١٨	— القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري
٢٠٧/١٨٢	— الخورجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي
٢٦٣/٢٤٣	

المفحة	الاسم
٢٥٠	القفال : محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر أبو بكر الشاشي
٨٥ / ٨٤ / ٤٣	ابن القيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد
١١٨	الزرعي
— ك —	
٨٧ / ٨٤ / ٢٢	ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوين
٢٩٩ / ٢٥٨ / ١١٣	
٣١١ / ٣٥٤ / ٢٤٧	
٤٠٤ / ٤٠٣ / ٣٧٧	
٤٤٢ / ٤٤٠ / ٤١٦	
٢٣٢	الكرمانى : محمد بن يوسف بن على بن سعيد شمس الدين
٢٦١	ابن كنون : عبد الصمد بن التهامي بن المدني كنون
	الحسيني الفاسي
٢٦٦	كيلاني : ماجد عرسان الكيلاني
— ل —	
١٧	اللحياني : غلام الكسائي واسمه بن المبارك
٣٧٩	لقمان الحكيم
١٨٩ / ١٨٨	الليث بن سعد
— م —	
/ ١٤٦ / ٩٢	ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله
٣٠٠ / ٤٣٤	
١٩٨	ماركس : كارل ماركس

المنحة	الاسم
٢٧٦/١٠٤	الماوردي : علي بن محمد الماوردي
٢٢٩	المرادي : الربيع بن سليمان إبراهيم بن عبد الجبار
١٧٦	محمد قطب : محمد قطب إبراهيم بن كامل المرادي
٤٤١/٤٤٠	المرافي : أحمد مصطفى المرافي
٢٠٧	ابن مسعود : عبدالله بن مسعود
١٨٦/١٤٦/٩٢	مسلم : الحسين بن مسلم الحجاج
٢٥٨	
٢٧٩	السيح : عيسى بن مريم
١١٩/١٠٧	معاذ بن جبل : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس
٤٧٣/٤٧١	
٣٠٠	المعافري : بكر بن عمرو المعافري
٢٨٠	بن المعتز : عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل
١٣٥/٥٧	بن مفلح : إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني
٢٩٥	مقاتل : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي
٢٦٨	ابن المقفع : عبدالله بن المقفع
٢٣٤	ابن المنذر : محمد بن إبراهيم المنذر النيسابوري
٣٨٥/١٧٧/٥٤	ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين
٤٢٢	موسي بن طلحة بن عبيد الله
٣٣٥/١٤٧	موسي بن عميران عليه السلام
٦٧	الموفق البغدادي : أبو محمد عبداللطيف بن يوسف
	بن محمد

الصفحة	الاسم
١٤٦	الميموني : زين الدين عبدالله أو صادق الميموني
	— ن —
٢٧٤	نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم الليثي
٨٥ / ٩٣	النخعي : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود
/ ١٠٩ / ٩٢	النسائي : أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان
٤٣٤ / ١٤٦	بن بحر
٣٠٠ / ٢٣٥	
٣٣٤ / ٦٨	النسفي : عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (أبوالبركات)
٢٣٠	ابن النفيس : علي بن أبي العزم القرشي علاء الدين
٢٠٢	نوح : بن ملك بن متوشلخ . نبى الله عليه السلام
٨٠ / ٥٦ / ٥٤	النووي : يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي
١٢١ / ٩٢ / ٩١	الحوارني النووي الشافعي
٣٥٠ / ٣١٤ / ١٤٦	
٤٢٨ / ٣٠١	
	— و —
٣٧٦	الواحدي : علي بن أحمد بن محمد أبوالحسن الواحدي
	— ه —
٣٠٦ - ٣٧٧	هابيل : ابن آدم عليه السلام
٣٢١	هتلر : أدولف هتلر
١٢٠	الهروي : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي

الصفحة	الاسم
	— ي —
١٠٣	— ابن اليزيدى : ابراهيم بن يحيى بن المبارك ابواسحاق اليزيدى العدوى
٢٠٨	— ابن يسار : معقل بن يسار بن عبدالله



أولا : القرآن الكريم وتفسيره ومعاجمه :

- ١ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوي ، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي ، ط . دار الجيل ، بيروت .
- ٢ تفسير البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي ، أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن حبان الأندلسي .
- ٣ تفسير الجلالين : للسيوطي . جلال المحلي وجمال السيوطي ، تصحيح ومراجعة الشيخ علي محمد الضباع ، ط . مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م .
- ٤ تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ط . دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٥ التفسير الكبير : للرازي . محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي ، المعروف بالتفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، طهران ، طبعة ثانية .
- ٦ تفسير المرافعي : لأحمد مصطفى المرافعي ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، القاهرة .
- ٧ تفسير النسفي : لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٨ التفسير الواضح : لمحمد محمود حجازي ، دار التفسير ، الزقازيق ، مصر .
- ٩ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق محمد زهري النجار ، ط . مركز بن صالح الثقافي بعنزة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، السعودية .

- ١٠ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) شركة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، مصر .
- ١١ الجامع لأحكام القرآن الكريم : للقرطبي ، أبي عبدالله بن محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١ هـ) ، طبعة مطابع الدجوي ، القاهرة .
- ١٢ صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ، عبدالرحمن بن محمد الدوسري ، مكتبة دار الأرقم ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، الكويت .
- ١٣ صفوة التفاسير : للصابوني ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٤ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : للشوكاني ، محمد بن علي الشوكاني (١٢٠٠ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- ١٥ في ظلال القرآن : لسيد قطب إبراهيم ، دار الشروق ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- ١٦ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٧ لباب التأويل في معالم التنزيل : للخازن ، علاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ، القاهرة .
- ١٨ مختصر بن كثير : للصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط. سادسة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م .
- ١٩ معالم التنزيل : للبغوي ، محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي هامش تفسير الخازن ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط . ثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

- ٢٠ معجم ألفاظ القرآن الكريم : لجنة من مجمع اللغة العربية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- ٢١ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : لمحمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر العربي ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، القاهرة .
- ٢٢ المفردات في غريب القرآن : للأصفهاني ، الحسين بن محمد الأصفهاني ، دار المعرفة ، طبعة بيروت .

ثانها : الحديث الشريف :

- ١ الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية : لمحمد علي صبيح ، مكتبة محمد علي صبيح ، طبعة رابعة .
- ٢ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى : لمحمد عبدالرحمن عبدالرحيم المباركفورى ، إشراف عبدالوهاب عبداللطيف ، ط. الثالثة ، دار الفكر ، القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ٣ الترغيب والترهيب : للمنذرى ، عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله ابن سلامة بن سعد المنذرى ، طبعة إحياء دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٤ جامع العلوم والحكم : لابن رجب ، زين الدين أبى الفرج عبدالرحمن ابن شهاب الدين بن رجب الحنبلى ، دار الشروق ، بيروت .
- ٥ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : لمحمد بن علام الصديق الشافعى الأشعري الملكى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٦ رياض الصالحين : للنووى ، لهجى بن شرف بن مري بن حسن الحزامى الحورانى النووى ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، طبعة خامسة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ٧ سنن أبوداود ومعالم السنن : للخطابى ، إعداد وتعليق عزت عبيد وعادل السيد ، نشر محمد طلى السيد ، حمص ، ط. أولى ١٣٨٨ هـ .

- ٨ سنن البيهقي : لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي ، دارالباز ، مكة .
- ٩ سنن الدارمي : لأبي عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام ، نشره عبدالله هاشم يماني ، المدينة المنورة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ١٠ سنن بن ماجه : لمحمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دارالحياة التراث العربي ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- ١١ سنن النسائي : لأحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان ، شرح حافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندی ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- ١٢ السيرة النبوية : لمحمد بن حبان ابن أحمد بن حسان بن معاذ ، مؤسسة الكتب الثقافية .
- ١٣ شرح السنة : للبهقي ، حسين بن مسعود بن محمد الفراء ، المكتب الإسلامي .
- ١٤ صحيح البخاري : لمحمد بن اسماعيل البخاري ، تحقيق محمد أوزدمير مؤسسة أوليف أوفست ، تركيا ١٩٧٩م .
- ١٥ صحيح مسلم بشرح النووي : لمحي الدين أبوزكريا يحيى ابن شرف ، دارالفكر العربي ، القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٦ صحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .
- ١٧ فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ، تحقيق وإشراف عبدالعزيز ابن باز ، ومحمد فؤاد عبدالباقي ، ومحب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية .
- ١٨ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار : لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، الدارالسلفية ، بومباي ، الهند ، بدون تاريخ .

- ١٩ كشف الخفايا ومزيل الألباس مما أشتهر من الأحاديث على السنة
الناس : للعجلوني الجراحي ، مكتبة التراث الاسلامي ، حلب .
- ٢٠ كنز العمال : لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ،
(ت ٩٧٥هـ) ، طبعة دار الرسالة ، بيروت ١٣٩٠هـ .
- ٢١ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : وضع محمد فؤاد عبد الباقي
دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .
- ٢٢ مختصر صحيح مسلم : تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، طبعة
سادسة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، المكتب الاسلامي ، بيروت ،
لبنان .
- ٢٣ المستدرک على الصحيحين في الحديث : للحاكم ، محمد بن عبد الله
ابن حمدويه بن نعيم ، دار الفكر ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، بيروت .
- ٢٤ مسند الامام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن
الأقوال والأفعال : الأحمـد بن حنبل الشيباني ، طبعة ثانية ،
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، لبنان .
- ٢٥ موطأ الامام مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى الليثي : تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ ، دار احياء التراث العربي ، القاهرة .
- ٢٦ النهاية في فريب الحديث والأثر : لابن الأثير ، المبارك بن محمد
ابن محمد بن عبد الكريم ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

ثالثا : المراجع العامة :

- ١ آداب المعلمين : لمحمد بن سحنون ، طبعة دار الكتب
الشرقية ، تونس ١٩٧٢م .
- ٢ اتحاف أهل الاسلام بخصوصيات الصيام : لابن حجر الهيتمي ، الناشر:
مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٣٨٠هـ ، مطبعة الفجالة
الجديدة ، القاهرة .

- ٣ احياء علوم الدين : لأبي حامد الغزالي ، طبعة عيسى البابي ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ٤ الاختيارات الفقهية : لابن تيمية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ ، القاهرة .
- ٥ الأخلاق الاسلامية وأسسها : لعبد الرحمن حنيفة الميدانسي ، دار القلم ، دمشق ، ١٣٩٩ هـ .
- ٦ أخلاقنا الاجتماعية : لمصطفى السباعي ، المكتب الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٣ هـ .
- ٧ الأخوات المسلمات ، وبناء الأسرة القرآنية : لمحمد عبد الحكيم خيال ، ومحمود محمد الجوهري ، طبعة دار الدعوة ، للطبع والنشر والتوزيع ، محرم بك ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .
- ٨ أدب الدنيا والدين : لعلي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي (٤٥٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٢٥ هـ .
- ٩ الأرض الطيبة : لأبي محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي (٦٢٩ هـ) ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء .
- ١٠ الاسلام تربية وجهاد : لمحمد عبد الله دراز ، المكتب الفنى للنشر بالقاهرة .
- ١١ الاسلام عقيدة وشريعة : لمحمود شلتوت ، طبعة دار الشروق ، ١٣٩٥ هـ .
- ١٢ الاسلام ومشكلات الحضارة : لسيد قطب ، ابراهيم ، دار الشروق ، بيروت .
- ١٣ الاسلام والمشكلة الجنسية : د . مصطفى عبدالواحد ، طبعة دار النصر الاسلامية ١٩٧٧ م .

- ١٤ الاسلام ومكارم الأخلاق : بأقلام عشرة من علماء الاسلام ، طبعة دار الكتاب العربي ، بالقاهرة .
- ١٥ أصول التربية الاسلامية : لعبدالرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٦ أصول التربية وعلم النفس : د . مقداد بالجن ، طبعة دار الفكر العربي ١٤٠٤ هـ ، - ١٩٨٤ م .
- ١٧ أصول النظام الاضاعي في الاسلام : لمحمد الطاهر عاشور ، طبعة الشركة التونسية للتوزيع .
- ١٨ أضواء على نظام الأسرة في الاسلام : لسعاد ابراهيم ، الناشر: تهامة جدة ، طبعة أولى ١٤٠٣ هـ .
- ١٩ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : لخير الدين الزركلي ، طبعة خامسة ، ١٩٨٠ م ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٢٠ أعلام النساء في عالم العرب والاسلام : لعمر رضا كحالة ، ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- ٢١ الافصاح : لابن هبيرة ، يحيى بن محمد بن هبيرة أبوالمظفر (٥٦٠ هـ) ، الناشر : المؤسسة السعيدية للنشر ، الرياض ، مطبعة الكيلاني ، باب الخلق ، القاهرة ١٣٩٨ هـ .
- ٢٢ الأموال : لأبي عبيد القاسم بن سلام ، طبعة أولى ١٣٨٩ هـ .
- ٢٣ الانسان بين المادية والاسلام : لمحمد قطب ، ابراهيم ، دار الشروق الاسلامية ، الطبعة الرابعة .
- ٢٤ الانصاف : لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي ، طبعة أولى ، السنة المحمدية ، القاهرة .
- ٢٥ الايمان : تحقيق ومراجعة هشام محمد الشاذلي ، مطبعة دار الحديث ، الأزهر ، القاهرة .

- ٢٦ بدائع الصنائع : لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ومطبعة الامام ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة ، القاهرة .
- ٢٧ بداية المجتهد ونهاية المقتصد : لابن رشد القرطبي ، دار المعرفة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، توزيع مكتبة المعارف بالرياض .
- ٢٨ البداية والنهاية : لاسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوين (٧٧٤ هـ) طبعة ثالثة ١٩٧٩ م ، مكتبة المعارف ، بيروت .
- ٢٩ بلوغ السؤل في مدخل علم الأصول : لمحمد حسنين مخلوف ، طبعة مصطفى الهابي الحلبي .
- ٣٠ البيان والتبيين : لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥ هـ) تحقيق عبدالسلام ، دار الرسالة ، بيروت .
- ٣١ تاريخ الأمم والملوك : لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠ هـ) ، دار سويدان ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٣٢ تاريخ بغداد أو مدينة السلام : لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٣٣ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : للحسين بن محمد الديار بكري ، الناشر : مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٨٣ هـ .
- ٣٤ تربية الأولاد في الاسلام : لعبد الله علوان ، دار السلام للطباعة والنشر ، حلب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٣٥ التربية العامة : لرونه أرمير ، ترجمة عبدالله عبدالدايم ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ١٩٧٩ م ، بيروت .
- ٣٦ التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام : لأنور الجندي ، طبعة دار الكتاب اللبناني .

- ٣٧ التصوير القرآني للمجتمع : صلاح الفوال ، طبعة دار الفكر العربي ، بيروت .
- ٣٨ تطور الأفكار التربوية : لعمر شيباني ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣م .
- ٣٩ تطور الفكر التربوي : لسعد مرسي أحمد ، عالم الكتب القاهرة ، طبعة الثالثة ١٩٧٥م .
- ٤٠ التعريفات : للجرجاني ، طبعة عالم الكتب ، لبنان ، بدون تاريخ .
- ٤١ تفسير سورة الحج والأهداف التي ترمي اليها : د . كمال محمد المهدي النجار ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين .
- ٤٢ تنظيم الأسرة للمجتمع : لمحمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- ٤٣ تهذيب الأسماء واللغات : للنووي ، زكريا يحيى بن شرف الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- ٤٤ تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد أحمد الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠هـ) هيئة التأليف والنشر بالقاهرة .
- ٤٥ الحقوق الزوجية في الفقه الاسلامي : د . محمد رأفت ، ط . السعادة ، القاهرة .
- ٤٦ حقوق المرأة في التشريع الاسلامي المقارن : د . حسنى نصار ، دار الشروق .
- ٤٧ حلية الأولياء : للأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ١٠ أجزاء .
- ٤٨ حياة القلوب بهامش قوت القلوب : لعقاد الدين الأموي ، طبعة دار صادر بيروت .

- ٤٩ الخشوع في الصلاة : لابن رجب الحنبلي ، المكتبة القيمة ، حدائق القبة ، القاهرة .
- ٥٠ خصائص التصور الاسلامي : لسيد قطب ، ابراهيم ، دار الشروق ، القاهرة .
- ٥١ خصائص الرسول وشامله : د . شعبان محمد علي ، دار المريخ للنشر والانتاج الفني ، الرياض ، طبعة أولى ١٤٠٠ هـ .
- ٥٢ ابن خلدون وتراثه التربوي : لحسن عبدالله بانبيلة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، طبعة أولى ١٤٠٤ هـ .
- ٥٣ الخلفاء الراشدون : دار الكتب العلمية ، لبنان ، طبعة رابعة ، ١٣٩٥ هـ .
- ٥٤ الخلق الكامل : لمحمد أحمد جاد المولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار قتيبة . دمشق .
- ٥٥ الدر المنثور : لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السبيوطي ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٥٦ دراسات في الاجتماع العائلي : د . مصطفى الخشاب ، طبعة الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ م .
- ٥٧ دراسة مقارنة لتاريخ التربية : د . عبدالغني عبود ، طبعة دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ م .
- ٥٨ دستور الأسرة في ظلال القرآن : لأحمد فائز ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٥٩ الدوافع النفسية : د . مصطفى فهمي ، طبعة مكتبة مصر .
- ٦٠ ديوان الأعشى : لميمون بن قيس بن جندل ، دار بيروت للطباعة والنشر .

- ٦١ الرد على من أخذ الى الأرض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض :
طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٦٢ روح الدين الاسلامي : لعفيف عبدالفتاح طيارة ، دار العلم للملايين
بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة عشرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٦٣ روضة الطالبين : ليحيى بن شرف بن مزرى بن حسن الجزامي الحورانسي
النوري (٦٧٦هـ) ، ط. المكتب الاسلامي ، بيروت .
- ٦٤ الروض المربع وحاشيته : لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي
التجدي (١٣٩٢هـ) ، طبعة ثالثة ١٤٠٥هـ .
- ٦٥ الرياض الناضرة : لعبد الرحمن السعدى ، مكتبة المعارف ،
الرياض .
- ٦٦ زاد الميعاد : لابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد
الزويحى الدمشقي (٧٥١هـ) ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة
عشرة ١٤٠٨هـ .
- ٦٧ سرالروح : لابراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، تحقيق محمود محمد
محمود ، طبعة مكتبة التراث الاسلامي ، بدون تاريخ .
- ٦٨ السلوك وانحرافات الشخصية : لهوسف أسعد ، مكتبة الأنجلو المصرية ،
القاهرة .
- ٦٩ السياسة في الفكر الاسلامي : لأحمد شلبي ، طبعة مكتبة النهضة
المصرية ، بيروت .
- ٧٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لأبي الفلاح بن العماد
الحنبلي ، طبعة ثمانية منقحة ١٣٩٩هـ ، - ١٩٧٩م ، دار
المسيرة بيروت .

- ٧١ شرح أصول الأحكام : لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي
التجدي (١٣٩٢هـ) ، دار القلم ، بيروت .
- ٧٢ شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل : للخطاب ، أبو عبدالله
محمد بن عبدالله ، مكتبة النجاح ، بدون تاريخ .
- ٧٣ الشوقيات : لأحمد شوقي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ،
١٣٨١هـ .
- ٧٤ الصوم تربية وجهاد : لمحمد عبدالله دراز ، المكتب الفني للنشر ،
القاهرة .
- ٧٥ الضوء اللامع : للسخاوي ، شمس الدين أبي خير محمد ، منشورات
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- ٧٦ الطبيعيات والاعجاز العلمي للقرآن الكريم : لعبدالعليم خضر ، الدار
السعودية للنشر والتوزيع ، طبعة أولى .
- ٧٧ الطفل المثالي في الاسلام نشأته ورعاية أحكامه : لعبد الفسي
الخطيب ، المكتب الاسلامي ، طبعة أولى ١٤٠٠هـ ، طبعة ثانية
١٤٠٢هـ .
- ٧٨ العبادات وأحكامها ومبادئ آثارها في بناء المجتمع الاسلامي - القسم
الأول - ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة .
- ٧٩ العبودية في الاسلام : لابن تيمية ، طبعة سادسة ، المكتب الاسلامي
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بيروت ، لبنان .
- ٨٠ العرب قبل الاسلام : لجرسي زهدان ، دار الهلال ، القاهرة .
- ٨١ العقد الفريد : لشهاب الدين أحمد المعروف بابن عبده ربه ،
طبعة مصطفى الهابي الحلبي ١٣١٠هـ .

- ٨٢ علم الحيوان العام : د . أحمد حماد الحسني ، دارالفكر العربي ، القاهرة .
- ٨٣ عمدة القارى : لبدر الدين العيني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٨٤ عناية القرآن والسنة بتنشئة الطفل : لمحمد علي أبو الحسن ، سالة ماجستير بأصول الدين ، جامعة الأزهر .
- ٨٥ غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع ، والمنتهى : لمحمد بن بهادر ابن عبدالله الزركشي (٧٩٤ هـ) . تأليف مرعى بن يوسف الحنبلي ، طبعة ثانية ، المؤسسة السعيدية ، بالرياض ١٤٠١ هـ .
- ٨٦ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : د . محمد البهي ، دار الفكر ، بيروت ، طبعة خامسة ، ١٩٧٠ م .
- ٨٧ فلسفة التربية الاسلامية : لعاجد عرسات الكيلاني ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٨٨ فلسفة التربية الاسلامية في القرآن الكريم : لعلی خليل أبو العينين ، طبع ونشر دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٨٩ في أصول التربية الأصول الثقافية للتربية : لمحمد الهادي عفيفي ، مكتبة الانجلو المصرية .
- ٩٠ في أصول التربية وتاريخها : لأحمد عبدالرحمن عيسى ، دار اللسوا للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٩١ في أصول علم النفس : د . أحمد عزت راجح ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٥ م .
- ٩٢ في التربية ومشكلات المجتمع : د . عبدالغنى سيد أحمد عبود ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- ٩٣ في المجتمع الاسلامي : لمحمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- ٩٤ في المجتمع المختلط : لمحمد محمد حسين ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
- ٩٥ القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً : لسعدى أبو حبيب ، طبعة أولى ١٤٠٢ هـ ، دار الفكر العربي ، دمشق .
- ٩٦ قبسات من رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمحمد قطيب ، دار الشروق ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٢ هـ .
- ٩٧ القرآن الكريم والطبائع النفسية : لعلی محمد حسن العماری ، المجلی الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، اللجنة العامة للقرآن والسنة ١٣٨٦ هـ .
- ٩٨ القرآن وعلم النفس : لمحمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٩٩ القصص القرآني بين المفسرين قديماً وحديثاً : د . عبدالفتاح مقلد ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر .
- ١٠٠ قضايا التعليم في عهد الاحتلال : لسعيد اسماعيل علي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١٩٧٣ م .
- ١٠١ قوانين الأحكام الشرعية ووسائل الفروع الفقهية : لابن الجزى ، طبعة دار العلم للملايين ، طبعة ثانية ١٣٨٨ هـ .
- ١٠٢ قيام الليل : لمحمد بن نصر المروزي ، طبعة صبيح .
- ١٠٣ الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني (٦٣٠ هـ) ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- ١٠٤ الكبائر : للذهبي ، دارالكتب الشعبية ، بيروت ، لبنان .
- ١٠٥ كتاب الصلاة : لابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (٧٥١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة عشرة ١٤٠٨ هـ .
- ١٠٦ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب ، والعجم والبربر ومن عاصرهم : لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (٨٠٨ هـ) مكتبة المدرسة ودارالكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٩ م .
- ١٠٧ كتاب منهج السنة في الزواج : د . محمد الأحمدى أبو النور ، دارالشروق ، القاهرة ، بيروت .
- ١٠٨ كشف المخدرات : لزين الدين بن عبدالرحمن البعلبي ، منشورات المؤسسة السعيدية ، الرياض ، مكتبة الدجوى ، القاهرة ، عابدين .
- ١٠٩ الكليات : لأبي البقاء ، ط . دمشق ١٩٧٥ م .
- ١١٠ لسان العرب : لابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ) ، دارالمعارف ، مصر .
- ١١١ اللعة في تحقيق الركعة لادراك الجمعة : ضمن مجموعة رسائل السيوطي ، كلية التراث الاسلامي ، بالقاهرة .
- ١١٢ المال والحكم في الاسلام : لعبد القادر عودة ، طبعة المختار الاسلامي ، القاهرة .
- ١١٣ مبادئ الاسلام : لأبي الأعلى المودودي ، الدارالسعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .
- ١١٤ المبدع في شرح المقنع : لابن مفلح ، ابراهيم بن محمد بن مفلح الرامسى (٨٣٠ هـ) ، الناشر : المكتب الاسلامي ، دمشق ، طبعة أولس ، ١٣٩٩ هـ .

- ١١٥ الميسوط : للسرخس ، محمد بن أحمد بن سهل أبوبكر
(٥٤٨٣ هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،
٥١٣٩٨ هـ .
- ١١٦ المجتمع الاسلامي في ظلال الاسلام : لأبي زهرة ، طبع ونشر
دار الفكر العربي .
- ١١٧ المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء : لمحمد محمد المدني ،
دار الفكر العربي .
- ١١٨ مجمل اللغة : لأحمد بن فارس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ،
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١١٩ مجموعة رسائل السهوطي : طبعة مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة .
- ١٢٠ المجموع في فقه الشافعية : للنووي يحيى بن شرف بن مزرى بن حسن
الجزاس الحوراني النووي (٦٢٦ هـ) ، طبعة دار الفكر ، بيروت .
- ١٢١ المجموعة الكاملة لعباس العقاد : لعباس محمود العقاد ، طبعة دار
الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط . ١ . أولى ١٩٧٥ م .
- ١٢٢ المجلس : لابن حزم ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، تحقيق
لجنة احياء التراث العربي .
- ١٢٣ محيط المحيط : للبستاني ، عبدالله بن ميخائيل ، مطبعة دار السعادة
مصر .
- ١٢٤ مختار الصحاح : للرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي
البكري أبو عبدالله فخر الدين الرازي ، دار الكتاب ، بيروت ، ط . ١ . أولى
١٩٧٩ م .
- ١٢٥ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد و اياك نستعين : لابن القيم ،
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرع دمشقي (٧٥١ هـ) ، تحقيق
محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

- ١٢٦ مع القرآن في آدابه ومعاملاته : لعبدالحسيب طه حميده ، طبعة دار الكتب العلمية .
- ١٢٧ معالم الثقافة الاسلامية : لعبد الكريم عثمان ، طبعة ثالثة ، مؤسسة الأنوار ، الرياض .
- ١٢٨ معالم الطريق : لسعيد رمضان ، المطبعة الجديدة ، دمشق ١٩٥٥ م .
- ١٢٩ المعجم الصوفي : د . معاذ الحكيم ، طبعة د . قدرة للطباعة والنشر .
- ١٣٠ معجم العلوم الاجتماعية : الهيئة المصرية للكتاب ، طبعة الهيئة المصرية للكتاب .
- ١٣١ معجم القاموس السياسي : لأحمد عطية الله ، دار النهضة العربية طبعة رابعة .
- ١٣٢ معجم المصطلحات الصوفية : لعبد المنعم الحفني ، دار المسيرة بيروت .
- ١٣٣ معجم المؤلفين : لعمرضا كحالة ، تراجم مصنفى الكتب العربية .
- ١٣٤ المغني : لعبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ) طبعة ثالثة ، دار المنار ١٣٦٧ هـ .
- ١٣٥ مغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : لمحمد الشربيني الخطيب ، مصطفى البابي .
- ١٣٦ مقارنة الأديان : لأحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط . عام ١٩٢٩ م .
- ١٣٧ المقاصد الحسنة : للسخاوى : شمس الدين أبي الخير محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ١٣٨ المقدمات : لابن رشد ، مطبعة السعادة بمصر ، بدون تاريخ .
- ١٣٩ منهج التربية الاسلامية : لمحمد قطب ، طبعة سابقة ، دارالشروق
١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م القاهرة .
- ١٤٠ منهج القرآن في تربية المجتمع : د. عبدالفتاح عاشور ، الناشر :
مكتبة الخانجي مصر ، القاهرة ، مطبعة دارالجيل للطباعة ، مصر .
- ١٤١ منهج القرآن في التربية : لمحمد شديد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
شارع سوريا ، طبعة عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ١٤٢ منهج القرآن والسنة في العلاقات الانسانية : لمجاهد محمد هريدي ،
مطبعة الأمانة ، شبرا ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ١٤٣ موزات جديدة في ميدان التربية الاسلامية من مدارس الحضائنة
الى الجامعة : د. علي شلتوت ، دار القلم ، الكويت ، شارع السور ،
عمارة السور ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١٤٤ نحو نظرية للتربية الاسلامية : د. علي جريشه ، مكتبة وهبة ، عابدين ،
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ١٤٥ نظرية الحكم ومصادر التشريع في أصول الفقه الاسلامي : د. أحمد
الخضري ، طبعة دار الكتاب العربي .
- ١٤٦ نهاية الأرب : للقلقشندي ، شهاب الدين أبو العباس ، المطبعة
الأميرية بالقاهرة ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م .
- ١٤٧ النهاية في الكناية ، مع كتاب المنتخب : للشعالبي ، طبعة دارالكتب
العلمية ، بيروت .
- ١٤٨ نيل الأوطار : للشوكاني ، محمد بن طلي بن محمد الشوكاني ، طبعة
ثالثة ، ١٣٨٠هـ ، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي ، بمصر .

١٤٩ الوابل الصيب من الكلم الطيب : لابن قيم ، محمد بن أبي بكر بن
أيوب بن سعد الزرعى دمشقى (٧٥١ هـ) ، القاهرة ،
مكتبة القاهرة .

.....

فلا تفسد
الاصطفاة التبروية

رقم	المصطلح التربوي	صاحب المصطلح	الصفحة
١	الأسوة الحسنة . .	الباحث	٢٠
٢	الأخلاق والوصول إلى الحقيقة	يوحنا هيربرت	٣١
٣	إصلاح الفرد وإعداد له للحياة	الباحث	٢٧
٤	إصلاح النفس وتوجيه الشخصية	٢٧
٥	إطلاق طاقات الشباب بغير ضوابط	جان بول سارتر	٣٢
٦	الإعداد للحياة الكاملة	هيربرت سينسر	٣٩
٧	الإعداد الروحي والنفسي	الباحث	٢٦
٨	إعداد المسلم إعداداً صالحاً	٢٧
٩	إعطاء الروح والجسم كل ما يمكن من الجمال . .	افلاطون	٣١
١٠	التربية إحدى وسائل تشكيل السلوك الإنساني	كارل رنهام	٣٧
١١	التربية تشكيل للسلوك الإنساني والفكري . . .	بعض المفكرين	٣٦
١٢	تربية التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر . .	الباحث	٢١
١٣	التربية : تلك التأثيرات التي تتم عن قصد . .	عبد الغني عبود	٣٤
١٤	التربية جملة من الأقوال	د . محمد عبد الهادي عفيفي	٣٥
١٥	تربية القرآن تربية شاملة	الباحث	٢٩
١٦	التربية عملية اجتماعية خلقية	د . محمد عبد الهادي عفيفي	٣٥
١٧	التربية تجعل عيون الفرد تتفتح	يعقوب فام	٣٤
١٨	التربية عملية واعية موجهة	د . محمد عبد الهادي عفيفي	٣٥
١٩	التربية عملية التشكيل الأيديولوجي . . .	الباحث	٣٧
٢٠	التربية العمل الذي تمارسه أجيال الراشدين	أميل دوركهايم	٣٨
٢١	التربية العمل الذي تقوم به تنشئة طفل	لتوى	٣٣
٢٢	التعليم الديني والخلقي	بستالونز	٣١
٢٣	تقوم تربية القرآن على التدرج	الباحث	٢٩
٢٤	تهذيب الشخصية وتزويدها لكل ما يمكن	٢٦

رقم	المصطلح التربوي	صاحب المصطلح	الصفحة
٢٥	توجيه التربية وجهة ثقافية عقلية ^١	سارتر	٣٠
٢٦	توجيه النفس البشر الى الخير	الباحث	٢٥
٢٧	الدين النصيحة	حديث	٣١
٢٨	الغاية من التربية هني الأخلق . . .	الباحث	٢٩
٢٩	غاية التربية تقوية الذاكرة . . .	سيشرون	٣١
٣٠	فوس المبادئ والقيم النافعة	الباحث	٢٩
٣١	طالب مجتهد وعالم مبتكر	الباحث	٢٩
٣٢	كان خلقه القرآن	عائشة رضي الله عنها	٢٠
٣٣	الفرد الممتاز أساس البناء العتماسك . .	محمد قطب	٤٠٦
٣٤	القرآن أصل وأسمي مرجع تربوي	الباحث	٢٠
٣٥	ليست التربية إعدادا للحياة بل إن التربية	جون نيوي	٣٩
٣٦	هي الحياة . . .		
٣٦	ليست التربية عملية تلقين	الباحث	٢٧
٣٧	مبدأ الثواب والعقاب قائم على كل فرد	الباحث	٣٤
٣٨	نمو الروح القومية والوطنية لبعض المجتمعات	الباحث	٣٢
٣٩	التربية نظام تربوي مستقل ومنبثق من التوجيهات والتعاليم الإسلامية	مقداد بالجن	٣٩
٤٠	مبدأ الثواب والعقاب قائم على كل فرد	الباحث	٣٤
٤١	نمو الروح القومية الوطنية لبعض المجتمعات	الباحث	٣٢
٤٢	هدف التربية مساعدة الطفل في الكشف عن قواه الداخلية	فرويل	٣١
٤٣	هدف التربية بلوغ السلوك الخلقى بواسطة	رينيه أويسر	٣٨

فلا بد من
الوضوء

رقم الصفحة	الموضوع
١٣ - ١	المقدمة
١٥٠١٤	شكر وتقدير
١٦	تمهيد
٢٠	الباب الأول : مفهوم التربية في الإسلام
٢٤	- سمات التربية في القرآن الكريم
٣٠	- مفهوم التربية في الدراسات الحديثة
٣٥	- المفهوم الشامل للتربية
٤٠	الفصل الأول : في التربية بالعبادة
٥٤	المبحث الأول : دور الصلاة في التربية
	- العلاقة بين معنى الصلاة في اللغة وأثرها
٥٨	التربوي
٧٠	- الأثر النفسي للأذان
٧١	- الخشوع وأثره النفسي
٨٢	- تنوع الصلاة وتنوع منافع المسلم منها
٨٧	
٨٧	- صلاة الجمعة وأثرها التربوي
١٠٢	المبحث الثاني : دور الزكاة في التربية
١٠٦	- حكم مانع الزكاة
١١٢	- حكم مشروعية الزكاة
١١٦	- خصائص زكاة الفطر
١٣٣	المبحث الثالث : دور الصيام في التربية
١٣٩	- الصوم في العبادات الدينية القديمة
١٤٤	- الجوانب التربوية في الصيام
١٥٣	- فائدة الصوم الطبيعية
١٦٠	المبحث الرابع : دور الحج في التربية
١٦٢	- الحج وآثاره التربوية والروحية
١٧٤	- الحج في الأديان الأخرى

رقم الصفحة	الموضوع
١٧٧	الفصل الثاني : في توجيه الفرائض الانسانية
١٧٧	المبحث الأول : فريضة الجنس ونظرة القرآن الكريم الزواج وتأسيس الاسرة
١٩٣	المطلب الأول : المرأة عند الأمم القديمة
٢٠٠	المطلب الثاني : دوافع الزنى ومعالجة الإسلام لهـا .
٢٠٢	المطلب الثالث : نظرة القرآن إلى الزواج
٢١٠	المطلب الرابع : الزواج رحمة ونعمة
٢١٧	المطلب الخامس : في الزواج ميثاق وعهد بين الزوجين
٢١٩	المطلب السادس : في الحقوق الزوجية
٢٢٢	المبحث الثاني : توجيه فريضة التناسيل
٢٣٤	— حكم إتيان الرجل المرأة في دبرها
٢٤٠	— العـزل
٢٤٠	المبحث الثالث : توجيه فريضة التقليد
٢٥٠	المطلب الأول : تعريف التقليد
٢٥٦	المطلب الثاني : أثر القدوة في كيان الافراد الأُمم
٢٥٦	المطلب الثالث : في القدوة المثلى
٢٦٤	المطلب الرابع : في المثل الجيد وأهمته
٢٧٢	المطلب الخامس : في مواصفات الطالب للعلم والمعلم
٢٧٢	المطلب السادس : في التقليد الاعمى ودحض دعوى المقلدين في العقيدة
٢٨٥	المبحث الرابع : في توجيه فريضة حب التملك

رقم الصفحة	الموضوع
٢٨٥	المطلب الأول : حب التملك
٢٩٢	المطلب الثاني : التملك ومشروعيته وأسبابه
٣٠٦	المطلب الثالث : التملك غير المشروع
٣٠٩	المطلب الرابع : في المال مال الله وللبشر حق الانتفاع
٣١٥	المطلب الخامس : التفاوت في الارزاق والحقوق في المال
٣١٨	المبحث الخامس : توجيه فريضة حب السيطرة وحب الذات وما ينشأ عنهما من القتال والغضب
٣١٨	المطلب الأول : توجيه فريضة حب السيطرة وحب الذات
٣٢٥	المطلب الثاني : في بعضروافد حب السيطرة وحب الذات
٣٣١	المطلب الثالث : في الغضب
٣٤٣	الفصل الثالث : في تربية القرآن للأسرة
٣٤٣	المبحث الأول : في اسلوب القرآن في تربية الاسرة
٣٤٣	المطلب الأول : مفهوم الاسرة
٣٤٦	المطلب الثاني : عناية الاسلام بالأسرة
٣٥٤	المطلب الثالث : اساليب تربية الأسرة في القرآن الكريم
٣٦٠	المبحث الثاني : في دور الوالدين في إعداد الولد الصالح
٣٦٠	المطلب الأول : تربية الاولاد

رقم الصفحة	الموضوع
٣٦٨	المطلب الثاني : خصائص منهج التربية للنشئ في الإسلام
٣٧٤	المطلب الثالث : اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالطفل وور الوالدين في التعامل معه بادب القرآن
٣٨٥	الفصل الرابع : في التربية السياسية في القرآن الكريم
٣٨٨	مدخل : اعتبار الفرد الصالح اساس المجتمع الصالح
٤٠٦	المبحث الأول : في مصدر الحكم ونوع الحكومة ونظام الشورى
٤٠٦	المطلب الأول : مصدر الحكيم
٤١٣	المطلب الثاني : في نوع الحكومة
٤٢١	المطلب الثالث : في مطلب الشورى
٤٣٤	المبحث الثاني : في مكانة العدل في القرآن الكريم
٤٥٠	الباب الثاني أسس التربية القرآنية
٤٥٠	التربية العلمية في القرآن الكريم
٤٥٢	* مكانة العقل في القرآن وأهميته في العلم
٤٥٤	* فرضية التفكير في القرآن
٤٥٦	* طرق العلم الصحيح
٤٥٨	* أهداف التعليم في القرآن الكريم
٤٧٣	الخاتمة
	الملاحق
٤٨٦	فهرس الآيات القرآنية
٥١٤	فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	الموضوع
٥٢١	فهرس الأعلام
٥٢٤	فهرس المراجع والمصادر
٥٥٢	فهرس المصطلحات العربية
٥٥٥	فهرس الموضوعات